

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إِنَّمَا أُخْرِجَتْ لِطَلِبِ الْأَصْلَاحِ فِي أُمَّتِكَ

الاصلاح الحسني

مَجَلَّةٌ فِصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالتَّهَضُّبِ وَالْحِكْمِيَّةِ وَأَفْقَهَا الْفِكْرِيَّةُ

تَصَدَّرُ عَنْ

مَوْجِسْتِ وَأَرْشَادِ الْاَيْمَانِ لِذَلِكَ الْاِسْمِ الْاِحْصَائِيَّةِ التَّهَضُّبِ الْحَسَنِائِيَّةِ

فِي الشُّرُوفِ الْاِفْكَارِيَّةِ وَالْتِقَانِيَّةِ / الْعِلْمِ الْحَسَنِائِيَّةِ الْاِقْلَامِيَّةِ

العدد السادس والعشرون

السنة السابعة (١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م)

الإصلاح الحسني

مجلة فضلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وافتها الفكرية



الهيئة الاستشارية

آية الله السيد عادل العلوي
آية الله السيد منير الخباز
العلامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقلسي

آية الله الشيخ محمد السيد
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل النكراني
آية الله السيد رياض الحكيم

العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي



الإصلاح الحسيني

* الإشراف العام:

سماحة الشيخ علي الفتلاوي

* التنسيق العام:

السيد صالح التنكابي

السيد مالك البطاط

د. علي البسديري

زيد فرج الله الأسدي

د. مريم هادي الياسري

* إدارة المؤسسة:

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدسة)

* معاونة المؤسسة:

الشيخ عباس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدسة)

* رئيس التحرير:

الشيخ صباح عباس الساعدي

* مدير التحرير:

الشيخ عدنان الطائي

* هيئة التحرير:

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ أسعد السلطان

د. الشيخ رغدان المنصوري

* المقابلة وتقويم النص:

الشيخ عصام السعيد

الشيخ مصطفى الدالي

* التصميم والإخراج الفني:

السيد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

* معتمد الترجمة الإنجليزية:

الشيخ حيدر علي البهادلي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: 7-240-984-964-978-ISSN

هوية المجلة

مجلة فصلية علمية تخصصية تُعنى بالبحوث المتخصصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلة

تهتمّ المجلة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحساسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلة

- ١- إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.
- ٢- نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.
- ٣- إحياء التراث الديني والحسيني.
- ٤- فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.
- ٥- الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكرين.
- ٦- استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.
- ٧- فسح المجال أمام الباحثين والمفكرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.
- ٨- التصدي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول النهضة الحسينية.

ضوابط النشر

تدعو (مجلة الإصلاح الحسيني) الأساتذة والباحثين والمحققين الفضلاء، وكلّ مَنْ لديه اهتمام في مجال الكتابة والبحث العلمي، إلى رفدها بنتائجهم القيّمة فيما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، على أمل ملاحظة الأمور التالية:

- أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلة وأركانها.
- ألا يكون منشوراً أو بصدد النشر في كتاب أو مجلة أو موقع إلكتروني.
- أن يحتوي على المنهجية العلمية المتبعة (مقدمة، محتوى، خاتمة، خلاصة، قائمة المصادر).
- أن يراعي الباحث أصول البحث العلمي والتأليف.
- اعتماد اللغة العلمية الرصينة.
- أن يكون بحثاً مبتكراً فيه نوع من التجديد والإبداع.
- أن يحتوي البحث على نتائج وتطبيقات مهمّة ومثمرة.
- الاعتماد على المصادر الرئيسة في البحث قدر الإمكان.
- ترتيب المصادر المثبتة في هوامش البحث بالطريقة التالية: (اللقب، الاسم، عنوان الكتاب: الجزء، الصفحة).
- المجلة غير ملزمة بنشر ما يقلّ عن (١٥) صفحة ويزيد على (٣٠) صفحة.
- كل (٢٥٠) كلمة تُحتسب صفحة واحدة.

تنويه

- يُسَلَّم البحث على قرص ليزري حضورياً أو يُرسل عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة مع السيرة الذاتية.
- يخضع البحث للتقويم العلمي من قبل لجنة مختصة.
- للمجلة حق إعادة نشر البحث في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصّه الأصلي.
- لا يُعاد البحث إلى صاحبه نُشر أم لم يُنشر.
- من صلاحيات المجلة إجراء التعديلات اللازمة على المقال.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنية.
- المجلة تتبع نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

مراكز النشر

- * النجف الأشرف: سوق الحويش - المكتبة العلمية.
- * النجف الأشرف: الجديدة الثانية - مكتبة دار الهلال.
- * النجف الأشرف: سوق الحويش - دار الغدير.
- * كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.
- * بغداد: شارع المتنبّي - مكتبة العين.
- * البصرة: العشار - مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
- * إيران/ قم المقدّسة: شارع معلم - سوق ناشران - معرض العتبة الحسينية المقدّسة.
- * إيران/ قم المقدّسة: صفائية - سوق الإمام المهدي عليه السلام - مكتبة فدك.
- * إيران/ قم المقدّسة: سوق كذرخان - مكتبة الهاشمي.

المحتويات

مقال التكرير

المحدّدات الشرعية والمنطقية لصناعة الخطيب الحسيني (القسم الثاني)

الشيخ صباح عباس الساعدي ١٣

ملف العصر

المنبر الحسيني وبناء الواقع الفكري والثقافي (٢)

تجاذبات فكرية حول مصير المنبر الحسيني .. عرض ومناقشة

العلامة السيّد أحمد الأشكوري ٤٥

التبليغ المباشر، أهميته وخصوصياته

د. روح الله عباس زاده / ترجمة: د. السيّد خالد سيساوي ٦٧

الأسس العلمية لإنشاء معاهد إعداد الخطباء الحسينيين

د. الشيخ محمد الكروي القيسي ٩١

ورقة عمل بعنوان: سبل توحيد الخطاب المنبري

الشيخ إسكندر الجعفري ١٢٣

العوامل المؤثرة في تشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني

د. الشيخ أسعد السلطان ١٣٩

المنبر الحسيني وأثره في نشر العقيدة الإسلامية

السيّد شهيد طالب الموسوي ١٧٧

دور النخب في تطوير المنبر الحسيني

د. زهراء البرقعاعي ٢١٣

التفاعل العاطفي في خطاب المسيرة الحسينية

م. د. كريم حمزة حميدي جاسم ٢٣٣

إصلاح المنبر الحسيني في مؤلفات الشيخ مرتضى مطهري.. قراءة وصفية

د. فراقدا داوود سلمان الشلال ٢٦١

موسم الحجّ ورحلة الفتح الحسيني.. تأملات في الغايات والأبعاد

أ. د. هادي عبد النبي التميمي ٢٨٣

الجود والكفّ.. العباس عليه السلام في الشعر البحريني المعاصر

أ. م. د. علي مجيد البديري ٣١١

أثر النهضة الصالحة في بناء الفرد.. أم البنين أنموذجاً

الشيخ محمد رضا الساعدي ٣٢٩

خلاصة المقالات

خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية ٣٦٣

مَقَالُ التَّحْرِيرِ

المحدّدات الشرعية والمنطقية

لصناعة الخطيب الحسيني

(القسم الثاني)

المحددات الشرعية والمنطقية لصناعة الخطيب الحسيني (القسم الثاني)

الشيخ صباح عباس الساعدي*

تمهيد

إن وفرة المؤلفات والمدونات المختصة بالخطابة على اختلاف لغاتها وثقافات مؤلفيها - وفي عصور وأزمنة وبقاع جغرافية مختلفة - يجعل الباحث أمام تحدٍّ جديٍّ وكبير فيما لو حاول أن يدّعي الإمام بأطراف البحث؛ لإعطاء صورة متكاملة عن رؤية علم المنطق تجاه فن الخطابة، والذي اخترناه موضوعاً لبحثنا في هذا القسم، والسبب فيما ذكرنا هو صعوبة إعطاء رؤية موحدة مقطوع بنتائجها لدى الباحث؛ لأن بعض المؤلفات والكتب قد أُلِّفت بلغات يونانية أو إنجليزية أو غيرهما من اللغات، فهذه الكتب وإن تُرجمت من قبل بعض الباحثين الذين عنوا بنقل فكر الآخر إلى الساحة العربية، إلا أنه وُجِدَت مؤاخذات كثيرة على ترجمتهم من قبل آخرين^(٢)، ما يجعلنا غير جازمين بصحة ما نقف عليه من معلومات بهذا الشأن، فضلاً عن الكم الهائل من المؤلفات المكتوبة حول هذا الفن ما يجعل مطالعة الجميع وبهذه العجالة التي تقتضيها كتابة البحوث والمقالات المختصرة أمراً في غاية الصعوبة والعسر. إلا أن ذلك كله لا يمنعنا من السعي الجاد للوقوف على أهم الآراء التي وُجِدَت

* رئيس تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني.

(١) أنظر: أرسطو طاليس، فن الخطابة: مقدمة المحقق. وأيضاً: ابن رشد، محمد بن أحمد، تلخيص الخطابة: ص ٢٠. من مقدمة المحقق.

في المدونات المنطقية حول فن الخطابة - وكذلك المؤلفات التي لها مساس وتشابه مع علم المنطق - بعد أن قطعنا عهداً مع أنفسنا بأن نستوضح أهم المحددات التي تساهم في صناعة الخطيب الحسيني، من وجهة نظر الشرع والمنطق، مع الإشارة إلى أن ما نذكره هنا هو ما استطعنا استظهاره في حدود إمكانات الباحث.

كتب المنطق وفن الخطابة

من الأسئلة المشروعة التي يصح طرحها في بداية هذا البحث هو السؤال عن العلاقة بين فن الخطابة مورد البحث والكتب المنطقية التي تُعنى بترتيب الفكر وتنظيمه، بأسلوب يجعل من النتائج المترتبة على هذا التفكير مثمرة وصحيحة، فمن الطبيعي جداً أن نتساءل عن سرّ العلاقة بين هذين الموضوعين، وكيف شمل نطاق علم المنطق دائرة الخطابة؟

ويمكننا أن نجيب عن هذا السؤال بما نُقل عن ابن سينا؛ إذ قال: «إنّ الحكماء قد أدخلوا الخطابة والشعر في أقسام المنطق؛ لأن المقصود من المنطق أن يوصل إلى التصديق، فإن أوقع التصديق يقيناً فهو البرهان، وإن أوقع ظناً أو محمولاً على الصدق فهو الخطابة...»^(١). وعلى هذا الأساس صح إدراج الخطابة في أقسام علم المنطق؛ لأنّها تؤدي الوظيفة الإقناعية الناتجة عن المقدمات الظنيّة.

على أنّ من أبرز المشاكل التي يواجهها الخطيب هي معضلة التفكير الجاد في توفير

(١) ذكرت هذه العبارة في كتب جملة من الباحثين نقلاً عن الشيخ الرئيس أبي علي، ابن سينا، إلّا أنّنا لم نعثر عليها في المصدر الذي أحالنا إليه هؤلاء الباحثون. أنظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد، المعجزة الكبرى القرآن: ص ٢٦٥. نعم، وجدت عبارة مقارنة لهذا النص عن القوامي الشيرازي المتوفى سنة ١٠٥٠ هـ، إذ يقول: «القياس إمّا أن يفيد التخيل أو التصديق، فالأول هو الشعر، والثاني إن أفاد يقيناً فهو البرهان، وإن أوقع ظناً فهو الخطابة، وإلّا فإن اشتمل على عموم الاعتراف أو التسليم فهو الجدل، وإلّا فالسفسطة...». صدر الدين الشيرازي، محمد بن إبراهيم، اللغات المشرقية في الفنون المنطقية: ص ٣٣.

آليات ومقدمات يتسنى له بواسطتها إيصال رسالته التي تكفل بها، وهي إقناع الجمهور، وهذه العملية المهمة يتكفل بها علم المنطق على المباني الحديثة لموضوعه، كما ذكر ذلك بعض الباحثين^(١).

ونحن إذ نورد هذا المبرر الذي يتماشى مع الرأي السائد والمشهور في الكتب المنطقية حول فن الخطابة ووظيفتها، يجدر بنا أن ننوه إلى وجود مبرر آخر يأتي ذكره في المحددة العلمية إن شاء الله تعالى، وهو ما يرتبط بتاريخية الاستفادة من الخطابة في العصر الإغريقي الذي ظهرت فيه مدارس متعددة، تختلف في الرؤى والمناهج؛ إلى درجة أوجبت القطيعة بين روّادها.

وعلى هذا الأساس؛ فقد احتلت موضوع الخطابة مساحة ملحوظة في الكتب التي أُلِّفت حول علم المنطق؛ إذ وُجدت كتب مستقلة أو مباحث وفصول كذلك في الكتب المنطقية حول فن الخطابة وتعريفاتها وضوابطها، وغير ذلك من المسائل التي يحتاج إليها الخطيب، وهذا ما سيتضح للقارئ عند قراءة الصفحات التالية؛ ليرى المساحة التي يحتلها هذا الفن في الكتب المنطقية التي عُنت بالخطابة وأُغت موضوعها.

وفي الوقت الذي جاءت الخطابة في الكتب المنطقية، وُجدت أيضاً كتب أخرى كثيرة مستقلة، تناولت موضوع فن الخطابة بجميع التفاصيل التي ذكرها علماء المنطق، وبشكل أوسع مما ذُكر في الكتب المنطقية^(٢)؛ مستندة في تأليفها إلى التجربة البشرية التي رصدها مؤلفوها - سواء أكانت هذه التجربة في مسيرتهم الخطابية أم في مسيرة أناس مشتهرين وبارعين في هذا الفن - فهذه الكتب وإن لم تكن منتسبة إلى

(١) أبو زهرة، محمد بن أحمد، الخطابة أصولها. تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: ص ١٠.
(٢) قد ذكرنا بعضاً منها في مقدمة القسم الأول من هذا المقال. أنظر: الساعدي، صباح عباس، المحددات الشرعية والمنطقية لصناعة الخطيب الحسيني، مجلة الإصلاح الحسيني، العدد ٢٥،

كتب المنطق بشكل صريح ومباشر، إلا أن هناك من المبررات الكثيرة التي تسوغ لنا إدراجها في هذا القسم من البحث؛ لنستخرج منها المحددات التي تُسهم في صناعة الخطيب^(١)؛ ومن أهم تلك المبررات هي اشتراكها في الميدان الذي تتحرك فيه الكتب المنطقية، ولأن الأساس في مستنداتها وأدلتها هو نتاجات التجربة البشرية، كما هو الحال في علم المنطق أيضاً، فكما أن علم المنطق اعتمد في طرحه للأدلة الإثباتية في فن الخطابة على التجربة التي اكتسبها مؤلفو هذا العلم، وما أنتجه العقل البشري وتوصل إليه، نجد أن هذه الكتب التي اختصت بالحديث عن فن الخطابة كانت حصيلة التجربة والدراسة المستمرة لهذا الفن ومقوماته من قِبَل أشخاص اعتُبروا الرواد المبرزين في هذا المجال؛ فضلاً عن أنها لم تستند إلى النصوص الشرعية، كما هو الحال في الكتب المنطقية أيضاً.

فنتيجة لهذه الأسباب وغيرها؛ صح لنا أن نتوسع في المفهوم للتأسيس لهذا الفن، لتشمل جولتنا - حول المحددات المنطقية لصناعة الخطيب الحسيني - التجارب البشرية التي تحدّث أصحابها عن القواعد المهمة التي تساعد في صناعة الخطيب الناجح.

الموضوع: تطرقنا في القسم الأول من هذا البحث إلى المحددات الشرعية لصناعة الخطيب الحسيني، وذكرنا أن هناك قسماً آخر متممًا للبحث عن هذه المسألة، وقد جاء الدور لكي نُكمل مشوارنا لتحدث عن إسهامات علم المنطق في صياغة محددات ومقررات يتحرك الخطيب في ضوئها لتجعل منه خطيباً ناجحاً، وتؤمّن له الطريق للوصول إلى درجة الفاعلية والتأثير في جمهوره، وحصوله على النتيجة المتوخاة من الخطابة، وهي الإقناع والاستمالة.

(١) قال بعض الباحثين في صدد حديثه عن هدف تأليفه في فن الخطابة: «وما هذه الصفحات التي أقدّمها اليوم إلا قيس من هذه القواعد؛ متأسيماً بما سبق إليه أرباب هذا الفن.. لتكون علامات على طريق الراغبين في توجيه الناس، مشفوعة ببعض التجارب العملية المعينة على ذلك...». عمارة، محمود محمد، الخطابة بين النظرية والتطبيق: ص ٥.

وبما أننا ذكرنا في ذلك القسم المبحث الأول من بحثنا؛ إذ كان العنوان هناك: (المبحث الأول: المحددات الشرعية لصناعة الخطيب الحسيني)، فقد أصبح من الضروري جداً أن نسلسل البحث في هذا القسم ليتم البدء بالمبحث الثاني، فنقول:

المبحث الثاني: المحددات المنطقية لصناعة الخطيب الحسيني

سعى علماء المنطق لتدوين محددات وقواعد مهمة - ضمن كتبهم وموسوعاتهم - ليصنعوا من خلالها خطيباً متميزاً فيما لو توفر على شروط الخطابة ومقرراتها، وبما أنّ المفترض من هذا القسم أن يأتي مقارنةً للقسم السابق الذي تحدّثنا فيه عن المحددات الشرعية؛ فلذا جاء هذا القسم موزّعاً على النقاط التالية:

أولاً: بناء الذات للخطيب الحسيني

يمكننا أن نستعرض ما تحدّده الكتب المنطقية لبناء الذات للخطيب الحسيني، وبنفس النكتة التي مرّ ذكرها في القسم السابق، والتي بنينا من خلالها على الاتحاد بين الخطيب بعنوانه الشامل وبين الخطيب الحسيني في عصرنا الراهن، فضلاً عن وضوح اندراجه تحت العنوان الشامل لجميع أفراد الخطابة، فنذكر فيما يلي:

١- المحددات العلمية

بما أنّ علم المنطق يُعنى بوضع قوانين عامة للمستوى العلمي في المواد والأدلة التي تتضمنها المواضيع التي أُدرجت ضمن موضوعه العام^(١)، وبما أنّه تناول موضوعه فن الخطابة في ضمن مباحثه؛ فمن الطبيعي جداً أن نتوقع منه إعطاء الضوابط والمقررات العلمية لهذا الفن، ليتسنى للخطيب معرفة نوع المعلومة التي يمكنه طرحها على الجمهور، وكما أنّ من الضروري جداً أن يتعرّف على الأدلة التي يكتفي بها في البرهنة على مدّعياته التي ترد في خطابه.

(١) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٢١.

ومن خلال القراءة المتأنية في الكتب المنطقية وجدنا أن هناك رأيين مختلفين، مثل الرأي الأول منه النظرة السائدة والعامة بين العلماء، فيما كان للرأي الآخر - الذي تم إغفاله ولم يُلتفت إليه من قبل أغلب علماء المنطق وغيرهم، مع رصانة أدلته وتماشيه مع السياقات العلمية في الفنون المختلفة - نصيبٌ من الوجود في الكتب المهمة لرواد هذا الفن، وهذان الرأيان هما:

الرأي الأول: كفاية الإقناعات الظاهرية والآنية

بما أنّ علماء المنطق قد قسموا موضوع العلم فيه إلى البرهان والجدل والخطابة؛ فمن المتوقع أن تكون المادة التي يُشترط توافرها في الخطابة غير ما يُطلب ويُشترط في البرهان والجدل؛ ولذا قالوا: «... وما يفيد تصديقاً فيفيد إمّا تصديقاً جازماً أو غير جازم... فالفيد للتصديق الجازم الحق هو البرهان... وللتصديق الغالب غير الجازم هو الخطابة...»^(١)، وذلك لأنّ الهدف من هذا الفن هو مخاطبة الجمهور للتأثير عليهم؛ بغية إقناعهم واستمالتهم نحو ما يريده الخطيب، أو المشروع الذي يتبناه ويعتقد بصحته، أو الجهة التي ينتمي إليها، وبما أنّ: «... الجمهور تتحكّم به العاطفة أكثر من التعقل والتبصر، بل ليس له الصبر على التأمل والتفكير ومحكمة الأدلّة والبراهين، وإنّما هو سطحي التفكير، فاقد للتمييز الدقيق، تؤثر فيه المغريات وتبهره العبارات البراقة وتقنعه الظواهر الخلابة...»^(٢). فلا بد من إيجاد سبل إقناعية تتناسب مع المستوى الفكري للجمهور المستهدف في الخطاب، فيتحتّم نتيجةً لذلك أن يعتمد الخطيب آلية يضمن من خلالها التأثير بالجمهور واستمالتة نحو ما يريد الخطيب.. وليس له خيار إلا أن ينتخب في حديثه إليهم: «... مشهورات ظاهرة، وهي التي تُحمد في

(١) ابن سينا، أبو علي، الإشارات والتنبيهات: ج ١، ص ٢٨٨. شرح: الشيخ محمد بن محمد الطوسي. وأنظر: ج ٣، ص ٢٧٣.

(٢) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٢٢.

بادئ الرأي، وإن لم تكن مشهورات حقيقية»^(١)، لكون المشهورات الظاهرية يألفها الجمهور ويستأنس بها ويؤمن بالنتائج المترتبة عليها. بل صرح بعض علماء المنطق وأساطينه بأنّ للخطيب أن يجذب الكبرى التي يوظفها في قياساته الخطابية، وكان أحد المسوغات التي ذُكرت هناك هو لإخفاء كذب الكبرى؛ وذلك لأن الخطيب عارف بأنّها غير صادقة على جميع أفرادها، فإذا اطّلع الجمهور على حقيقة الأمر فيها لم يتمكّن الخطيب من التأثير بهم أو استمالتهم، فلا يوجد أمام الخطيب خيار عندئذٍ سوى حذف هذه الكبرى والتمويه عليهم، واعتبروا ذلك من مهارات الخطيب وبرايعته في الخطاب^(٢).

وقد بقي هذا الرأي يمثل الاتجاه السائد في الأروقة العلمية التي اعتقدت أنّ علماء المنطق لم يفرضوا على الخطيب أن تكون أدلّته الإقناعية التي ضمّنها في خطابه أدلّة حقيقية، وبدرجة لا تقبل النقض أو الرد، ولم يشترطوا في أدلة الخطابة أن تكون يقينية، كما اشترطوا ذلك في البرهان، بل اكتفوا منه بالأمر المشهورة التي لا واقع لها إطلاقاً، وهذا ما نجدّه واضحاً في كلماتهم؛ إذ جاء في ترجمة كتاب الخطابة لـ(أرسطو طاليس) ما نصّه: «... فقد استبان - إذاً - أنّ هؤلاء إنّما يزخرفون القول في صفحة الأمر وظاهره، وأنّهم مالوا بزيادة إلى أن ينطقوا بالعدل فقط... ثم إنّ من الناس صنفاً ليس ينبغي أن نستعمل فيما بيننا وبينهم العلم^(٣) الصحيح المستقصى؛ لأنه يسهل علينا أن نقع المتكلم من مذهبه وطريقه؛ وذلك أنّ الكلام الذي يحمل العلم المستقصى إنّما هو للتعليم، وهذا مما لا يمكن تكلفه في تلك الحال؛ لكننا قد نضطر إلى أن نجعل التصديق والكلام المشتركين بيننا وبين المخاطب كالذي وصفنا...»^(٤). وأوضح منه ما تقدّم نقله عن ابن سينا في أحد كتابيه: (الشفاء، أو الإشارات والتنبهات)، حتى إنه نظم شعراً

(١) المصدر السابق: ص ٤٢٧.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٣٨.

(٣) ورد في المصدر كلمة (العمل)، وما أثبتناه هو الصحيح من خلال سياق العبارة.

(٤) أرسطو طاليس، الخطابة: ص ٧.

حول الأدلة المطلوبة في الخطابة كما في كتابه منطق المشرقيين^(١)، وقد تبعه في ذلك جملة من المحققين والباحثين وبعبارات أدل وأوضح مما ذكرناه آنفاً: كابن رشد^(٢)، والعلامة المظفر في منطقته - كما مر في عباراته التي نقلناها فيما سبق^(٣) - وغيرهما من الباحثين المتأخرين^(٤).

وتأسيساً على هذا الرأي؛ نجد أن بعض الباحثين الذين كتبوا في الإعجاز القرآني - بعد أن فهم من كلمات ابن رشد دلالتها على أن القرآن قد اعتمد على الأدلة الخطابية في محاوراته وخطاباته التي وجهها إلى المكلفين^(٥) - قد اعترض عليه ورفض القول الذي تترتب عليه تلك النتائج الظاهرة من عبارات ابن رشد، فقال: «... ولكن يُثار هنا قول، وهو: أيصح أن نقول: إن أدلة القرآن خطابية أو جدلية أو برهانية؟ إننا لا نستطيع أن نقول: إنها خطابية، كما قد يشير إلى ذلك ابن رشد...»^(٦)، واستشهد بعبارة ابن سينا التي ذكرناها آنفاً في سبب إدراج الخطابة في الكتب المنطقية.

كما أن الهجمة التي شنّها سقراط وأفلاطون ضد فن الخطابة إنَّما كان المستهدف منها هذا الاتجاه، وكان سبب هذه الهجمة هو عدم جدوائية هذا الفن فيما لو كانت

(١) ابن سينا، أبو علي، منطق المشرقيين: ص ١٦.

(٢) أنظر: ابن رشد، محمد بن أحمد، تلخيص الخطابة: ص ٢٠ من متن الكتاب.

(٣) أنظر: المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٣٤.

(٤) أنظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد، الخطابة أصولها. تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: ص ٢٩، و ص ٥٠. وأيضاً: الشبلي، عبد الجليل، الخطابة وإعداد الخطيب: ص ٥١.

(٥) وذلك من خلال قوله: «ولما كانت طرق التصديق منها ما هي عامة لأكثر الناس، أعني: وقوع التصديق من قبلها وهي الخطابية والجدلية - والخطابية أعم من الجدلية - ومنها ما هي خاصة لأقل الناس وهي البرهانية، وكان الشرع مقصوده الأول العناية بالأكثر من غير إغفال تنبيه الخواص، كانت أكثر الطرق المصرح بها في الشريعة هي الطرق المشتركة للأكثر في وقوع التصور والتصديق». ابن رشد، محمد بن أحمد، فصل المقال: ص ٥٠ - ٥١.

(٦) أبو زهرة، محمد بن أحمد، المعجزة الكبرى القرآن: ص ٢٦٤.

أدلتها ظنيّة؛ كونه لا يوصل إلى نتائج حقيقية^(١)، وإلاّ فإنّها قد غيرا رأيهما في المسألة واعتقدا بضرورة هذا الفن والحاجة إليه في بعض المواقف؛ فوضعا القوانين التي تجعل الخطابة وسيلة إقناعية حقيقية توصل الجمهور إلى الحقائق وتساعد في تحصيل الفضيلة.

النتائج المترتبة على الرأي الأول:

وفي ضوء ما تقدم؛ فإننا نستخلص الأمور المترتبة على هذا الرأي، وهي كالتالي:
أ- إنّ هذا الرأي يفترض أنّ ما يطرحه الخطيب بعنوانه العام - والخطيب الحسيني بالتبع - فاقد للقيمة العلمية؛ وذلك لأنّه لا يُشترط في خطابه أن يكون مطابقاً للواقع، بل إنّ السلوك في مجال الخطابة - على هذا الرأي - يبرر للخطيب أن يزيّف الحقائق ويعتمد على بعض المقدمات غير المنتجة ويقدمها للمجتمع على أنّها حقائق ثابتة غير قابلة للنقاش.

ب - في حال كانت أدوات الخطيب بهذه الدرجة من البساطة والسطحية، فمن الممكن جداً أن يأتي شخص آخر مناوئ له أو مختلف معه في الرؤى والأهداف؛ ليبين للجمهور الأخطاء العلمية والثغرات الواضحة في كلام الخطيب، ليغير القنوات التي أوجدها في جمهوره، وبالتالي تذهب أتعابه وجهوده أدراج الرياح، فعلى سبيل المثال: لو استند الخطيب الحسيني في طرحه لمشروعية البكاء على الإمام الحسين عليه السلام إلى أدلة ظنيّة وقدمها للجمهور على أنّها الأدلة الأساسية في الموضوع - ولم يعتمد على الأدلة اليقينية الكثيرة في هذا المجال - لأمكن للجهات المعادية لنهضة سيد الشهداء أن ترصد الخطاب المرتبط بهذا الموضوع وتُعلّق عليه ببيان نقاط الضعف ومواضع الخلل فيه؛ ليشكك المستمعين بمشروعية البكاء، وبالتالي تزول الثقة لدى الجمهور في الكلام الذي يطرحه الخطباء في أيّ موضوع.

(١) أنظر: المسلمي، د. عبد الله، إفلاطون محاوره منكسينوس أو عن الخطابة: ص ١٠٨.

ج- يصور لنا أصحاب هذا الرأي أنّ الخطابة - في كافة مجالاتها المختلفة - أقلّ شأنًا من سائر الفنون التي يُعتمد عليها في المحاورات بين بني البشر، إذ تأتي بالرتبة ما قبل الأخير، ولم يوجد ما هو أقلّ منها شأنًا سوى الشعر الذي نصّت بعض الآيات القرآنية على انتقاد أغلب رواده^(١)، مع أنّ فن الخطابة له الدور البارز - والذي لا ينكر - في إيصال الهدف والرسالة التي يسعى أصحاب المشاريع الإصلاحية وغيرهم لترسيخها في نفوس جمهورهم، ولا يكتفون بترويجها الآني والمهدد بالزوال في أيّ لحظة ممكنة.

ولعل السرّ في فشل أغلب السياسات المغلوطة في مختلف الأزمنة عموماً - وفي عصرنا الراهن على وجه التحديد - هو اعتمادها هذا المنهج في ترويح أهدافهم ومشاريعهم؛ لينكشف بعد حين لجمهورهم أنّ المشاريع التي ثقفوا لها في خطاباتهم لم تعد سوى شعارات كاذبة غير مطابقة للواقع، غايتها أنّها تعتمد الخطابات التي تتماشى مع حاجة الجمهور فتؤثر به وتستميله.

د- إن هذه المسألة - أي: المحددة العلمية للخطيب في ضوء معطيات علم المنطق - قد قلّلت من شأن الخطيب الحسيني وخذشت في شخصيته، مع إيمان الجميع بأن شخصية الخطيب حظيت بشرف الانتساب إلى سيد الشهداء؛ كونه ممن تكفّل بذكر مصيبتهم ونشرها لمن لا يمكنه التعرف على ذلك بالطرق الأخرى، كما دلّت عليه بعض النصوص الروائية^(٢)، أو لكونه راثياً ومذكراً بمصاب سيد الشهداء وأهل بيته، كما دلّت عليه نصوص كثيرة أيضاً^(٣). فمع إيماننا واعتقادنا بهذه المنزلة للخطيب

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ الشعراء: آية ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٢) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٥٣٩.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٠٨. وغيره من المصادر والنصوص الكثيرة التي لا مجال لذكرها في هذا المقام.

إلا أن ما نسمعه في الأروقة العلمية المختلفة من كلام يستبطن الانتقاص المقصود وغير المقصود من الخطابة أو الخطيب - بكلمات مؤدّاهما، بل نصّها: «إنّ هذا الكلام خطايبات لا قيمة لها»، وغيرها من العبارات التي نسمعها من هنا وهناك - يُعتبر من أهم العوامل المؤدّية إلى تقليل شأن الخطيب الحسيني، وأوجدت ذريعة للناقدین المغرضين وغيرهم أن يشنوا حملة شرسة ضد الشعائر الحسينية أو العقائد الحقّة^(١)، ما دعا العلماء والكتّاب والباحثين من الشيعة للرد عن تلك الشبهات وإبطالها بالأدلة العلمية^(٢).

مع أن في هذا الكلام من التجني على الخطباء الحسينيين - الذين قطعوا عهداً مع أنفسهم أن لا يتكلّموا إلا بما كان مدعماً بالدليل ولا يتقاطع مع العقل والفطرة السليمة - ما لا يقبل التبرير أو الاعتذار عنه؛ إلا إذا ألقينا باللوم على علم المنطق وما رسخه في الأذهان عن هذا الفن الفاعل في أوساط المجتمعات على مرّ العصور.

هـ - إنّ هذا الرأي يتنافى مع التوصيات والتعليمات التي يؤكد عليها مراجعنا الكرام وعلمائنا العاملون في مناسبات مختلفة؛ والتي ذكرنا بعضاً منها في مقالنا المنشور في العدد التاسع عشر^(٣)، فقد أكدوا على ضرورة الاستناد إلى الأدلّة التي لا تقبل النقض أو التشكيك في الخطاب الصادر من المبلّغين والخطباء الحسينيين، هذا

(١) أنظر: ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢١٩. وأيضاً: الحيدري، إبراهيم، تراجم كربلاء: ص ٤٦٢. وأيضاً: الحجازي، محمد هادي، العزاء في مرآة الاستدلال: ص ٣٠٩ وما بعدها.
(٢) أنظر: السندي، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد. وأيضاً: الحجازي، محمد هادي، العزاء في مرآة الاستدلال: ص ٣٠٩، وأيضاً: الداودي، عبد المجيد، نهضة الحسين في المنظور السني: ص ٣١٥ وما بعدها، وأيضاً: التميمي، هادي عبد النبي، رد الشبهات عن تاريخ الإمام الحسين عليه السلام والنهضة الحسينية: ص ١٣٧.

(٣) أنظر: الساعدي، صباح عباس، محاولات الاستغلال لمبدأ الإصلاح في الشعائر الحسينية.. قراءة نقدية في كتاب تراجم كربلاء، مجلة الإصلاح الحسيني، العدد ١٩، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م: ص ٣٥، و ص ٤٢ هامش رقم ٢.

فضلاً عن المناهج التي سعت المعاهد والمؤسسات الخطابية لتقديمها إلى الطلاب المنتسبين إليها، فلطالما علمونا أن لا نتكلم إلا بالأدلة الواضحة والقاطعة^(١). إلى غير ذلك من النتائج المترتبة على هذا الرأي والذي يطول المقام بتعدادها هنا. هذا ما تعلمناه وألفناه في مسيرتنا الدراسية مع الكتب المنطقية الرائجة، وبيننا عليها وجهة بحثنا في بادئ الأمر.

ولذا؛ بقيت التساؤلات والاستفهامات حول هذه الأمور تراوذي طيلة مسيرتي الحوزوية والتبليغية، ومن أهم التساؤلات هو: أنني ألمس عدم انسجام بين واقع الخطابة التي خضت تجربتها لسنين طويلة - بل وتجارب أساتذتنا ومن سبقنا من رواد هذا الفن الذين تركوا أثراً بالغاً وبصمة ملموسة في المجتمع الديني - وبين القواعد والقوانين التي وضعها علم المنطق الصوري لفن الخطابة، إذ إن ما قدمه - تبعاً لمن سبقنا - للمجتمع لم يبتن على المستندات والأدلة الإقناعية التي اكتفى بها علماء المنطق في فن الخطابة، فلا بد من وجود سرٍّ يكمن خلف هذا التناقض.

إلا أن المراجعة الفاحصة والقراءة المتأنية في مصادر منطقية متنوعة حول هذا الموضوع أوفقتنا على رأي آخر يعالج لنا هذه الإشكالية العالقة، وهو ما يتمثل في السطور الآتية:

الرأي الثاني: ضرورة الإقناع الحقيقية في أدلة الخطابة

وفي قبال الرأي المتقدم وجد رأي آخر يفرض على الخطيب أن يتسلح بالأدلة القاطعة والحجج اليقينية؛ ليكون حاله في هذا الجانب كحال من يستدل للمسائل العلمية في كلامه، والتي لا تقبل الرفض أو التشكيك والرد، غاية ما يُسمح له في هذا المجال هو أن يستغني عن المصطلحات العلمية ويقولب كلامه بقالب واضح يفهمه سائر المخاطبين، وهذا ما نجده في الكلمات التي سوف نذكرها لجملة من

(١) أنظر: <http://www.alhikmeh.org/news/archives>. <http://sajam.ir/Default.aspx>

علماء الإغريق الذين أسسوا للعلوم ودوّنوا قوانينها، وقد نقل لنا بعض الباحثين أن أفلاطون قد وضع منهجاً مغايراً للمنهج السائد في فن الخطابة والذي يُعتمد فيه على الظنيات؛ إذ قال: «ولما نتعرض لمحاورة مينيكسينوس نجد أن أفلاطون لا يقف موقفاً معادياً للريطوريقا، وإنما لا يوافق على أسلوب السفسطائيين في تعليمها، وهذا هو دأب أفلاطون دائماً... نجده يقترح الأسلوب الأمثل للممارسة فن الريطوريقا من وجهة نظره، ويضع لهذا الفن قواعده وأصوله...»^(١).

كما ذكر هذا الباحث أن الاختلاف بين هذا الاتجاه والاتجاه السابق ناشئ من المنهج بين رواد هذا الاتجاه وبين من سبقهم في اتخاذ الخطابة وسيلة لترويج آرائه المعرفية، فقال: «ويمكننا القول مما سبق: إن أفلاطون كان يعتقد أن فن الإقناع يأتي من جوهر المعرفة الحقّة لأي موضوع، سواء كان سياسياً أو قانونياً أو غير ذلك... وأما إيسقراط، فقد ظلّ يعتبر أن الريطوريقا تفوق كل أنواع المعرفة...»^(٢).

وبما أن أفلاطون قد تغيّرت نظرتة تجاه الخطابة وأهميتها في إيصال الفكر ونشر الفضيلة التي تُعتبر من أهم أهدافه، ف: «... قد رسم صورة لإمكان قيام فنّ ريطورريقي حقيقي؛ إذ يقول: إن مثل هذه الصفات سوف يضعها الفنان الأخلاقي الخطيب الحق نصب عينيه عندما يخاطب نفوس الرجال بأي حديث، فعندما يتحدّث إلى قلوب الرجال لسوف يوائم تماماً بين كلّ حديث وبين تصرفاته...»^(٣). وهكذا بقي الأمر متداولاً في أكاديمية أفلاطون وفي أسلوبه العام بعد هذه الانعطافة التي حصلت له عقيب إعدام أستاذه سقراط؛ فلمس الحاجة الماسة والضرورة الملحة لاستخدام الأسلوب الخطابي، لكن الخطابة المبتنية على الحقيقة، لا الخطابة الرائجة في أروقة السفسطائيين^(٤).

(١) المسلمي، عبد الله، أفلاطون محاورة منكسينوس أو عن الخطابة: ص ٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٨.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٤.

بل يمكننا أن نجد لهذا الرأي أثراً في كلمات أرسطو أيضاً؛ إذ مع أننا ذكرنا في الاتجاه الأول رأي أرسطو الدال على أن أدوات الخطابة يكفي فيها أن تكون إقناعية ولو لم تكن واقعية - إلا أن ما ذكره في موضع آخر من كتابه (الخطابة) يدل على أنه لا مانع من أن تكون مادة الخطابة برهانية وعلمية بقالب خطابي إقناعي يفهمها عامة الجمهور، الذين اختلفت أفهامهم وإدراكاتهم، فيقول: «فإنّ الريطوريات منهن برهانيات ومنهن تفكيرات، وكذلك توجد البرهانيات، فإنّ هذه أيضاً منها برهانية ومنها تفكيرية، وأمّا الإقناع خاصة فقد يكون فيه من الكلام على جهة البرهان غير قليل...»^(١).

مناشئ تبني الرأي الأول في الكتب المنطقية الرائجة:

من الأمور التي تستوقف الباحث في هذه النقطة المرتبطة بالمحددة العلمية، هو البحث عن منشئ ومبررات رواج الرأي السائد في كتب المنطق حول فن الخطابة؛ إذ لا بدّ من وجود سبب وراء هذا التسالم المنطقي والذي تسربت آثاره ونتائجه إلى الأروقة العلمية بشكل ملفت، فيا ترى ما هي الأسباب التي ولّدت هذا الانطباع؟ حتى قدمته لنا وكأنّه من المسلّمات التي لا تقبل النقاش!

هذا ما نحاول أن نقدم له بعض التوجيهات المقنعة في نظر الباحث، على أمل أن تكون مقنعة ومقبولة للقارئ الكريم أيضاً، وهذه التوجيهات هي:

التوجيه الأول: بروز فن الخطابة ونشوؤها لدى السفسطائيين

إنّ من أهم الأسباب التي وقفنا عليها في هذا المعترك هو أنّ الخطابة لما كانت المصدر الأساس والأداة الرئيسة لدى السفسطائيين في ترويج أفكارهم، وبما أنّهم لا يؤمنون بوجود حقائق؛ فقد تمظهر فن الخطابة بشكل تلقائي بهذه الهيئة التي برزت للجمهور، ولم يُعرف آنذاك أيّ منهم خطابي مخالف لما هو سائد لدى السفسطائيين،

(١) أرسطو طاليس، الخطابة: ص ١٢.

إذ استأثروا: «... بتعليم فن الكلام (الريطوريقا) وكان جورجياس فارس هذا الميدان، وكانت صقلية منبع أول مظاهرها، وظل جميع من تعرضوا للريطوريقا بعد جورجياس يسيرون على قواعده التي تتكون من ثلاثة عناصر: المقابلة، وتوازن العبارة، والسجع...»^(١)، وبما أن «الفضيلة عند السفسطائيين هي كسب الجدل، أي: فن الريطوريقا، ولا اهتمام بنوعية هذا الجدل، سواء كان قائماً على أساس من الحق أو من الباطل...»^(٢). فقد سلكوا من أجل التسلط على الساحة الفكرية آنذاك كافة السبل المتاحة لديهم، ولم يجدوا فناً أكثر تأثيراً في الجمهور من الخطابة.

ومما يدعم واقعية هذا السبب أن أفلاطون بعد أن صار: «... يؤمن بقوة الخطابة؛ فإنه في محاوره جورجياس التي هاجم فيها أسلوب السفسطائيين في الريطوريقا قد رسم صورة لإمكان قيام فن ريطوريقي حقيقي؛ إذ يقول: إن مثل هذه الصفات سوف يضعها الفنان الأخلاقي الخطيب الحق نصب عينيه عندما يخاطب نفوس الرجال بأي حديث، فعندما يتحدث إلى قلوب الرجال لسوف يوائم تماماً بين كل حديث وبين تصرفاته...»^(٣).

ونتيجة لهذا الشيء؛ فلم تعرف الخطابة في الساحة الفكرية المتأخرة عن عصر اليونان إلا بالمستوى الذي قدمه السفسطائيون لجمهورهم، حتى أن الجهود التي بذلها أفلاطون من أجل تغيير الوجهة التي عليها هذا الفن لم تعد تقاوم الشيع الذي تولد بين المتخصصين بهذا الفن فضلاً عن غيرهم.

التوجيه الثاني: استعمال الخطابة في المرافعات والنزاعات

من أهم الدواعي التي دفعت إلى تعلم الخطابة وإتقانها بأفضل ما يمكن هو

(١) المسلمي، عبد الله، أفلاطون محاوره منكسينوس أو عن الخطابة: ص ٢٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٨.

حاجة الناس إليها في المرافعات والنزاعات التي تحصل بين أبناء المجتمع بين الحين والآخر، حتى أن الاختلاف والنزاع قد يحصل بين أفراد الأسرة الواحدة، وليس خافياً على أحد فإن الوقوف في حلبة القضاء والمحاكم التي يلجأ إليها المتنازعون يحتم على جميع الأطراف الإعداد المسبق لما يُراد قوله أمام الحاكم الذي يبت في الأمر في نهاية المطاف^(١)، فلا بد من إقناع المستمعين - ومنهم القاضي والمدعين وغيرهم - بأية وسيلة كانت وإن لم تكن حججه وأدلته التي يُدلي بها أمام الحاكم واقعية، بل قد يستدعي من بعض أطراف النزاع أن يوكل محامياً في سبيل كسب القضية المتنازع عليها، ويتكفل له بتقديم الأموال؛ الأمر الذي يدفع بالمحامين لسلوك كافة الطرق والأساليب التي تساهم في كسبهم الملف الذي يُكلفون بمتابعته، حتى تعارف في أوساطهم كتابة الخطب التي تُقرأ في المحاكم والتي تعتمد على الأسلوب الذي يؤدي إلى الغلبة، بغض النظر عن الحقيقة وواقعية الموضوع المتنازع عليه^(٢).

ومن هنا؛ نجد أن معظم من كتب في تعليم فن الخطابة كان منصباً على الاعترافات والشهود والصكوك وغيرها من الأمور التي تُعين في الإقناع^(٣). ولذا يصف لنا بعض الباحثين الحالة التي كانت سائدة في أوساط المجتمع اليوناني قائلاً: «وكانت المحاكم تكون عادة من جماعة كبيرة درايتهم بالقانون قليلة؛ ولذا كان على المتحدث أن يقوم غالباً بالتأثير عليهم لا بإقناعهم بالحجج والبراهين؛ إذ لم يكن هناك فرصة لذلك»^(٤). كما نُقل عن أرسطو قوله: «إن المنهج التعليمي لأولئك الذين يعلمون فن الخطابة القضائية من أجل الأجر إنما يشبه نظام جورجياس. لقد كان هو وزملاؤه يعدون الأحاديث الريبوقية كي تُحفظ عن ظهر قلب...»^(٥).

(١) أنظر: الحوفي، أحمد محمد، فن الخطابة: ص ٤٢.

(٢) أنظر: ابن رشد، محمد بن أحمد، تلخيص الخطابة: ص ١٣، من مقدمة المحقق.

(٣) أنظر: أرسطو طاليس، الخطابة: ص ٩.

(٤) المسلمي، عبد الله، إفلاطون محاورة منكسينوس أو عن الخطابة: ص ٨.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٥

وبما أنّ المجالات التي تمّ توظيف فن الخطابة فيها لا علاقة لها بالمسائل الدينية والوعظ والإرشاد الديني^(١) - الذي يستدعي الاستناد إلى حقائق ثابتة في الخطاب - فقد اكتفي بالأموال الإقناعية وإن لم يكن لها واقع.

ونتيجة لهذين السببين فقد تكوّنت لدى علماء المنطق من المتأخرين حول فن الخطابة صورة مغايرة للحقيقة التي أُريدت لها من قبل علماء الإغريق الذين أسسوا لعلم المنطق والفلسفة، حتى إنّ المنطق الأرسطي الذي تطرق للخطابة لم يذكر لنا سوى الرؤية المبتنية على الاتجاه الأول في المسألة، ولعل السبب في ذلك هو عدم وقوف المتقدمين من علماء المنطق - بل ومتأخريهم أيضاً - على التناجات اليونانية التي تضمنت آراء الاتجاه الآخر، فلم تكن الوسائل المتهيئة في تلك الأزمنة لتحصيل المصادر كالوسائل التي تهيأت لنا في هذا العصر، وإلا فكيف يغيب على المحققين الكبار كالعلامة المظفر^{رحمته الله} وأمثاله أن يتبنوا رأياً كهذا، فيعتمدونه في وضع القوانين والأصول العامة للخطابة، من دون الإلمام بأطراف الموضوع، ولا الإشارة إلى وجود رأي آخر في المسألة؟!

٢- المحددات العملية

من المواضيع المهمة - والتي تطرقنا لها في القسم الأول من هذا البحث - هو المحددة العملية التي قُدرت في النصوص الشرعية لصناعة الخطيب الحسيني، وبطبيعة الحال لا بدّ من معرفة موقف علماء المنطق من هذه المحددة أيضاً، وكيف أنّهم وضعوا قيودها ومقرراتها للخطيب المؤثر في جمهوره؟

وتأسيساً على ما سبق في المحددة العلمية، فإننا وجدنا رأياً سائداً للمحددة العملية، وآخر مغموراً لم يلتفت إليه في أغلب الكتب التي أُلفت حول فن الخطابة، وهذان الرأيان هما:

(١) أنظر: محفوظ، علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب: ص ٦٩. وأيضاً: شبلي، عبد الجليل، الخطابة وإعداد الخطيب: ص ٧٨.

الرأي الأول: عدم اشتراط المطابقة بين أقوال الخطيب وأفعاله

بعد أن عرفنا مناقشئ تنبئ الرأي الأول في المحددة العلمية - وهي: اعتماد الخطابة من قبل السفسطائيين، وكذلك في المحاماة والمرافعات القضائية - فأصبح من السهل جداً معرفة الرؤية التي تكونت حول المحددة العملية؛ إذ لم يشترطوا على الخطيب أن يكون واقعياً في طرحه، ولا أن يتطابق قوله مع أفعاله بأي وجه من الوجوه^(١)، بل نجد من صرح بأن الخطيب الناجح والمؤثر هو من يتصنع الموقف ويعتمد التمثيل في المواقف التي تستدعي منه أن يظهر نفسه بمظهر المتأثر بالمشاهد المحزنة أو المخيفة، وعلى هذا المنوال في المواقف المفرحة أو المشوقة^(٢). وهكذا نجد بقية من كتبوا في فن الخطابة وفق التجربة البشرية التي مرَّ بها الكاتب نفسه أو أشهر الخطباء الذين عرفهم في حياته، فإنه حينما كتب عن سرِّ تأثير الخطيب بجمهوره لم يُعر أيَّ اهتمام لمطابقة أقوال الخطيب مع أفعاله، وإنما ركز على الهدام والابتسامة وغيرهما من الأمور التي يعتقد تأثيرها في المستمع^(٣)، ولعل السبب في عدم تركيز هذا البعض على المحددة العملية في نجاح الخطيب هو كون حديثهم موجه إلى الخطيب الذي يتحدث عن السياسة أو إدارة الشركات أو الخطيب الذي يدعى للخطاب في المحافل الترفيهية، كالفنادق والقاعات التجارية العامة، وكل هؤلاء لم يكن من وظيفتهم النصح أو إرشاد الحاضرين إلى السلوك الحسن أو الأعمال التي تقودهم إلى الفضيلة.

الرأي الثاني: ضرورة تطابق الأقوال مع الأفعال

ذهب بعض من كتب حول هذا الفن إلى لزوم التطابق بين مضامين الخطابات التي يطرحها المتكلم على جمهوره وبين الإيمان بها، وأن يكون فعله مطابقاً لقوله

(١) أنظر: محفوظ، علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب: ص ٦٦.

(٢) أنظر: المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٢٩.

(٣) أنظر: كارنجي، فن الخطابة: ص ٩٦. وأيضاً: كريس ستيوارد ومايك ولكسون، المرشد إلى

الخطابة: ص ٣٥.

الذي حثَّ الناس عليه، فقد نُقل عن أفلاطون أنه يقول: «... إنَّ مثل هذه الصفات سوف يضعها الفنان الأخلاقي الخطيب الحق نصب عينيه عندما يخاطب نفوس الرجال بأي حديث، فعندما يتحدَّث إلى قلوب الرجال لسوف يوائم تماماً بين كلِّ حديث وبين تصرفاته...»^(١). بل نجد بعض مَنْ تبنَّى الرأي الأول في المحددة العلمية قد ذهب هنا إلى ضرورة المطابقة بين الأقوال والأفعال، فهذا أبو زهرة يقول: «... ومن أجل أن يكون الإخلاص بادياً يجب أن يكون من حاله ما يطابق مقاله؛ فلا يتجافى عمله عن قوله، بل يكون أكثر الناس أخذاً بقوله...»^(٢). كما أنَّ بعض الباحثين المعاصرين في صدد حديثه عن المحامي وضرورة كسب ثقة الناس به نراه قد شدَّد على أن يكون ذا سلوك وأخلاق رفيعين، بما تحتوي هاتان المفردتان من معنى نبيل؛ وفي غير هذه الصورة فإنَّه سوف يسوء عيشه، ويفقد مستقبله على حد تعبير بعضهم^(٣).

٣. المحددات المعنوية

بما أنَّ البعد المادي والتجريبي قد طغى على منهج مؤسسي العلوم البشرية والتي منها علم المنطق؛ فمن الواضح جداً أن لا نجد في الكتب المنطقية مجالاً للحديث عن الإخلاص وغيره من الأمور التي ترتبط بالجوانب الروحية والمعنوية للخطيب؛ إذ لم تكن ناظرة إلى هذا الجانب من الحديث إلا من الجانب المعاكس والمنافي لاشتراطها في شخصية الخطيب، وإن وُجد شيء من هذا النوع في كتب بعض الباحثين^(٤) فإنَّها يأتي ذلك من باعث إيمانهم واعتقادهم بالأمور الروحية بما هم متدينون بدياناتهم. ويكون هذا الأمر - أي: عدم اعتناء بعض المؤلفين الذين كتبوا في فن الخطابة

(١) المسلمي، عبد الله، أفلاطون محاوره منكسينوس أو عن الخطابة: ص ٣٨.

(٢) أبو زهرة، محمد بن أحمد، الخطابة أصولها. تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: ص ٥١. وأنظر: المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٣٢.

(٣) أنظر: محفوظ، علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب: ص ٤١، و ص ٩٥. وأيضاً: عمارة، محمود محمد، الخطابة بين النظرية والتطبيق: ص ١٠٩.

(٤) أنظر: محفوظ، علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب: ص ٤١.

بالجوانب الروحية والمعنوية للخطيب - واضحاً في الكتب التي ألفت حول فن الخطابة من أناس لا يؤمنون بالجانب الغيبي إطلاقاً، أو أنهم يؤمنون بذلك ولكن بشكل يختلف عما يعتقده الباحث الديني؛ ولذا وُجد الحث والتأكيد في كلام بعضهم على أمور تُعد من المنافيات والمتضادات الواضحة مع الإخلاص، كما في التأكيد على أخذ الأجرة والحرص على عدم قبول دعوة للخطابة إلا في الأماكن التي تحرز إعطاءهم الأموال بمقدار جيد^(١).

وفي مقابل هذا الإهمال للجانب المعنوي والروحي في الخطيب نجدهم قد اهتموا بالأمر الشكلية، باعتبار أن الخطيب يكون دائماً في دائرة الضوء ومحط أنظار الجمهور المستمع؛ فلذا ذكروا بعض الأمور التي تستهوي المستمع، وتلفت انتباهه، وتجعله متأثراً بشخصية الخطيب، كالملابس التي يرتديها أو الحركات التي يقوم بها أثناء خطابه، «... فاللازم على الخطيب أن يقدر المجتمعين ونفسياتهم وما يقدر من مثله أن يظهر به، فقد يقتضي أن يظهر بأفخر اللباس وبأحسن بزة تليق بمثله، وقد يقتضي أن يظهر بمظهر الزاهد الناسك. وهذا يختلف باختلاف الدعوة وباختلاف الحاضرين، وعلى كل حال: ينبغي أن يكون الخطيب مقبول الهيئة عند الحاضرين؛ حتى لا يثير تهكمهم أو اشمئزازهم أو تحقيرهم له»^(٢).

ثانياً: المحددات المرتبطة بالخطاب

من المحددات التي سُلط الضوء عليها في كتب المنطق لصناعة الخطيب، هي الأمور الفنية والشكلية التي تجعل من خطابه مؤثراً في نفوس جماهيره؛ فقد ذكروا المحددات الفنية التي لها علاقة وثيقة بالخطاب الذي يعده المتكلم للإلقاء على

(١) أنظر: كريس ستيوارد ومايك ولكسون، المرشد إلى الخطابة: ص ٣٥

(٢) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٢٩. وأنظر: كارنيجي، فن الخطابة: ص ٩٦. وأيضاً: إسماعيل

علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب: ص ١٢٧.

جمهوره، وقد لاحظ الباحث أنّ منها ما هو ضروري وجدير بالاهتمام؛ إذ إنّ الغريزة البشرية تميل إليه، فضلاً عن التجارب التي ذكرها هؤلاء الباحثون لتعزيز فكرتهم وإثبات المطلوب من كلامهم، ومن جملة الأمور التي تستحق الذكر هنا على نحو الاختصار هي:

١- الإعداد المسبق

إذ أكدوا على ضرورة أن يكون الخطيب - الذي يُدعى إلى مناسبة للتحدث فيها إلى الجماهير - على دراية مسبقة واستعداد تام لهذا الخطاب؛ وهذا الشيء يستدعي منه التهيؤ المناسب؛ ولذا يعبر بعضهم عن عملية الإعداد المسبق بقوله: «ولا شك أنّ للإعداد مزايا وفوائد جمة، لا يباري فيها أحد، كما أنه يعود بالآثار الحسنة على إلقاء الخطبة، وبلوغ الخطيب أهدافه المرجوة...»^(١)، وفي هذا الصدد أيضاً ينقل لنا بعض رواد فن الخطابة تجربته قائلاً: «كان من واجب المؤلف - ومن دواعي سروره - استلام وتحرير آلاف الخطابات في السنة، منذ عام ١٩١٢... فهي هذه التجربة الضرورية الملحة لتحضير الخطاب قبل الشروع بإلقائه... عزيزي ألا تنجذب من دون وعي إلى الخطيب الذي يشعر أنّ لديه رسالة حقيقية يريد أن يوصلها بإخلاص إليك؟ هذا هو نصف السرّ في فن الخطابة»^(٢).

٢- مراعاة المتلقي

يستفاد من تعريف فن الخطابة - الذي ذكر في القسم الأول من بحثنا - أنّ للمتلقي دوراً بارزاً في صدق هذا المصطلح على عملية فن مخاطبة الجمهور بطريقة إلقائية، وفي حال عدم وجود جمهور مستهدف في الخطاب فإنّ وجهة الفن سوف تنحى منحى

(١) إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب: ص ١٣٨. وأنظر: شبلي، عبد الجليل، الخطابة وإعداد الخطيب: ص ٢٩. وأيضاً: محفوظ، علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب: ص ٦٤. وأيضاً: سالم، عطية محمد، أصول الخطابة والإنشاء: ص ٣٤.

(٢) كارنيجي، ديل، فن الخطابة: ص ٢٥. وأنظر: ص ٤١.

آخر، ولا يصح تسمية تلك العملية بالخطابة^(١)، وإذا كان وجود الخطابة متقوماً بوجود المتلقي فلا بدّ من مراعاة الأمور التي تساعد على جلب اهتمام الجمهور المتلقي والسعي لمعرفةها.

وفي ضوء ذلك؛ ذكر بعض الكتاب والباحثين أنّ هناك علاقة وثيقة بين فن الخطابة وبين علمي الاجتماع والنفس، إذ إنّ: «انتصار الخطيب فيما يتقدم في الدعوة إليه - يستدعي إماماً بسياسة الناس، وما يجب لكل طبقة من المعاملة، وما يلزم لكل صنف من الناس من خطاب، يجب أن يكون عليماً بروح الجماعة دارساً لأخلاقها فاهماً لما يسيطر عليها؛ وإذا كان ذلك جدّاً لازم للخطيب، فمن الواجب إذن أن تكون قوانين الخطابة متصلة بقوانين الجماعات وناموسها»^(٢).

٢. اعتماد العبائر التي تساعد في إثارة اهتمام الجمهور

من الأمور التي لفتت انتباه الباحث - وهو يتصفح الكتب التي عُنيت بفن الخطابة - التوصية والتأكيد على اختيار المعلومة التي تثير اهتمام الجمهور، وتبعث في نفوسهم الفضول لمداومة الاستماع والإنصات للخطيب؛ بغية التعرّف على الأمور التي يطرّحها في بداية حديثه؛ وذلك لكي يستحوذ على قلوبهم ويهيمن على عقولهم، وحيث إنّ المتلقي يسعى لمعرفة الأمور التي لها علاقة وارتباط بطبيعة حياته؛ فقد أكد بعضهم على انتقاء المعلومة التي تحاكي واقع الجمهور الذي يُراد إلقاء الخطاب إليهم، وذكر نماذج تطبيقية تعزز الفكرة التي أكّد عليها^(٣).

(١) أنظر: إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب: ص ١٣. وأيضاً: عطية محمد، أصول الخطابة والإنشاء: ص ١٠.

(٢) أبو زهرة، محمد بن أحمد، الخطابة أصولها. تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: ص ١١. وأنظر: عمارة، محمود محمد، الخطابة بين النظرية والتطبيق: ص ١٦٧.

(٣) أنظر: كارنيجي، ديل، فن الخطابة: ص ١٥١. وأيضاً: أبو زهرة، محمد بن أحمد، الخطابة أصولها. تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: ص ٥٥.

وهناك بعض المحددات التي تُعدّ من مكّمّلات الخطيب الناجح لا يخلو ذكرها من فائدة، إلا أن مقامنا لا يسمح بذكرها في هذه الوريقات المختصرة، ومَن أراد الاطلاع فليراجع المصادر الموسعة حول فن الخطابة.

المبحث الثالث: نظرة مقارنة إلى المنهج الشرعي والمنطقي

بعد أن أكملنا جولتنا حول المحددات الشرعية لصناعة الخطيب الحسيني، وكذلك المحددات المنطقية، أصبح من الضروري جداً أن نقارن بين كلا المنهجين؛ لإعطاء صورة متكاملة في ضوء تلك المحددات أولاً، ولبیان النقاط الفارقة بينهما ثانياً، فإنّ الباحث حين يقوم بعملية البحث والتحري في مجال الكتب الشرعية والمنطقية التي تناولت فن الخطابة يتوصّل إلى أنّ نقطة الاختلاف والافتراق في الأمور الأساسية التالية:

١. المحددة العلمية

إذ اشترطت النصوص الشرعية على الخطيب أن يستند في خطاباته إلى الأدلة المحكمة والحقائق الثابتة وغير القابلة للشك أو التردد، كما في النصوص التي تقدّمت في القسم الأول من بحثنا. بينما يجد الباحث أنّ المحددات التي رُسمت في المنطق - كما هو في الرأي السائد والمشهور - حول فن الخطابة ولهذه النقطة تحديداً قد اكتفت بالكلام المستند إلى الأدلة الظنية التي تؤثر في المستمع تأثيرها الآني وإن أمكن التشكيك والنقض عليه.

وأما على الرأي الآخر الذي أسس له كبار علماء المنطق ورؤاده؛ فلا يوجد اختلاف بين النصوص الشرعية والمنطقية في هذه النقطة.

٢. المحددة العملية

فقد عرفنا أنّ المحددات الشرعية قد شدّدت على أنّ الخطيب الذي يريد أن يصبح

مؤثراً في جمهوره، فلا بدّ له من الاهتمام بسلوكه العملي، وأن يراعي في تصرفاته الأثر الذي يمكن أن يتركه في نفوس الجمهور، وقد اعتُبر في بعضها أن تأثير السلوك العملي أبلغ من تأثير السلوك القولي في بعض الأحيان، وأمّا المحددات المنطقية فمنها ما جاءت توصياته متنافية مع محددات الشرع، كما نقلنا ذلك في الرأي الأوّل في هذه المحددة، ومنها ما يتحد مع المحددات الشرعية في هذه النقطة.

٣. المحددة المعنوية

من أهم النقاط التي اختلفت فيها الرؤى الشرعية والمنطقية هي المحددات المعنوية للخطيب؛ نتيجة للأسس والمبادئ التي يُبنى عليها كلّ منهج من هذين المنهجين، إذ أكّدت النصوص الشرعية على هذا الجانب تأكيداً بالغاً، واعتبرته سراً من أسرار النجاح ومن أهمها، فيما لم نجد في الكتب المنطقية أيّ اهتمام بهذا الجانب، بل ذكرت من الأمور التي تتنافى مع هذه المحددة بشكل صريح.

٤. المحددات المرتبطة بالخطاب

نستطيع أن نجزم بأنّ المحددات المرتبطة بالخطاب من الأمور التي اتفقت وجهة نظر الشرع والمنطق حولها، فقد اتحدت التوصيات الشرعية والمنطقية حول النقاط المرتبطة بالإعداد المسبق أو مراعاة حال المتلقي وغيرهما من الأمور المهمّة.

الصورة المكتملة للخطيب الحسيني في ضوء المحددات الشرعية والمنطقية

بما أنّ هدفنا من كتابة هذا البحث هو رسم مخطط ومنهج واضح للخطيب الحسيني النموذجي، وإعطاء صورة مكتملة عنه في ضوء المحددات الشرعية والمنطقية؛ فلذا يتحتم علينا أن نلقي نظرة شمولية إلى مجموع تلك المحددات التي ذُكرت في النصوص الشرعية أولاً، ثمّ النظر في المحددات المنطقية للغرض ذاته؛ ففي ضوء المحددات الشرعية يكون الخطيب الحسيني المتميز والمؤثر في مجتمعه هو من كانت خطاباته متوافرة على الشروط التالية، والتي من أهمها:

١- أن تكون مبتنية على المادة العلمية الرصينة في الطرح والحقائق الثابتة، والتي لها مساس وعلاقة بالواقع الذي يعيشه المجتمع وما يحتاج إليه في معالجة المواضيع التي يعانى منها.

٢- مدعمة بالسلوك العملي التطبيقي للمتكلم.

٣- على أن يكون قاصداً في كلامه مع جمهوره وجه الله عز وجل، ومعتمداً على ربه (جلّ وعلا) في تأثير كلامه ونفاذه إلى قلوب جماهيره.

٤- مراعيًا الأمور المكملة والمؤثرات الخارجية التي تساعد في انجذاب المستمع إلى حديثه.

وأما الصورة المكتملة في ضوء المحددات المنطقية؛ فعلى الرأي الذي نعتقد صحته فإنها ترسم كذلك وفق ما تقدّم من محددات شرعية، عدا ما ذُكر في العامل المعنوي والروحي للخطيب؛ إذ لم يُراعَ في المحددات المنطقية.

نعم، على الرأي السائد فإنّ الهوة تتسع بين الصورة التي ترسمها المحددات الشرعية وبين ما ترسمه المحددات المبتنية على المنطق الصوري الأرسطي المتداول.

ونحن إذ نذكر هاتين الصورتين المغايرتين نتيجة اختلاف المنهجين، نترك المجال وحق الاختيار للخطيب الذي يهدف من خطابه التأثير والاستمالة، فيا ترى أيّ المنهجين يختار؟

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١- الإشارات والتبسيّات، أبو علي ابن سينا، شرح: الشيخ محمد بن محمد الطوسي، منشورات: نشر البلاغة، قم المقدسة، ط ١، ١٣٨٣ هـ. ش.

٢- أصول الخطابة والإنشاء، عطية محمد.

٣- أفلاطون محاوره منكسينوس أو عن الخطابة، عبد الله المسلمي، منشورات الجامعة الليبية/ كلية الآداب، ط ١، ١٩٣٢ هـ/ ١٩٧٢ م.

- ٤- البداية والنهاية، إسماعيل ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م.
- ٥- تراجيديا كربلاء، إبراهيم الحيدري، منشورات دار الساقى، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م.
- ٦- تلخيص الخطابة، محمد بن أحمد ابن رشد (ت ٥٩٥هـ)، تحقيق وشرح: محمد سليم سالم، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- ٧- الخطابة (أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب)، محمد أحمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، مصر، ط ٢، ١٩٨٠ م.
- ٨- الخطابة بين النظرية والتطبيق، محمود محمد عمارة، منشورات مكتبة الإبان للنشر والتوزيع، مصر، ط ١، ١٩٩٧ م.
- ٩- الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل شلبي، منشورات دار الشروق، ط ١، ١٩٨١ م.
- ١٠- الخطابة، أرسطو طاليس، منشورات دار القلم، بيروت، ١٩٧٩ م.
- ١١- ردّ الشبهات عن تاريخ الإمام الحسين عليه السلام والنهضة الحسينية، د. هادي عبد النبي التميمي، منشورات مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية/ العتبة الحسينية المقدسة، ط ١، ٢٠١٤ م.
- ١٢- الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، الشيخ محمد السند، تقرير وتنقيح: السيد رياض الموسوي، منشورات الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠١١ م.
- ١٣- العزاء في مرآة الاستدلال، محمد هادي الحجازي، ترجمة: محمد باقر الأسدي، منشورات مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، النجف الأشرف، ط ١، ٢٠١٦ م.
- ١٤- فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من اتصال، محمد بن أحمد ابن رشد (ت ٥٩٥هـ)، قدّم له وعلّق عليه: الدكتور ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط ٢.
- ١٥- فنّ الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ، دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر.

١٦- فنّ الخطابة ومهارات الخطيب، إسماعيل علي محمد، منشورات دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط٥، ٢٠١٦م.

١٧- فنّ الخطابة، أحمد محمد الحوفي، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، ط٤.

١٨- فنّ الخطابة، دايل كارنيجي، المطبعة الأهلية، بيروت، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠١م، الوسام للخدمات المطبعية، عمّان.

١٩- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القميّ (ت٣٦٨هـ)، منشورات مؤسّسة نشر الفقاهة، قم، ط١، المقدسة ١٤١٧هـ.

٢٠- اللغات المشرقية في الفنون المنطقية، صدر الدين محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي (ملا صدرا) (ت١٠٥٠هـ)، منشورات مؤسّسه انتشارات آگاه، ط١٣٦٢هـ.ش.

٢١- المرشد إلى الخطابة، كريس ستيوارد ومايك ولكسون، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٢٢- المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد أبو زهرة (ت١٣٩٤هـ)، منشورات دار الفكر العربي، مصر، ط٢.

٢٣- المنطق، الشيخ محمدرضا المظفر (ت١٣٨٣هـ)، منشورات مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

٢٤- نهضة الحسين في المنصور السني، عبد المجيد الداودي، ترجمة: د. أنور الرصافي، منشورات مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، النجف الأشرف، ط١، ٢٠١٧م.

المجالات

٢٥- قراءة نقدية في كتاب تراجيديا كربلاء، الشيخ صباح عباس الساعدي، مقال منشور في مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد ١٩، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٢٦- المحدّات الشرعية والمنطقية لصناعة الخطيب الحسيني، الشيخ صباح عباس الساعدي، مقال منشور في مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد ٢٥، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

المواقع الإلكترونية

- 27- <http://www.alhikmeh.org/news/archives>.
- 28- <http://www.sajam.ir/Default.aspx>.



ملف العدد

المنبر الحسيني وبناء الواقع المكي والتمكيني (٢)

- ◆ تجاذبات فكرية حول مصير المنبر الحسيني. عرض ومناقشة
- ◆ التبليغ المباشر، أهميته وخصائصه
- ◆ الأسس العلمية لإنشاء معاهد إعداد الخطباء الحسينيين
- ◆ ورقة عمل بعنوان: سبل توحيد الخطاب المنبري
- ◆ العوامل المؤثرة في تشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني
- ◆ المنبر الحسيني وأثره في نشر العقيدة الإسلامية
- ◆ دور النخب في تطوير المنبر الحسيني
- ◆ التفاعل العاطفي في خطاب المسيرة الحسينية
- ◆ إصلاح المنبر الحسيني في مؤلفات الشيخ مرتضى مطهري. قراءة وصفية

تجاذبات فكرية حول مصير المنبر الحسيني

عرض ومناقشة

العلامة السيّد أحمد الأشكوري*

أقامت مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية، ندوتها الثمانين، تحت عنوان: (تجاذبات فكرية حول مصير المنبر الحسيني.. عرض ومناقشة)، وذلك يوم الإثنين بتاريخ ٢٩ / ٤ / ٢٠١٩م، وكان المحاضر في هذه الندوة هو العلامة السيّد أحمد الأشكوري، وقد عمل قسم مجلّة الإصلاح الحسيني على إعداد هذه الندوة وترتيبها، مع تصرّف فنيّ بسيط.

مقدمة

إنّ فكرة المنبر بما تحمله من جنبه دينية قد اقترنت ببداية الدعوة الإسلامية، على يد الرسول الأكرم محمد ﷺ، الذي كان يقف أثناء حديثه مع الناس، ممّا حدا ببعض المؤمنين من الذين شعروا بتعبه ﷺ أن يجعلوا له جذعاً من النخل؛ كي يتكئ عليه أثناء حديثه وخطابه بينهم، ثمّ بدأت القضية تتطوّر - بعد ذلك - إلى أن بُنيت له أعواد وبدأ يجلس على تلك الأعواد ويخطب بالمسلمين في المناسبات الدينية التي يغتنمها ﷺ لتعليمهم وهدايتهم^(١).

ولهذا نجد أنّ المنبر الديني قد اكتسب - نتيجة هذه البداية التأسيسية - شيئاً من

* أستاذ البحث الخارج في الحوزة العلمية/ النجف الأشرف.

(١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٤٧.

القدسية والاحترام، وقد بقيت هذه القدسية مستمرة إلى يومنا هذا، وذلك أن عموم المسلمين يكتنون الاحترام والتقدير للمنابر الدينية بشكل عام، على الرغم من سعي بعض أعداء الله - في المدة التي أعقبت رحيل النبي ﷺ - إلى سرقة هذه القدسية؛ إذ كانت هنالك محاولات لنقل منبر الرسول الأكرم ﷺ إلى الشام^(١)؛ هادفين من وراء ذلك إلى إضفاء الشرعية على حكمهم الزائف، وإلباس ما يتلونه في محافلهم لباس المشروعية والمصلحة الدينية، خصوصاً ما يتعلق بسب ولعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إلا أن الإعجاز الإلهي - وكما هو مسجل في التاريخ - حال دون تحقيق هذا الأمر^(٢)، وبقي المنبر محافظاً على الهالة القدسية التي اكتسبها ببركة اعتلاء النبي ﷺ، واتخاذ له في خطبه المختلفة أثناء تواجده بين المسلمين.

بل نلاحظ أن هذا المنبر قد نال جملة من الآثار الشرعية التي استمرت بعد وفاة النبي ﷺ؛ حتى أن المعتمر والزائر للمسجد النبوي بعد أدائه مراسم زيارة قبر رسول الله ﷺ، يأتي بمجموعة من الآداب الدالة على بقاء مكانة المنبر وقيمتها في نفوس المسلمين^(٣).

ثم ازداد الاعتناء والاهتمام بموضوع المنبر، وبقي مستمراً حتى زمان حدوث واقعة الطف الأليمة، فأخذ المنبر بعد هذه الواقعة صفة أخرى وعُنون بعنوان إضافي وهو: (المنبر الحسيني)، وقد شيد المنبر الحسيني بنحو الأصالة الإمام الصادق عليه السلام، الذي كان يرمى ويهتم بالمنبر الحسيني سواء كان على صعيد المضمون، أم المنهج، أم

- (١) أنظر: بردي الأتابكي، يوسف بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ج ١، ص ١٣٨. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١٧٧.
- (٢) أنظر: بردي الأتابكي، يوسف بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ج ١، ص ١٣٨. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١٧٧.
- (٣) أنظر: الشهيد الأول، محمد بن مكي، الدروس الشرعية في فقه الإمامية: ج ٢، ص ٢٠. السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، وفاء الوفا: ج ٢، ص ٤٢٦.

الأسلوب، فقد كان عليه السلام يذكر تفاصيل متعدّدة في كيفية إحياء ذكرى عاشوراء، وما جرى على الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه من مأسٍ ومحن، فهو من ناحية المضمون كان يوصي الشيعة بأن تتمحور مجالسهم حول إحياء أمر أهل البيت عليه السلام، الذي لا ينفك عن كلّ ما شأنه تقوية الدين الإسلامي، وإرساء دعائمه، وتقوية شوكته؛ إذ روي عنه عليه السلام مخاطباً الفضيل بن يسار: «تجلسون وتحدّثون؟ قلت: نعم. قال: تلك المجالس أحبُّها فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيأ أمرنا...»^(١)، وروي عنه أيضاً عليه السلام أنّه قال: «تلاقوا وتحادثوا العلم، فإنّ بالحديث تُجلى القلوب الراتنة، وبالحديث إحياء أمرنا فرحم الله من أحيأ أمرنا»^(٢). وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي تضمّنت الحثّ على إحياء أمرهم عليه السلام.

أمّا فيما يتعلّق بالمنهج الذي يتمّ السير عليه في مثل هذه المجالس، والمحور الرئيس الذي تدور حوله جميع الأحاديث التي تُطرح فيها، هو عبارة عن ذكر أهل البيت عليه السلام، خصوصاً ذكر ما جرى على أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه في واقعة الطفّ ومسيرة السبي، وهنا يقول الإمام الصادق عليه السلام في تكملة خطابه مع الفضيل بن يسار في الرواية المتقدّمة: «يا فضيل، من ذكرنا، أو ذكرنا عنده، فخرج من عينيه مثل جناح الدُّباب غفر الله له ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر»^(٣)، وقال عليه السلام في حديث آخر: «ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله، ولم يرضَ له بدون الجنة»^(٤).

هذا، ولم يكتفِ الإمام الصادق عليه السلام بهذا الحدّ، فقد وردت عنه روايات حول طبيعة الأسلوب الذي يتمّ فيه تأدية مثل هكذا مجالس، ومن ذلك ما ورد عنه حول

(١) الحرّ العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٠.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١، ص ٢٠٢.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٠.

(٤) المصدر السابق: ج ١٤، ص ٥٠٧.

ضرورة إنشاد الشعر رثاءً للحسين عليه السلام؛ إذ قال: «مَنْ أنشد في الحسين بيت شعر فبكى وأبكى عشرة، فله ولهم الجنة...»^(١). كما يصل الأمر إلى تدخله عليه السلام في أسلوب إنشاد الشعر الرثائي؛ إذ يطلب من بعض المنشدين أن يكون الأسلوب في إلقاء شعره رقيقاً ومشجياً، من ذلك ما ورد عنه عليه السلام مخاطباً أبا هارون المكفوف: «يا أبا هارون، أنشدني في الحسين عليه السلام. قال فأنشدته فبكى، فقال أنشدني كما تُنشدون - يعني بالرقة - . قال فأنشدته:

أمرُّ على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة

قال فبكى. ثم قال: زدني. قال: فأنشدته القصيدة الأخرى، قال: فبكى وسمعت البكاء من خلف السّتر، قال: فلما فرغت قال لي: يا أبا هارون، مَنْ أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشرة، كُتبت له الجنة...»^(٢).

وبعد الإمام الصادق عليه السلام نجد أنّ الإمام الرضا عليه السلام سار على المنوال نفسه أيضاً، محاولاً منح المنبر الحسيني هالة وقداسة إضافية، وذلك من خلال تأكيدات المستمرة على قضية البكاء على الحسين عليه السلام وعياله وصحبه، فقد روي عنه عليه السلام: «مَنْ تذكّر مصابنا فبكى وأبكى، لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومَنْ جلس مجلساً يُحيا فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»^(٣)، وروي عنه عليه السلام أيضاً: «فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام...»^(٤).

الحفاظ على مكانة المنبر الحسيني في عصر الغيبة

مع ملاحظة الدور الذي قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً الإمام الصادق

(١) ابن قولويه، محمد بن جعفر، كامل الزيارات: ص ١٠٦.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٤.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٩٤.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٠٤ - ٥٠٥.

والرضا عليه السلام في مجال تشييد صرح المنبر الحسيني، ومنحه المكانة والقدسية اللائقة به، التي بقيت في وجدان الشيعة إلى يومنا هذا، فإننا نجد في المقام - أيضاً - بأن أصحاب القرار الديني وعلى رأسهم المؤسسة الدينية والمرجعية قد بذلت العناية الفائقة جداً في مجال حفظ المنبر الحسيني وتطويره، سواء على مستوى القول أم الفعل، فنرى في سيرة علمائنا - مثلاً - أنه عندما يأتي الخطيب الحسيني ويتلو المصيبة في المجالس التي يقيمونها في مكاتبهم أو بيوتهم، فإنه حينما يريد أن يغادر نرى بأن المرجع يقوم من مكانه ويشيعه بنفسه إلى آخر نقطة من داره؛ إشارة إلى أهمية المنبر الحسيني الذي أصبح لوناً من ألوان نشر العلوم الدينية، سواء على صعيد العقائد، أم الفقه، أم التفسير، أم الأخلاق، أم غير ذلك.

ثم إنّه وبفعل الجهود الحثيثة التي قام بها أهل البيت عليهم السلام، ومراجعتنا العظام وحوزاتنا العلمية فقد أصبح للمنبر الحسيني حضوراً منقطع النظير في المواسم والمناسبات الدينية لدى الشيعة الإمامية، حتى أنه عدّ من أهمّ الشعائر الدينية، وحظي - تقريباً - بالمكانة نفسها، والآثار التي تحظى بها قبة الإمام الحسين عليه السلام. ومن هنا؛ فلا مجال للتوقف في شرعية المنبر الحسيني، وأنه من المناسبات المهمة لإحياء الدين الإسلامي الناصع والحقيقي المستند إلى القرآن الكريم، والأحاديث الصادرة عن العترة الطاهرة.

الرؤى المتباينة حول المنبر الحسيني

شهد العالم الإسلامي بشكل عامّ - والشيعة خاصّة - نوعاً من الجدل حول مصير المنبر الحسيني، والحالة التي يجب أن يكون عليها في عصرنا الراهن، وفي ضوء هذا الجدل الواسع تظاهرات التكتلات في الرؤى الآتية:

الرؤية الأولى: تهميش المنبر الحسيني وجعله من الفلكلور الشعبي

يسعى بعض إلى تغليف المنبر الحسيني بطابع الفلكلور الشعبي، ويعده من الأمور

التاريخية المحكومة بتعدد الثقافات المجتمعية وتغيّرها؛ ساعياً من وراء ذلك إلى بيان أن هذه المفردة كانت حاضرة في ظرفي زمان ومكان معيّنين، ومع تبدّل هذين العنصرين، فمن المفترض أن يتغيّر الموقف تجاهها، وبعبارة أخرى: يرى هؤلاء أنّ مفردة المنبر الحسيني داخلة في السياق التاريخي، الذي من المفترض أن يكون حاكماً ومؤثراً على جميع القضايا المتولّدة فيه، والخاضعة لظروفه ومتطلّباته. هذا، وقد كان هدف القائلين بهذه الرؤية - ومن خلال الأدلّة التي أقاموها في المقام - هو التأكيد على ضرورة حبس المنبر الحسيني وحصره في زاوية تاريخية معينة، وعدم التعويل عليه أو السماح له بأن يكون فاعلاً في واقعنا المعاصر، ولعلّنا نسمع من هنا وهناك بعضاً من هذه النداءات.

ومن الأدلّة التي استندوا إليها في المقام هو قولهم: إنّ المنبر الحسيني كان مهماً عندما لم يكن عند الشيعة مصادر إعلام تُبرز مظلومية أهل البيت عليهم السلام وما جرى عليهم في واقعة الطف، وأنّ اهتمامهم عليهم السلام بالمنبر الحسيني وما صدر عنهم من نصوص مبرزة لذلك، يكون - بنظر أصحاب هذه الرؤية - من باب الإرشاد لا التأسيس لقضية مهمّة وحيوية تصبّ في خدمة الرسالة الإسلامية. وبناءً على هذا الدليل؛ ومع ملاحظة المساحة الواسعة التي يمتلكها الإعلام المرئي وغير المرئي في العصر الحالي، والقدرة الكبيرة والتقنية العالية والإمكانيات الممتازة التي يحظى بها، فإنّ بعضاً ذهب إلى الرؤية التي بيّناها آنفاً، فبيّن بأنّ الإعلام المعاصر له تأثير سريع، وله قدرة على الخطاب الشمولي، ممّا يؤهّله لأن يكون بديلاً عن المنبر الحسيني. أضف إلى ذلك - والكلام لا زال لأصحاب هذه الرؤية - أنّ الشخص الذي يرتقي المنبر الحسيني ليس بمستوى الطموح؛ لأنّه ينطلق من منطلقات تقليدية كلاسيكية ولا يعيش لغة الخطاب العصري والحداثوي.

وكنتيجة لما تقدّم؛ فقد بدأت حركة مسعورة في هذا الاتجاه، وهي وإن تعدّدت فيها الألسن واختلفت فيها الأزياء بحسب الظاهر، إلّا أنّها من حيث النتيجة تصبّ في

مصّبّ واحدٍ، وهو تعطيل المنبر، أو تهميشه، أو التهريج بعدم النفع والجدوائية منه، وعليه لا بدّ من البحث بشكل جادّ عن إيجاد البدائل المتّصّفة بالعصرنة والحداثة، وجعل الأمة تتّجه إلى ثقافات أُخرى بدل أن تنخرط في ثقافة المنبر وثقافة المدرسة المنبرية. ومن الكلمات التي تدسّ السمّ في العسل - في المقام - ما يرد إلى المؤسسة الدينية من تساؤلات تتمحور حول المقارنة بين الإنسان الذي يجلس في بيته ويستمع إلى بعض الطروحات العلمية والدينية التي تبثّها الفضائيات، وبين الذهاب إلى منبر ضعيف لا يرقى إلى مستوى المحتوى الذي يتمّ طرحه عبر وسائل الإعلام هذه. وهنا وإن كان المدلول المطابقي للسؤال وأمثله هو أيّ النوعين المذكورين أفضل؟ إلا أنّ هذا المدلول ليس مقصوداً، وإنّما المقصود - في المقام - هو المدلول الالتزامي، والذي هو: لماذا الجمود والإصرار على منهج تقليدي يدخل في ضمن الفلكلور والقضايا التاريخية؟ منهج أقلّ نفعاً في مقابل اللغة الحداثوية والخطاب المعاصر.

طبعاً، هذه الفكرة لا تختصّ بهذا المجال فقط، فقد لاحظتُ أنّ هذه الفكرة بدأت تصل حتى إلى اللباس الديني؛ بذريعة أنّ الحوار مع الوسط الثقافي والجامعي لا يتأتّى إلا من خلال الزهد بهذا اللباس وتضعيفه، وأمثال هذه العبائر. هذا، وأنّ الجامع لكلّ هذه الدعاوى الفارغة هو أنّ الأساليب القديمة صارت حديثاً من الماضي، وفاقدة للتأثير، ولكلّ ما ينبغي أن يُقدّم في مجال العمل الإعلامي.

طبعاً، إنّ هذه الرؤية الأولى قد أساءت إلى المنبر الحسيني، وسعت من خلال الشبهات والتساؤلات التي يطرحها أصحابها إلى تهميش دور هذه الوسيلة الإعلامية، التي سعى أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلى تثبيتها في الثقافة الشيعية؛ وذلك من خلال ربطها بالنهضة الخالدة للإمام الحسين عليه السلام.

الرؤية الثانية: الإبقاء على الحالة التقليدية

توجد في مقابل الرؤية المتقدّمة رؤية أُخرى تختلف عنها تماماً، رؤية تقليدية بحته

تسعى إلى المحافظة على المنبر، الذي أنشئ في العصور المتقدمة، وعدم السماح لأي أحد أن يغيّر في شكله أو محتواه، وذلك من خلال الوقوف أمام أدنى تغيير أو تبدل يمكن أن يطرأ عليه، فالكيفية المنبرية التي تمّ تداولها في الأزمنة الماضية، والتي تتألف من الشعر الرثائي (القريض) في البداية، ثمّ موضوع البحث المتكوّن من السرد التاريخي وصولاً إلى ذكر المصيبة (شعراً ونثراً) وختاماً بالدعاء، هذه الكيفية يجب المحافظة عليها من وجهة نظر أصحاب هذه الرؤية، وإذا كان ولا بدّ من وجود تغيير فليتجه إلى غير هذا الأمر، فإنّ قضية المنبر الحسيني لا تتقبل التغيير، بل أكثر من هذا بدأ بعضنا يعيش شعوراً في داخله، وهو أنّ أدنى محاولة تسعى لإصلاح المنبر الحسيني لا بدّ أن تُتهم بسوء القصد وبتبئيت النوايا غير الطيّبة، والسعي إلى سرقة المضمون المنبري؛ وعليه فقد صارت لغة التطوير في أذهان هؤلاء لغة قبيحة وليست باللغة الحسنة.

طبعاً، إنّ هذه الرؤية في الوقت نفسه الذي تمنع فيه فكرة تطوير المنبر الحسيني، فهي بطريقة أو بأخرى لا تسمح بتوجيه أيّ نقدٍ إليه، مع اعترافهم المسبق بأنّ النقد حالة صحية وليست حالة سلبية، فيما إذا كان الناقد يتحرّك بإيجابية وبمقاصد صحيحة، ويسعى إلى إيجاد البدائل المناسبة؛ خصوصاً ونحن نعيش اليوم ظاهرة النمو الكميّ الكبير للمنبر الحسيني، هذه الظاهرة التي لم تكن موجودة في السابق، فقد كانت قضية المنبر تقتصر على المساجد والحسينيات، بينما نجد أنفسنا في هذه الأزمنة قد انتقلنا نقلة جوهرية في هذا المجال، فقد بدأ المنبر ينفذ إلى بيوتنا طيلة أيام السنة، فما من مناسبة نعيشها إلّا وكان المنبر حاضراً فيها.

هذا، وقد يكون ترتّب الثواب على المنبر وصيرورته جزءاً مهماً داخلًا في كيانه هو أحد المنطلقات التي انطلق منها أصحاب هذه الرؤية الثانية، فإنّنا نجد أحياناً أنّ فكرة الجزء الأخرى قد طغت على الواجهة في مجال العمل المنبري؛ ممّا دعا إلى

اختزال أو حذف بعض الفوائد الأخرى المهمة للمنبر، أو إغفال ذلك وعدم النظر إليها بنظرة دقيقة.

نعم، إن ترتب الثواب على ذكر أهل البيت عليهم السلام في بيوتنا ومساجدنا وحسينياتنا هو أمر في غاية الأهمية، لكن شريطة المحافظة على البعد التنويري والحالة الجوهرية التي من المفترض ترتبها على ذلك، وكنظير لما تقدّم ما نجد في تلاوة القرآن، فإننا نجد أن بعض الناس قد يقرأ القرآن؛ لأجل نيل الثواب من دون جعله جهازاً معرفياً يُستفاد منه في ترويض الذات وتطويرها، وكذلك في تطوير الأسرة وتطوير المجتمع.

الرؤية الثالثة (المختارة) : ضرورة التطوير والمواباة

مما لا شكّ فيه أنّ التقليدية والثبات في العبادات والمناسك من الأمور المهمة والمطلوبة، لكن ليس بمعنى الجمود، ففرق بين الحفاظ على الروح التقليدية للعبادة والنسك، وبين أن ندعو إلى الجمودية في المقام، فما من نسك إلا وفي داخله مجال للتكامل، فلو أخذنا تلاوة القرآن كمثال لما نقول، لوجدنا أنّ المراحل التي مرّت بها انطلقت من التلاوة الفردية وغير المتضمنة لشرح المفردات، ثم تطوّرت شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى التلاوة في المحافل الجماعية التي تبث في الفضائيات والمصحوبة بشرح وتبيين المفردات التي يصعب فهمها على بعض المشاهدين.

وبما أنّ المنبر يعدّ أحد المناسك والشعائر الدينية المهمة، فهو خاضع لهذه القاعدة أيضاً؛ لذا ينبغي أن نفتش عن هذا البعد التكاملي، سواء كان التكامل على الصعيد الروحي والنفسي، أم كان على الصعيد الفكري والعلمي، فلا بدّ من البحث عن هذا التكامل. ومن هنا؛ فنحن ندعو إلى ضرورة القيام بعملية تكاملية تطويرية للمنبر، شريطة ألا يكون بنحو البديل الفاقد لنسخة الأصل، وإنّما هو عبارة عن امتداد لنسخة الأصل، مع فارق أنّه صار نسخة مضاعفة وأكثر تطوّراً.

وبناءً على هذا؛ فإنّ الدعوى القائلة: بأنّ سائر الوسائل الإعلامية لها من التأثير ما ليس للمنبر من التأثير، فيها من المسامحة التي لا تحفى؛ وذلك لأمرين، هما:

أولاً: إنّ واحدة من مقاصد الدين الإسلامي الرئيسة، هي أنّه يدعو إلى مجموعة شعائر يمكن أن تُسمّيها بشعائر العقل الجمعي، أو الشعائر التي توجد وتحتّ الفرد من خلال اللاشعور الداخلي إلى حالة حبّ الانضمام إلى الجماعة والابتعاد عن العزلة، ومن هذه الشعائر نجد أنّ فريضة الحجّ - مثلاً - تدعو بشكل واضح إلى هذا البُعد الحيوي في حياة الإنسان، والدليل على ذلك ما نستكشفه من الأمر الجماعي المتعلّق بهذه الفريضة، والوارد في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾^(١). ومن تلك الشعائر التي لها الدور نفسه شعيرة المنبر، الذي يُعدّ من المناشئ المهمة لإيجاد ظاهرة العقل الجمعي، وعليه فإنّ استبدال هذه الوسيلة الجماهيرية بالجلوس والاستماع إلى الأمور العلمية، أو حتى الدينية التي تُبثّ عبر سائر الوسائل الإعلامية، سوف يجرم الإنسان من التماهي مع الجماهير، ويؤدّي إلى إبعاده عن الهدف الذي أراهه المشرّع، المتمثّل بوجود حالة اللّحمة الجماعية بين المؤمنين؛ وعليه فإذا لم نحافظ على المنبر الحسيني فإنّنا لا نتمكّن من تحقيق هذه الحالة المهمة في حياة الإنسان.

ثانياً: نحن نرى أنّ هناك أموراً معنوية (قدسية) قد لا يتفهّمها العقل المادّي ولا يتقبّلها، ومن ذلك ما نعتقده بشأن المنبر الحسيني الذي دلّت الآثار على أنّه محفوف بجملة من المعنويات والكمالات، وذلك من قبيل ما ورد في الأخبار من أنّ المجالس الحسينية منظورة من قبل الإمام الحسين عليه السلام، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الحسين بن علي عليه السلام عند ربّه (عزّ وجلّ) ينظر إلى موضع معسكره، ومن حلّه من

(١) آل عمران: آية ٩٧.

الشهداء معه، وينظر إلى زوّاره... وإنه ليرى من يبكيه فيستغفر له ويسأل آباءه عليهم السلام أن يستغفروا له...»^(١). وورد أيضاً أنّ هذه المجالس والمنابر الحسينية هي مشهد ملائكة الله المقربين، ومن ذلك ما رواه زيد الشحام بقوله: «كُنّا عند أبي عبد الله عليه السلام، ونحن جماعة من الكوفيين، فدخل جعفر بن عَفّان على أبي عبد الله عليه السلام فقرّبه وأدناه، ثمّ قال: يا جعفر. قال: لبيك جعلني الله فداك. قال: بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتُجيد؟ فقال له: نعم، جعلني الله فداك. فقال: قُلْ. فأنشده [بكي] عليه السلام ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثمّ قال: يا جعفر، والله، لقد شهدك ملائكة الله المقربون ها هنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر...»^(٢).

ومع ملاحظة هذه الآثار التي قد لا يصل إلى إدراكها العقل المادي، وإنّما يتمّ التعرّف عليها من خلال المعين الصافي والمنبع الزلال، المتمثّل بأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، هل يبقى مجال للقول: بأنّ الجلوس في البيت والاستماع بتركيز إلى ما يُذكر من أمور علمية أو دينية عبر الوسائل الإعلامية الأخرى أكثر فائدة، وأهمّ بكثير من الجلوس تحت المنبر مع ما يلازمه من ضجيج ربّما يحرم المستمع من الوصول إلى المعلومة الأكمل؟ نعم، ما يحكم به العقل المادي هو ضرورة البقاء في البيت وتحصيل المعلومة مع التركيز والتمعّن، وأنّ ذلك - بحسب مقتضياته - أهمّ بكثير من تحصيل المعلومة من دون تركيز. لكن عندما نمّر بالموروث الديني، ونراه يذكر بأنّ هناك أبعاداً معنوية لا يمكن تحصيلها إلاّ بواسطة الحضور إلى المأتم الحسيني، فإنّ دعوى الاستبدال تكون - حينئذٍ - غير صحيحة وغير موفّقة.

وبالعودة إلى صلب الحديث عن الرؤية المختارة، نقول: إنّ المنبر الحسيني بالدرجة نفسها التي لا يمكن استبداله فيها بوسيلة إعلامية أخرى، كذلك لا يمكن اختزاله

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٥٥.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ص ٢٩٠.

بالبعد العاطفي واللوعة والبكاء والدمعة، فإن هذا البعد وإن كان مطلوباً بصورة كبيرة جداً، لكن المنبر غير مقتصر عليه فقط، فالحسين عليه السلام بحسب الكلمة المشهورة التي يتناقلها عموم الشيعة هو عبرة^(١) وعبرة^(٢)، وعليه فإن المنبر الحسيني ينبغي أن يكون مصدراً لتهييج النفوس والعواطف نحو القضية التي ضحّى من أجلها سيّد الشهداء عليه السلام، ويكون أيضاً مصدراً للعديد من المعارف (عقائد، فقه، تفسير، تاريخ... ونحو ذلك).

وبناءً على ما تقدّم؛ فإننا كما نرفض فكرة تهميش المنبر واستبداله، نرفض أيضاً دعوى الجمودية التي لا محالة ستنتهي إلى حالة سلفية، سوف تُفقدنا جزءاً كبيراً من أمتنا، وهذا الجزء هو الشريحة التي تتأثر بالحدّات، وتطلب الجديد، وتطمح لأن يكون المنبر مثلياً لجميع احتياجاتها ومتطلباتها.

المنبر الحسيني النموذجي

إن المنبر الحسيني الذي يتألف من ثلاثة أطراف أساسية هي: (الخطيب، المستمع، المادة الخطابية)، يكون نموذجياً في حال محافظته على القداسة التي تأسس في ضوئها، والتي لا تزول بمرور الأزمنة. وهنا أذكر شاهدين تاريخيين روائيين صحيحي السند: الأول: الخبر الذي يروي لنا حادثة جرت بين الإمام الحسن عليه السلام وبين أبي بكر، وهي أنه عليه السلام عندما دخل إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ورأى أبا بكر يخطب في المسلمين،

(١) وهذا يفهم من الهدف الصريح الذي أطلقه الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من المدينة إلى مكة، والذي أراد للأمة أن تعرفه من خلال نهضته المباركة وتسير على وفقه، وهذا الهدف كان عبارة عن قوله عليه السلام: «...وأني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مُفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي صلى الله عليه وآله، أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي...». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٢) قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: قال الإمام الحسين عليه السلام: «أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمنٌ إلا استعبر». ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٠٨.

وقد ارتقى منبر النبي ﷺ، قال له: «انزل عن مجلس أبي»^(١). فإن اعتراضه ﷺ لم يجابه باعتراض من قبل المتحدث أو الحاضرين، فلم يستطع أحد أن يقول للإمام الحسن ﷺ في ذلك الموقف: إن قدسية المنبر كانت متقومة بوجود رسول الله ﷺ وبعد رحيله لا يُسمى منبر رسول الله، بل هو منبر الخليفة الأول، وعليه فإن ما صدر من الإمام ﷺ كان له دلالة واضحة على ضرورة حمل المنبر النبوي لنفس اسمه السابق حتى بعد رحيله ﷺ. وفي الحقيقة هذا عين ما ندعو إليه بالنسبة إلى المنبر الحسيني، وهو أن يحافظ على قدسيته، وعلى الأطراف الثلاثة التي يتشكل منها.

وأما الشاهد التاريخي الثاني: فهو حادثة مشابهة جرت بين الإمام الحسين ﷺ وبين الخليفة الثاني^(٢). وهذا معناه إننا بصدد التأصيل لفكرة مارسها أكثر من معصوم، فالمنبر لم يعد في الحقيقة عبارة عن مجرد هيكل خشبي، فهو بعد ما سُمي منبراً حسينياً اكتسب شيئاً من القدسية والاحترام، نظير أبواب مرقد المعصومين ﷺ، فإنها قبل أن توضع في محلها لم تكن لها هذه القيمة المعنوية الكبيرة، لكنها بعدما وضعت اكتسبت هذه المكانة والمنزلة في نفوس الشيعة، ثم إنه يُخطئ من يرى أن هذه القضية اعتبارية، بمعنى أننا أعطينا هذه المكانة والمنزلة توافقاً لتلك الأبواب بطريقة توافقية بيننا، وإننا قدسيتها حقيقة تكوينية تبعاً لقدسية الأجساد الطاهرة للمعصومين ﷺ، وفرق بين القدسية الاعتبارية وبين القدسية الحقيقية التبعية، فالأخيرة لها آثار حقيقية. والأمر نفسه يجري في قضية المنبر الحسيني، فهو بانتسابه إلى الحسين ﷺ حظي بالقدسية الحقيقية المنبثقة من القدسية التي يمتلكها ﷺ، مما جعله منبعاً للآثار المعنوية، وعليه فإن دعوى تهميشه واستبداله بناءً على كون القدسية التي يمتلكها

(١) ابن حجر الهيتمي المكي، أحمد (ت ٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: ص ١٧٧.

(٢) أنظر: ابن الأشت، محمد بن محمد، الجعفریات (الأشعثيات): ج ١، ص ٢١٤. ابن شبة النميري، عمر بن شبة، تاريخ المدينة: ج ٣، ص ٧٩٨-٧٩٩.

قدسية اعتبارية وليست حقيقية، كل هذا محلّ نظر وتأمل. والدليل على ذلك هو أنّ أهل البيت عليهم السلام عندما أسسوا هذا السبيل، فإنّهم أسسوه ليكون سبيلاً عاماً إلى قيام الساعة، فلم يقيّدوه بمدة معيّنة، ولم يجعلوا حسنه مؤقتاً، ومن الروايات الواردة في المقام قول الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «أيها مؤمنٍ دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليهما السلام دمعةً حتى تسيل على خده، بوأه الله بها في الجنة عُرفاً يسكنها أحقاباً، وأيها مؤمنٍ دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذى مسّنا من عدونا في الدنيا، بوأه الله بها في الجنة مَبوّاً صدقٍ، وأيها مؤمنٍ مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أؤذي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»^(١)، ومنها أيضاً قول الرضا عليه السلام: «... إنّ يوم الحسين أفرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، بأرض كربٍ وبلاءٍ، وأورثتنا [يا أرض كربٍ وبلاءٍ أورثتنا] الكرب [و] البلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليكن الباكون؛ فإنّ البكاء يحطُّ الذنوب العظام...»^(٢)، فالإطلاق في الروايتين أعلاه وفي غيرهما من الروايات له دلالة واضحة على استمرار الدور الذي يلعبه المنبر في إحياء النهضة الحسينية، واستمرار قدسيته النابعة من ارتباطه بالحسين عليه السلام إلى قيام الساعة.

على أنّ هذه القدسية وهذه المكانة المرموقة للمنبر الحسيني، لا تمنع من توظيف الأساليب الحديثة في مجال تطويره، شريطة الحفاظ على هيكلته التي أسسها أهل البيت عليهم السلام. فإنّ هذه الأساليب بإمكانها تقديم نموذج أكمل للمنبر الحسيني وأكثر فائدة. وبعبارة أخرى: إنّ المنبر الحسيني هو المادة التي تتغذى منها سائر الوسائل الإعلامية الحديثة، لا أنّه في عرضها.

وفي الحقيقة أنّ الجدليات التي يدّعي بعضٌ وجودها بين المثقّف والخطيب، وبين

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٠٠.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٢٨.

المؤسسة الدينية والخطباء، وبين الإعلام والخطابة، وغير ذلك لا واقع لها أساساً، فإن ما موجود بين الجهات المذكورة - بحسب الواقع - هو تمام الانسجام والألفة. ومن هنا؛ فإننا نعتقد أن المنبر الحسيني كان ولا زال وسيبقى واجهة المذهب الشيعي، وليس عندنا بديل عنه أصلاً، فهو المعني بالدرجة الأولى والأساس عن الخطاب الرسمي في المذهب الشيعي، وسائر المؤسسات إنَّما تكون في طول مؤسسة المنبر الحسيني، هذه المؤسسة التي وقفت بشكل دائم أمام الضربات الشديدة الموجهة من قبل أعداء الله، ومن قبل السلطات الظالمة التي كانت تسعى إلى حصد رقاب ورؤوس الشيعة، وتسعى أيضاً إلى تجهيلهم والخط من مكانتهم المعرفية؛ ومن هنا فقد سعى المنبر الحسيني على طول الخط - وحتى يومنا هذا - إلى أن يكون هو المصدر الرئيس الذي يتولَّى مهمّة الحفاظ على سلامة المعتقدات المذهبية وبقائها، وربط القاعدة الشيعية بمراجعها وبمؤسساتها الدينية.

المنهج التطويري للمؤسسة المنبرية

قد يرى بعض - في مقام تطوير المنبر الحسيني - ضرورة إنشاء مؤسسة دينية ترعى المبلّغين وتُشرف عليهم وعلى تطويرهم، وكذلك تقوم بتوزيعهم على المناطق آخذة بعين الاعتبار حاجة الناس وقدرة المبلّغ الحسيني على سدّها بما يملكه من مخزون معرفي.

ونحن في مقام التفصيل حول هذا الطرح نقول: إنَّ قانون النظم هو أمرٌ في غاية الأهمية، وقد أكّد عليه الحُسن العقلي والحُسن الشرعي، كما أنّه في المقابل يُعدُّ ضرب هذا القانون سبباً لحدوث الخلل في حياة الناس؛ وبناءً على هذه الحقيقة المهمة فنحن لا نخشى من وجود حالة التنظيم والتطوير في المنبر الحسيني، بل هو أمرٌ نطمح إليه ونسعى إلى تحقيقه من خلال أمرين أساسيين:

الأول: تأهيل الطاقات الحسينية وإدخالها في مواقع التأثير، والارتقاء بالواقع

الديني للفرد والمجتمع، وهذا أمرٌ يبدو أن الآيات الشريفة قد أشارت إليه؛ إذ يقول عزّ من قائل: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١)، فمع القول بعدم اختصاص الآية بموضوع الفقه تحديداً، وبعد تنقيح المناط والتوسّع في مضمونها، فإنّها سوف تشمل حقولاً معرفية أخرى مضافاً إلى الفقه، ومن تلك الحقول عالم الخطابة، وعليه فمن الضروري أن ينضوي ثلّة من طلاب الحوزة العلمية الراغبين في أن يكونوا خطباءً منبرين تحت رعاية عمل موحد ومنظّم، يسير وفق موروث دقيق صحيح، وضمن اجتهادات فعلية لا انفعالية، ووفق ملاكات ومقاسات علمية. وهذا الأمر بلا أدنى شكّ من أهمّ السبل المؤدّية إلى عملية التطوير في موضوع المنبر الحسيني.

الثاني: إنّ المسؤولية في عملية تطوير المنبر الحسيني لا ترتبط بالخطيب الحسيني، أو المؤسّسة الدينية وحسب، وإنّما هي مسؤولية المجتمع والأمة أيضاً، وهنا أرى من الضروري أن أذكر مقدّمة أسعى من خلالها إلى تقريب الفكرة للقارئ الكريم. عندما نمّر بموضوع الإمامة عندنا - نحن الشيعة - وتحت عنوان نظرية بسط اليد، فإنّنا نعتقد أنّ من يتسنّم هذا المنصب لا بدّ أن تتوفر فيه صفات معينة من قبيل: العلم اللدني، والعصمة، والأفضلية، أي: إنّهُ أفضل ما في الكون؛ وهذه الصفات الثلاثة تتعلّق بنظام التنصيب الإلهي ولا دخل للأمة في تحقيقها، لكن تبقى قضية بسط اليد للإمام، فهي ليست موكولة إلى الإمام فحسب، بل لا بدّ للأمة من بيعته، وعند مراجعتنا لقاموسنا الديني نجد أنّ مصطلح البيعة يمتلك حضوراً بارزاً في منظومتنا المعرفية الدينية؛ وبناءً على هذه المقدّمة الموجزة فإنّ الأمة وإن كانت لا تمنح الشرعية للخطيب، فهي ممّا يتمّ تحصيله من المحافل العلمية ومركز القرار العلمي، إلّا أنّ بسط

يد الخطيب الحاذق لا بدّ أن يكون على عاتق الأمة، لا أنّ الخطيب يُملي عليها من دون أن يكون لها دور في التشخيص وترجيح مَنْ يفيدها من الناحية المعرفية والعملية. ومن هنا جاءت فكرة ضرورة التواصل بين مؤسساتنا الإيمانية كالمساجد، أو الحسينيات، أو نحو ذلك، وبين مؤسساتنا الدينية، ولعلنا نلاحظ في الحقبة القريبة أنّ هناك تجارب ناجحة قُدِّمت في هذا المضمار، ومن تلك التجارب الناجحة نجد أنّ بعض أصحاب المواكب هم الذين يتدبّون الخطيب الجيد، وهم الذين يراقبونه ويتابعونه، ثمّ ينقلون - بعد ذلك - صورةً وتقريراً مفصّلاً عن حاله إلى الجهة المسؤولة عنه، وعليه فقد وجدت عملية رقابية إيمانية على الخطيب، تجعل موضوع المنبر الحسيني عملية منضبطة تخضع إلى جهاز رقابي. إلا أنّ هذه الرقابة - سواء كانت من المؤسسة الدينية أم من الأمة - لا تعني الوصاية على الخطيب والتضييق عليه، وإثماً هو تحمّل لجزء من المسؤوليات الرامية إلى ترشيد الحالة الصحية، وإبعاد المنبر عن كلّ ما شأنه الإضرار برسالته ودوره في إصلاح المجتمع. وفي حال عدم أداء الأمة لهذه المسؤولية فإنّها سوف تلام، كما وقع اللوم على الأمة التي نصّبت غير الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، إماماً وخليفةً للمسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإن كان استحقاق الإمامة ثابتاً للإمام بالنص الإلهي، سواء أبايعت الأمة أم لم تُبايع.

وبناءً على ما بيّناه - من ضرورة تحمّل الأمة لجزء من المسؤولية في قضية إنجاح وتطوير المنبر الحسيني - قد يتساءل بعض، بل يعترض على ذلك: بأنّ الأمة في هذه الأزمنة مغلوب على أمرها؛ وذلك بسبب كثرة الأفكار المزيّفة في أوساطها، والغث والسمين الذي يُطرح على شبكة الإنترنت، الذي يُشكّل مادة فاعلة يتغذى منها أفرادها، وهي فاقدة للقدرة على تشخيص المصلحة، وفي ضوء ذلك فلا يمكن أن تكون لها مساهمة فعّالة في موضوع المنبر الحسيني.

وفي مقام الإجابة عن هذا السؤال نقول: إنّ الأمة التي نفترضها - في المقام - هي أمة إيمانية، لها القدرة والقابلية على تحمّل مسؤولياتها الدينية بكلّ جدارة. وبعبارة

أخرى: إن الأمة بشكلها العام تمتلك مجموعة مقومات فطرية تتمكّن في ضوءها من معرفة سلامة السبيل.

نعم، قد تضعف إرادتها أحياناً، ولكن ضعف الإرادة شيء وعدم معرفة السبيل شيء آخر، فنحن لم نعهد أن الأمة قد مرّت بظرفٍ يعوزها معرفة السبيل الصحيح، فهي تمتلك العصمة الفطرية والقدرة اللازمة على تشخيص ذلك، نعم، قد تتلوّث هذه الفطرة في بعض الأحيان، وقد تضعف الإرادة ممّا يجعلها تنحرف عن جادة الحقّ، قال تعالى: ﴿...وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(١).

وهذه القدرة على التشخيص قد أهلت الأمة إلى الوقوف في وجه الكثير من الحركات، فعلى سبيل المثال: الحركة الباطنية التي سعت إلى التغلغل في أعماق المجتمع واختراقه، لكنّه بفعل يقظة الأمة تمّ تحجيم هذه الاختراقات وجعلها مقطعية ومحدودة. وكمثال آخر في المقام نذكر ظاهرتين قد ألمتا بالمجتمع الإسلامي، هما ظاهرة الغلو بأهل البيت عليهم السلام، وظاهرة تمهيش مقامهم عليهم السلام، فعندما نمرّ بهاتين الظاهرتين فلربّما نجد بأنّ أحد الأسباب في المقام هو عدم إعطاء القيمة الحقيقية للمعصوم عليه السلام؛ وذلك بسبب أنصاف الأفكار، لا بسبب عدم إمكان استيعاب الفكرة، ونظراً لذلك نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام عندما أقدموا على معالجة هاتين الظاهرتين بينوا بأنّ السبب وراء هذه الدعاوى هو الاعتماد على السبيل الناقص لا السبيل التام، فبدأوا بتزريق المفاهيم الصحيحة في نفوس المسلمين وتكميل معلوماته. أمّا إذا كان السبب وراء الظاهرتين المشار إليهما هو حبّ الدنيا، والسعي إلى نيل مقاصدها الزائفة، من قبيل كون الشخص باب الله ووجه الله، وذلك من خلال سعيه الحثيث إلى إعطاء مناصب للأئمة الأطهار من أجل أن يكون هو سبيل الوصول إلى تلك المناصب. وهنا نجد أنّ الأئمة عليهم السلام في مقام الردّ على هؤلاء استخدموا أساليب أكثر شدّة وغلظة من قبيل

(١) الأعراف: آية ١٤٦.

اللعن^(١)؛ وذلك لأن هذه الفئة تُعتبر فئة نادرة وقليلة عرفت الحق ولكنها لم تتبعه. وبالعودة إلى الإجابة عن السؤال المتقدم نقول: إن الأمة بما تحمله من حس فطري نراها تسعى إلى أن تكون في دائرة الصواب. نعم، هذه الإرادة تحتاج إلى دفع مستمر من قبل المؤسسة الدينية التي من المفترض أن تلعب دوراً بارزاً في تقوية الإرادة وسد الفراغات؛ حتى لا تضطر الأمة إلى القبول بأي أحد كان، نحن نرى أن الأمة - مع إعطائها الخبرة الكافية - ستكون قادرة على التعرّف على الحق؛ لأنه ليس بالأمر الخفي، فهو نور ظاهر وبارز.

وبناءً على ما تقدّم؛ فالمؤسسة التي ترعى شؤون المبلّغين، التي يرغب الكثير منّا في وجودها، ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار مسؤولية الأمة - في المقام - ولتحقيق هذه المسؤولية لا بدّ من تأسيس مؤسسات تحت عنوان جمعية المواكب والمساجد، يكون لها ارتباط مستمر بالمؤسسة الحوزوية، ويتمّ من خلال التعاون فيما بينها انتخاب الأشخاص اللائقين بمشروع النهضة الحسينية.

وهنا بوّدي أن أذكر للقارئ الكريم خاطرة بسيطة تتعلق بمسيرة الأربعين، وهي أنّه عندما صار البناء على أنّ الحوزة العلمية المباركة الميمونة تقترح ثلّة من المؤمنين والمحترمين للعمل كمبلّغين في المواكب والهيئات الحسينية، تردد بعض بشأن موافقة القائمين على تلك المواكب، واحتمال عدم تفاعلهم مع هذه الفكرة؛ لكن في الحقيقة أنّ الخشية من تطبيق هذا المشروع لم تكن في محلّها؛ فإنّ من عاش سنّين سنة أو أكثر في جامعة الحسين عليه السلام، سوف تصبح عنده مناعات داخلية رائعة، بغضّ النظر عن سلوكيّاته الفردية؛ لأنّها سلوكيّات لا تصطدم مع الرؤيا الأساسية للنهضة الحسينية، مناعات تجذبه دوماً نحو التشخيص الصحيح للحقّ والإيمان به. ثمّ إنّ وبعد أن

(١) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤١٨.

بدأنا بهذا المشروع رأينا أكثر شريحة مصرة على اعتماد موقف وقرار المؤسسة الدينية هي مؤسسة المواكب.

طبعاً، كلامنا الذي نذكره هنا ينطبق على الحالة العامة، وهذا لا يمنع من وجود حالتين أو ثلاث حالات تسعى إلى عرقلة هذا المشروع، مع عدم امتلاكها لمساحة انتشار واسعة في المجتمع؛ وتبقى هذه الحالات مجرد فقاعة ليس لها القدرة الكافية على البقاء والاستمرار.

وهنا أنا لا أريد أن اختزل هذا المشروع المهمّ الرامي إلى تطوير المنبر الحسيني بمسيرة الأربعين وحسب، بل ينبغي تفعيله في مختلف المواسم التبليغية التي يعيشها المذهب الشيعي، التي هي من قبيل: موسم المحرم، المواسم الثلاثة لشهادة الزهراء عليها السلام، موسم شهر رمضان المبارك، وغير ذلك. كما إنّي أؤكد في المقام على أنّ النجاح الذي يتحقّق في المقام ليس نجاحاً لفردٍ معيّن، وإنّما هو نجاح لجميع المؤسسات المشاركة في هذا المشروع، سواء كانت توجيهية، أم خدمية، أم داعمة دعماً لوجستياً، فكلّ هذه المؤسسات تقوم بدور مهمّ وحقيقي، وهي التي ستأخذ بأيدينا وتدفع بنا إلى الأمام دائماً. والحمد لله أولاً وآخراً.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، محمد بن الحسن الطوسي، تصحيح وتعليق:

المعلم الثالث ميرداماد الأسترآبادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر مؤسسة آل

البيت عليهم السلام، مطبعة بعثت، قم - إيران، ١٤٠٤ هـ.

٢- الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة،

نشر دار الثقافة، قم - إيران، ط ١، ١٤١٤ هـ.

٣- الأمالي، محمد بن علي الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة،
نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٧هـ.

٤- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط ٢ المصححة،
١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط:
نخبة من العلماء الأجلاء، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٤،
١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦- تاريخ المدينة، عمر بن شبة النميري، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، نشر دار الفكر، قم -
إيران، مطبعة القدس، ١٤١٠هـ/ ١٣٦٨ش.

٧- الجعفریات (الأشعثيات)، محمد بن محمد ابن الأشعث، نشر مكتبة نينوى الحديثة،
ط ١، طهران - إيران.

٨- الدروس الشرعية في فقه الإمامية، شمس الدين محمد بن مكّي العاملي، تحقيق:
مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران،
ط ٢، ١٤١٧هـ.

٩- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي،
(ت ٩٧٤هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة لصاحبها: علي يوسف
سليمان - شارع الصناديقية - بميدان الأزهر بمصر، ط ٢، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

١٠- عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم:
الشيخ حسين الأعلمي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، مطابع
مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١١- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار
الكتب الإسلامية - طهران، ط ٤، ١٣٦٥ش.

١٢- كامل الزيارات، محمد بن جعفر بن قولويه، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، نشر مؤسسة نشر الفقه، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٧هـ.

١٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة، مطبعة مطابع كستاتسو ماس وشركاه.

١٤- وسائل الشيعة، محمد بن حسن الحرّ العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، نشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم - إيران، مطبعة مهر، ط ٢، ١٤١٤هـ.

١٥- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، تحقيق: قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

التبليغ المباشر، أهميته وخصائصه

د. روح الله عباس زاده*

ترجمة: د. السيّد خالد سيساوي**

المقدمة

لقد كان اختيار الأسلوب الأمثل للتبليغ، هو الشغل الشاغل على الدوام لمبليغي الدين، ومع ظهور تقنيات التواصل الحديثة هناك تساؤل يطرح نفسه؛ وهو: هل هناك ضرورة لاستمرار التبليغ بالأسلوب التقليدي مع وجود وسائل الإعلام الجديدة، أو يتعيّن على المبلّغين مجانبة التبليغ المباشر؟

لقد حُطت هذه المقالة لأجل بيان أهمية وخصائص التبليغ المباشر- الذي لا يزال - بلحاظ مميّزاته - مورد اعتبار مبليغي الدين.

سنبحث في هذه المقالة بعد تعريف التبليغ المباشر والإشارة إلى أهميته ومكانته، خصائصات هذا الأسلوب باعتبار المخاطب والمخاطب والخطاب؛ وكذا حجم تأثيره وردود الفعل المترتبة عليه ونحو ذلك.

تعريف التبليغ المباشر (الحضوري)

التبليغ في اللغة: يعنى إيصال خطاب، أو خبر، أو كلام للغير، كما يأتي بمعنى

* دكتوراه في الثقافة والعلاقات، جامعة الإمام باقر العلوم عليه السلام، وباحث في مركز الإمام الصادق عليه السلام للأبحاث في العلوم الإسلامية، من إيران.

** دكتوراه في العرفان الإسلامي، أستاذ في جامعة المصطفى عليه السلام العالمية، من الجزائر.

الإشعار، والإخطار، والإعلام عن أمر ما، ودعوة شخص لدين، أو عقيدة، أو مذهب، أو مسلك، أو طريقة ما، وجّره إلى الطريق الذي قصده المبلّغ^(١).

وقد استخدمت الألفاظ الثلاث (تبليغ)، و(إبلاغ) و(بلاغ) في المعاجم العربية بمعنى واحد وهو الإيصال، وفي بعض التعاريف: هو محاولة إيصال المعنى المقصود إلى المخاطب قدر الإمكان^(٢).

في اللغة الإنجليزية تعني كلمة (بروباغندا)^(٣) نهضة الدعاية، حاضنة الدعاية، الدعاية، التبشير العقدي، ووكالة الإعلان؛ كما تُشير لفظة (بروباغاندينز)^(٤) إلى نشر المعتقدات عن طريق التبشير. أمّا كلمة (بروباغاننت)^(٥) فتأتي بمعنى النسخ، والتربية، والنشر، والإيصال، والترويج، والتبليغ إلى الجيل الجديد، والتبشير. كما نجد أيضاً كلمة (ادورتميس)^(٦) في اللغة الإنجليزية تأتي بمعنى التوعية والإعلان، وتحقيق الوعي الجمعي، فضلاً عن كلمة (ميجن)^(٧) التي تأتي مرادفة للتبليغ وتعني العزم على التبشير المذهبي، ولفظة (ميجيونري)^(٨) التي تعني المبلّغ أو هيئة المبلّغين المذهبيين.

أمّا في الاصطلاح: فالتبليغ الديني يشمل الفعاليات المشروعة كافة، التي من شأنها ارتقاء الإنسان في مسير قربه إلى الله وكماله الإنساني^(٩). كما يشمل أيضاً التعريف بالدين الحق، وتعليم المعارف الإلهية، ومعرفة الفضائل والردائل، وتقوية المعتقدات

(١) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٨، ص ٤١٩-٤٢١، مادة (بلغ).

(٢) أنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٤، ص ١٣١٦.

Propaganda (٣)

Propagandize (٤)

Propagate (٥)

Advertise (٦)

Mission (٧)

Missionary (٨)

(٩) أنظر: الريشهري، محمد، التبليغ في الكتاب والسنة: ص ١٦.

الدينية والإيمان الباطني، وتهيئة الأرضية المناسبة للعمل بالأحكام الإسلامية وإزالة الرذائل النفسانية، والقيام بالدور المنوط بنا اجتماعياً وسياسياً... كما أنّ التبليغ المباشر عبارة عن التبليغ الذي يتم فيه إيصال الخطاب من المبلِّغ إلى المخاطب بشكل مباشر. من الواضح أنّ هناك اختلافات كثيرة بين معنى التبليغ الديني ومعنى (بروباغندا)، فالأخير يعني أن تقوم بفعاليات، الغرض منها التلاعب بأفكار الناس وعقائدهم، وتحميل قناعاتك على المخاطب عبر آلية التلقين والإلقاء، لهذا يمكن التعبير عنها بالدعاية والغوغائية والتخاصم؛ إذ تشمل الإقدمات المتوالية التي يقوم بها فرد أو جماعة نفعيون تجاه أشخاص معينين عن طريق التلقين؛ لأجل التحكّم في أوضاعهم الروحية، ثمّ التحكّم في أفعالهم.

يطلق اصطلاح (بروباغندا) في المعجم الدولي للعلوم الاجتماعية على التلاعب العمدي بالوعي الجمعي من خلال إيهام وإيهام الأفكار، والأعمال، والمعتقدات، والقيم، وطرق التعامل البشري^(١).

أهمية ومكانة التبليغ المباشر

يُطلق التبليغ الديني الرائج في الحوزات العلمية في الأساس على التواصل الإنساني الشفاهي والمباشر، من دون تحلل وساطة فردية أو جماعية، وعلى الرغم من ظاهره التقليدي والبسيط إلا أنّ له وظائف معقّدة ومتنوعة. فمع اتساع رقعة المجتمعات الإنسانية واختلاف ثقافتها إلا أنّ هذا النوع من التواصل لا زال يحتل مكانةً خاصّةً؛ وذلك يرجع إلى قربته من الطبيعة الإنسانية، واحتياجاتها العاطفية والمعنوية، وفي المقابل نجد أنّ الإعلام الحديث الذي يدار على أساس عقلانية المنفعة والربح، قد أضحى غافلاً عن كثير من الاحتياجات الإنسانية؛ كما أنّه في كثير من الأحيان قد سجّل عجزه عن تأمين تلك الاحتياجات.

(١) أنظر: مريحي، شمس الله، كاربرد جامعه شناسي در تبليغ (تطبيقات علم الاجتماع في التبليغ): ص ٥٢.

ففي إيران - مثلاً - كان التبليغ المباشر ووسائله الإعلامية يتمتع بمشروعية لا بديل عنها؛ ممّا جعل آثاره التواصلية فريدة من نوعها، ففي قراءة لتاريخ هذا البلد - خصوصاً بعد انتشار الإسلام - نجد أنّ لمراكز الاتصالات التقليدية على حدود البلاد، وتشكيل وسائل الإعلام التقليدية الإسلامية دوراً هاماً في تشكيل الرأي العام وتعبئته؛ إذ لم تفقد مشروعاتها الشعبية حتى مع وجود وسائل الاتصالات الحديثة، التي وظّفها الاستعمار في معركته الهادفة أثناء الدورة القاجارية والبهلوية ضدّ التقاليد الدينية. ومع انتصار الثورة الإسلامية في إيران تسنّى لتلك المراكز ووسائل الإعلام التقليدية أن تفرض مكانتها الاجتماعية لدى الجميع^(١).

تحققت الثورة الشعبية في إيران على يد الإمام الراحل ورجال الدين في القرن العشرين؛ من خلال إمكانات بسيطة وعن طريق التبليغ التقليدي؛ ممّا لفت انتباه الكثير من الباحثين في عالم الاتصالات، ودفعهم إلى التصريح بأنّ التواصل التقليدي لا زال يحتكم إلى قدرة خارقة، ودور بارز في تعبئة الجماهير وارتقائهم، ورفع مستوى الوعي الاجتماعي، لدرجة دفعت الفعّالين السياسيين والإعلاميين إلى تسريع وتكثيف عجلة البحوث الجديدة في هذا المجال.

يعدّ حضور العلماء ورجال الدين ودورهم البارز عبر تاريخ إيران - بعد انتشار الإسلام - من أبرز العوامل تأثيراً، وأكثرها قيمة في الحفاظ على التواصل التقليدي، خصوصاً في القرنين الأخيرين؛ إذ تؤكّد الأحداث المصيرية التي مرّت بها البلاد، بأنّ ذلك كان رهن التواصل المباشر بين العلماء والجماهير، من قبيل الحروب بين إيران والروس، انتفاضة (التنباكو) إثر فتوى الميرزا الشيرازي، وتهيئة الأرضية لانتصار ثورة المشروطة، الحركات الإقليمية الوطنية لمكافحة الاستعمار، الوقوف في وجه

(١) أنظر: باهنر، ناصر، رسانه ها ودين از رسانه هاي سنتي إسلامي تا تلويزيون (وسائل الإعلام والدين، من وسائل الإعلام التقليدية الإسلامية إلى التلفزيون): ص ٨٣.

تزويد الأجنب بالامتيازات دون وجه حق، انتفاضة ١٥ خرداد ١٣٤٢هـ، استنكار قانون كابيتولاسيون، الجمعيات الولائية والمقاطعية، إصلاح الأراضي، و... وفي الأخير الثورة الشعبية سنة ١٣٥٧هـ^(١)، التي انتهت بالانتصار على النظام الدركي للمنطقة، الذي أيده أمريكا؛ فضلاً عن احتضان المشاركة الشعبية في الأحداث المختلفة للثورة، من قبيل الحرب المفروضة، والساحات الاجتماعية الأخرى.

يذكر الأستاذ والمتخصص الأمريكي (أورت. أم. راجرز) في كتاب (تكنولوجيا التواصل - وسائل الإعلام الحديثة في المجتمع) الذي تم تداوله سنة ١٩٨٦م، أي: بعد (٧) سنوات من انتصار الثورة الإسلامية في إيران: «من الحقائق التي بقيت مجهولة فيما يتعلق بالثورة الإيرانية، هي الصراع الذي دار بين وسائل الإعلام الكبيرة والصغيرة، والذي انتهى بانتصار وسائل الإعلام الصغيرة»^(٢). فالسوق، والمسجد، ورجال الدين، والحوزات العلمية، والمجالس، والحسينيات؛ وكذلك إقامة دورات تحت عنوان قنوات الاتصال التقليدية؛ قد كان لجميعها دور هام - أثناء الثورة الإسلامية - في تأمين الاحتياجات المعلوماتية وتسهيل تبادلها، ثم توعية الناس بما يحوكه النظام وراء الكواليس^(٣).

جاء في تقرير لمنظمة الأمم المتحدة التعليمية والعلمية والثقافية (يونسكو) الذي نُشر في سنة ١٩٨١م، قامت به لجنة (ماك برايد) التي شكّلت لدراسة معضلات وسائل التواصل؛ ما مفاده: أن لا تقتصر أهمية التواصل الفردية والتقليدية على مكانتها ودورها الاجتماعي الفريد من نوعه، بل تنسحب أيضاً على استعمالها في

(١) أنظر: فرقاني، محمد مهدي، ارتباطات سنتي در إيران (المدخل إلى الاتصالات التقليدية في إيران): ص ٣٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٧.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٤١.

تصحيح الاتجاهات الرائجة؛ لذا يتعيّن حمايتها وتشجيعها والترغيب فيها^(١). وبشكل عام، إنّ سياسات التواصل الزماني يمكنها أن تكون جذّابة ومؤثرة، ممّا يستدعي النظر في قيمة التواصل بين الأفراد ومكانته؛ على جميع الصّعد؛ خصوصاً وسائل الإعلام الجمعية ووسائل الإعلام المحليّة المنتظمة^(٢).

ورد في توصيات سماحة السيّد القائد (الخامنئي) حول أسلوب التبليغ المباشر المعتمد في الحوزات العلمية، قوله: «من المؤكّد والحمد لله أنّ تصريحات العديد من العلماء - على مستوى المحافظات والولايات - وفقاً لما تقتضيه صلاة الجمعة أو بعض المناسبات الأخرى، وكذلك الدروس والمناقشات تبث عبر قنوات الإذاعة والتلفزيون؛ لكن لا شيء من هذه الأساليب يمكنه أن يكون مضاهياً لأسلوب التبليغ المباشر الذي يقوم به رجال الدين، والذي كان تقليدياً يعتمد على هؤلاء في التواصل مع الناس»^(٣).

«علينا أن نرسّخ - كما في الماضي - الأساليب المعنوية، وتعبير أكثر وضوحاً: أساليب مشايخ الدين، وأن لا نفرط فيما عدّ تقليداً من قبل؛ بل علينا التمسك به أكثر. أعتقد أنّنا نواجه نقصاً في هذا المجال»^(٤).

وعليه لا خيار أمامنا في الوقت الحالي إلاّ الاهتمام أكثر بالمسجد، ووظائفه العبادية، والاجتماعية، والسياسية. فمن أخطر وظائف مبلغّي الدين في الوضع الحالي، هي: الاستفادة من قدرة المسجد الرائجة في إيجاد التحوّل الاجتماعي، ممّا يستدعي التأكيد على ازدهار هذا المكان المقدّس، وتشكيل جلسات دينية تتعلّق بمكانته ودوره، وتعزيز شبكة تواصل رجال الدين مع الناس خصوصاً الشباب يوماً بعد يوم.

(١) أنظر الموقع: <https://ar.wikipedia.org/wiki>.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٨ - ٤٩.

(٣) بيانات سماحة السيّد القائد (الخامنئي) بتاريخ ٥/١١/١٣٧٣ هـ. ش.

(٤) المصدر السابق: ٢٩/١١/١٣٧١ هـ. ش.

خصوصيات التبليغ الديني المباشر

تشكل التواصلات المباشرة على أساس معتقدات الناس، وتاريخهم، وثقافتهم؛ وفي الوقت نفسه، فهي تروّج لذلك وتقويه. فالارتباط المباشر بين المتصلين والمخاطبين والبيئة المحيطة، وردود الفعل الفورية، والآثار على مستوى الأحاسيس، والمشاعر، والتجاذب الفردي والجمعي؛ وكل ما ينسحب بشكل خاصّ على التواصل الإنساني، يُعدّ رصيلاً من أرصدة التواصل المباشر^(٥).

إنّ المبلّغ ينتزع محتوى خطاباته في هذا التواصل من احتياجات المخاطبين وما يخدم مصالحهم، فيصيغ بلسان عصري ما من شأنه تزييتهم، وما هم بحاجة إليه من النصوص الدينية؛ وبذلك يتم الحفاظ على الوحدة الوطنية والدينية، ورفع مستوى الوعي السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي للمخاطب من خلال اختيار أقصر الطرق لإيصال الخطاب من مصدره إلى ذهن المخاطبين؛ مستخدماً أكثر طرق التواصل ووسائله تأثيراً.

يعتقد (روكوز) فيما يتعلّق بالتواصل الشخصي: أنّ الأشخاص الذين يتواصلون مع بعضهم البعض، في كثير من الأحيان لديهم قيم متشابهة، ومجالات أبحاثهم وحواراتهم مشتركة، فهم لا يتناقلون الأخبار فحسب، بل يتبادلون الأحاسيس والمعتقدات أيضاً، ويتيح الاتصال المباشر لمتلقي الخبر فرصة تفسير ما يتلقاه بشكل أفضل. أمّا في الاتصال غير المباشر وغير الشخصي فيمكن غض الطرف عن ذلك وعدم الاعتناء به^(٦).

ستتطرق في هذا القسم إلى خصوصيات التبليغ المباشر استناداً لثلاثة عناصر

(٥) أنظر: باهنر، ناصر، رسانه ها ودين از رسانه هاي سنتي إسلامي تا تلويزيون (وسائل الإعلام والدين، من وسائل الإعلام التقليدية الإسلامية إلى التلفزيون): ص ١٤٢.

(٦) أنظر: روان، شير محمد، روش هاي سنتي ارتباطات ورسانه هاي گروهی مدرن (أساليب الاتصالات التقليدية ووسائل الإعلام الجماعية الحديثة): ص ٧١.

(المخاطب، المخاطب، الخطاب)، كما سنأتي على بيان الخصوصيات المتعلقة بأدوات التواصل، وردود الأفعال، والزمان والمكان.

خصوصيات المخاطب في التبليغ المباشر

إنّ فاعل التواصل الأساس في التبليغ التقليدي، هم: العلماء، والخطباء، والوعاظ؛ الذين في الغالب يرتدون الزي الديني، ويتمتعون بمعلومات دينية إسلامية؛ إذ تشير التطورات التاريخية في إيران - مثلاً - التي تمخّضت عن وجود وسائل التواصل الدينية إلى هذه الميزة، وهي: أنّ فاعل التواصل الرئيس لهذه الوسائل هم: نخب المجتمع، والسلطات الفكرية للشعب^(١). ونظراً إلى أنّ هؤلاء المبلّغين أقلّ ارتباطاً بمصالح الدولة ومؤسساتها من وسائل التواصل الحديثة، كانوا يتمتعون بحرية تجاه توقعات السلطة ورقابتها، والقدرة على القيام بممارسة دورهم الرقابي. في التبليغ المباشر يرتبط المبلّغ بالمخاطبين عن قرب ارتباطاً حقيقياً، ويكون في تماس مباشر معهم، وهذه الخصائص تُهيئ للمبلّغ الأرضية والشروط المناسبة التي لا تتوفر في غيره من التبليغ عبر وسائل الإعلام.

يتعيّن على المبلّغ في التبليغ الديني أن يكون بشوش الوجه، ذا مظهر لائق، غير منفّر لمن حوله من المخاطبين؛ لأنّ هذه الأمور لها محورية في بداية التواصل المباشر مع المخاطبين، فضلاً عن أنّ المبلّغ لا يستخدم غيرها من الأدوات الدعائية، من قبيل الإنارة والتصوير وغيرها لجذب المخاطب.

وعليه، يمكننا القول: إنّ شخصية المبلّغ وخصوصياته الفردية والسلوكية؛ وكذلك نبرات صوته، وقسمات وجهه، وهيئته، لها دور بالغ في نجاح أو فشل التواصل المباشر، بخلاف ما تتطلبه آليات التواصل الحديثة الأخرى. وهذا ما

(١) أنظر: باهنر، ناصر، رسانه ها ودين از رسانه هاي سنتي إسلامي تا تلويزيون (وسائل الإعلام والدين، من وسائل الإعلام التقليدية الإسلامية إلى التلفزيون): ص ١٣٨.

يستدعي تكريس المبلِّغ نفسه في هذه الطريقة التبليغية للتبليغ؛ والحضور عند الحاجة بين يدي مخاطبيه في أيِّ زمانٍ ومكانٍ. وكونه قد أخذ على عاتقه تكليف رفع شبهات المخاطب العلمية والعقدية والسلوكية، فإنَّه لا يتردد أبداً في مدِّ يد العون للناس؛ إذ لا يخفى أنَّ هذا الأمر من شأنه إيجاد علاقة خاصَّة بينه وبين مخاطبه، تحوّل لهذا الأخير - في أيِّ ظرف - طرح أيِّ تساؤل ببساطة ودون حرج.

إنَّ تواجد بعض المبلِّغين بين الناس وفي محافلهم الأكثر خصوصية من قبيل المنازل، وحفلات الزفاف، وجلسات الطلاق، فضلاً عن جلسات المسائل الشرعية، قد أعطى شبكة التواصل هذه قدرة كبيرة، لدرجة أنَّ مجموعة من الناس يعتبرون المبلِّغ حافظاً لأسرارهم الحياتية، علاوةً على أنَّ الشعور بنوع من الطمأنينة والثقة بصحة الخطابات المطروحة من قِبَل المبلِّغين من شأنه أن يجعل عملية التبليغ أكثر كمالاً.

في هذه الطريقة توجد علاقة بين العالم وعمامة الناس، ويكون الدور الرئيس فيها لرجال الدين، بينما الذي يعتد به في الأوساط التلفزيونية هو فضاء الفنان والمخاطب؛ ومن هنا تنزل المكانة التي كان رجال الدين يتمتعون بها في التبليغ المباشر إلى التساوي في المرتبة مع ذوي الاختصاص، فلا يبقى في هذه الأجواء مجال للحديث عن التقليد من حيث البُعد الروحي والمعنوي^(١).

تعدّ طريقة تعاطي المخاطب وسلوكياته التي تنسحب على محتوى الخطاب، ومدى تأثيره على المخاطب، من المسائل المهمّة في التواصلات الدينية، التي لها أثر إيجابي في عملية التبليغ؛ وهذا ما يستدعي ارتقاء المخاطب إلى مقام القدوة.

ينطوي التبليغ العملي في التبليغ المباشر على خصوصيات لها تأثير كبير؛ من أهمّها:

(١) أنظر: خيرى، حسن، مقايسه فضاي تبليغي تلويزيون ومسجد (مقارنة بين مجال التبليغ التلفزيوني والمسجد): ص ٤١.

- ١- إيجاد الأسوة والتعليم غير المباشر.
- ٢- علامة على ثقة المبلِّغ العميقة في التعاليم الدينية.
- ٣- يكون بمراى عامة المخاطبين وإدراكهم وفهمهم.
- ٤- خلوه من التضاد بين العلم والعمل.
- ٥- من خلال التبليغ العملي يتم إقناع المخاطب بشكل أسرع.
- ٦- يُعدّ عامل جذب وتأثير كبير على المخاطب.

بالطبع، ينبغي - بالالتكاء على كون التبليغ العملي من مصاديق العلامات البصرية - أن يكون بطريقة يستوعبها المخاطبون؛ فضلاً عن مراعاته للإخلاص والتقوى. وفي الحالات التي يرى المبلِّغ أنّ سلوكياته قد يترتب عليها سوء فهم ومغايرة معنائية، فإنّه يتعيّن عليه توضيح ذلك مستنداً إلى القرائن التي يستوعبها ذهن المخاطب؛ لأنّ حدوث سوء تفاهم، أمر مطروح حال وجود إبهام سلوكي^(١). وهنا يتجلى أحد أهمّ العناصر تأثيراً في التبليغ المباشر، وهو تحصيل الشعور بالثقة نحو المبلِّغ، فإن وثق المخاطب في مجال التبليغ الديني بالمبلِّغ من خلال معاينة عمله وتقواه؛ نكون قد حققنا رأس مال اجتماعي ضخم، تكون له القدرة العالية على إخماد نار الفتنة في زماننا، وتلك الثقة نفسها ستكون حصناً يصون المخاطب عن الوقوع في تلك الفتنة.

خصوصيات المخاطب في التبليغ المباشر

يقتصر التبليغ المباشر على عدد محدود من المخاطبين؛ إذ تتم العملية التبليغية على نحوين: فردي أو جمعي. في التبليغ الفردي بإمكان المبلِّغ التعرّف على ميولات المخاطب وميزاته السلوكية؛ حتى يحوّل خطابه بما يتناسب مع احتياجات مخاطبيه؛

(١) أنظر: بيات، حجت الله، إسلام وتبليغ دين از رسانه هاي نوين (الإسلام وتبليغ الدين من وسائل الإعلام الحديثة): ص ١٢٣.

إذ يتعيّن أن يكون الخطاب في شبكة التواصلات التقليدية أكثر قرباً من لسان الناس وقدرتهم الاستيعابية (ثقافة المخاطب). كما يقابل المبلّغ في التبليغ الجمعي مجموعة محدودة من الناس؛ فإن كانوا أهل منطقة خاصّة أمكنه التعرّف من خلال العملية التبليغية على ميزاتهم المشتركة، واتخاذ الاجراءات اللازمة بشأن إصلاح الأوضاع المتأزّمة، وارتقاء المجالات الخاصّة التبليغية.

من النقاط المهمّة في التبليغ المباشر والمختصّة بالمخاطب، هي أنّ المخاطبين في التبليغ الجمعي على رغم تنوعهم إلا أنّ سبب اجتماعهم في محلّ خاصّ من قبيل المسجد، أو الحسينية، أو المجالس، وغيرها، هو أمر واحد. لذا - وتبعاً لهدفهم المشترك - تتم عملية التواصل بشكل سلس، ومع وجود التنوع في وسط المخاطبين يتم انتقال الخطاب بما يتناسب مع هدفهم وحاجتهم.

يشكّل عامّة الناس مصاديق المخاطب في وسائل الإعلام الدينية؛ لذا ينبغي أن نطلق عليها (وسائل الإعلام الشعبي). والمبلّغون في التبليغ التقليدي لا يميّزون بين مخاطبيهم من الطبقات الاجتماعية المختلفة، وبوجه بشوس يستقبلون كل من هو على دين الإسلام^(١)؛ إذ إنّ المخاطبين في الإعلام الديني التقليدي عادةً ما يكونون أشخاصاً متدينين، ويمارسون في الأغلب أنشطة دينية، بينما من الممكن أن يشمل المخاطبين في وسائل الإعلام الجمعي حتى من هم خارج حيطة المتدينين^(٢).

إنّ القرب من المخاطبين يبعث على إيجاد التفاعل والتواصل الإنساني بينهم؛ ويؤمّن أيضاً احتياجاتهم العاطفية، كما يؤدي إلى رفع مستوى التكافل الاجتماعي، ونسبة الشعور بالثقة بين المشاركين في البرامج الدينية؛ إذ بإمكاننا لمس آثار هذا الأمر

(١) أنظر: باهنر، ناصر، رسانه ها ودين از رسانه هاي سنتي إسلامي تا تلويزيون (وسائل الإعلام

والدين، من وسائل الإعلام التقليدية الإسلامية إلى التلفزيون): ص ١٤٠.

(٢) أنظر: جعفري، علي، شبكه معارف، مدل آييني ارتباطات (شبكة المعارف، نموذج الاتصال

الديني)، مجلة البحث والتقييم الفصلية، العدد ٣٥، السنة العاشرة: ص ٢٤٨.

أثناء التقاء المخاطبين. فالهدف الحقيقي لإقامة مثل تلك التجمعات والتواصلات ليس هدفاً مادياً، بل هو لوجه الله تعالى، وهذا ما يؤدي إلى تلبّسهم بكثير من الآثار المعنوية والروحية، واستحضارهم الوجود الإلهي في تعاملاتهم، وهو السبب نفسه لتحقيق التواصل بالاتكاء على حس الشعور بالثقة - لا سيما في المراكز التي ترك فيها الأشخاص عائلاتهم لأجل الخدمة العسكرية - الذي سيكون عاملاً مهماً جداً في توفير الاستقرار العاطفي، بالإضافة إلى ذلك يمكننا في المناقشات التربوية بالاتكاء على معرفتنا بالمخاطب، أن نقوم بإصلاح سلوكياته تدريجياً، وأن نوفر له أرضية مناسبة ليقوم بالسلوكيات الدينية.

خصوصيات الخطاب في التبليغ المباشر

يتم في وسائل الإعلام إنتاج الخطاب وتوجيهه لجذب مزيد من الجماهير؛ لأنّ أحد أصول إنتاج البرامج الإعلامية هو جذب الجمهور، ولهذا السبب يتم تصميم الخطاب متماشياً مع رغبات المشاهد، حتى يدفعه إلى مشاهدة تلك البرامج الإعلامية. لكن في التواصلات الدينية التقليدية، يتم إيصال ما يفيد المخاطب من خطابات، ويلبي احتياجاته الأساسية، وحتى لو استفيد من عنصر الجاذبية في الخطاب، فإنّ الهدف النهائي سيقى هو تلبية احتياجات المخاطب الرئيسة.

والأمر نفسه فيما يتعلّق بالتواصلات المباشرة؛ إذ إنّ الاتكاء على إمكانية توفّر فرص التعرّف على المخاطب ومعنوياته وتوجهاته؛ يستدعي أن يصاغ الخطاب بشكل ملائم لخصائص المخاطب، وأن يكون ملبياً لاحتياجاته، كأن يصاغ وفقاً للغة المخاطب وثقافته، وقيمه ومعتقداته، بينما لا يتسنى ذلك في وسائل التبليغ الإعلامية؛ نظراً لاختلاف جمهور المخاطبين. بالطبع، من الممكن تلافي هذا الأمر - إلى حدّ ما - في قنوات التبليغ الإعلامية الخاصّة بالمحافظات، ومع ذلك فإنّه يبقى الخيار الأفضل في هذه الحالات هو التبليغ التقليدي؛ لاختلاف لغة وتقاليد سكان مدينة عن مدينة أخرى مع انتمائهما للمحافظة نفسها.

يتم إيصال الخطاب الديني - في اتصال واقعي وفضاء واقعي مرفقاً ببيان المبلِّغ ووصفه - إلى المخاطب مفعماً بالمشاعر والعواطف، لا سيّما تلك الخطابات التي تحمل بُعداً معنوياً وقدسياً، بيد أن أحد أوجه القصور في التبليغ عبر وسائل الإعلام المتعلقة بهذا المجال، هو عجزه عن إيصال مثل هذا النحو من الخطابات إلى المخاطب؛ لأنّ عملية إيصال الخطابات إلى المخاطب في الإعلام، تتم عبر وسائط تكنولوجية ومن خلال الإنتاج الصناعي والمحاكاة الافتراضية.

علاوةً على ذلك؛ إنّ واحدة من أهم النقاط التي يجدر بنا ملاحظتها في التواصلات الدينية، هي أنّ خطاباتها إمّا متعلّقة بعمل المخاطب أو مستوياته المعرفية، التي تنتهي في الأخير إلى مقام العمل، ففي هذه الطريقة التبليغية لا يحدث تراكم للمعلومات، فننجر إلى حالة من التخدير والفطور كما هو معهود في وسائل الإعلام الأخرى؛ إذ أضحي دور عملية التخدير في وسائل الإعلام في مجال ميول الإنسان بديلاً من اختيار الإنسان وعمله، وهنا يتم عبر انفجار المعلومات وتراكمها بواسطة وسائل الإعلام الشعبية، استبدال العمل الاجتماعي بالوعي والمعرفة.

يُصبح الفرد من خلال وسائل التواصل الجمعية مواطناً ذا اهتمام ووعي أكثر؛ ممّا يورثه بعد رفع مستوى وعيه ومعلوماته حالة من السعادة، قد تدفعه للمشاركة في كثير من النقاشات - حول القضايا التي له دراية بها - مع الأصدقاء والمعارف والأقارب؛ إلاّ أنّه يخفق في اتخاذ القرارات والعمل بها، ثمّ إنّ مظاهر ذلك الوعي قد تخلق شعوراً زائفاً بالأمان والراحة لدى المخاطب، يستتبعه حالة من اللامبالاة والاستخفاف في مقام العمل، بل إنّ هذا الأمر له تأثير سلبي على مشاركة الناس في الأمور السياسية^(١).

(١) أنظر: بليك، ريد وأدوين هارولدسن، طبقه بندي مفاهيم در ارتباطات (تصنيف المفاهيم في الاتصالات): ص ١٠٧.

يكون التبليغ المباشر - مع توفر الشروط التعليمية - أكثر فاعلية في شحذ الأبعاد العقلانية، وتمتين المعتقدات، إلى جانب تحفيز المشاعر، في حين أنّ للتلفزيون باعتباره وسيلة إعلامية ترفيهية قابلية أكثر لإثارة الأحاسيس^(١). كما أنّ الخطابات في التبليغ الديني تكون مشفوعة بالاستدلال والشحذ الذهني، وعند الضرورة تستخدم المشاعر والعواطف، أمّا البرامج الإعلامية، فلا تعتمد على الاستدلالات العقلية إلا نادراً؛ لأنّ هدف المخاطب الذي يتجه إلى الإعلام هو التسلية، ولهذا تضيق المساحة التي تنشط فيها وسائل الإعلام.

هناك أصل حاكم على أساليب التبليغ الإسلامي كافة، وهو التدرج في إعطاء المعلومة التي لا تتعلّق بالظروف المكانية والزمانية لعصر الرسالة، بل تتعلّق بما تقتضيه طبيعة ونظام الحياة والعقيدة والعمل، والحال نفسه بالنسبة للنظام الذي يتطلّع للبقاء، فالإحاطة بكلّيات مذهب ما - مثلاً - تستدعي أن يتمتع المخاطبون بالاستعداد النفسي الكافي؛ لأنّه يتعيّن على كل مذهب يطمح إلى إخراج الناس من الظروف السابقة إلى الظروف الجديدة، أن يمهد طريق التغيير أمامهم تدريجياً. ومن المثير للاهتمام أنّ الإسلام لم يصدر حكماً مفاجئاً للناس، بل كان ذلك مرحلياً بعد توفر الظروف النفسية لقبول تلك الأحكام.

إذاً، لا يجب أن نسعى في العمل التبليغي إلى عرض الأحكام الدينية دفعة واحدة؛ بل علينا التقدّم تدريجياً في ذلك بالتساوق مع قدرتهم الإيمانية والعقدية^(٢)، ويمكن تحقيق هذا الأسلوب المرحلي من خلال معرفتنا بالمخاطب والتبليغ الصحيح والتعليم المرحلي الصحيح للمعارف.

إجمالاً يمكننا القول: إنّ من خصوصيات التبليغ المباشر مراعاة التناسب بين

(١) أنظر: خيرى، حسن، مقايسه فضاي تبليغي تلويزيون ومسجد (مقارنة بين مجال التبليغ التلفزيوني والمسجد): ص ٤٤.

(٢) أنظر: فضل الله، محمد حسين، گام هايي در راه تبليغ (خطوات على طريق التبليغ): ص ٥٩.

المخاطب والخطاب الديني، الذي يتناسب مع قابليات الناس، تلك المراعاة التي تسوّغ للمبّلع عرض خطابه المرحلي المساوق لنضج مخاطبيه.

خصوصيات التبليغ المباشر باعتبار أثره

من جملة خصوصيات التبليغ المباشر، التواجد الحضورى للمبّلعين الدينيين بين سكان المدن أو القرى^(١)، وهذا ما يجعل التواصل يتم بصورة طبيعية وتترتب عليه آثار رائعة، وأهم ميزة لهذا النوع من التواصل، هو أنّه يتم بشكل مباشر، وشخصي، وودي، بخلاف التواصلات الجماعية التي تتم بصورة غير مباشرة وغير شخصية، وتفتقد للحميمية والتودد بين فاعل الخطاب والمخاطب^(٢).

يبحث حضور المبلّغ وعيشه جنباً إلى جنب مع المخاطب، ووجود حالة من التعاطف بينهما على تزايد الثقة وترتب الأثر، فمما يجعل التأثير عميقاً بينهما هو معاينة المبلّغ للمخاطب بشكل مباشر، ومجالسته ووقوفه على سلوكياته وعمله، ممّا ينسحب على تلك العوامل كافة التي تساهم في توفير أرضية الاهتمام التام لدى المخاطب بالخطاب، الذي يترتب عليه التأثير الدائم للتبليغ على المخاطب. أمّا وسائل الإعلام فعلى الرغم من كونها قد تخلق موجة من التأثير إلا أنّ أثرها يكون مثل إيجادها سريع الزوال؛ لأنّه في كثير من الموارد يكون الأثر المترتب رهنأ لحس البصر الذي لا أثر دائم له، بخلافه في التبليغ التقليدي الذي يؤثر تأثيراً شاملاً على المخاطب.

إنّ تحفيز المشاعر المعنوية للمخاطبين وتشجيعهم على أساس المعتقدات الدينية، هو المحور الرئيس لوظيفة التبليغ التقليدي؛ كون التأثير الوجداني على المخاطبين وتشجيعهم وتهيبج مشاعرهم وإثارتهم النفسية منوطة بتوفر ظروف نفسانية خاصّة،

(١) أنظر: فیرحی، داوود، دین، رسانه وفرهنگ (الدين، وسائل إعلام وثقافة): ص ٧٦.

(٢) أنظر: باهنر، ناصر، رسانه ها ودين از رسانه هاي سنتي إسلامي تا تلویزیون (وسائل الإعلام والدين، من وسائل الإعلام التقليدية الإسلامية إلى التلفزيون): ص ٢١٠.

يبدو إمكان تحقيقها أكثر فأكثر من خلال التواصل التقليدي المباشر والشخصي والحميمي^(١).

يتحقق التبليغ المباشر في مساحة تضم عدداً قليلاً نسبياً من المخاطبين، الذين يمكن التحكم فيهم والتعرّف عليهم؛ إذ يكون من المستطاع إيجاد علاقات ثنائية الاتجاه مع إمكان تبادل ردود الأفعال المتعلقة بها، ومن هذا الحيث يمكننا القول بوجود إمكانية للوعظ والتربية تبعاً للحالات (الفردية، والجماعية)، كما يتم في هذا الظرف تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسهولة.

من الضروري أن يحدث نتيجة هذا التواصل والتعامل نوع من بناء الذات الإنسانية والتدين لدى الناس، إلا أن ذلك غير متوقع في بعض وسائل التواصل والإعلام الحديثة؛ لأن هذه الأخيرة يمكنها على أكثر تقدير أن توفر أرضية مناسبة لتلك التغييرات لا أكثر^(٢).

إنّ فضاء التبليغ الإعلامي فضاء ذهني وافتراضي؛ إذ يتم فيها تجربة العلاقات المباشرة والعاطفية بشكل افتراضي، وعليه، فالمخاطب يتّجه إلى المجالس يلطم ويدرك لذة مجالسة زملائه، وفي النهاية يشعر عند مشاهدته للمراسم في التلفزيون بنوع من الخفة، حتى أنه يكون قد فعل ثواباً، وهذا الإرضاء يكون بديلاً عن التواجد الحضورى والواقعي في المحافل المذهبية، وأرضية للانطواء على الذات، والحدّ من الانفعالات والمشاركة الاجتماعية، مما يستتبع أضراراً تنعكس على شخصية الإنسان^(٣).
في أسلوب الارتباط المباشر بإمكان المبلّغ جلب انتباه مخاطبه بشكل كامل،

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٨٧.

(٢) أنظر: جانباز، مجتبي، رسانه سنتي، رسانه مدرن (وسائل الإعلام التقليدية؛ وسائل الإعلام الحديثة): ص ٥٩.

(٣) أنظر: خيرى، حسن، مقايسه فضاى تبليغى تلويزيون ومسجد (مقارنة بين مجال التبليغ التلفزيونى والمسجد): ص ٤٤.

ويمكنه إجمالاً تقييم السياقات التي ينبغي من خلالها إعداد خطابه وإيصاله، فعندما تبشر برنامجاً ما، يكون محور اهتمامك وهدفك التشغيلي منصباً على المجموعات الصغيرة؛ أي: إحداث تغيير في مواقفهم وسلوكياتهم، وهذا ما يجعل التواصل المباشر بعيداً عن الإطار الرسمي من أنجع الأساليب، وأكثرها فائدة في تبادل الخطابات والمعلومات، فاللقاء في المسجد ومكان السكنى، والمعمل، أو أيّ مكان آخر من أكثر أساليب التبليغ المباشر فعالية؛ إذ يتسنى للمخاطب في اللقاء المباشر في أيّ وقت كان - ولأجل تحسين مستوى مباحثه التبليغية - تقييم ردود فعل مخاطبه وتفاعلاته؛ وهذا ما يجعل الأثر المترتب على الفعاليات التبليغية أضعافاً مضاعفة^(١).

خصوصيات ردود الأفعال في التبليغ المباشر

إنّ ردود الفعل في هذا الأسلوب من التبليغ ردود آنية وفورية؛ إذ يمكن للمبلِّغ أن يراقب المخاطب ويقايس ردود أفعاله، من خلال ما يوصله له من خطابات، وحينما يرى أنّ التواصل بينهما كان غير فعّال؛ فإنّه يتعيّن عليه تغيير أساليبه وطرائقه. فإذا كان كلام المبلِّغ لا ينسجم مع البيئة الثقافية للمخاطب؛ فعليه تصحيح ذلك، ووضع خطابه في سياقات تتماشى أكثر مع خصوصيات المخاطب؛ وعليه أيضاً الاستفادة من الأساليب الأكثر تأثيراً على المخاطب؛ ومقايسة ردود الأفعال المنتخبة أثناء التواصل مع مدى التفات المخاطب. أما في وسائل الإعلام فلا توجد إمكانية لردود أفعال سريعة، وهذا ما يجعل الآثار المترتبة على الخطابات المرسلة في بعض الأحيان آثاراً مخربة أو باعثة على عزلة المخاطب؛ من الممكن أن تترتب عليها - بسبب عدم تناسق الخطاب مع احتياجاته أو معنوياته - اختلالات واضطرابات في البيئة الاجتماعية؛ يكون الباعث على إيجادها هو الخطاب الإعلامي نفسه.

في هذا الأسلوب التواصل المباشر؛ يختار المخاطب أوقات خاصة لإيصال

(١) أنظر: زورق، محمد حسن، مباني تبليغ (مباني التبليغ): ص ٢٤٦.

خطابه - مثلاً - حينما يرى التغيّر في قسّات وجه مخاطبيه وشعورهم بالتعب يخاطبهم طالباً منهم إرسال الصلوات؛ فيجذب بذلك انتباههم ويشخص مدى تفاعلهم^(١).

خصوصيات وسائل التواصل في التبليغ المباشر

لا يتم في التبليغ المباشر استخدام وسائل إنتاج الخطاب الإعلامي وإن حدث ذلك، فيكون بشكل محدود. وتكون الأصالة للتواصل المباشر؛ لهذا لا يصل الخطاب بصورة افتراضية للمخاطب؛ بل عن طريق المخاطب وبشكل واقعي، علاوة على أنّ معظم أدوات التواصل في هذا التبليغ تكون بيد المبلّغ نفسه؛ لا مثل أدوات التواصل الحديثة التي تقتضي تخصصاً في مهارات استخدام تلك الوسائل الاحترافية.

طبقاً لطبيعة التبليغ الديني - الذي تلعب فيه وظيفة المخاطب دوراً استثنائياً، والذي يكون فيه حامل الرسالة الرسول الأكرم ﷺ، أول العاملين بها من عباد الله - يمكننا القول: إنّ وساطة أدوات التواصل والخصوصية الافتراضية للخطاب، من شأنها استئصال روحانية الخطاب، وآثاره الإيمانية من المحتوى التبليغي، وعليه تكون ماهية التبليغ الديني وشرطه الأساس هو التبليغ المباشر دون تخلل أيّ واسطة، فوسائل الإعلام الجديدة وإن تمكّنت من رفع مستوى الوعي، إلا أنّ ارتقاء الإيمان والتعمّق في المعتقدات الدينية والتمازج الثقافي يكون قابلاً للتحقق فقط تحت ظلّ التبليغ المباشر لا التبليغ الإعلامي، لهذا يتم في التبليغ التقليدي استخدام أدوات التواصل العادية والاقتراب أكثر من الحالة الطبيعية والبشرية.

يؤدّي التواصل المباشر إلى ارتفاع نسبة الانسجام واستجماع الحواس لدى المتلقّين.

(١) أنظر: جانباز، مجتبي، تعامل مطلوب بين رسانه سستي ورسانه مدرن (التفاعل الإيجابي بين وسائل الإعلام التقليدية ووسائل الإعلام الحديثة): ص ٧٠.

الكيفيات السبع الآتية لها أهمية لدى المشاركين في عملية التواصل:

١- كلامي - سمعي.

٢- غير كلامي - سمعي.

٣- كلامي - بصري.

٤- تصويري - بصري.

٥- شمّي.

٦- لمسي.

٧- ذوقي.

إذ كلّما وصلت هذه الكيفيات إلى المتلقي بشكل اندماجي وكامل، كان إدراكه لظاهرة التواصل ومعلوماته أكثر كمالاً، بيدَ أنّ هناك قيوداً في هذا المجال قد فرضتها تكنولوجيا وسائل الإعلام.

إنّ الاستفادة من الكيفيات المختلفة في التواصل المباشرة من شأنها أن تضيئي عليها ثراءً معلوماتياً ومزيداً من التواصل، وفي بعض الأحيان يترشح عنها مجتمع لا مثيل له، يكون فيه المُلقّي والمتلقي مشبعين معلوماتياً وتواصلياً^(١).

الخصوصيات الزمانية والمكانية للتبليغ المباشر

وفقاً لما يعتقد علماء الاجتماع وعلماء النفس، فإنّ أيّ مكانٍ يكون متميزاً عن غيره بلحاظ نوعه، وطبيعته، ومكوناته، والأنشطة التي تقام فيه. وعلى هذا الأساس، يترأى التمايز بين التطلّعات المرجوة من ذلك المكان بالمقايسة مع غيره من الأمكنة أيضاً.

ووفقاً لعلماء الاجتماع فإنّ الأمكنة من شأنها التأثير على الشعور بالذات لدى

(١) أنظر: باهنر، ناصر، رسانه ها ودين از رسانه هاي سنتي إسلامي تا تلويزيون (وسائل الإعلام والدين، من وسائل الإعلام التقليدية الإسلامية إلى التلفزيون): ص ٢١٠ - ٢١١.

الإنسان؛ إذ تعدّ الدلالات المكانية أحد العوامل التي تضيفي نوعاً من المعنائية على التجارب البشرية، وهذا للحاظ يمكننا القول: إنّ المسجد يتوفر على هذه الخصوصية؛ إذ تتجلى فيه كثير من ردود الأفعال والسلوكيات المرغوبة^(١)، ففي التبليغ المعتمد في الحوزة؛ هناك قداسة للأشياء كافة، من المنبر والمحراب إلى الواعظ والخطيب ومحتوى الخطاب؛ لهذا يكون له آداب وشكليات خاصّة؛ فالجلوس عند المنبر والحضور في المسجد عبادة.

إنّ المسجد قد يكون شافعاً أو شاكياً؛ إذ يكون ثواب العبادة الجماعية والأجر المحصّل من تجمع عشرة أشخاص لصلاة الجماعة عظيم، لدرجة أنّه لا يمكن أن يُحصى ذلك غير الله تعالى، فضلاً عن الدفع الذي يعطيه لروحية الأشخاص الاجتماعية، وبذلك تتحقق أرضية عقد تلك المحافل الدينية في التبليغ التقليدي، فتدر على المتدينين رأس مال اجتماعي عظيم، يتمثّل فيما توفره عملية التبليغ من ارتقاء لمستوى القدرات الذهنية والوعي العقلي؛ فضلاً عن الطاقة الشعورية والعاطفية التي يمكن أن توظف أيضاً في إنتاج حالة من الالتزام الديني؛ إذ يعدّ الالتزام والغيرة الدينية الرصيد المكتسب من هذا الفضاء الديني، ذلك الفضاء الذي تحكّمه رقابة عامّة الناس وتتولد عنه قوة التكافل الاجتماعي^(٢).

إنّ الارتباط بين التبليغ الديني والظرف المكاني (المسجد)، يعمل في سياق فضاء هذا الأخير الهندسي ومكانته الثقافية القدسية كمكمل للخطاب الشفاهي، كما أنّ لشكل المسجد الهندسي، وخصوصياته المعرفية والاعتقادية والفنية دور حاسم في إيصال الخطاب ونوعيته؛ إذ لا يمكن إنكار دور المكان بلحاظ أجواء المسجد

(١) أنظر: سجادي، سيّد مهدي، مسجد وتعليم وتربيت در: كاركرد مساجد (المسجد والتعليم والتربية؛ في وظائف المساجد): ص ٢٠٦.

(٢) أنظر: خيري، حسن، مقايسه فضاي تبليغي تلويزيون ومسجد (مقارنة بين مجال التبليغ التلفزيوني والمسجد): ص ٤١.

المقدّسة في نقاء المتكلم والمستمع، ودوره في قابلية تلقي الخطاب، فالشخص الذي يراود المسجد يكون على استعداد مسبق وبشكل طوعي لسماع الخطاب الديني، وهذا ما يجعل هندسة بناء المسجد وإرادة الاستماع للخطاب الديني، وعزم المخاطب في التغلّب على اضطراباته يعزز من أهمية التبليغ الديني.

وبشكل عام ينشأ عن الحضور في المسجد ومجالسة المتكلم للمستمع نوع من الانسجام والوئام المناسب؛ لأجل انتقال وتلقي الخطاب الديني الذي لا يمكن تحقيقه في التبليغ عبر وسائل الإعلام الحديثة^(١).

إنّ وجود عشرات آلاف المساجد وتواصل رجال الدين، يخلق شبكة وسيدة من الاتصالات المؤثرة؛ ويجوّل المراسم الدينية إلى قنوات مهمّة للتواصل السياسي والاجتماعي؛ لهذا لعبت المساجد في تاريخ إيران المعاصر - مثلاً - دوراً مهماً في كشف المعارضة الدينية الواسعة وتقوية التيارات الثورية^(٢).

إنّ فضاء التبليغ الديني هو فضاء لأجل الله، ولمرضاته، ولمغفرته. فالشخص يسير إلى المسجد لأداء التكليف والتخلّص من همومه. أمّا الفضاء التلفزيوني فهو إجمالاً فضاء لأجلي، ولسعادي؛ لهذا تكون النظرية الحاكمة في هذا الفضاء هي نظرية (أصالة المشاهدة)، وتحقيق الرضا في هذا الفضاء هو المهم. كما أنّ وسائل الإعلام تُختار لتحصيل مزيد من المتعة؛ لهذا لا يمكن عبرها جعل المخاطب يعيش تلك الحالة المعنوية الناشئة عن الحضور في بيت الله، وإنّما يكتفى بعرض صور تلك الأماكن. بالطبع، لا نقصد بذلك أنّه لا يتعيّن على وسائل الإعلام ولوج مثل هذه المجالات، بل المقصود عدم الاقتصار على وسائل الإعلام في التبليغ الديني.

(١) أنظر: فيرحي، داوود، دين، رسانه وفرهنگ (الدين؛ وسائل إعلام وثقافة): ص ٦٧ - ٧٣.

(٢) أنظر: باهنر، ناصر، رسانه ها ودين از رسانه هاي سنتي إسلامي تا تلويزيون (وسائل الإعلام والدين، من وسائل الإعلام التقليدية الإسلامية إلى التلفزيون): ص ٥٩.

النتيجة

يبدو بعد التحقيق حول خصوصيات التبليغ المباشر في هذه المقالة، أنه من الضروري اعتماد هذا الأسلوب التبليغي، باعتبار تأثيره العميق على المخاطب، وكذا كونه أكثر مسانحة للتبليغات الدينية، فضلاً عن كونه محور اهتمام مبلّغي الدين، الذين يسعون يوماً بعد يوم إلى ترسيخ آثاره وزيادة رصيده وظائفه. وتحقق هذا الأمر سيكون منوطاً بالوقوف على المتطلبات اللازمة للتبليغ الديني، من خلال النظر في خصوصياته، وضرورياته، وظروفه الفعّالة؛ فضلاً عن الوقوف على نقاط ضعفه.

المصادر والمراجع

- 1- ارتباطات سنتي در إيران (المدخل إلى الاتصالات التقليدية في إيران)، محمد مهدي فرقاني، نهایه پژوهش (فهرس التحقيقات)، العدد ١٦، ١٣٨٢ هـ.
- 2- از دين تلوزيوني تا آرمان تلوزيون ديني (من الدين التلفزيوني إلى المثل العليا للتلفزيون الديني)، ناصر باهنر، مجلة سروش، اسفند، ١٣٨١ هـ.
- 3- إسلام و تبليغ دين از رسانه هاي نوين (الإسلام و تبليغ الدين من وسائل الإعلام الحديثة)، حجت الله بيات، رسالة السطح الرابع في الحوزة العلمي، قم، ١٣٨٦ هـ.
- 4- التبليغ في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد حميد الحسيني، ط ١، ١٣٧٩، المطبعة: ستاره، الناشر: دار الحديث، قم - إيران.
- 5- تعامل مطلوب بين رسانه سنتي ورسانه مدرن (التفاعل الإيجابي بين وسائل الإعلام التقليدية ووسائل الإعلام الحديثة)، مجتبي جانباز، رسالة ماجستير، قسم الاتصالات، كلية الإذاعة والتلفزيون، قم، ١٣٨٥ هـ.
- 6- درآمدي بر ارتباطات سنتي در إيران (المدخل إلى الاتصالات التقليدية في إيران)، محمد مهدي فرقاني، مركز مطالعات و تحقيقات رسانه (مركز الدراسات والبحوث الإعلامية)، تهران.

۷- رسانه سنتي، رسانه مدرن (وسائل الإعلام التقليدية؛ وسائل الإعلام الحديثة)، مجتبي جانباز، رواق هنر وانديشه، العدد ۲۲، ارديهشت، ۱۳۸۷هـ.

۸- رسانه ها ودين از رسانه هاي سنتي إسلامي تا تلويزيون (وسائل الإعلام والدين، من وسائل الإعلام التقليدية الإسلامية إلى التلفزيون)، ناصر باهنر، مركز تحقيقات صداوسيا، تهران، ۱۳۷۸هـ.

۹- رسانه وفرهنگ (الدين؛ وسائل إعلام وثقافة)، داوود، دين فيرحي، فصلنامه دين ورسانه (مجلة الدين والإعلام)، العدد ۹۷، س ۹، ۱۳۹۰هـ.

۱۰- روش هاي سنتي ارتباطات ورسانه هاي گروهی مدرن (أساليب الاتصالات التقليدية ووسائل الإعلام الجماعية الحديثة)، شير محمد روان، ترجمة ماريا ناصر، مجلة الإعلام، العدد ۴، س ۱۰، زمستان، ۱۳۷۸هـ.

۱۱- شبکه معارف، مدل آييني ارتباطات (شبكة المعارف، نموذج الاتصال الديني)، علي جعفري، مجلة البحث والتقييم الفصلية، العدد ۳۵، س ۱۰، پاييز، ۱۳۸۲هـ.

۱۲- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ۳۹۳هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط ۴، ۱۴۰۷هـ/ ۱۹۸۷م، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

۱۳- طبقه بندي مفاهيم در ارتباطات (تصنيف المفاهيم في الاتصالات)، ريد وادوين هارولدسن بليک، ترجمة مسعود أوحدي، سروش، تهران، ۱۳۷۸هـ.

۱۴- فرهنگ دانشگاہي انگليسي فارسي (المعجم الجامعي، إنجليزي - فارسي)، عباس آريان پور، أميرکبير، تهران، ۱۳۷۳هـ.

۱۵- کاربرد جامعه شناسي در تبليغ (تطبيقات علم الاجتماع في التبليغ)، شمس الله مريجي، تپش، قم، ۱۳۷۸هـ.

۱۶- گام هايي در راه تبليغ (خطوات على طريق التبليغ)، محمد حسين فضل الله، ترجمة أحمد بهشتي، سازمان تبليغات إسلامي (المركز الإسلامي للتبليغ)، تهران، ۱۳۶۷هـ.

١٧- لسان العرب، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

١٨- مباني تبليغ (مباني التبليغ)، محمد حسن زورق، سروش، تهران، ١٣٨٦هـ.

المجلات

١٩- مسجد وتعليم وتربيت در: كار كرد مساجد (المسجد والتعليم والتربية، في وظائف

المسجد)، سيّد مهدي سجادي، رسانش، تهران، ١٣٨٤هـ.

٢٠- مقايسه فضاي تبليغي تلويزيون ومسجد (مقارنة بين مجال التبليغ التلفزيوني

والمسجد)، حسن خيري، ماهنامه معرفت (مجلة المعرفة الشهرية)، العدد ١٣١،

س ١٧، ١٣٧٨هـ.



الأسس العلمية لإنشاء معاهد إعداد الخطباء الحسينيين

د. الشيخ محمد الكروي القيسي *

المقدمة

وتشتمل على أمرين:

الأول: التمهيد

لا شك في أن العلم قوام كل شيء ولبّيه، فهو «رأس الفضائل»^(١) وغايتها^(٢)، بل هو «حياة الإسلام، وعماد الدين»^(٣)، كما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ قوله: «بالعلم يُطاع الله ويُعبد، وبالعلم يُعرف الله ويُوحّد»^(٤).

ومما لا شك فيه أيضاً أن المجتمعات البشرية - مع تطوّر العلوم وتشعبها - أخذت تتّجه نحو مراعاة التخصص في العلوم، وبدقّة كبيرة؛ لأنّ طبيعة العلم تقتضي ذلك، إذ القواعد العلمية التي تحكم كل علم لا يمكن أن يتقنها ويحسن استخدامها إلاّ من أشبعها بحثاً، ووسّعها علماً، وأحاط بها خبرةً، ولأجل ذلك أصبح التخصص ومراعاته من ضروريات العلم التي لا يمكن إغفالها.

* دكتوراه في الفقه الإسلامي، من العراق.

(١) الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٦٤.

(٢) فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «غاية الفضائل العلم». الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٠٦.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٠٦٥.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٧١٣.

وليست الخطابة الحسينية بمنأى عن هذا القانون العام؛ إذ هي اختصاص قائم على العلم كبقية الاختصاصات، بل هي اختصاص علمي مركب من عدة اختصاصات، لذا فترك معاهدها ومدارسها - التي أخذت على عاتقها إعداد الخطباء الحسينيين - تعمل بشكل عفوي غير مؤسس على قواعد وأسس متينة، أمرٌ على خلاف ما ينبغي، بل أقل ما يقال فيه: إنه لا يواكب تطوّر الزمان والإنسان؛ ممّا يجعل الخطابة - التي ينبغي أن تكون في رأس ركب الإسلام - في مؤخرة ذلك الركب وفي ذيله - لا سمح الله - وهذا يعني وأدها بإهالة تراب الجهل عليها، وخسارة أهمّ أداة من أدوات النهضة الحسينية المباركة، وسلبها تأثيرها المهمّ في إيصال صوت الإسلام لكلّ سامعٍ حيّ.

لذا؛ فهذا المقال محاولة لوضع كلّ ما يمكن أن يكون أساساً علمياً لعملية بناء المعاهد التي تُعنى بإعداد الخطيب الحسيني.

الثاني: في أهمية الخطابة، ومكانة ودور الخطيب

لن نحاول - فيما يلي من النقاط - أن نسطح البحث، ونمدّه في اتجاهات سبق بحثها، بل سنأخذ كثيراً من المسائل كأصول موضوعة، دُرست ونُقّحت في محلّها، مثل: تعريف الخطابة والخطيب، وهل أنّ الخطابة علم أو ليست بعلم؟ وما هو موضوعها؟ وغير ذلك من المباحث.

لكن ما يهّمنا هنا هو: إبراز أهمية الخطابة الدينية، ودور الخطيب بصورة عامّة. ثمّ نبحث بصورة خاصّة أهمية ومكانة الخطابة والخطيب الحسيني؛ باعتبارها ظاهرة قديمة جديدة، حيّة، تتفاعل كلّ يوم مع المجتمع، وتؤثّر وتتأثّر به.

فلا غرو إن قيل: إنّ «الوعظ الديني هو الأمر بالمعروف في الدين، والنهي عن المنكر فيه، وقد اجتمعت عليه الشرائع، واتفقت على وجوبه الأديان»^(١)، وقيل: «قد نطق

(١) أبو زهرة، محمد، الخطابة: ص ١٥٢.

الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي هو تنزيل العزيز الحكيم بمثله، فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ أي: الديانة الحقيقية، (بالحكمة) أي: بالبرهان^(١)، وذلك لمن يحتمله، ﴿وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ﴾ أي: بالخطابة، وذلك لمن يقصر عنه [أي: عن البرهان]، ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالمشهورات المحمودة، فأخّر الجدل عن الصناعتين؛ لأن تينك مصر وفتان إلى الفائدة، والمجادلة مصر وفة إلى المقاومة^(٢).

وبما أن «صناعة الخطابة عظيمة النفع جداً؛ وذلك لأن الأحكام الصادقة فيها هو عدل وحسن أفضل نفعاً، وأعم على الناس جدوى من أضرارها، وذلك لأن نوع الإنسان مستبقي بالتشارك، والتشارك موحج إلى التعامل والتجاور، والتعامل والتجاور موحجان إلى أحكام صادقة في الأمور العملية، بها يتنظم شمل المصلحة، وبأضرارها يتشتت، وهذه الأحكام تحتاج أن تكون مقررة في النفوس، ممكّنة من العقائد، وقد بينّا أن البرهان قليل الجدوى في حمل الجمهور على العقد الحق، وبينّا أن الخطابة هي المتكفّلة به، فأحدى فضائل هذه الصناعة غناؤها في تقرير هذه الأغراض في الأنفس»^(٣).

والكلام المتقدم فيما لو أفادت الخطابة مجرد الظن وحسب، فكيف والخطابة - مورد البحث - تفيد القطع والجزم في كثير من الأحيان؛ لورود الأدلة البرهانية فيها؟! ثم لا يخفى أن الخطابة هي إرث نبوي وإمامي، فما من نبي ولا إمام إلا وهو أفضل خطباء زمانه وأبلغهم وأفصحهم، سواء بالفعل أو بالقوة.

فالخطيب الحسيني ينبغي أن يكون صورة من صور ذلك الإرث، وهو أبرز مصاديق الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، ومن الذين ﴿يَلْمِزُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ﴾^(٤).

(١) البرهان، أو صناعة البرهان: أحد الصناعات الخمس التي تدرس في علم المنطق، وعرف بأنه: «قياس مؤلف من يقينيات، ينتج يقيناً بالذات اضطراباً»، المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٣٦٠.

(٢) المحقق الداماد، محمد باقر، اثنا عشر رسالة: ج ٤، ص ٦.

(٣) ابن سينا، أبو علي، المنطق: ج ٢، ص ١٨٥.

(٤) الأحزاب: آية ٣٩.

فعن طريق الخطابة بيّن أولياء الله تعالى الوجه المشرق لدين الله، وأوضحوا معاملة، وحدّدوا حدوده، وذكّروا بالله تعالى.

إطلالة سريعة على تاريخ معاهد الخطابة

من المعلوم أنّ العمل المؤسّسي بالنسبة للخطابة الحسينية بدأ متأخراً جداً، ولعلّه لم يسبق القرن المنصرم، فكان المنبر قبل تلك الحقبة - بغض النظر عن العلل والأسباب - يعتمد الجهود الفردية، والقابليات الشخصية المحضّة، وفي أواسط القرن الماضي ظهرت محاولات جادّة لتأطير تلك الجهود الفردية بإطار مؤسّساتي، وبرز من تلك المحاولات:

أ. محاولة الشيخ محمد رضا المظفر رحمته الله

وذلك من خلال جمعية (متندى النشر) الدينية و«من قبل جملة من أعضائها الكفوئين، والذين أدركوا حاجة المنبر الحسيني إلى النهوض على مستوى يتناسب والتراث الفكري للشريعة، كما يرتفع بالمنبر عن الهبوط، وفي طليعة هؤلاء والمحرك الأول: الشيخ محمد بن شيخ الشريعة... واشترك في هذه المحاولة مع الشيخ المظفر، وشيخ الشريعة، كلّ من: الحجّة الراحل الشيخ عبد المهدي مطر، والشيخ محمد الحسين المظفر، والخطيب الجليل - خطيب الثورة العراقية - الشيخ محمد علي القسام، وجملة من الخطباء، منهم: الشيخ جواد القسام، والسيد جواد شبر، والشيخ مسلم الجابري، والسيد عبد الحسين الحجار، وكنت [والكلام للشيخ أحمد الوائلي] من ضمنهم وأنا صبي»^(١).

ويرجع الشيخ الوائلي رحمته الله أسباب وأد تلك المحاولة في مهدها إلى:

١ - عدم نضوج تصوّر المشروع في نظر الكثير، لكي يحظى بالقبول، إذ لا يُكتفى بالتأييد فقط.

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٤٤.

٢ - كان ينبغي تهيئة الأجواء - خصوصاً في أوساط الخطباء - والتبليغ والإعلام عن المشروع بالطريقة التي لا تثير حساسية الآخرين.

٣ - علاقة بعض القائمين على المشروع المتشعبة مع بعض الأوساط الدينية ذات الثقل الاجتماعي.

٤ - لم يكن ينبغي أن يطرح المشروع على أنه مؤسسة كبيرة، فكان العنوان أكبر من المعنون بمراتب كثيرة.

٥ - وجود مقولات نشرها بعض المتحمسين للفكرة، تحت عناوين مدوية مفادها: (تصحيح مسار المنبر)، أو (إبعاد الجهلة عنه)، أو غير ذلك؛ مما أثار الطرف المناوئ^(١).

ولأجل ما تقدّم من أسباب، لم يكتب لتلك المحاولة النجاح، فولدت ميّنة.

ب- محاولة السيد الشهيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر^{عليه السلام}

وهي محاولة جادة، وخطوة عظيمة - لو كتبت لها النجاح - فقد كانت بحق محاولة تأسيسية تأصيلية لجعل الخطابة الحسينية مؤسسة فاعلة، لها قواعد وأصول راسخة، وقد نُقل عن الشيخ الوائلي شخصياً أنّ السيد الشهيد الصدر^{عليه السلام} خاطبه قائلاً: «إنّ لك على الأمور التالية، وعليك أن تحرّك مشروع العمل المؤسسي للخطباء»^(٢)، وكأنّه^{عليه السلام} استشعر ضرورة العمل المؤسسي للمنبر ولا بدّيته.

وأما الأمور المفصلية التي تعهد بها السيد الشهيد الصدر^{عليه السلام} لجعل الخطابة الحسينية مؤسسة فاعلة فهي:

١ - دمج خطباء المنبر الحسيني بالحوزة العلمية مادياً، وروحياً، وعلمياً، فقال^{عليه السلام}

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) السلّمان، محمد حميد، مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات): ج ١، ص ١٥٧، محاضرة للسيد عبد الله الغريفي.

في ذلك: «أنا مستعدُّ لأن أتعامل مع خطباء المنبر كما أتعامل مع طلاب الحوزة، سواء من جانب توفير رواتب، أم رعاية روحية، أم رعاية علمية»^(١)، ويكفي مؤسّسة المنبر - إذا ارتبطت بالمرجعية في هذه الجوانب الثلاثة - قوةً وتماسكاً وثباتاً.

٢ - العمل على إيجاد صيغةٍ لضمان العيش الكريم للخطباء حتى أيام عجزهم أو كبرهم إكراماً لهم، والعمل على إيجاد مؤسّسةٍ مركزيةٍ لهم تعمل تحت ظلّ المرجعية، وتُعنى أيضاً بوضع مناهجٍ موحدةٍ لهم^(٢).

ولكن هذا المشروع الرائع لم يرَ النور أيضاً بسبب الوضع السياسي المتوتر الذي عاشته المنطقة ككل، والعراق على وجه الخصوص، في ظلّ سلطة نظام حزب البعث المقبور، واستشهاد السيد الصدر عليه السلام.

ج. محاولة جمعية التوعية في البحرين

كانت المحاولة في سبعينيات القرن المنصرم، وقد عزا مَنْ أَرخَ لتلك المحاولة سبب الفشل إلى الإشاعات التي أُثرت ضدها، وبأنّها محاولة لإملاء محاضرات وأفكار جاهزة على الخطباء^(٣).

ويبدو أنّ أحد أهمّ القواسم المشتركة في فشل جميع تلك المحاولات المتقدّمة هو عدم الاستقرار السياسي في المنطقة إبان تلك الحقبة، ومحاولات السلطات المناوئة إجهاض مثل هكذا محاولات - ولو بالخفاء - عبر وسائل يظهر منها خلاف ذلك، ولا ننسى هنا أساليب النظام البعثي المقبور في محاربته للشعائر الحسينية بصورةٍ عامّة، وللمنبر وكلّ ما يمتّ له بصلةٍ بصورةٍ خاصّة^(٤) وبأساليب غاية في الخبث.

(١) المصدر السابق.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

(٣) أنظر: المصدر السابق.

(٤) أنظر على سبيل المثال: حسن، سيد داخل، معجم الخطباء: ج ١، ص ٢٧١، فما بعد.

د- المحاولة الرابعة: النقابة العالمية للخطباء والمبشرين

وهو ما اقترحه الشيخ الكرباسي، إذ قال في تعريفها: «هي مؤسسة اجتماعية دينية ثقافية مستقلة، غير منتمية إلى جهاتٍ رسميةٍ أو شبه رسميةٍ، تسعى إلى تطوير المؤسسة الخطابية بالطرق الحضارية، وحماية الخطيب - بغض النظر عن انتماءاته الدينية أو السياسية - بالوسائل المشروعة والمتاحة»^(١).

وفكرة النقابة تكاد تتجّه صوب الأمور الإدارية والتنظيمية حفظاً لحقوق الخطيب ورعايةً له، وإن كانت إحدى الخدمات المقدمة لأعضاء النقابة هي فتح معهدٍ للخطابة، لكنّ المقترح ورد مجملاً بلا أدنى تفاصيل، على أنّ فكرة النقابة لم ترَ النور أيضاً^(٢).

ليس الغرض من استعراض المحاولات المتقدّمة وضع قائمةٍ بالمحاولات التي لم يُكتب لها النجاح، بقدر ما هو محاولةٌ لدراسة أسباب الفشل والإفادة منها؛ لمعالجتها وتخطّيها مستقبلاً عند التأسيس والبدء بأيِّ محاولةٍ جديدة.

المحور الأوّل: مفاهيم عامّة

وفيه مباحث:

المبحث الأوّل: في معنى (الأسس) المبحوث عنها في المقام

لا بدّ في المحور الأوّل - الشامل للمباحث التصوّرية - من تحديد معنى (الأسس)؛ كي تتّضح فيما بعد الأمور المهمّة في إنشاء تلك المعاهد - والتي هي بمثابة القواعد - ممّا عداها، التي تعدّ أموراً تكميليةً، فيُقال هنا: «الأسس، والأساس: كلّ مبتدأ شيءٍ،

(١) المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي: ص ١١٢.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ١١٩، و ص ١٢٢.

والأسس والأساس: أصل البناء...»^(١). والأساس: «ما يبتنى ويثبت، حتى يجعل عليه شيء آخر، مادياً أو معنوياً»^(٢).

فما نعينه بالأساس هنا: كل قاعدة رصينة يثبت عليها ما يليها، فالبناء العلمي لمعاهد ومؤسّسات تُعنى بتهيئة خطباء كفويين، لا بدّ أن يكون مبنياً على تلك الأسس الرصينة، وبدونها تكون تلك المعاهد كساع إلى الهيجا بغير سلاح. إذن، فكل أمرٍ علمي يشكّل قاعدة ينطلق منها الخطيب، يُعدّ أساساً لا يمكن التفريط به.

ثم إنّ للأسس علاقةً وطيدةً بالمنهج المتّبع في أيّ علم، إذ: «هي مجموع ما تتقوّم به الأرضية التي تُبتنى عليها أيّ قاعدةٍ من الأمور الحسية والمعنوية، وتنظم هذه الأسس في قالبٍ يتمثّل بالمنهجية»^(٣).

كما لا يمكن التبعيض في تلك الأسس بالتركيز على قسم منها، وإهمال قسم آخر، خصوصاً في فنّ الخطابة، بحجّة أنّ الخطيب لا يمكنه أن يكون خطيباً إلاّ بإتقانه أطوار النعي - مثلاً - وإهمال البعض الآخر من الأسس - كإهمال الجانب العلمي مثلاً - الذي يعتبر أكثر أهميّة للخطيب.

المبحث الثاني: في معنى (العلمية) الموصوفة بها (الأسس)

لعلّ لفظ (العلم) - على بساطته - غاية في العمق، فأبسط ما عرّف به على مستوى اللغة أنّه: «نقيض الجهل»^(٤)، وهو تعريفٌ عامٌّ وواسعٌ جداً. وعرّف اصطلاحاً عند البعض بأنّه: «الإدراك مطلقاً، تصوّراً كان أو تصديقاً، يقينياً أو غير يقيني»^(٥).

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٦، ص ٦.

(٢) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ١، ص ٨١.

(٣) الحجار، عدي جواد، الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني: ص ٢١.

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٢، ص ٤١٧.

(٥) عبد المنعم، محمود، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج ٢، ص ٥٣٣.

كما أُريد منه أيضاً: «العلم العادي الذي يحصل به الاطمئنان، ويرتفع به التزلزل»^(١)،
ويطلق حقيقةً أيضاً على ما لا يحتمل النقيض^(٢).

وعليه فالمراد هنا من (الأسس العلمية) أن يكون كلُّ أساسٍ بحسب العلم الذي
ينتسب إليه، نظير تعريف (الحكم) - مثلاً - فهو في علم المنطق غيره في علم العقائد،
وهذا قد يغير ما في علم الفقه و... بل استعمل في العلم الواحد عدّة استعمالات.

كما أنّ الأسس العلمية تشكّل الأرضية التي تُبنى عليها قواعد أيّ منهجٍ من
المناهج العلمية، فلكلِّ علمٍ منهجه الخاصّ به، و«المنهج الخاصّ: مجموعةٌ من القواعد
وُضعت لتستخدم في حقلٍ خاصّ من حقول المعرفة، أو علمٍ خاصّ من العلوم»^(٣).

فالمنهج الفقهي مثلاً غير المنهج الفلسفي، والأخير غير المنهج التاريخي، والثلاثة
المتقدّمة غير المنهج في العلوم التجريبية القائمة على التجربة، وهكذا.

فلا بدّ - والحال هذه - أن يُراعى في تأسيس المعاهد العلمية للخطابة المنهج الخاصّ
بكلِّ علم، وهذا يستدعي الاستعانة بذوي الاختصاص للوصول إلى أفضل النتائج.

ولكن «لا زالت مؤهلات الإعداد في حاجة إلى تطويرٍ وتجديد، البعض يعتمد
المهارات الصوتية الفنية كأساس... والمهارات الصوتية عنصرٌ أساس لا نشكّ فيه،
ولكن أقول: ليست هي العنصر الوحيد، بل يجب أن تدخل معه مجموعة عناصر
أساسية... فليست الغاية التأكيد على المهارات الصوتية والفنية، بل لا بدّ من التأكيد
على المهارات العلمية والفكرية وبقية المؤهلات الأخرى الضرورية. إذن أمام المنبر تحدّي
المنهج - منهج الإعداد - وهذا يشكّل تحدياً صارماً»^(٤).

(١) الحسيني المراغي، عبد الفتاح، العناوين الفقهية: ج ٢، ص ٢٠٢.

(٢) أنظر: عبد المنعم، محمود، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج ٢، ص ٥٣٣.

(٣) الفضلي، عبد الهادي، أصول البحث: ص ٦٦.

(٤) السلّماني، محمد حميد، مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات): ص ١٥٣ - ١٥٤، كلمة

السيد عبد الله الغريفي.

وعليه، فلا بدّ من مناهج علمية لمعاهد إعداد الخطباء، ولا يترك الحبل فيها على الغارب.

المبحث الثالث: في المراد من (إعداد الخطيب الحسيني)

من المعلوم أنّ العلم لم يكن يوماً حكراً على أحد، فأمال البشر وطموحاتهم في نيل أعلى الشهادات والمراتب العلمية آمالاً وطموحاتٍ محترمة، لكن تبقى الحاجة ملحةً لوجود حلقات وصلٍ تربط بين ذوي الاختصاصات العليا وبين بقية الناس، ومهمّة حلقات الوصل تلك لا تكاد تخفى؛ إذ إنّ نقل المعلومات العالية بقوالب مبسطة، وتنفيذ الخطط العلمية المعقدة، وتنزيلها على أرض الواقع، وربط الناس بالعلماء، هي جزء من مهام حلقات الوصل (الكوادر الوسطية) تلك، ولعل هذه المسألة من الأمور العقلائية.

فعمل الطبيب - مثلاً - لا يكاد يكتمل لولا وجود معاونٍ له لديه حظٌّ من الخبرة الطبية، وكذا المهندس البارِع لا بدّ له من معاونٍ ينفذ له خارطة بنائه، ويمكنه أن يتعامل مع العمال البسطاء.

فالكادر الوسطي له الدور الاستراتيجي في تجسيد وتنفيذ الخطط الاستراتيجية على أرض الواقع، لذلك نرى أنّ الدول كلّما تقدّمت في مجالات العلوم، كلّما توسعت كوادرها الوسطية عدّةً وشدّةً.

لذا أنشئت في كثير من الدول مؤسّسةٌ تُدعى (مؤسّسة المعاهد الفنية) تُعنى بـ: «إعداد الأطر الفنية الوسطى، التي تتولّى تنفيذ التوجيهات والتعليمات والخطط والتصاميم الفنية، وتكون حلقة وصلٍ بين الاختصاصيين والعمال الماهرين»^(١).

والمعارف الدينية - التي هي من أشمل المعارف، وأشرفها، وأعمقها - ليست

(١) أنظر: القوانين والتشريعات العراقية، قانون مؤسّسة المعاهد الفنية، رقم ٣٤، سنة ١٩٧٦م، موقع: wiki.dorar.aliraq.net

مستثناةً من تلك القاعدة العقلائية، فلا بدّ من حلقاتٍ وسطى تربط ذوي التحصيل العالي في المعارف الدينية بالقواعد الشعبية، والخطباء الحسينيون من أهمّ تلك الحلقات.

ولعظم مكانة الكادر الوسطي الديني، وخطورته، وحساسية دوره في نقل إرادة علماء الدين الأکابر ومراجعهم، وتجسيدها في أوساط الناس، يذكر لنا التاريخ الحديث أنّ المرجع الديني السيد أبو الحسن الأصفهاني عليه السلام^(١) أوجب على الشيخ محمد تقي الكنابادي (الشيخ البهلول) عليه السلام^(٢) ارتقاء المنبر، وجوباً عينياً؛ لتحريض الناس ضدّ القوانين التعسّفية الجائرة التي سنّها رضا خان البهلوي (حاكم إيران آنذاك)^(٣)، بل خاطب الشيخ عليه السلام حينما علم أنّه قدّم إلى النجف للدراسة ونيل الاجتهاد، قائلاً: «... وإلى أن تصبح أنت مجتهداً، فإنّ الشاه رضا خان قد أتى على كلّ شيء، ولم يُبق مسلماً في إيران ليقلّدك»^(٤).

وعليه، فالمراد من إعداد الخطيب الحسيني هو تهيئته لأن يمارس بحقّ دور حلقة الوصل التي تربط الناس بقيادة الدين وعلمائه، وذلك لا يتأتّى لمن لا يملك حدوداً

(١) أبو الحسن الأصفهاني (١٢٨٤هـ - ١٣٦٥هـ): من أعلام فقهاء الإمامية، ومن أشهر مراجع التقليد، انحصرت به المرجعية بعد وفاة الميرزا محمد حسين النائيني سنة (١٣٥٥هـ)، وطبقت شهرته الآفاق، وأصبح مفتي الشيعة في سائر الأقطار الإسلامية. أنظر: موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام: ج ١٤، ١٠، ص ٢٢.

(٢) وهو من أكابر الخطباء الحسينيين في إيران، ولد سنة (١٩٠٠ م) في قرية (بيلند) من توابع مدينة (كناباد)، حفظ القرآن وارتقى المنبر ولم يتجاوز عمره (١٤) عاماً، اضطرّته المواجهة مع بعض الفرق المنحرفة إلى مغادرة قريته، وفي عمر الـ (١٦) بدأت مواجهاته مع النظام البهلوي الظالم، وبعد جهادٍ مرير اضطرّ إلى الهجرة إلى أفغانستان بعد ثورة مسجد (گوهر شاد) في مدينة مشهد، والتي كان له قصب السبق فيها، سُجن في أفغانستان قرابة العشرين عاماً، ثم عاد إلى إيران. تُوفي

عام (٢٠٠٥م)، أنظر: موقع www.bohloul.com

(٣) أنظر: الكنابادي، محمد تقي، مذكرات الشيخ بهلول: ص ٧١ - ٧٢، وموقع:

www.bohloul.com

(٤) أنظر: المصدر السابق.

معينة من المعرفة الدينية، والثقافة المجتمعية العامة التي تؤهله للعب هذا الدور الخطير، إذ في مجالات العلم الأخرى لا يُتصوّر وجود كادرٍ وسطيٍّ لا يملك مقداراً معتداً به من المعرفة في ذلك الاختصاص، وقلنا: إنَّ المعرفة الدينية ليست بدعاً من بقية المعارف - وإن كان لها خصوصياتها الخاصة بها - ولأجل ذلك حثَّ ديننا الحنيف على طلب العلم، بل وجعل «قيمة كل امرئ ما يحسنه»^(١).

ولأجل إعداد الخطيب الحسيني إعداداً علمياً رصيناً ارتأى أحد رواد المنبر المعاصرين عليه السلام: «شدَّ المنبر بالمرجعية الدينية، وتجنيدَه لأجل أن يتبنى أهداف المرجعية بصورة عامة - لا بالانتماء لواحد بالذات، بل للعنوان العام - حتى يتحاشى الاستقطاب، أو يوضع في أجواء منافسة لا مصلحة عامة فيها. إنَّ ربط المنبر بالجو العام للمرجعية يحقق جملةً من الفوائد، أهمها: الالتزام بالضوابط العلمية، وانعكاس الأخلاق الشرعية على سلوك الخطيب، وسدَّ الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها المغرضون، والالتحام بالهدف الأساسي من المنبر، وهو كونه قناة للدفاع عن بيضة الإسلام مجسدةً في أشخاص نواب الأئمة»^(٢).

المبحث الرابع: لماذا المعاهد العلمية؟

مماً لا شكَّ فيه أنَّ (المؤسسة) تعني تضافر الجهود لعملٍ ما، فهي تعني الاجتماع والتعاون وتبادل الخبرات وتراكمها لأداء عملٍ ما، وفي قبال ذلك الفردية التي تعني أداء العمل اعتماداً على جهود وخبرة الفرد.

لذا؛ فإنَّ العمل المؤسسي أصبح - مع اتساع رقعة الإسلام، وتفتح أذهان الناس، وسهولة الاطلاع على المصادر - ضرورةً لا بدَّ منها، وفي قبال ذلك فإنَّ «غياب العمل

(١) هذا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنظر: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٥٨.

(٢) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١١٧.

المؤسسي يشكّل أخطر التحدّيات. لم يُعدّ المشروع المنبري مشروع أفراد، الآن نحن في عصر المؤسّسات، في عصر كياناتٍ نظامية، فلا يمكن أن يبقى مشروعنا الخطابي - وهو المشروع الأخطر في جسم الأمة - يبقى ممارسات فردية»^(١).

ثمّ إنّ الشعائر ككلّ، والمنبر الحسيني على وجه الخصوص يواجهان عدوّاً منظماً، مؤسّساً ضمن مؤسّسات غاية في التخصّص والدقّة، فعلى هذا لا يمكن مواجهة هكذا عدوّ - بنى قدراته على الإحصاء والمعلومات - بجهودٍ فردية؛ إذ في ذلك إضعافٌ لقدرات المنبر، وتهميشٌ لدوره.

ومن جهةٍ أخرى، فإنّ المؤسّسة تشكّل ضماناً أكيدةً للخطيب الحسيني نفسه^(٢)، لكن يبقى التأكيد على أن تكون تلك المؤسّسات تحت غطاء المرجعية الدينية؛ ضماناً لها من الميل لأيّ اتّجاه قد يحرف مسيرتها.

لذلك ذكر أحد المختصّين في نطاق استعراضه للمؤسّسات التي يمكن - تصوراً - أن تطوّر المنبر، فنخلص إلى أنّ الجهة أو المؤسّسة «التي نراها متعيّنة هي المرجعية الدينية، على أن تكون [المنبر] مؤسّسةً من مؤسّسات المرجعية الحوزوية... وإذا تمّ ربط معهد الخطابة بالمرجعية فسيحقّق الأمور التالية:

أ - ... توفير الجانب الروحي في ممارسات المنبر وسلوكيته، والتقيّد بمزاج الحوزة وأخلاقياتها.

ب - ضمان علمية المنبر، وتضلّعه بأهمّ المقوّمات وهي العلوم الإسلامية... [و] يوفر القدرة للخطيب على مواجهة الحوادث وتكييفها داخل ضوابط الشريعة، وبالتالي سلامة عقائد وسلوكيات الجمهور الذي يجلس تحت المنبر.

ج - توفّر عملية ربط المنبر بالمرجعية؛ ضماناً للخطيب الذي قد يعجز عن ممارسة

(١) السلّمان، محمد حميد، مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات): ج ١، ص ١٥٤، كلمة

السيد عبد الله الغريفي.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

مهنته لكبر.

د - يُوجد هذا الانتفاء تلاهماً في كلّ الهيئات ذات الارتباط بالمرجعية، وخصوصاً الخطباء، لقيامهم بدور هام في تثبيت أركان المرجعية، ودعوة القواعد للارتباط بأئمتها^(١).

ولعلّ الأمر أشدّ وأكثر ضرورةً فيما يتعلّق بالخطابة النسوية؛ إذ من الواضح أنّ تلك الخطابة غارقة بالفردية، ولا زال المجلس الحسيني النسوي في كثير من الأماكن يعتمد على ما يُسمى بـ (الملاية)، التي تعتمد غالباً في مجلسها على الرثاء وحسب. إذن، الضرورة قائمةٌ على إنشاء معاهد تأخذ بأيدي الخطباء الحسينيين لرفد المنبر الحسيني، الذي أصبح شعاراً من شعارات النهضة الحسينية المباركة.

المحور الثاني: الأسس العلمية المتصورة لتلك المعاهد

ويمكن تقسيم تلك الأسس إلى قسمين:

القسم الأول: أسس علمية متغيرة الموضوعات

قبل الكلام في هذه الأسس قد يتبادر إلى الذهن تساؤل لا بأس بإلقاء الضوء عليه، وهو: كيف يُتصوّر وجود أساس لا يتّسم بالثبات؟ وجواب ذلك: إنّ ما يتّسم بالتغيّر ليس نفس الأساس، بل موضوع ذلك الأساس، بمعنى أنّ أصل مراعاة الزمان أو المكان أو غيرهما، ثابتة لا تغيّر فيها، وإنّما المتغيّر هو أفراد الزمان وآحاده، وأفراد المكان وآحاده وهكذا.

فيجب على معاهد إعداد الخطباء - لكي تقوم بأعباء تربية وإعداد خطباء أكفاء - أن تراعي الزمان والمكان أو غيرهما، وتعدّ الخطيب لمراعاة ذلك في خطابته. والتغيّر في موضوعات تلك الأسس إمّا:

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ٦١ - ٦٣.

١- زمني

فمن المعلوم أثر الزمان في الخطاب، فالخطاب الموجّه لأهل القرن الحادي والعشرين سوف يختلف - حتماً - عن الخطاب الموجّه لأهل القرون السالفة، والأسباب في ذلك معروفة لا داعي لذكرها، إذ المختلف هو طريقة عرض المعلومة، وأسلوب عرضها ووسائل العرض، ولغة الخطاب، باختلاف الثقافات بحسب الأزمنة أمرٌ جلي، فإذا لم يوجّه الخطيب نحو مراعاة الزمان فسيختلّ ركن من أركان خطابه حتماً و«حسب المرء... من عرفانه، علمه بزمانه»^(١).

وها هم أعظم المبلغين في تاريخ البشرية جمعاء - وهم الأنبياء ﷺ - قد راعوا ظروف زمانهم أعظم الرعاية؛ لعلمهم أنّ متطلبات الزمان ضرورةٌ ملحةٌ لا يمكن إغفالها، ففي الحديث عن الإمام العاشر من أئمة الهدى ﷺ - الإمام علي الهادي ﷺ - في جوابه للعالم الكبير ابن السكيت الأهوازي، حين سأله عن علة بعث موسى ﷺ بالعصا واليد البيضاء، وبعث عيسى بألة الطب، وبعث محمد ﷺ بالكلام والخطب، قال ﷺ: «إنّ الله لما بعث موسى ﷺ كان الغالب على أهل عصره السحر، فأثامهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم. وإنّ الله بعث عيسى ﷺ في وقتٍ قد ظهرت فيه الزمانات، واحتاج الناس إلى الطب، فأثامهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيأهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم. وأنّ الله بعث محمداً ﷺ في وقتٍ كان الغالب على أهل عصره الخُطب والكلام، فأثامهم من عند الله من مواعظ وحكمة ما أبطل به قلوبهم»^(٢).

إذن؛ فمعرفة عادات أهل زمانٍ معيّن، وطباعهم، وحاجاتهم، والأمراض الفكرية والأخلاقية المستشرية فيهم، وما هو المعيب عندهم، وما هو متعارفٌ

(١) كاشف الغطاء، هادي، مستدرک نهج البلاغة: ص ١٨٧.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٥.

لديهم، من ضروريات التبليغ الناجح؛ كي يتحاشى المبلِّغ حدوث ما يكدر صفو تبليغه، ويكون فعّالاً فيما يرنو الوصول إليه، لذلك نرى في الحديث المتقدم أنّ الأنبياء الكرام ﷺ جاؤوا أقوامهم بوسائل تبليغية موافقة لمتطلّبات ذلك العصر ومقتضياته. وبما أنّ شريعتنا الإسلامية تمتاز بعدّة مميّزات، منها: «العالمية والاستمرار والشمولية لكلّ جوانب الحياة، فهي لم تتأطر بزمانٍ ولا مكانٍ معيّنين، ولا تختصّ بصنّفٍ من الناس ولا بخصوص قومٍ أو جنس، فإنّ رسول الله ﷺ قد بُعث إلى الناس كافّةً، وفي شتى أقطار الأرض... في آية بقعةٍ وجدوا، وفي أيّ زمانٍ عاشوا، فدعوتهم ﷺ عامّةٌ للناس، وفي الوقت ذاته أنّها تستوعب مختلف جوانب الحياة الإنسانية، وتقدّم الحلول لجميع معضلاتها... سواء في المسائل العبادية والروحية، أو الأمور التربوية والأخلاقية، أو الحقوق الاقتصادية...»^(١).

وهذا يقتضي أنّ تستوعب الشريعة كلّ متغيرات الزمان والمكان، وأن تُعدّ لكلّ تغيرٍ في الزمان ما يناسبه من المواقف. والمنبر - كما لا يخفى - أحد ألسنة الشريعة، فهو محكومٌ بحكمها، وتبعاً لذلك عليه أن يواجه التغير بالزمان بما يناسب فعالياته وإمكانياته وجهوده التي يقوم بها.

ولذا؛ لا بدّ أن تُؤسّس معاهد إعداد الخطباء الحسينيين على أسس وضوابط يُراعى فيها تأثير الزمان في الخطاب.

وقد ورد أنّ النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: «إنّك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أوّل ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، وإذا فعلوها فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم زكاةً تُؤخذ من أموالهم فترد على فقرائهم...»^(٢).

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، بحوث فقهية مهمّة: ص ٢٣٥، وص ٢٣٧.

(٢) ابن حبان، محمد، صحيح ابن حبان: ج ١، ص ٣٧٠.

وممّا يتعلّق بالأُسس الزمانية أيضاً ما ورد في الحثّ على اختصار الخطب، وعدم إطالة الخطبة أو المجلس - وهو ما يُبتلى به بعض الخطباء - فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «جودة الكلام في الاختصار»^(١)، و«الكلام كالدواء قليله ينفع، وكثيره يهلك»^(٢)، و«الإكثار يزل الحكيم، ويُمَلّ الحليم، فلا تُكثر فتُضجر»^(٣).

فكما وُضعت وألّفت بحوث علمية ضخمة حول تأثير الزمان في تبدّل الموضوعات الفقهية، أو أسلوب تنفيذ الحكم^(٤)، كلّ ذلك في علم الفقه، فليكن شبيه ذلك في المنبر، ففي الوقت الذي كان المنبر عبارة عن ذكر مصائب أهل البيت عليه السلام فقط في غابر الأيام، أصبح اليوم مدرسةً علميةً تُثري الثقافة الدينية بصورةٍ عامّة.

٢- أو (مكاني)

أي: أثر المكان في الخطاب الحسيني، وهذا أيضاً من الأسس التي لا تخفى أهمّيتها، فمن الضروري جداً أن يُدرّب الخطيب الحسيني على مراعاة المكان في خطابه، فلقدسية المكان - مثلاً - دورٌ لا يخفى على رواد ذلك المكان، ممّا يهبّي الأجواء العاطفية لطرح المفاهيم الأصيلة للدين، وهذا ما يكون أخفّ صبغةً في غيره من الأماكن.

كما أنّ للمساجد والحسينيات خصوصيات قد لا توجد في غيرها من الأماكن أيضاً، إذ «كما أنّ للنبات بيئةً طبيعية تتفاوت في مقدار صلاحيتها لنموه، فيكون بعضها أكثر ملاءمة وأوفر شروطاً للنمو، وكما أنّ هناك بيئةً اقتصادية تمتاز عن غيرها بملاءمتها للنمو الاقتصادي لتوفّر عوامل غير متوفّرة في مثيلاتها، كذلك هناك أمكنة يترعرع المنبر

(١) الريشهري، محمد، التبليغ في الكتاب والسنة: ص ١٧٧.

(٢) الأمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٥، حكمة رقم ٦٤٨٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٨، حكمة رقم (١٢٣٩).

(٤) أنظر: السبحاني، جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١، ص ٣٢٢ - ٣٢٦.

وينمو بشكل سليم ومتين فيها؛ لما تحويه من عوامل بناءة^(١). ولا يخفى أن لبعض الأمكنة - كمرقد الأئمة الأطهار عليهم السلام - تأثيراً على المخاطب والمخاطب ونوع الخطاب؛ لما لتلك الأنفس العظيمة الطاهرة من أثر معنوي على كل من اقترب إليها، فهم كالسراج كلما اقتربت منه ازدادت نفعاً. إنَّ الشريعة الإسلامية حوت مدارس زمانية: كشهر رمضان، وأيام الحج، وأعياد الفطر والأضحى، وأخرى مكانية: كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد الكوفة، ومرقد الرسول والأئمة الأطهار عليهم السلام؛ لذا فأثر المكان ممّا لا يكاد يخفى في الإسلام وتعاليمه، وهذا الأمر سيّالٌ في كل ما يمتّ بصلةٍ للدين الحنيف، ومنه المنبر الحسيني باعتباره مظهرًا من مظاهر شعائر الحسين عليه السلام.

٣- أوبلحافظ المخاطب

فمن الأسس الضرورية التي لا بدّ لمعاهد الخطابة من أخذها بنظر الاعتبار في تنشئة الخطيب الحسيني هو ضرورة مراعاة حال المخاطب، علمياً وثقافياً، بل وجنسياً (أي: كون المخاطب رجل أو امرأة)، وعمرياً (فخطاب الطفل أو الحدث ليس كخطاب الشاب، والكهل والشيخ)، ولعلّ من روائع الأسس هنا ما نطق به سيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصفه لسيد الأوّلين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه: «طبيبٌ دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي، وآذان صمّ، وألسنة بكم...»^(٢)، فهذا هو عمل المبلّغ الرسالي، والخطيب المتمي لمدرسة الحسين عليه السلام، و«إنّما قال عليه السلام: (دوار بطبّه)، لأنّ الطبيب الدوار أكثر تجربة، أو يكون عنى به أنّه يدور على من يعالجه، لأنّ الصالحين يدورون على مرضى

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٠٢.

(٢) الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم المواعظ: ص ٣١٩.

القلوب فيعالجونهم»^(١)، فاستعار **الخطيب** لفظ (المراهم) كنايةً عن الرأفة والشفقة في علاج مرضى القلوب ممن غلب عليهم الجهل بأحكام الدين، واستعار لفظ (المواسم) - وهو جمع مسيم مما يُكوى به في حالات العلاج بالكي - كنايةً عن استعمال الشدة في بعض حالات العلاج، وهي من الطرق المقبولة في الطب، فكثيراً ما يتوقف العلاج على البتر والقطع لبعض الأعضاء.

فينبغي لمعاهد إعداد الخطباء أن تهيبَّ الخطيب لذلك، بأن يعطي لكل ذي داءٍ دواءه، ولكلِّ جائعٍ ما يستسيغه من طعام، وهذا يحتاج إلى مقدمات منها:

أ - لا بدَّ من معرفة المخاطب معرفةً تامَّةً، فذهاب المبلِّغ أو الخطيب إلى مكانٍ أو بلدٍ مجهولٍ له تماماً، مصطحباً في جعبته محاضرات معدَّة سلفاً، عملٌ ليس بعلمي، وقد لا يأتي بالنتائج المرجوة؛ إذ لا بدَّ من معرفة الأمراض الأخلاقية، والحاجات العملية، بل والفئات العمرية، وطبيعة ذلك المجتمع وتركيبته الاجتماعية.

لذا، فمن الضروري جداً إنشاء وحدةٍ للإحصاء والاستقصاء في كلِّ معهدٍ من معاهد إعداد الخطباء، تُعنى بجمع المعلومات عن أغلب المدن والقرى التي يرتادها الخطباء، أو تتكفَّل المؤسسات الحوزوية الضخمة بذلك؛ لما للإحصاء من دورٍ علميٍّ مهمٍّ في جميع فعاليات المؤسسات الدينية.

ب - تهيئة العلاج تهيئةً جيِّدةً بطرقٍ ملائمةٍ لذلك المكان وذلك المجتمع، فربَّ مرضٍ في مكانٍ ما يحتاج إلى علاجٍ معيَّن، ونفس المرض في مكانٍ آخر يحتاج إلى علاجٍ آخر أو طريقةٍ أُخرى للعلاج، «وإذا أخذنا هذا التفاوت بنظر الاعتبار نفهم أنه ليس كلُّ كلامٍ يفيد أيَّ شخصٍ، فقد يكون ثمَّة نمط من التبليغ مفيداً لفردٍ أو جماعةٍ ما، ولكنه غير مفيدٍ لفردٍ آخر، أو جماعةٍ أُخرى، بل ربَّما كان مضراً لهم، ومن هنا كان الأنبياء يأمرُون بأخذ المقدرة الفكرية والنفسية بنظر الاعتبار»^(٢)، وقد ورد عن الإمام

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٧، ص ١٨٣.

(٢) الريشهري، محمد، التبليغ في الكتاب والسنة: ص ١٠٤.

الصادق عليه السلام: «ما كلم رسول الله ﷺ العباد بكنه عقله قط، وقال: قال رسول الله ﷺ: إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»^(١).

٤- أوبلحافظ نوع الخطاب

ولا شك في أن نوع المجلس الحسيني المنعقد له دخالة في صياغة الخطاب، وطريقة إعداده وعرضه، وكيفية تفاعل الجمهور معه، فالمجالس التي لها مساس بالواقع السياسي للأمة، غير المجالس المنعقدة للوعظ والإرشاد المحض، والمجلس المنعقد للحث على الجهاد ودفع العدو، غير المجلس المنعقد لتأبين شخصية من شخصيات المجتمع... وهكذا. لذا يجب مراعاة نوع الخطاب عند تنشئة جيل الخطباء؛ إذ إن «فنون الخطابة تتبع حاجات الأمة وأحوالها وشؤونها، والضرورة الدافعة إلى القول الخطابي»^(٢).

وقد كتب بعض من اهتم بشأن الخطابة فصلاً في ذلك، وتعرض لأقسام الخطب ومميزات كل قسم^(٣)، وإن كان بعض ما ذكره لا علاقة له بالخطابة الحسينية.

القسم الثاني: أسس علمية ثابتة

وهي على نوعين:

النوع الأول: أسس علمية ثابتة نابعة من العقل العملي

ويقال هنا بدءاً: إن «العقل النظري، والعقل العملي من شأنهما التعقل، لكن النظري شأنه العلوم الصرفة غير المتعلقة بالعمل مثل: الله واحد. والعملي شأنه العلوم المتعلقة بالعمل مثل: التوكل حسن، والرضا والتسليم والصبر محمود». وهذا العقل هو

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٣.

(٢) أبو زهرة، محمد، الخطابة: ص ١٢٤.

(٣) أنظر المصدر السابق: ص ١٢٣ - ١٧٥.

المستعمل في علم الأخلاق، فليس العقلان كقوتين متباينتين، أو كضميمتين، بل هما كجهتين لشيء واحد وهي الناطقة.

إنَّ الحكمة النظرية قضايا نظرية تنتهي إلى قضايا بديهية، ولولا ذلك لانهار صرح العلوم، وهكذا الحكمة العملية، ففيها قضايا غير معلومة لا تُعرف إلا بالانتهاء إلى قضايا عملية ضرورية، وإلا لما عرف الإنسان شيئاً من قضايا الحكمة العملية، ومن تلك القضايا البديهية في العقل العملي مسألة التحسين والتقيح العقليين، الثابتين بحملة من القضايا، كقولنا: (العدل حسنٌ)، و(الظلم قبيحٌ)، و(جزء الإحسان بالإحسان حسنٌ، وجزء الإحسان بالإساءة قبيحٌ)»^(١).

وعلى هذا، فالأسس العلمية الثابتة النابعة من العقل العملي، والتي لا توجد فاصلة بينها وبين العمل بها، والتي لا بدّ أن تؤخذ بنظر الاعتبار في إنشاء معاهد إعداد الخطباء هي:

١ - أسس علمية أخلاقية

وقد تقدم آنفاً أنّ العقل المستعمل في علم الأخلاق هو العقل العملي، لذا فجميع ما يخصّ علم الأخلاق من الأسس لا بدّ أن تُراعى من قبل المعاهد العلمية لإعداد الخطباء، ولا يختلف اثنان في أنّ علم الأخلاق علمٌ قائمٌ على أسسٍ علميةٍ متينةٍ لها قواعدها الخاصّة، فالتقوى، والورع، والإخلاص، ومداراة الناس، و... من الأسس التي لا بدّ منها لاستكمال شخصية الخطيب الحسيني، ولذلك وردت أحاديث جمّة تحثّ حثاً مؤكداً على ضرورة التزام الخلق الرفيع من قبل المبلّغ ككل، والتي تشمل الخطيب الحسيني باعتباره المصدق الأتمّ في ذلك^(٢)، ونحن ننتخب منها شذرات فيما يلي:

ففي الإخلاص، ورد عن رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ يُخطب خطبةً إلا الله سائله

(١) السبحاني، جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١، ص ١٦٩.

(٢) أنظر: الريشهري، محمد، التبليغ في الكتاب والسنة: ص ١١٨ - ١٣٩.

عنها، ما أراد بها»^(١)، وأيضاً: «... وابتغوا بقولكم ما عند الله، فإنه يدوم ويبقى، وينفذ ما سواه»^(٢).

وفي الشجاعة ينبغي أن ينشأ الخطيب على مراعاتها، وعدم مداهنة الجمهور على حساب المبادئ، وقد ورد عن أبي ذر رضي الله عنه قوله: «أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله... أن أقول الحق وإن كان مرّاً... وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم...»^(٣).

وفي الصدق كذلك، إذ ورد عن الصادق عليه السلام: «أحسن المواعظ ما لا يجاوز القول حدّ الصدق، والفعل حدّ الإخلاص، فإنّ مثل الواعظ والموعوظ كاليقظان والراقد، فمن استيقظ عن رقدته وغفلته ومخالفته ومعاصيه صلح أن يُوقظ غيره»^(٤).

وأمّا الرفق بالناس فينبغي أن يكون من أبرز سمات الخطيب الحسيني، فهو من أبرز صفات الأنبياء والمصلحين، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «أمرت بمداراة الناس كما أمرت بتبليغ الرسالة»^(٥)، كما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله: «وأمّا حقّ المستنصح أن تؤدّي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به»^(٦).

وأمّا الأدب والمنطق الجميل فمما لا غنى للخطيب عنه، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إياك وما يُستهجن من الكلام، فإنه يجبس عليك اللثام، وينفّر عنك الكرام»^(٧).

وأخيراً - والذي هو سرٌّ من أسرار النجاح - لا بدّ في تنشئة الخطيب من مطابقة أقواله لأفعاله، فإنّ الفعل تبليغٌ بلا لسان، وهو أوقع أثراً في نفس المتلقّي، وقد ورد

(١) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، الصمت وآداب اللسان: ص ٢٥٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ٣٨٨.

(٤) المصدر السابق: ج ٧٧، ص ٨٤.

(٥) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٤٨.

(٦) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٤، ص ١٠٦.

(٧) الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٩٩.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إنَّ الوعظ الذي لا يمجِّه سمع، ولا يعدله نفع، ما سكت عنه لسان القول، ونطق به لسان الفعل»^(١).

وهناك أمور أخرى ضرورية لا بدَّ من تنشئة الخطيب عليها، محلِّها علم الأخلاق.

٢ - أسس علمية فنية

إنَّ «الفنَّ بالمعنى العام: جملةٌ من القواعد المتَّبعة لتحصيل غايةٍ معيَّنة، جمالاً كانت، أو خيراً، أو منفعةً»^(٢).

وإنَّما قلنا هنا عن هذه الأسس: إنَّها (علمية وفنية)؛ لأنَّ الفنون لا بدَّ أن تكون لها قواعد علمية تتبع منها، وإن كانت في بعض الأحيان نابعةً من ملكاتٍ ومواهبٍ خاصَّة، لكن هذا لا يمنع من وصفها بـ (العلمية)؛ إذ إنَّ الفنَّ «مجاله التعبير عمَّا يحدث في نفس الإنسان، فهو بالعلوم الإنسانية ألصق، وإليها أقرب، يأتي - لهذا - منهجه المنهج التجريبي»^(٣).

كما أنَّ «هناك اتجاهٌ معاصرٌ ينظر للعلم والفنَّ بوصفهما مركبٌ واحدٌ في ظلِّ ثورة المعلومات والتكنولوجيا المتقدِّمة»^(٤).

فكثيرٌ من الفنون أصبحت تُدرَّس في الأكاديميات، ولها قواعد علمية مدوَّنة، «وهذا الأمر ينطبق على الإعلام، والبلاغة، والعمارة، والموسيقى، والرسم...»^(٥).

والغرض من كلِّ ما تقدَّم أنَّ هناك أموراً فنيةً تُعدُّ أسساً علمية لا بدَّ منها، ولا يُكتفى فيها بالقدرات الذاتية والمواهب الخاصَّة، بل لا بدَّ لها من قواعد تدرَّس، وهو المعمول به في أغلب المعاهد، ومنها:

علوم اللغة، وعلوم النطق، وعلوم الصوت والإلقاء، والإشارات، وطرق

(١) الأمدى، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٦، حكمة رقم (١٦١٠).

(٢) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي: ج ٢، ص ١٦٥.

(٣) الفضلي، عبد الهادي، أصول البحث: ص ٤٥.

(٤) الشيخ محمد، سامي، العلم والفن، المفهوم والفروق. أنظر: موقع pulpit.alwatanvoice.com.

(٥) المصدر السابق.

عرض المعلومات، وتدخل ضمن ذلك هيئة الخطيب، وجلسته و... ويمكن جمع جميع ذلك بقواعد فنية تخصّ: الخطيب، والمخاطب، والخطاب، فلترجع في المطوّلات^(١).

وتدخل في هذا القسم علومٌ أخرى تصبّ في فنّ التعامل الناجح مع الناس، وفنّ إقناعهم، مثل:

علم النفس، إذ لا يصل الخطيب إلى غايته - وهي إقناع السامعين... وحملهم على المراد منهم... - إلا إذا كان عليماً بما يثير شوقهم... وعليماً بطبائع النفوس وأحوالها، وذلك لا يكون إلا بعلم النفس... إنَّ علم الخطابة له صلةٌ وثيقةٌ بعلم النفس، إذ يجب أن تكون قوانينُ الخطابة ملائمةً كلَّ الملاءمة لقوانين هذا العلم^(٢).

وكذا علم الاجتماع؛ إذ من الواجب أن تكون «قوانينُ الخطابة متّصلةً بقوانين الجماعات وناموسها»^(٣)، فمعرفة الخطيب لقوانين المجتمع وعاداته وسلوكه ونمط حياته أمرٌ لا بدّ منه.

كما لا بدّ لتلك المعاهد من إعداد الخطيب لمواكبة تطوّر تكنولوجيا المعلومات، والإلمام ببعض مهارات الأجهزة التقنية الحديثة - كالحاسوب، والهواتف الذكية - التي تساعده على سرعة استخراج المعلومة، وتوفير له الوقت، وتفهرس له ما يحتاجه من معلومات.

النوع الثاني: أسس علمية ثابتة نابعة من العقل النظري

والمقصود بالعقل النظري هنا «إدراك ما ينبغي أن يُعلم»^(٤)، وموضوعه: «العلوم

(١) أنظر في ذلك مثلاً: دروس في فن الخطابة، معهد سيّد الشهداء.

(٢) أبو زهرة، محمد، الخطابة: ص ٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر، محمد محمد صادق، ما وراء الفقه: ج ١، ص ٤١.

الصرفة غير المتعلقة بالعمل»^(١)، إذ العقل النظري «عبارة عما يدرك الواقع بنحو ليس له اقتضاء التأثير مباشرة في مقام العمل، ولو أثر في ذلك بالواسطة كإدراك العقل لوجود الله، الذي يؤثر في مقام العمل بتوسط إدراك حق المولوية له سبحانه»^(٢)، فإدراك العقل النظري أن للمولى حق في ذمة من أدرك وجوده، يكون مدعاة للعمل.

وفي ضوء ما تقدم نستطيع أن نقول: إنَّ الأسس العلمية الثابتة النابعة من العقل النظري والتي لا بدَّ منها في إنشاء معاهد إعداد الخطباء تُتصوّر على أقسام، هي:

١- أسس الاستقاء المعرفي

لا يخفى أن المعلومة هي رأس مال الخطيب؛ إذ قيمته - بل «قيمة كل امرئ ما يُحسّنه»^(٣) - وعلى هذا، فلا بدَّ أن يُراعى أساس استقاء المعلومة ومصادرها ووثاقها عند إعداد الخطيب الحسيني، ومعلومٌ أنَّ الخطابة الدينية لا تساق الخطابة كصناعة من الصناعات الخمس التي تُدرس في علم المنطق؛ لأنَّ الخطابة الدينية «كثيراً ما تعتمد على أقوى الأدلة إلزاماً، وأشدّها قطعاً في الاستدلال»^(٤)، بينما الخطابة في المنطق هي من الصناعات المعتمدة على الظن؛ لذا فلا بدَّ من منهجٍ يعرف الخطيب بأُمّات المصادر المعرفية التي يحتاج إليها؛ كي لا يضطرَّ إلى الأخذ من الغثِّ والسمين من المصادر، إذ في فروع المعرفة الدينية هناك مصادر مسلّمة لا غبار عليها، تحوي الآراء المشهورة أو المسلّمة التي يمكن الاعتماد عليها، والتي تكفي الخطيب مؤونة البحث في الآراء الشاذة النادرة، التي يصعب إقامة الدليل عليها. وبما أنَّ موضوع علم الخطابة غير محدودٍ بحدِّ، إذ إنَّ موضوعها كلُّ ما يتعلّق

(١) السبحاني، جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١، ص ١٦٩.

(٢) الحائري، كاظم، مباحث الأصول: ج ١، ص ٤٧٧.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٥٨.

(٤) أبو زهرة، محمد، الخطابة: ص ١٥.

بأمور الناس من الشؤون العامة^(١)، فلا بدّ من إعداد الخطيب وتدريبه على أن يتوسّع في مطالعته وثقافته، مع مراعاة الأساس المتقدّم، وهو الاستعانة - في كلّ علم - بأثبات مصادره ومسلّمات قضاياه.

كما لا بدّ من تدريب الخطيب أيضاً على مراعاة المناهج العلمية في مختلف العلوم - كما تقدّم - فمنهج المعرفة في كلّ علم له مميّزاته الخاصّة، كما أنّ معرفة المنهج تشكّل ركناً هاماً في عملية الاستقاء المعرفي، ومتابعة مصدر المعلومة، ففي تفسير القرآن - مثلاً - لا بدّ من اعتماد التفسير المقبول، المعوّل عليه في أوساطنا العلمية، وفي الحديث لا بدّ أن تُنتخب الكتب المعوّل عليها حديثياً - فضلاً عن تتبّع الروايات محلّ البحث - وفي الفقه كذلك لا بدّ أن يُؤتى بالرأي غير الشاذ، وهكذا في بقية العلوم.

٢ - علوم لا بدّ منها للخطيب

ولا نقصد هنا العلوم التي تصبّ في مصبّ ما ينبغي أن يُعمل؛ إذ تقدّم ذكر شرطٍ منها، بل نقصد هنا علوماً تصبّ في مصبّ العقل النظري، التي لا بدّ لتلك المعاهد المختصّة من وضعها في الحسبان في إعداد الخطيب للإحاطة بها، فهي وقوده العلمي، وذخيرته في خطابته، ومنها:

أ - علوم القرآن الكريم وتفسيره: فعلى الخطيب أن يهتمّ بمطالعة التفاسير، وأن يكون ملماً ببعض علوم القرآن الكريم: كالقراءة، والإعجاز، ومعرفة المحكم والمتشابه، وغير ذلك. ولذا اشترطت بعض المعاهد الخطابية حفظ الخطيب عدداً من أجزاء القرآن الكريم^(٢).

ب - العلم بالسنة المطهّرة للنبي وآله الأطهار عليهم السلام: فلا بدّ من دورة حديثة

(١) اشترطت بعض المعاهد الخطابية حفظ خمسة أجزاء من القرآن الكريم. أنظر: موقع www.egynews.net

(٢) السلّماني، محمد حميد، مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات): ج ١، ص ٢٠٥، مجموعة محاضرات (محاضرة السيد منير الحجاز).

مختصرة للخطيب، يطلع من خلالها على أهم الأبواب الحديثية، وعلى أمّات المصادر الحديثية، ويُلّم بمعلومات عامّة عن تلك المصادر: كأسماء مؤلفيها، وعدد رواياتها، وأبوابها الحديثية، ومدّة تأليفها، وغير ذلك من معلومات عامّة في علم الرجال والدراية.

ج - أن يكون «ذا خبرة حوزوية وافرة بالفقه والأصول والفلسفة وعلم الكلام و... كي يكون قادراً على طرح فكر السماء بمتانة وعمق ودقّة، متميزاً بين الفلسفات الإنسانية المختلفة»^(١).

هـ - أن يكون ذا خبرة ممتازة بعلم الخلاف: «وهو علمٌ يُعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية، ودفع الشُّبه، وقوادح الأدلّة الخلافية»^(١)، إذ عن طريق هذا العلم يتمكّن الخطيب من إثبات الحقّ والدفاع عن أهله، وردّ شبهات المخالفين والمعاندين وإبطالها.

وزبدة المخصّ وخلاصته: فقد قيل في علم الفيزياء: إنّ الجسم كلّما كبرت قاعدة استناده صعب سقوطه؛ فكلمًا اتّسعت ثقافة الخطيب، وإمامه بالعلوم المختلفة نفذت كلماته القلوب، وازداد تأثيره في النفوس.

٣- مناهج دراسية لا بدّ منها للخطيب

ولا نقصد هنا بـ (المناهج) المناهج المعرفية التي سبق ذكرها، بل المقصود وضع مناهج مدرسية، فلا بدّ من منهجٍ مدرسيٍّ مُعدّ من قبل علماء أكفاء في جميع ما يحتاج إليه الخطيب: من قرآن وعقيدة وفقه وأصول وتاريخ، وعلم الرجال والدراية والفلسفة، وغيرها من العلوم المهمّة التي لا غنى لأيّ معهدٍ من معاهد إعداد الخطيب الحسيني عنها.

ولكلّ ما تقدم، ولصعوبة إمام الخطيب بكلّ ما ذكر «تولّدت ضرورة ملحّة

(١) فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص ٢٩٧.

لإعداد المنبر الحسيني، التي تحتاج مضافاً للدراسة الوافية، وتهيئة الإمكانيات المادية والاجتماعية المهمة، واختيار الظروف المناسبة لهذا المشروع زماناً ومكاناً، أن تكون تحت مظلة المرجعية الشيعية، ودعمها ومباركتها؛ لكي تكتسب الثقة والاطمئنان إليها من قبل العامة من المؤمنين، وكي تشكل طرفاً ممثلاً للكيان الشيعي، يمكن لأي تيار، أو مدرسة إسلامية، أو دينية أخرى التعامل معه، أو التحاور فيما يخدم المصالح العامة للمسلمين»^(١).

وأخيراً: أصبح الاختصاص المنبري من الأمور التي لا بدّ منها؛ إذ لا بدّ - للنهوض بواقع المنبر، تلك الأداة السامية - من إعداد خطباء يحملون ولو جزءاً يسيراً من الهمم الذي حملهم إمامهم الحسين عليه السلام في سبيل توعية الأمة، ونشر الفكر الإسلامي الأصيل، إذ كما نحن بحاجة إلى أطباء، ومهندسين، وعلماء في شتى العلوم، فنحن بحاجة إلى متخصصين في المنبر الحسيني، فلا يمكن ترك تلك الأداة المهمة والمباركة والخطيرة بيد غير الأكفاء أو المتطقلين عليها.

كما أصبحت الحاجة ماسةً إلى التخصص في نفس المنبر الحسيني، بمعنى «توزيع الأدوار على الخطباء بحسب اختلاف الاختصاصات، فلكل خطيب تخصص ينسجم مع قدراته وإبداعه»^(٢)، فنحن بحاجة إلى خطيب متخصص بفقهِ المعاملات مثلاً، كما نحتاج إلى متخصص في فقهِ العبادات، أو متخصص في الفلسفة وعلم الأديان، أو الاقتصاد الإسلامي، أو... إلى ما شاء الله من الاختصاصات، فالاختصاص ضرورة حياتية في عالمنا المعاصر.

(١) السلطان، محمد حميد، مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات): ج ١، ص ٢٠٦، مجموعة محاضرات (محاضرة السيد منير الحجاز).

(٢) المصدر السابق.

المصادر والمراجع

- ١- اثنا عشر رسالة، المير محمد الباقر الداماد (ت ١٠٤١هـ)، عني بطبعه ونشره ونفقته السيد جمال الدين المير دامادي، بخط أحمد النجفي الزنجاني، طبعة حجرية.
- ٢- الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي جواد الحجّار (معاصر)، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية، كربلاء - العراق، ط ١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٣- أصول البحث، عبد الهادي الفضلي (ت ١٤٣٤هـ)، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم - إيران.
- ٤- الأمالي، محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٥- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٦- بحوث فقهية مهمّة، ناصر مكارم الشيرازي (معاصر)، نسل جوان للطباعة والنشر، قم - إيران، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٧- التبليغ في الكتاب والسنة، محمد الريشهري (معاصر)، تحقيق حميد الحسيني، دار الحديث، قم - إيران، ط ١، ١٣٧٩ش.
- ٨- تجاربي مع المنبر، أحمد الوائلي (ت ١٤٢٤هـ)، انتشارات الشريف الرضي، قم - إيران، ١٣٧٨هـ.ش.
- ٩- تحف العقول، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (المتوفى في القرن الرابع الهجري)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
- ١٠- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي (معاصر)، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، ط ١، ١٤١٧هـ.

١١- جامع أحاديث الشيعة، حسين البروجردي (ت ١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية، قم - إيران، ١٣٩٩هـ.

١٢- الخطابة (أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب)، محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٣- الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي، حميد المبارك (معاصر)، بيت العلم للناهين، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م.

١٤- دروس في فن الخطابة، معهد سيّد الشهداء للمنبر الحسيني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط ٤، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م.

١٥- شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتاب العربية.

١٦- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م.

١٧- الصمت وآداب اللسان، عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق وتعليق محمد أحمد عاشور، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م.

١٨- العناوين الفقهية، عبد الفتاح الحسيني المراغي (ت ١٢٥٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، ط ١، ١٤١٨هـ.

١٩- عيون أخبار الرضا، محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، صحّحه وقَدّم له وعلّق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م.

٢٠- عيون الحكم المواعظ، علي بن محمد الواسطي الليثي (المتوفى في القرن السادس الهجري)، تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، قم، ط ١.

٢١- غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الأمدي التميمي (ت ٥١٠هـ)، عُني بترتيبه

وتصحيحه الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٢٢- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ط ٢، ١٣٦٣هـ. ش.

٢٣- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، أدب الحوزة، قم - إيران، ١٤٠٥هـ.

٢٤- ما وراء الفقه، محمد محمد صادق الصدر (ت ١٤٢١هـ)، المحين للطباعة والنشر، قم - إيران، ط ٣، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م.

٢٥- مباحث الأصول، كاظم الحائري قريراً لأبحاث السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٢هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، ط ١، ١٤٠٧هـ.

٢٦- مذكرات الشيخ بهلول، محمد تقي الكنابادي، نقلها إلى العربية ورتبها عبد العظيم المهدي البحراني، مكتبة سفينة النجاة، السالمية - الكويت، ط ٣، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٢٧- مستدرک نهج البلاغة، هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١هـ)، منشورات مكتبة الأندلس، بيروت - لبنان.

٢٨- معجم الخطباء، سيد داخل حسن، المؤسسة العالمية للثقافة والإعلام، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٢٩- معجم ألفاظ الفقه، أحمد فتح الله الجعفري (معاصر)، مطابع المدوخل، الدمام - البحرين، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٣٠- المعجم الفلسفي، جميل صليبا (ت ١٩٧٦م)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٣١- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد المنعم، دار الفضيلة، القاهرة - مصر، جامعة الأزهر.



٣٢- المنطق، أبو علي الحسين بن عبد الله المشهور بابن سينا.

٣٣- المنطق، محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.

٣٤- مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات)، محمد حميد السلطان، المجلس الإسلامي العلمائي - مركز الإمام الحسين عليه السلام للدراسات والبحوث، البحرين، ط ١، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.

٣٥- موسوعة طبقات الفقهاء، جعفر السبحاني (معاصر)، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم - إيران، ط ١، ١٤١٨ هـ.

٣٦- ميزان الحكمة، محمد الريشهري (معاصر)، دار الحديث، قم - إيران، ط ١، ١٤١٦ هـ.

المواقع الإلكترونية

٣٧- الشيخ محمد، سامي، العلم والفن، المفهوم والفروق: أنظر موقع: pulpit.alwatanvoice.com

٣٨- القوانين والتشريعات العراقية، قانون مؤسّسة المعاهد الفنية، رقم ٣٤، سنة ١٩٧٦ م، موقع: wiki.dorar.aliraq.net

٣٩- موقع الشيخ بهلول: www.bohloul.com

٤٠- موقع: www.egynews.net

ورقة عمل بعنوان سبل توحيد الخطاب المنبري الحسيني

الشيخ إسكندر الجعفري*

مقدمة

لا أحد يُنكر دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية، وعلى مدار العصور والأزمان، لا سيّما بعد النقلة النوعية التي حدثت له منتصف القرن الماضي تقريبا، النقلة التي طالت الأسلوب والمضمون معاً، مما أعطى ذلك للمنبر الحسيني أبعاداً واسعة، ومديات مهمة في العمل التبليغي والنشر الإسلامي، فلم يعد الخطيب الحسيني مجرد ذلك الناعي المفجع، الذي لا همّ له إلا تأجيح العواطف، واستدراار الدموع، عبر الصور والخيالات التي يرسمها بيانه وحركاته وصوته الحزين عن واقعة الطف وأحداثها الأليمة، بل أصبح واعظاً ومرشداً، وعالملاً موجهاً، يتناول مختلف النظريات العلمية، التي يمكن الاستعانة بها في مجال العقيدة والأخلاق وصالح الناس.

ولذا اتسعت دائرة الخطاب الحسيني، وخرج من حدوده المكانية والفكرية الضيقة، ليصل إلى المساجد والقاعات العامة، والجامعات، والكليات، والمعاهد، والمراكز الثقافية، وغيرها من الأماكن العامة، وفي مختلف مناطق العالم، ويشمل خطابه كلّ المجالات الفكرية والعلمية، فطال السياسة، والاقتصاد، والمجتمع، والعلوم الحديثة، ومختلف التخصصات.

* كاتب وأستاذ في الحوزة العلمية، النجف الأشرف، من العراق.

وبسبب هذه السعة والشمولية والقفزة النوعية أصبح المنبر الحسيني من أبرز المصادر الفكرية والعلمية التي يعتمدها الناس؛ ليأخذوا منه معلوماتهم الدينية، ومختلف التوجيهات، ولا نبالغ إذا قلنا: إنه أصبح يشكّل المصدر الوحيد لدى الناس، أو الأوّل بحسب تصنيفهم.

ومن هنا؛ كان من الضروري أن تأخذ المؤسسات الفكرية والثقافية التي تُعنى بالمنبر الحسيني دورها في تطوير الخطاب الحسيني، ومعالجة الأخطاء والإشكاليات التي تقع في طريقه، ولا بدّ من وقفات جادة، ومبادرات حقيقية، لتقويم الخطاب الحسيني، والارتقاء به نحو الأفضل والأكمل.

ومن تلك الوقفات والمشاريع المهمة (توحيد الخطاب الحسيني) الذي سنتناوله مفصلاً في هذه الصفحات، حيث نحاول تسليط الأضواء على أهمية هذا المشروع وفوائده، وكيفية حصوله ووسائله، وسنذكر - إن شاء الله - بعض المقترحات في هذا الصدد، ولعلّها ستكون منطلقاً لبناء هذا المشروع ونجاحه في المستقبل. وسنقسّم البحث على قسمين:

سنتناول في القسم الأول أهمية توحيد الخطاب الحسيني والآثار المهمة المترتبة عليه، بينما في القسم الثاني سنتناول كيفية تحقيق ذلك، وما هي أهم المقترحات التي يمكن أن تنفع في هذا المجال.

القسم الأول: أهمية توحيد خطاب المنبر الحسيني

في البداية لا بدّ من توضيح معنى (توحيد الخطاب الحسيني)، وفي هذا المجال نطرح الاحتمالات الآتية:

الاحتمال الأول: أن يكون المقصود (توحيد الشكل والمحتوى)، بحيث يكون الخطاب مكتوباً يحفظه الخطيب ويُلقيه على الجماهير، وهذا الاحتمال يواجه سلبيات عدّة، منها:

١- إنَّ الخطاب سيكون بمنزلة القصيدة التي تُحفظ وتُلقى على الناس، دون أن يكون للخطيب أيُّ دور في إنشائه، ومن المعلوم أنَّ هذا لا يساعد على التفاعل، لا من جانب الخطيب ولا من جانب الجمهور، فإنَّ الكلام - كما يُقال - إذا خرج من القلب دخل القلب.

٢- على هذا الأساس لا يبقى فرق ملحوظ بين الخطيب المفوّه وبين غيره، بل لا فرق بين الخطيب وغير الخطيب؛ إذ يمكن لكلِّ إنسان قادر على الحفظ ولديه قدرة على الإلقاء أن يحفظ نصَّ الخطبة المكتوب ويلقيه على الناس، وبذلك تضيع الكثير من المميّزات التي يتمتع بها بعض الخطباء.

٣- إنَّ هذا الأسلوب يختلف تأثيره من مجتمع إلى آخر، فإنَّ اللغة التي كُتبت بها الخطاب قد لا تؤثر في مجتمع بنفس درجة التأثير في مجتمع آخر، فالمجتمعات كما نعلم تختلف فيما بينها بحسب المستوى الثقافي والبيئي وبحسب اللهجة الدارجة، فمن غير الممكن أن تتأثر جميعها بنفس الدرجة إذا كان الأسلوب واحداً، وهذا الأسلوب سيكون خلاف الحكمة التي تقتضي أن يكلم الخطيب الناس على قدر عقولهم.

الاحتمال الثاني: أن يكون المقصود (توحيد المضمون فقط)، أي: إنَّ المعنى واحد، ولكن الخطيب له مطلق الحرّية في التعبير والصياغة، كما لو كان المضمون حول الطلاق ومشاكله، فيمكن للخطيب أن يتحدّث عن مشاكله من وجهة نظر فقهية، ويمكن من وجهة نظر اجتماعية، وأخرى نفسية، وهكذا، فالمهم أن يكون المضمون واحداً وإن تعددت الأساليب واختلفت التعبيرات.

وهذا الاحتمال جيد ونافع ولا يواجه مشكلة إلا من جهة أنّه سيقيد الخطيب بمواضيع معيّنة ومحددة، بحيث لا تكون لديه فسحة في اختيار المواضيع، ولكنّه مع ذلك يبقى احتمالاً جيداً ومفيداً كما سنلاحظ فيما بعد.

الاحتمال الثالث: أن يكون المقصود (توحيد الرؤى والأهداف والأفكار)، ومعنى ذلك أن يكون المسار الفكري والخطوط العامّة والتوجهات متفقاً عليها

بين الخطباء، ولا يعني ذلك الاتفاق في الجزئيات والأمور الجانبية، وإنما الاتفاق في القضايا الكلية، ولنذكر بعض الأمثلة:

- ١- الابتعاد عن طرح المسائل الخرافية والأحلام.
- ٢- الابتعاد عن القصص والحوادث الخيالية التي لا واقع لها.
- ٣- توثيق مصادر الموضوع ومراجعة المصادر المعتمدة.
- ٤- عدم الخروج عن ثوابت المذهب ومسلماته التي عليها السلف والخلف.
- ٥- عدم استخدام المنبر للدعاية الشخصية أو لتصفية الحسابات.
- ٦- الابتعاد عن طرح المواضيع التي تُثير الحساسية وتوجب تفريق الصف الإسلامي، أو المذهبي، وطرحها بأسلوب دبلوماسي لا يُثير حفيظة الآخرين، ويكون مقبولاً قدر الإمكان.

٧- اعتماد الطرح الموضوعي.

- ٨- تكوين رؤية موحدة لما ينبغي أن يُقال وما ينبغي أن لا يُقال.
- إلى غيرها من الأسس والمنطلقات التي ينبغي أن تحكم الخطاب الحسيني. وهذا الاحتمال في فهم توحيد الخطاب الحسيني جيد ومفيد وضروري. ومن خلال هذا الاستعراض يتضح أن الاحتمال الأول للتوحيد بعيد جداً، بينما الاحتمال الثاني والثالث هما المرجحان والمتبادران من توحيد الخطاب في المنبر الحسيني.

ويمكن أن نجمع بين الاحتمالين، فيكون المقصود توحيد الرؤى والمضامين، ليكون لدى الخطيب الحسيني مسارات فكرية معينة وخطوط عامة تحكمه لا يتخطاها، وفي نفس الوقت لديه مضامين معينة يشترك مع باقي الخطباء في طرحها وتناولها. فالذي نراه مناسباً في فكرة توحيد الخطاب المنبري، هو أن يتم دمج الاحتمالين الثاني والثالث معاً تحت عنوان (توحيد الرؤى والمضمون)، وهذا ما ندعو إليه من خلال هذا البحث.

وإذا اتضح ذلك نقول: إن توحيد الرؤى والبنى الفكرية لدى خطباء المنبر الحسيني يُشكّل ضرورة، نصلح عليها (ضرورة منبرية)؛ لإبعاد المنبر الحسيني عن التناقض والتباين في الآراء والأفكار التي تفرضها طبيعة الاختلاف في الرؤى والبنى الفكرية، فإن الذي يؤمن بحجية الرؤيا والأحلام من المؤكّد سيفرز منبره نتائج تتناقض مع مَنْ لا يؤمن بتلك الأمور، كما أنّ الذي لا يُعير أهميّة للتثبت التاريخي، فيروي كلّ ما موجود في التراث سيقع هو نفسه في التناقض، بحيث يروي اليوم شيئاً ولكنه يروي ما يعارضه غداً.

وكم يشهد منبرنا مثل هذه التناقضات والتهافتات التي جرّت علينا الولايات، فتحوّلت إلى مبررات بيد كلّ مَنْ يُريد أن ينتقد المنبر الحسيني أو المذهب، أو الإسلام، وما زالت بعض الفضائيات والمواقع تتصيد ما يصدر عن خطباء المنبر الحسيني من تهافتات، وتنسب ذلك إلى المذهب، حتى أُعدّت برامج خاصّة لذلك الغرض.

ومن هنا؛ يُعدّ من الضروري تصدّي أولي الشأن والاختصاص لمعالجة هذه المشكلة أو محاولة طرح الحلول اللازمة، ولعلّ مجلّة الاصلاح الحسيني هي السبّاقة في طرح هذه القضية ومحاولة معالجتها، علّما تكون فاتحة خير للمختصّين وأولي الشأن من مؤسسات دينية وشخصيات علمائية، أو خطابية لطرح الحلول والمقترحات.

إذاً، توحيد الرؤى والمضمون قضية أساسية لا يمكن إغفالها أو تركها، فلا بدّ من التفكير الجاد في إيجاد رؤية يشترك فيها كلّ الخطباء ويؤمنون بمبادئها وإن لم يتيسر جميعهم فالأغلب، فإن ما لا يدرك كلّه لا يُترك جُلّه.

وأهميّة توحيد خطاب المنبر الحسيني لا تقتصر على توحيد الرؤى والمضمون، بل تتعدّى ذلك إلى ما هو أوسع، ويمكن ذكر مجموعة من الفوائد:

الفائدة الأولى: إنّ طرح المواضيع الموّحدة في مدّة زمنية معيّنة أو أوقات متقاربة، من شأنه أن يركّز الأفكار في أذهان المجتمع بشكل جيّد، ويؤثّر في نفوسهم، بحيث يتحرّك الأغلب على وفقها، ولنا في ذلك تجارب عدّة، منها:

١- الدعوة إلى المشاركة في الانتخابات في السنوات الماضية، حيث تصدّى الخطباء - تبعاً للمرجعية الدينية العليا - للحديث عن أهمية الانتخابات وضرورة المشاركة فيها، فلقي ذلك إقبالاً واسعاً من قبل الجماهير.

٢- دعوة الناس إلى التصدي للهجمة الشرسة التي تعرّض لها العراق من قبل الإرهابيين والتكفيريين، فإن المنبر الحسيني كان له الدور الفاعل في حثّ الناس وتوعيتهم، وكان للخطباء حضور مميّز في تلك المرحلة الحرجة، سواء في جبهات القتال؛ لِحثّ المقاتلين على الصمود والمقاومة، أو في مختلف المحافظات والأقضية والنواحي؛ لِحثّهم على الجهاد ودعم المجاهدين، أو على الفضائيات.

والذي نريد قوله: إنّ الخطاب الموحد قد لعب دوراً مهماً في حثّ الناس وتوعيتهم، فإنّ المتلقي يستمع إلى الحديث عن أهمية الانتخابات أو ضرورة دفع الإرهابيين يومياً تقريباً وفي مختلف الأماكن، ومن أفواه متعددة، وبأساليب مختلفة.

فلو تحدّث الخطباء اليوم عن ظواهر معيّنة كظاهرة الطلاق - مثلاً - المنتشرة بكثرة في السنوات الأخيرة، أو ظاهرة تناول المخدرات التي شاعت بكثرة في أوساط الشباب، أو ظاهرة تردي الواقع التعليمي في العراق، وغيرها من الظواهر، بحيث يطرح الخطباء هذه المواضيع في موسم واحد أو في أزمنة متقاربة، فالذي في بغداد يسمع الحديث عنها وعن مشاكلها وحلولها، والذي في البصرة يسمع الأحاديث نفسها أو قريباً منها، وفي ذي قار أيضاً، وهكذا في بقية المدن، فمن المؤكّد أنّ كثيراً من الفضائيات ستقوم بنقل جانبٍ من ذلك؛ لأنّه كما يُقال (حديث الساعة) حسب الافتراض، ولا أظنّ أنّ أحداً يشكّ في فائدة ذلك ونفعه للناس، حيث يتم توجيه أنظار الجمهور إلى قضايا معينة مهمّة يحتاج الناس إلى معرفة حلولها وعلاجاتها؛ لأنّها تُهدد وحدة المجتمع وتماسكه تماماً، كانتشار الأمراض الخطيرة المميتة؛ حيث تتناول وسائل الإعلام الحديث عنها وعن خطورتها بشكل مركز في وقت واحد، ممّا يُسهم بشكل كبير في التقليل من الإصابة بها أو إمكانية علاجها، ولعلنا لم ننس كيف تعامل المختصّون والإعلاميون مع مرض (انفلونزا الطيور)، الذي ظهر في الآونة

الأخيرة، وكيف تمّ التغلّب عليه أو التقليل من خطورته، كلّ ذلك من خلال التركيز المكثّف على أعراضه وكيفية الوقاية منه.

الفائدة الثانية: عندما يكون الحديث عن موضوع محدد، فإنّ ذلك سيثير الرأي العام ويحرّك المعنيين والمختصّين والإعلاميين للحديث عنه، خصوصاً إذا كان الموضوع هاماً للجميع، وحينئذٍ يمكن أن يُفرز المجموع حلولاً للمشكلة أكثر تأثيراً، فإنّ هذا الخطيب قد يطرح حلّاً، وذلك يطرح حلّاً آخر، وهذا الباحث يطرح رؤية معينة، وذلك الإعلامي يقدّم شيئاً نافعاً، وقد يُشارك الجمهور من خلال عرض مشكلاتهم في صناعة حلولٍ أكثر واقعية.

هذا بخلاف ما لو تناول هذا الموضوع خطيب واحد أو أكثر في أزمته متباعدة، فإنّ تأثيره في تحريك الرأي العام سيكون محدوداً جداً.

وهذه الفائدة ليست عامّة في كلّ المواضيع التي يطرحها الخطباء، وإنّما تخصّ المواضيع ذات الطابع الاجتماعي من قبيل (انتشار الطلاق، وانتشار المخدرات، وانتشار قطيعة الرحم، ومشاكل الأنترنت) ونحوها من المواضيع الاجتماعية التي فيها فسحة لتدخل غير المختصّين من العلماء والفقهاء، فإنّ مثل الأحكام الشرعية وقضايا العقائد لا مجال لغير المختصّ من التدخل فيها.

وهذه الطريقة سوف توفر للخطيب مادة واسعة وشاملة للموضوع فيما لو أراد طرحه مجدداً، فقد تبقى الحاجة قائمة لطرح الموضوع مراراً وتكراراً.

الفائدة الثالثة: لعلّ من الفوائد تولّد الحاجة لدى الخطباء في مشورة بعضهم لبعض الآخر في إعداد الموضوع وتوفير مادته؛ لأنّ طبيعة الموضوع الواحد تفترض نوعاً من التشاور وتبادل المعلومات، وهي قضية مهمّة نحتاجها في تطوير المنبر الحسيني وإبعاده عن التسطيح الذي يكون سببه غالباً عدم الإحاطة الكافية بالموضوع، فإذا استطاع الخطيب أن يُحيط بموضوعه جيداً من خلال مشاوراته مع الخطباء الآخرين، استطاع بكلّ تأكيد أن يطرح موضوعاً جيداً وأكثر نفعاً.

القسم الثاني: كيفية توحيد خطاب المنبر الحسيني

من المعلوم أنّ نجاح المنبر وقوة تأثيره يتأثر بعوامل عدّة، منها: نوعية الموضوع والفكرة التي تُطرح، فإنّ الموضوع الجيّد والحَيّ الذي يعالج مشكلة اجتماعية، أو يطرح فكرة يحتاجها الناس يتفاعل معه الجمهور ويتأثرون به، وهذا بخلاف الموضوع الذي لا يقع تحت عناية الناس واهتمامهم ولا يلبي حاجاتهم الفكرية والنفسية والاجتماعية، فإنّه لا يلقي اهتماماً، ولا يجلب انتباهاً.

إذاً، من عوامل نجاح المنبر أهميّة الموضوع المطروح ومقدار حاجة الناس إليه. ومن تلك العوامل أيضاً لمسات الخطيب وموهبته الخاصّة، التي تضيف إلى الموضوع رونقاً خاصاً تجعله أكثر تأثيراً في نفوس الجمهور، فشخصية الخطيب وقدرته البيانية ونبرات صوته وحركاته وطريقة أدائه كلّها عوامل مهمّة في عرض الموضوع وتصويره.

وكثيراً ما نشاهد خطباء يمتلكون معلومات جيّدة وقيّمة، ولكنّهم يفتقرون إلى المهوبة والقدرة البيانية وطريقة عرض الموضوع؛ فلذا لا نجد لهم جمهوراً وحضوراً يتناسب مع حجمهم العلمي.

ومن أجل ذلك؛ يلزم عند طرح أية محاولة لتوحيد الخطاب الحسيني مراعاة هذين العاملين (أهميّة الموضوع)، و(مواهب الخطيب الخاصّة)، للمحافظة على قوّة المنبر وشدّة تأثيره في النفوس.

ومن هنا؛ فإنّ المحاولة التي سنطرحها قد لوحظ فيها هذان العاملان.

وتتلخص المحاولة بأنّ تتبنى جهة مختصّة بشؤون المنبر الحسيني انتخاب مواضيع مهمّة معاصرة، وإعداد ملفات لكلّ موضوع، ثمّ توضع هذه الملفات في متناول أيدي الخطباء في كلّ موسم، ونظراً لأهميّة المواضيع المنتخبة ولقيمة المادة المطروحة سنضمن تفاعل نسبة كبيرة من الخطباء معها، ولعلّ نسبة التفاعل ستزداد

في المواسم اللاحقة فيما لو وجدوا ضالتهم في هذه المواضيع والملفات، كما لعلهم سيشاركون في تطوير هذا المشروع من خلال ملاحظاتهم، والعناوين التي يمكن أن يساهموا في طرحها، أو المعلومات التي يمكن أن يضيفوها.

ولتوضيحها أكثر نقول: إن الخطيب الناجح يفكر دائماً في انتخاب المواضيع المهمة التي هي موضع اهتمام الجمهور، ونجاحه يعتمد بشكل كبير على نوع المعلومات والأفكار التي يطرحها، وأحياناً يهتدي إلى انتخاب ما ينبغي أن يُطرح، وأحياناً لا يهتدي إلى ذلك؛ لعدم الالتفات - مثلاً - فهو بحاجة لمساعدة من يلفت نظره وعنايته إلى الفكرة أو الموضوع، كما نلمس ذلك أحياناً عندما يسأل سائل عن قضية، فينتبه الخطيب إلى أهمية الموضوع المسؤول عنه، فيقوم بإعداد الموضوع وطرحه على الجمهور، ولربما يكون الخطيب ملتفتاً إلى أهمية الموضوع، ولكنه لا يتوفر على المادة الكافية التي تساعد على طرحه، أو يحتاج جمعها وإعدادها إلى وقت طويل لا يتوفر لدى الخطيب، فهو بحاجة إلى من يُعينه في توفير المادة اللازمة في وقت قياسي. إذاً، فالخطيب بحاجة إلى من يلفت انتباهه إلى المواضيع المهمة لا سيما المعاصرة، وبحاجة أيضاً إلى من يوفر له المعلومات التي يحتاجها لغرض الاحاطة بالموضوع.

وحيث إن العناوين والموضوعات المهمة كثيرة ومتجددة؛ لذا فالمناسب أن تُنتخب مجموعة موضوعات في كل موسم وتُعدّ بشكل مستوفٍ، ثم تُطرح قبل موسم التبليغ بمدّة زمنية تكفي الخطباء لتهيئتها وحفظها لإلقائها.

وهذه الطريقة يمكن أن تُسهّم ولو بشكل محدود في توحيد المواضيع المطروحة، بحيث نضمن أنّ عدداً من الخطباء قد تناولوا هذه الموضوعات في محاضراتهم في موسم واحد أو مواسم متقاربة، ويمكن أن يتطوّر هذا المشروع بعد التجربة.

ولعلك تقول: أيّ فرق بين فكرة إعداد الملفات، وفكرة المجالس المكتوبة، فإنّها أيضاً توفّر للخطيب مواضيع جاهزة مكتوبة، لا يلزمه - إن أراد إلقاءها - إلا حفظها، وهي فكرة شائعة منذ زمن، ولم تُحقق شيئاً يذكر على مستوى توحيد الخطاب الحسيني.

ولكن نقول: هناك فوارق جوهرية بين فكرة إعداد الملفات، وفكرة إعداد المجالس المكتوبة، وهي كالآتي:

١- فكرة إعداد المجالس لا تستهدف توحيد الخطاب الحسيني؛ لنتظر منها هذه النتيجة، فهي فكرة عشوائية تقوم على أساس طرح المجالس المكتوبة التي تمّ إلقاؤها أو التي يُراد إلقاؤها، بينما فكرة إعداد الملفات تطمح لتوحيد الخطاب الحسيني اعتماداً على قيمة المطروح وأهميته.

٢- المجالس المكتوبة لا تعطي للخطيب حرية في اختيار مداخل البحث؛ لأنّها تبدأ كما هو المتعارف باختيار قصيدة، أو آية قرآنية، أو حديث، أو حكمة، أو غيرها، ثمّ يدور الحديث حول ذلك، وطبيعة المجالس المكتوبة أن لا تكون مستوعبة لتمام أطراف الموضوع، وإنّما تتناول أطرافاً منه أو مقتطفات، بينما فكرة الملفات تحاول استيعاب الموضوع بشكل متكامل أو على الأقل مهماته، ممّا يُعطي للخطيب حرية كافية في اختيار مدخل البحث، كما سيتضح ذلك جيداً في التطبيقات.

٣- فكرة المجالس المكتوبة تقتل بعض مواهب الخطيب ولمساته؛ إذ الكثير من مواهب الخطيب تظهر في اختياره للموضوع وطريقة عرضه، فإذا ما اعتمد على المجلس المكتوب فإنّه سيتقيّد في كثير من الأحيان بطريقة العرض التي اعتمدها كاتب المجلس، وهي قد تختلف عن طريقة الخطيب.

٤- المجلس المكتوب يعتمد على فهم الكاتب للموضوع، ورؤيته للآية، وفهمه للنصوص، والخطيب الذي يعتمد على ذلك إنّما يكون ناقلاً أو مقلداً، بينما في فكرة الملفات لا توجد إملاءات كما هو الحال في المجالس المكتوبة، فالملف يعرض الموضوع بتفاصيله كافة، وتترك مسألة القناعات والاستدلالات وفهم النصوص وتقويمها إلى الخطيب نفسه.

والحاصل: هناك فوارق واضحة بين المجالس المكتوبة والملفات المعدة لصناعة الخطاب.

ولكي تتضح الفكرة أكثر نذكر فيما يلي التطبيق الآتي:

ظاهرة كثرة الطلاق

ولا بدّ من الالتفات إلى أنّ الملف الذي يُراد إعداده مختصّ بدراسة ومعالجة هذه الظاهرة، ولا يتناول باقي موضوعات الطلاق، من قبيل شروط وقوعه، ومسائل العدة ونحو ذلك.

ولغرض إعداد هذا الملف نتبع الخطوات الآتية:

الخطوة الأولى: استخراج الآيات التي تتحدّث عن هذا الموضوع، ودراستها بشكل جيّد، ثمّ تُذكر كلمات المفسّرين، وموارد الاتّفاق والاختلاف، مع ما يمكن أن يُضاف إليها من تصورات ورؤى.

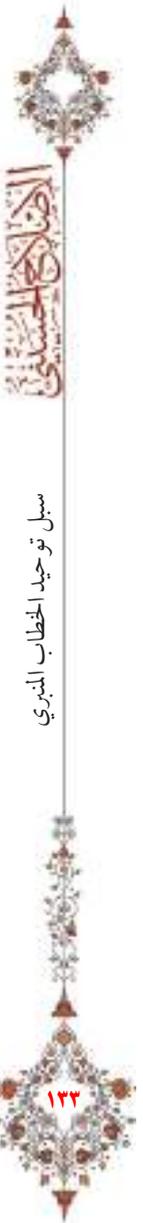
الخطوة الثانية: تُستخرج الأحاديث والروايات الخاصّة بهذا الموضوع، ثمّ تُدرس هذه الروايات دراسة وافية، وتُطرح النتائج والخلاصات، ويُترك الأمر في نهاية المطاف إلى تقييم الخطيب وتقديره.

الخطوة الثالثة: نسب وإحصائيات.

دعاوى الطلاق عام ٢٠٠٤م (٢٨٦٨٩)، وفي عام ٢٠٠٥م (٣٣٣٤٨)، وفي عام ٢٠٠٦م (٣٦٦٢٧)، وفي عام ٢٠١٢م (كل ٥٠ حالة طلاق مقابل ١٠٠ حالة زواج)، وفي عام ٢٠١٣م (أكثر من ١٦٠ ألف حالة طلاق)، وفي عام ٢٠١٦م بلغت حالات الزواج ٨٣٤١ بينما بلغت حالات الطلاق ٥٢٠٩، فنسبة الطلاق اثنان وستون بالمائة تقريباً.

وهناك نسب أكثر تفصيلاً، يمكن أن تُذكر، كالنسب بحسب المحافظات، وكذا النسب بحسب الأعمار، وغيرها.

تُستخرج هذه النسب من مواقعها الرسمية، كالتقارير الحكومية، ومقالات القضاة والقانونيين، وأبحاث المختصّين، وتوضع في الملف لتكون بين يديّ الخطيب.



الخطوة الرابعة: أسباب الطلاق ومبرراته.

هناك دراسات كثيرة حول أسباب الطلاق، منها: قانوني واجتماعي، ومنها: ديني، وغير ذلك، ويمكن جمع ذلك من خلال البحوث والدراسات التي تنشرها المواقع المختصة، ولنذكر منها:

الأول: العامل الاقتصادي.

الثاني: مواقع التواصل الاجتماعي.

الثالث: التأثر بالمسلسلات المدبلجة.

الرابع: الزواج غير الواعي، والاختيار الخاطيء.

الخامس: التدخل السلبي من قبل الأسرة.

السادس: الدور السلبي للمحامين الذين لا يفكرون إلا في كسب المال.

وهناك غيرها من الأسباب، وكل واحد منها يحتاج لشرح وافٍ وتفصيل كثيرة. والكثير من الدراسات الميدانية تقوم بنقل قصص وحكايات مختلفة حول هذا الموضوع، يمكن إدراجها في هذا الملف والإفادة منها.

الخطوة الخامسة: العلاجات والحلول.

في هذا الحقل تُدرج الحلول والعلاجات المناسبة.

هذه حقول الملف التي تقبل الزيادة والنقيصة، كما تقبل مضاعفة المعلومات التي تُذكر في كل حقل، توضع بين يدي الخطيب؛ ليأخذ تصوراً كاملاً عن الموضوع، كما له كامل الحرية في التقييم واختيار الآية التي يفتح بها الحديث أو الرواية، كما له الاختيار في ترتيب الموضوع وتسلسله، أو الإضافة عليه.

الملف المذكور ما هو إلا فكرة مصغرة عن المقترح الذي ندعو إليه في هذا

البحث، وهو مقترح بحاجة إلى ملاحظات الإخوة المختصين.

وفي تقديرنا هو يحقق الأمور الآتية:

١- نضمن تناول جمع من الخطباء موضوع الملف.

٢- المحافظة على مواهب الخطيب وخصوصياته من خلال كيفية الإلقاء، وكيفية تناوله، من اختيار الآية التي يراها مناسبة في نظره، مع اختياره للترتيب المناسب.

٣- فسح المجال للخطيب للتحليل والقراءة، وعدم فرض القناعات عليه، أو تقييده بأفكار معيَّنة.

هذه هي الفكرة التي أحببت طرحها في هذه الصفحات، والتي أعتقد أنّها توفر الحد الأدنى من توحيد خطاب المنبر الحسيني، وبكل تأكيد هي تحتاج إلى ملاحظات المختصين.

نعم، تبقى لدينا الفكرة الأهم، وهي فكرة توحيد الرؤى والأفكار والمباني، فإنّها تحتاج لمقترحات وأطروحات، تذلل الصعاب، وتفتح المجال لتجسيد هذا المشروع الكبير، ويمكن في هذا المجال أن نقدّم هذه الرؤية:

فيما يخصّ توحيد المضمون قدّمنا مشروع الملفات الذي يمكن أن يكون منطلقاً لتوحيد المضمون الخطابي، وأمّا فيما يخصّ توحيد الرؤى والمباني، فيمكن أن ننطلق من المقترحات الآتية:

الأول: يمكن أن ننطلق من مشروع إقامة (متدى الخطباء) حيث توجه الدعوة فيه لمختلف الخطباء، لا سيّما البارزين منهم، ليتم طرح الأفكار والرؤى التي يُراد توحيدها، والاستماع لوجهات النظر المختلفة، على أن يستضيف المتدى شخصيات علمية مهمّة لهم كلمة مسموعة في أوساط الخطباء، ويمكن أن يُعقد المتدى بشكل دوري، في كلّ شهر مرّة، أو في المناسبات، أو قبل موسم التبليغ، أي: قبل شهري رمضان ومحرم بمدة زمنية يتسنى من خلالها العمل بتوصيات المتدى التي سيخرج بها.

ولهذا المشروع أمثلة مشابهة قد حققت نجاحات لافتة، منها المنتديات الشعرية التي كانت تُعقد سابقاً في الكثير من المحافظات العراقية، كالنجف الأشرف، وبغداد، وغيرهما، ولعلّ بعضها لا زال قائماً، وفي هذه المنتديات يتمّ تناول كلّ ما

يخصّ الشعر من عروض ونقد وقصائد، ممّا يُسهم في تطوير المهارات الشعرية عند أغلب روادها، وهكذا المجالس العلمية التي كانت تحتضنها البيوتات العلمية في حوزة النجف الأشرف، والتي كان يحضرها كبار الفقهاء والأساتذة، وتُطرح فيها الأسئلة العلمية، وتتحوّل الجلسة إلى ساحة للاحتدام الفكري، والنقاش العميق، وقد سمعت من بعض الأعلام أنّه قال: كانت تلك المجالس مهمّة، وقد انتفعنا بها كثيراً، وصقلت مواهبنا.

فما المانع أن يجذوا الخطباء حذو الشعراء والأدباء، أو حذو الفقهاء والعلماء، في عقد مثل هذه المنتديات التي ستُسهّم بكلّ تأكيد في تقارب الرؤى والأفكار لدى بعض من الخطباء على أقلّ تقدير، وإذا استطعنا أن نقارب بين أفكار ورؤى بعض الخطباء لا سيّما البارزين سيكون ذلك إنجازاً كبيراً، يمهد لإنجازات أخرى.

ويبقى أمامنا الجهة التي ستُنظّم هذا المنتدى، بعد الالتفات إلى أنّها لا بدّ أن تتمتع بموقع ومركزية يضمن لها نجاح مثل هذا المشروع، واستجابة الخطباء لها، ويمكن أن تتولى العتبة الحسينيّة هذا المشروع، أو إحدى مؤسّساتها، مثل مؤسسة (وارث الأنبياء)، فإنّ هذه الجهة مناسبة جداً لتولي هذه المهمّة.

الثاني: أن تتولى المرجعيات الدينية الفاعلة لا سيّما المرجعية العليا تقديم توصيات خاصّة إلى الخطباء، وتوجيهات هامّة تقع في طريق هذا المشروع، فإنّ للمرجعية صوتاً مسموعاً وأذناً صاغية في الوسط الاجتماعي، وعند شريحة واسعة من الخطباء، ولا شكّ في أنّ هذه التوجيهات ستُسهّم بنسبة معيّنة في توحيد مقدار من الرؤى والأفكار.

الثالث: إنشاء معهد خطابي متخصص يقوم بإعداد الخطباء، وهذا المعهد يمكن أن يأخذ على عاتقه رسم المسارات السليمة والخطوط العريضة، التي يجب على الخطيب المحافظة عليها، فكما يتعلّم في هذا المعهد فنون الإلقاء، وكيفية إعداد

المحاضرة والأطوار المتنوعة، كذلك يتعلّم ما يضمن له وحدة المنبر في مساره ورؤاه،
فيتربى الخطيب على ذلك من أوائل مسيرته الخطابية.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا المقترح الثالث يحتاج إلى وقت طويل لتظهر نتائجه،
وتبدو ثماره؛ لأنّه يعتمد في تحقيق الهدف على تربية جيل جديد من الخطباء يتعلّم
من نعومة أظفاره ما يحتاجه في توحيد الخطاب في المنبر الحسيني، بينما في المقترحين
الأوليين لا يحتاج الأمر إلى وقت طويل جداً، بل من الممكن أن تظهر نتائجه في وقت
قصير نسبياً.

وسيبقى مشروع (توحيد خطاب المنبر الحسيني) هدفاً نبيلاً، وغايةً سامية،
تحتاج لتضافر الجهود، وتسخير كلّ الإمكانيات الممكنة لتحقيقه، خدمة لمجتمعنا
الإسلامي، ورعاية لأهدافه العليا.

العوامل المؤثرة في تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني

د. الشيخ أسعد علي السلطان*

مقدمة

إن كل حركة رسالية - وحيانية كانت أو غير وحيانية - لا بد أن تمتلك مجموعة من الوسائل الإعلامية التي تمكنها من إيصال مضامينها التي تؤمن بها إلى الناس، كما أنها تسعى دائماً إلى تهذيب هذه الوسائل، وجعلها تدور حول هدفها أو أهدافها التي كانت سبباً في وجودها. وبما أن الدين الإسلامي ليس بمعزل عن هذه السنّة الاجتماعية، فقد امتلك بدوره وسائل إعلامية عدّة، كان من أهمها المنبر التبليغي الذي منحه القرآن الكريم لأعظم شخصية إسلامية، ألا وهي شخصية الرسول الكريم محمد ﷺ، حيث يقول عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الرّسولُ بَلِغَ مَا أنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)، ويقول أيضاً: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾^(٢).

ثم توالى - بعد ذلك - المراحل التي مرّت بها هذه الوسيلة الإعلامية، وصولاً إلى سنة (٦١ هـ) التي تحرّك فيها سيّد الشهداء عليّ عليه السلام، صادقاً بدعوة الحقّ، وداعياً إلى إحياء سنّة جدّه محمد ﷺ، بعد محاولات طمسها وتشويهها من قبل الحكّام الجائرين

* باحث إسلامي، وأستاذ في جامعة المصطفى ﷺ العالمية/ من العراق.

(١) المائدة: آية ٦٧.

(٢) النحل: آية ٤٤.

من بني أمية، فإنه بعد استشهاده عليه السلام في واقعة الطف المروعة أصبح للمنبر التبليغي - الذي أطلق عليه أيضاً المنبر الحسيني - حضور واسع ودور كبير في إيصال المفاهيم الإسلامية الصحيحة، ومظلومية أهل البيت عليهم السلام. ولأهمية هذه الوسيلة الإعلامية في حياة الناس، وصورورها جزءاً لا يتجزأ من الواقع الإسلامي الشيعي؛ فقد انبرى مجموعة من المحققين إلى الحديث عنها، كلٌ بحسب زاويته الخاصّة، وبحسب الفراغ الذي يرى ضرورة ملئه من خلال ما يقوم به من دراسة.

هذا، ونحن في المقام نوذّ الخوض في حديث مهمّ نسعى من خلاله إلى حفظ كيان هذه الوسيلة الإعلامية، وإلى جعلها ذات فعالية كبيرة في إرساء التعاليم الإسلامية في المجتمع الإنساني؛ وذلك من خلال تشخيص جملة من العوامل التي تؤدّي إلى تضييع أو تشويه الهدف المفترض ترتبه على هذه الوسيلة الإعلامية، مع إبداء بعض المعالجات في المقام.

ولكي تتمكن من إيصال فكرة هذا المقال إلى القارئ الكريم بشكل جيّد، سوف نقسّم الحديث في المقام على تمهيد نقف فيه على بيان المراد من المنبر، والمراحل التاريخية التي مرّ بها، والأركان الرئيسة التي يتألّف منها، ثمّ نجعله في ثلاثة محاور رئيسة نقف فيها على دور كل من: المبلّغ، والمادة التبليغيّة، والجمهور، والأوضاع التي تحيط بالمنبر، في تضييع أو تشويه الهدف الرسالي لهذه الوسيلة الإعلامية المهمّة.

التمهيد

النقطة الأولى: بيان المراد من المنبر لغةً واصطلاحاً

أمّا لغةً فقد ذكر الفراهيدي: «النبر بالكلام: الهمز، وفي الحديث: أن رجلاً قال: يا

نبي الله. فقال النبي ﷺ: لا تنبر باسمي، أي: لا تهمز. وكل شيء رفع شيئاً فقد نبره»^(١)، وقال الجوهري: «نبرت الشيء أنبره نبراً: رفعت، ومنه سُمِّي المنبر. ونبرة المغني: رفع صوته عن خفض...»^(٢)، إلى غير ذلك من كلمات اللغويين التي يتضح منها أن مفردة المنبر لها دلالة على الارتفاع والعلو عن الأرض.

أمّا المعنى الاصطلاحي للمنبر فلم يخرج عن المعنى اللغوي أعلاه، قال الشيخ الصدوق رحمته الله: «إذا فرغت من الصلاة فاجتهد في الدعاء، ثم ارق المنبر، فاخطب بالناس إن كنت تؤم الناس»^(٣)، وقال الشيخ الطوسي رحمته الله: «وينبغي أن يقوم الإمام في حال الخطبة على شبه المنبر معمول من طين»^(٤). وللتلازم المشاهد بين المنبر والخطبة الدينية نجد أن بعضهم ساوى بين المنبر والخطبة الدينية في المعنى الاصطلاحي^(٥).

هذا، ونجد أن مفردة (المنبر) بعد التطور الإعلامي الذي حدث في العالم العربي، أصبحت تُطلق على كل وسيلة إعلامية تهدف إلى إيصال رسالة معينة إلى الجمهور، فيقال - مثلاً -: إن هذه القناة الفضائية، أو الصحيفة الفلانية منبر حرّ لإيصال صوت الحقيقة إلى الناس.

النقطة الثانية: مكانة المنبر في تحقيق الهدف الرسالي للدعوة الإسلامية والمراحل التاريخية التي مرّ بها

إن الدعوة الإسلامية تمتلك رسالة سماوية يسعى ممثلوها إلى إيصالها إلى عموم

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٨، ص ٢٦٩.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٢، ص ٨٢١.

(٣) ابن بابويه القمي، علي، فقه الرضا عليه السلام: ص ١٣٢.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط: ج ١، ص ١٧٠.

(٥) أنظر: مطهري، مرتضى، بين المنبر والنهضة الحسينية: ص ١٩٩.

البشر، وفي كل الأزمنة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^(١)، وهذه الرسالة الإسلامية، هي عبارة عن القرآن الكريم وما يشتمل عليه من مضامين دينية ودينية، يسعى من خلالها إلى هداية الإنسان - ببعديه الفردي والاجتماعي - وإخراجه من الظلمات إلى النور. كما أنّ مهمّة تبليغ هذه الرسالة أوكلت - بالدرجة الأساسية - إلى الرسول الكريم محمد ﷺ؛ إذ يقول عزّ من قائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾^(٢).

ومن هنا؛ يتّضح لنا أنّ المنبر الديني (الإسلامي) كانت بدايته على يد الرسول الكريم محمد ﷺ، فقد ورد في الأثر: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى جِدْعِ نَخْلَةٍ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ... يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي غُلَامًا نَجَّارًا أَفَلَا أَمُرُهُ يَتَّخِذَ لَكَ مِنْبَرًا تَخْطُبُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَاتَّخِذْ لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَطَبَ عَلَى الْمِنْبَرِ...»^(٣). إنّ هذه الرواية - في الحقيقة - قد تطرّقت إلى بدايات صناعة المنبر (مكان إلقاء الخطبة والمواضع)، إلّا أنّ أصل بداية مشروع المنبر الرسالي للرسول ﷺ - الذي هو مقصودنا في المقام - كانت من أوّل لحظة لنزول القرآن.

ثمّ إنّّه بعد واقعة الطفّ المروّعة سنة (٦١هـ)، وبعد ملاحظة ارتباطها بصميم المشروع التغييري الإلهي^(٤)، نجد أنّ المنبر الرسالي قد أخذ دوراً كبيراً في هذه النهضة؛ وذلك من خلال إقامة مجالس ذكر مصائب أهل البيت ، وما جرى عليهم من

(١) الأنعام: آية ١٩.

(٢) النحل: آية ٤٤.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٤٧. وقد اختلفت الروايات في تحديد اسم الشخصية التي قامت بصناعة منبر الرسول ﷺ. أنظر في هذا الصدد: السمهودي، علي بن أحمد، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: ج ٢، ص ٣٩١.

(٤) أنظر: الهاشمي، السيّد كامل، أصول المحاضرات: ص ١٣.

محن ونكبات، ونتيجة لذلك قد أُطلقت على هذه الوسيلة الإعلامية تسمية المنبر الحسيني؛ وذلك للتماهي الحاصل بين الحركة الرسالية التي قادها رسول الإنسانية محمد ﷺ وبين الحركة الثورية والتغيرية التي قادها أبو عبد الله الإمام الحسين عليه السلام.

وكانت المنابر الحسينية في بدايتها عبارة عن مآتم للبكاء على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، وقد شرعت في نفس يوم العاشر من المحرم سنة (٦١هـ)، واستمرت بعد ذلك بالتزامن مع مسيرة سبايا واقعة الطفّ من كربلاء إلى الكوفة، ومن بعدها إلى الشام، وانتهاءً بالمدينة المنورة، وقد أطلق عليها بعضُ: (المآتم العفوية)^(١)، في مقابل (المآتم الهادفة) إلى الحفاظ على نتاجات واقعة الطفّ، وعدم اندثارها بتقادم الأزمنة، فقد أصبحت المآتم الحسينية ذات شكل جديد، وتتم إقامتها بعد تهيئة وإعداد سابقين، وهذه المآتم هي الأساس لما نشاهده اليوم من ظاهرة المنبر الحسيني^(٢).

نعم، اختلفت الآراء في تحديد بداية تشكُّل مثل هذا النوع من المآتم بين أن يكون المؤسس لها التوّابين، أو البويهيين، أو خصوص الإمام زين العابدين عليه السلام، أو عموم أئمة أهل البيت عليهم السلام^(٣). وبغضّ النظر عن هذا الاختلاف فإننا نجد أن المنبر الحسيني الحالي، الذي تطوّرت معالمه بشكل كبير عن بداية تأسيسه^(٤)، أصبح يُشكّل في هذه الأزمنة «وسيلة من وسائل الإعلام الإسلامي الفاعلة في الدعوة والإرشاد والتبليغ، والمؤثرة في أبناء المجتمع عموماً، والمجتمع الإسلامي خصوصاً»^(٥).

(١) أنظر: الكاظمي، فيصل، المنبر الحسيني نشوؤه وحاضره ومراحل تطوّره: ص ٤٧-٥٧.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٥٧.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٥٧-١٠٤.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ١٥٧.

(٥) المقدّس الغريفي، السيّد محمود، فقه الإعلام (المنبر الحسيني نموذجاً)، مجلّة الإصلاح الحسيني:

العدد ٢، ص ١٩١.

النقطة الثالثة: ركائز المنبر الحسيني

قبل الدخول في الأبحاث الأساسية لهذا المقال، ينبغي لنا تشخيص محالّ السليبات المبحوث عنها، وهي عبارة عن ركائز المنبر الحسيني، فقد ذُكرت في المقام مجموعة من الركائز، هي:

١- الإعلامي أو المُلقّي.

٢- المخاطب.

٣- الرسالة.

٤- وسيلة الارتباط^(١).

وقد أضاف بعض رُكيزتين أُخريين هما:

١- المحيط.

٢- وردّ فعل المُتلقي^(٢).

ويمكن تقليص هذه الركائز - فيما يخصّ بحثنا حول المنبر - في ثلاثة، هي: (المُلقّي، الرسالة، المحيط)؛ وذلك لأنّ المخاطب (المُتلقي) وردّ فعله هما في الحقيقة يُشكّلان المحيط الذي يواجهه المنبري أثناء تأدية مهمّته التبليغية، أمّا وسيلة الارتباط فليست ركيزة من ركائز المنبر، بل هي من ركائز الإعلام الحسيني بشكل عام. ومع ملاحظة هذه الركائز الثلاثة فإنّ بحثنا في هذا المقال سيكون في ثلاثة محاور رئيسة.

(١) أنظر: المقدّس الغريفي، السيّد محمود، فقه الإعلام (المنبر الحسيني نموذجاً)، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد ٢، ص ١٧٣. حسين زاده، أحمد، منبر، نقش ارتباطات وعوامل اجتماعي مؤثّر در تبليغ جهره به جهره، (المنبر، دور العلاقات والعوامل الاجتماعية في التبليغ المشافهي)، مجلّة معرفة: العدد ٧٢، ص ٧٢.

(٢) أنظر: حسين زاده، أحمد، منبر، نقش ارتباطات وعوامل اجتماعي مؤثّر در تبليغ جهره به جهره، (المنبر، دور العلاقات والعوامل الاجتماعية في التبليغ المشافهي)، مجلّة معرفة: العدد ٧٢، ص ٧٢.

المحور الأول : العوامل المتعلقة بالملقي والمؤدية إلى تضييع وتشويه الهدف الرسالي

للمنبر الحسيني

إنّ الملقي الذي يرتقي المنبر الحسيني، أو خادم المنبر الحسيني على حدّ تعبير بعض - سواء كان خطيباً أو رادوداً أو شاعراً - يجب أن يعي قبل كل شيء أنّ مهمّته تتجلى في بُعدين أساسيين، هما:

١- ديني تعبدي، وذلك من خلال تقربه بهذه الخدمة الجليلة إلى الله تعالى؛ لينال السعادة في الدارين.

٢- تثقيفي تربوي، وذلك من خلال المهمّة الرسالية التي أوكلت إليه، والمتمثلة في هداية الناس وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم وصلاتهم. وبالتالي يتحتم عليه دوماً أن يسعى إلى المحافظة على البقاء في دائرة هذين البُعدين، اللذين يترتب أحدهما على الآخر، وأن يعي أنّ طريقه هذا ليس سهلاً، فهناك جملة من العوامل والمؤثرات السلبية التي تؤدي إلى حرف خادم المنبر عن المهمّة التي هو بصدد إنجازها فيما لو تحققت، وسيتم التطرّق إلى هذه العوامل والمؤثرات في النقاط الآتية:

النقطة الأولى : عدم اهتمام الملقي بالغرض من الفن الذي يمارسه على المنبر الحسيني

ما يُلقى على المنبر الحسيني ينحصر في فنّين لا ثالث لهما، وهما: الخطابة والشعر؛ وذلك لأنّ الذي يرتقي المنبر - بحسب الغالب - هو الخطيب الذي ينشد الشعر والمراثي الحسينية في نهاية خطبته، أو في بدايتها في بعض الأحيان، أو هو الرادود الذي يتمحّض دوره في إنشاد الشعر بطرق خاصّة، وكل واحد من هذين الفنّين له غرض أساس.

إنّ الغرض الأساسي بالنسبة إلى الخطابة هو إيجاد حالة الإقناع لدى

السامعين^(١)، وزاد بعضهم ضرورة استمالة الخطيب لنفوس الحضور إلى العمل بما يقول، وترك ما ينهى عنه^(٢)، أمّا الشعر الذي هو «كلام مخيل مؤلّف من أقوال موزونة متساوية مقفّاة»^(٣) فهو بدوره يمتلك غرضاً أساسياً يتمثّل في التأثير في النفوس لإثارة عواطفها^(٤). وبما أنّ لكل واحد من هذين الغرضين المذكورين قضاياه ومواده الخاصة به^(٥)؛ ينبغي للمنبري أن يكون عارفاً بتلك القضايا، وبكيفية الاستفادة منها، فعدم معرفته - وأخصّ هنا الخطيب المنبري - بذلك، أو عدم اهتمامه به، يؤدّي إلى نفور الناس عنه، وعدم استفادتهم منه، فالخطيب الذي يصبّ كل اهتمامه على البراهين المعتمدة على اليقينيّات والقياسات المنطقية لإثبات مطلوبه، يُبعد مستمعيه عن الهدف الأسمى من منبره، فإنّ «الجمهور... ليس له الصبر على التأمل والتفكير ومحكمة الأدلّة والبراهين»^(٦)، ومع نفرة الجمهور وعدم قناعته بما يقوله الخطيب، سوف يبتعد عن الهدف الرسالي الذي من المفترض ترتبه على منبره الحسيني؛ وذلك لتأثره بالتيارات والتوجّهات المقابلة بسبب ما تحمله من مغريات وعبارات برّاقة، وكذلك لعدم تمييزه الدقيق بين الأفكار الصحيحة والسقيمة^(٧).

ومن هنا؛ فإنّ الخطيب الناجح هو من يضع الأمور فيما يناسبها، فيجعل مجال الخطابة هو الإقناع وجذب النفوس إلى الالتزام والطاعة، ويسعى إلى الاستفادة

(١) كل من ذكر التعريف الاصطلاحي للخطابة، قد أخذ هذا القيد فيه. أنظر في هذا الصدد: المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٢٢ - ٤٢٤. محفوظ، علي، فنّ الخطابة وإعداد الخطيب: ص ١٣. أرشد،

عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي: ص ٧ - ١١.

(٢) أنظر: محمد عمارة، محمود محمد، الخطابة بين النظرية والتطبيق: ص ٩.

(٣) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٦٢.

(٤) أنظر: المصدر السابق.

(٥) تعتمد الخطابة على القضايا التي هي من نوع المظنونّات، أو المقبولّات، أو المشهورات، أمّا الشعر فهو يعتمد على المخيّلات من القضايا. أنظر: المصدر السابق: ص ٤٢٧، وص ٤٦٥.

(٦) المصدر السابق: ص ٤٢٢.

(٧) أنظر: المصدر السابق.

من جميع الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الغرض، من البراهين الواضحة والمقبولة والقصص والأمثال والشواهد التاريخية المعروفة والمشهورة بين الناس.

النقطة الثانية: انجرار الملقى وراء المنافع والمكاسب الدنيوية

عندما نطالع الآيات القرآنية الشريفة نجد أنّ الأنبياء عليهم السلام كانوا بمنأى كبير عن طلب الأجر والمكسب على تبليغهم لرسالات ربهم، فنجد - مثلاً - أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، قد تكرّر كثيراً على لسان كل من: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام). ثم إنه حتى النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله عندما أمره صلى الله عليه وآله أن يسأل قومه الموّدة في القربى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢)، لم يكن سؤاله هذا راجعاً إلى مصلحة دنيوية له أو لأهل بيته عليهم السلام، وإنما ترجع منفعته إلى الناس أنفسهم، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٣)، والسبب في ذلك هو أنّ الموّدة لذوي القربى ترتبط بمفهوم الإمامة والولاية، وهو عبارة عن استمرار خط النبوة الذي هو ضروري لدوام هدايتنا نحن المسلمين^(٤)، وباعتبار أنّ خط المنبر الحسيني هو خط رسالي؛ يجب لذلك أن يتعد عن السعي الحثيث إلى طلب الأجر.

إننا لا نسعى هنا إلى إثبات حكم شرعي فيما يخص أصل أخذ الأجرة؛ فهذا ما تتكفّل به الكتب الفقهية لمراجعنا العظام، وإنما القصد من ذلك أنّ الخطيب لا ينبغي أن يكون سعيه وهمّه الأساسي من مجلسه الحسيني هو جمع الثروة، فإنّ الهدف الرسالي المفترض ترتبه على المنبر سوف يتغيّر في أعين الناس، فبدلاً من كونه امتداداً

(١) الشعراء: آية ١٠٩.

(٢) الشورى: آية ٢٣.

(٣) سبأ: آية ٤٧.

(٤) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، (وآخرون)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٣، ص ٤٨٧.

لرسالة المحمّدية فإنّه سوف يصبح وسيلة للرزق وطلب المال، وعليه تسقط القيم والمبادئ الدينية في منحدر المادة الدنيوية الدنية، استناداً إلى قاعدة اليد العليا خير من اليد السفلى^(١).

ونحن بالدرجة نفسها التي نشدّ بها على أيدي الخطباء ليجنّبوا منابرهم أن تكون وسيلة لطلب الثروة، نشيد بالدعم الذي تقدّمه بعض المؤسسات ومكاتب العلماء للمبلّغين، وندعوهم إلى المزيد من الرعاية والاهتمام، باعتبارهم الداعم الأساسي للمؤسسة التبليغية في مختلف المجالات، وذلك بأن يؤمّنوا لهم ما يسدّ حاجتهم، ويحفظ لهم مكانتهم وكرامتهم بين الناس، فقد قال سيّد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام: «...والفقر يُخرس الفطن عن حجّته، والمُقلّ غريب في بلدته»^(٢)، وبما أنّ المبلّغ الحسيني في مواجهة مباشرة مع الجمهور؛ ينبغي أن يكون قادراً على هذه المواجهة، وهذا لا يتأتى مع فقره وحاجته وعدم قدرته على تلبية متطلّبات الحياة الضرورية.

النقطة الثالثة: عدم تحلّي المبلّغ الحسيني بالفضائل الأخلاقية

ينبغي للمتصدّي للعملية التبليغية أن يكون متّصفاً بالفضائل الأخلاقية^(٣) التي تؤهّله لأن يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٤)، فهذه الفضائل - في حقيقة الأمر - هي صفات ينبغي أن يتحلّى بها المؤمن العادي، فكيف بمن يتولّى مهمّة إرشاد الناس ونصحهم،

(١) أنظر: الكندي، حسن، طريق الخطابة الحسينية: ص ٢٥٨.

(٢) صالح، صبحي، تحقيق نهج البلاغة: ص ٤٦٩.

(٣) والتي هي من قبيل: الإيمان والاعتقاد بما يقوله، العمل بما يقوله ويؤمن به، تقوى الله وخشيته، الإخلاص في مقام القول والعمل، حسن القول في الدعوى والإرشاد، مراعاة مشاعر الآخرين في القول والعمل، صفاء النفس وحسن الظن بالآخرين، التواضع وعدم التكبر والعجب، الأمانة العلمية والعملية، الصبر وتحمل الصعاب، الشجاعة والجرأة. انظر: المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة: ص ٢٠٥ - ٢٠١٣.

(٤) الأحزاب: آية ٣٩

أَوْ ليس من المفترض أن يكون متحلّياً بالصفات الأخلاقية الحسنة؛ حتى يعظم قدره عند الناس، وتكون له مقبولية أكبر، فإنّه من على منبره دائماً يعظ الناس، ويأمرهم بالتحلّي بما أمر الله تعالى من الصفات الحسنة، وينهاهم عن الصفات السيئة، ومع عدم امتثاله هو شخصياً لهذه الأمور سوف يكون فاقداً لها، وفاقد الشيء لا يُعطيه^(١)، وفي هذه الحالة يكون المبلّغ الحسيني قد أفقد منبره الحضور بين الناس، والقابلية على نشر التعاليم الدينية، كما أنّه بفعله هذا قد أضعف الدين في أعين الناس، وجعله لقمة سائغة للتنكيل والإشكال من قبل بعض المتصيدين في الماء العكر، والمشككين في قابليته لتنظيم حياة الناس.

وفي مقام معالجة هذه السلبية نقول: إنّ المبلّغ الرسالي الذي أوقف نفسه لخدمة النهضة الحسينية التي هي صمّام الأمان لبقاء الدعوة الإسلامية، ينبغي أن يعي حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأنّه في مقام إعمالها بحاجة إلى إرادة وحزم كبيرين، كما ينبغي له أن يضع نصب عينه جميع الوصايا والعبارات التي تنهاه عن أن يقول ما لا يفعل، من قبيل:

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِم تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾.

وقوله أيضاً: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾.

وقوله ﷺ في ذيل الآية أعلاه^(٤) بحسب ما نقله صاحب تفسير مجمع البيان:

(١) أنظر: المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة: ص ٢٠٤.

(٢) الصف: آية ٢-٣.

(٣) البقرة: آية ٤٤.

(٤) أي: آية ٤٤ من سورة البقرة، التي قال الشيخ القمي حول شأن نزولها بأنّها: «نزلت في القصاص والخطاب، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: وعلى كل منبر منهم خطيب مضعّ يكذب على الله وعلى



«مررت ليلة أُسري بي على أناس تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا مَنْ كانوا يأمرون الناس بالبرِّ وينسون أنفسهم»^(١).

ولشدة قبح هذا الفعل وشناعته فقد أصبح محلّ نقدٍ للشعراء؛ إذ نجد أن أبا الأسود الدؤلي - مثلاً - قد أنشد:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله
عارٌ عليك إذا فعلت عظيمٌ
أبدأ بنفسك وانها عن غيِّها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيمٌ^(٢)

وأنشد سعيد الواعظ أيضاً:

وغير تقي يأمر الناس بالتقي
طبيب يداوي الناس وهو عليلٌ^(٣)

وخلاصة الحديث في المقام أنّ المبلِّغ الحسيني (الرسالي) يجب عليه أن يبدأ - أولاً وقبل كل شيء - بتهديب نفسه، ومَنْ يقع تحت مسؤوليته، ثمَّ يخرج إلى الفضاء الاجتماعي للقيام بالثقيف الديني والإصلاح السلوكي.

النقطة الرابعة: ضعف المعلومات لدى المبلِّغ الحسيني

من العوامل المهمة في نجاح المبلِّغ الحسيني، سواء في مجال الخطابة أم الشعر، هو غزارة المعلومات، والاطّلاع الكافي على كل ما يتعلّق بالقضية الحسينية، مضافاً إلى غير ذلك من المعلومات الدينية التي يحتاج إليها الخطيب في عملية الوعظ والإرشاد، أو المعلومات التي يحتاج إليها الشاعر في تهذيب مخيلته الشعرية وتصحيحها^(٤).

رسوله وعلى كتابه». القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٦.
(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٢١٥.
(٢) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب: ج ٨، ص ٥٦٩.
(٣) قيش، أحمد، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي: ص ١٥.
(٤) أنظر: معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني، دروس في فنّ الخطابة: ص ٢٣-٢٤.

وفي المقابل نجد أنّ المبلِّغ الحسيني صاحب المعلومات المتواضعة لا يستطيع كسب ثقة الناس^(١)؛ وذلك لشعورهم بأنّ ما يطرّحه على المنبر قد لا يكون صحيحاً؛ نتيجة لفقره من الناحية المعرفية، وبالتالي عدم قدرته على التأثير في نفوس الحاضرين، وحملهم على ما يُراد منهم بترغيبهم وإقناعهم واستمالتهم، مما لا يمكن الوصول إليه إلاّ بإيجاد عدّة لغات، وخاصّة في هذا العصر الذي تقدّمت فيه العلوم بشتّى صنوفها، واستُحدثت فيه وسائل التواصل التي حوّلت العالم الفسيح إلى قرية صغيرة يتواصل أفرادها فيما بينهم بالصوت والصورة^(٢).

ونتيجة لذلك؛ فإنّ المبلِّغ المشار إليه سوف يؤثر سلباً في الهدف المفترض ترتبه على منبره، كما أنّه يخلق انطباعاً لدى الناس بأنّ المنبر الحسيني غير قادر على النهوض بالواقع المعرفي لديهم، وبالتالي عدم صلاحيته للتبليغ والإرشاد الدينيين.

وفي مقام الوقاية من هذا الأثر السلبي أو معالجته، فإنّه لا مناص للخطيب من توسعة دائرة معلوماته، وذلك من خلال مراجعة المصادر المهمّة حول الثقافة الإسلامية: كـ «القرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف وعلومه، والفقه وأصوله، والقواعد الفقهية، والسيرة النبوية، وعلم العقائد الإسلامية... إضافة إلى العلوم الإنسانية الاجتماعية، والمذاهب المعاصرة الهدّامة، والمعارف المعاصرة... والشبكة العالمية (إنترنت)، وغير ذلك»^(٣).

أمّا بالنسبة للشاعر الحسيني فمن المفترض أن يكون مُلمّاً بجميع الأشعار التي جسّدت مأساة واقعة كربلاء، والأحداث التي سبقتها وتلتها، وأن يكون مطلعاً على ثقافة المجتمع الذي احتضن أحداث الواقعة، وثقافة المجتمع المعاصر، وسائر مشاكله السياسية والاقتصادية وغيرها؛ وذلك لكي تتعدّد أشعاره عن الخرافات والأساطير،

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٥.

(٢) أنظر: أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي: ص ٨١.

(٣) المصدر السابق: ٧٩.

وُتْحَاكِي هُموم الأفراد المعاصرين، وتكون وسيلة إعلامية لإيصال صوتهم في حال وقع الحيف والظلم عليهم.

النقطة الخامسة: عدم مراعاة المُلقى لمستوى حال المخاطبين وظروف حياتهم

من الأمور التي ينبغي أن يتحلّى بها كل داعية هي مراعاته لمستوى حال مخاطبيه وظروف حياتهم؛ وذلك لكي يحصل شعور لديهم بأنّ كلمات هذا الداعية وإرشاداته هي لمصلحتهم، وفيها سعادتهم، ومن هنا نجد أنّ القرآن الكريم يجعل قضية مراعاة مستوى حال المخاطب من القضايا المهمّة والحسّاسة التي ينبغي أن يتوافر عليها جميع الرسل ﷺ؛ إذ يقول (عزّ من قائل): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، والمعنى: «أنّ دعوة الأنبياء لا تنعكس في قلوب أتباعهم بأسلوب مرموز وغير معروف، بل كانت توضّح لهم من خلال التبيين والتعليم والتربية، وبلسانهم الرائج»^(٢)، كما ورد في الحديث الشريف أنّ رسول الله محمد ﷺ قال: «إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نُكَلِّم الناس على قدر عقولهم»^(٣).

وبضميمة الآية الكريمة إلى الحديث الشريف يمكننا أن نخرج بنتيجة، وهي: أنّ الأنبياء والرسل في مخاطبتهم للناس كانوا يراعون اللغة التي يتكلّم بها مخاطبوهم، مضافاً إلى ثقافة الحوار، أي: القوالب التي يمكن من خلالها إيصال المعلومة إليهم، مع المحافظة - طبعاً - على حقانية دعوتهم، وخلوها من الخرافات، والقضايا الكاذبة التي تُتلازم بعض أنواع الحوار.

ومن هنا؛ فإنّ الخطيب الحسيني مُلزم بأن يسير على وفق هذه القاعدة الحوارية؛

(١) إبراهيم: آية ٤.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم (وآخرون)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٧، ص ٤٥٥.

(٣) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٣٧.

باعتبار أنه يسير على وفق نهج الأنبياء والصلحاء في الدعوة إلى الدين الحق، ومن دون ذلك ربما لا تصل المطالب التي كان بصدد بيانها من على منبره إلى أذهان الناس بصورة واضحة ودقيقة؛ مما يفقد المنبر حيويته وتفاعله، وصولاً إلى ضعف دوره وقدرته على هدايتهم وإصلاح حالهم.

كما ينبغي الالتفات إلى نكتة مهمّة في المقام، مضافاً إلى مراعاة مستوى حال المخاطبين، وهي مراعاة ظروفهم، وما يعانونه، بمعنى أنّ المبلّغ - خطيباً كان أو شاعراً أو رادوداً - ينبغي أن يكون على بيّنة فيما يرتبط بالظروف والمشاكل التي يعانيتها مخاطبوه، وذلك حتى يكون مضمون كلامه وشعره منصبّاً على تقديم المعالجات لتلك المشاكل، وإلا فسوف يكون منبره بعيداً عن هموم الناس، ممّا يفضي في نهاية المطاف إلى يأسهم من قدرة هذا المنبر على مساندة الحركات الإصلاحية التي قام بها الأنبياء والأوصياء والصلحاء.

وعلى الرغم من كون هذا الأمر من الواضحات التي يُسلّم بها جميع العقلاء، إلاّ أنّه يمكننا أن نذكر شاهداً يدعم مدّعانا في المقام، وهذا الشاهد هو قضية النزول التدريجي للقرآن الكريم، والذي استمر طيلة ثلاث وعشرين سنة، من الحياة المباركة للرسول الكريم محمد ﷺ، فإنّ واحدة من الحكّم المذكورة في المقام، هي: «أنّ التشريعات إذا كانت تنزل بشكل تدريجي تبعاً للحاجات، ويكون لكل مسألة شاهد ومصداق عينيّ، فتكون مؤثرة جداً من ناحية (تلقي الوحي) وكذلك (إبلاغ الناس)»^(١)، ثمّ إنّ مراعاة الظروف والحاجات يكون له دور كبير في مسألة التبليغ والإرشاد.

وفي مقام حثّ الخطيب على ضرورة مراعاة مستوى حال مخاطبيه، فإنّنا نلفت نظره إلى ما قاله بعض الباحثين حول فنّ الخطابة، حيث ذكروا أربعة أهداف أساسية للخطاب، هي^(٢):

(١) الشيرازي، ناصر مكارم (وآخرون)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١١، ص ٢٤٧.

(٢) أنظر: كارنيجي، ديل، فنّ الخطابة: ص ١٣٩-١٤٠.

- ١- إيضاح شيء ما.
- ٢- التأثير والإقناع.
- ٣- الحث على التحرك.
- ٤- التسلية.

ومن الواضح أن الهدف الأساسي للخطاب هو الإيضاح الذي يتأتى مع مراعاة مستوى حال المخاطبين، فإنه مع ذلك تكون «لديهم الرغبة في السماع أولاً، والمتابعة ثانياً، والفهم، وهو المقصود أخيراً»^(١).

أمّا فيما يتعلّق بمراعاة ظروف الناس واهتماماتهم الحياتية، فذلك أمر ينبغي أن يكون نصب عين المبلّغ الحسيني في مختلف فعاليّاته التبليغية، فإنه عندما يتحدّث من على المنبر مع الآخرين، أو يُلقِي عليهم شعراً، ينبغي له أن يُحسّسهم بأنّه مهتم بهم، كما أنّه ينبغي أن يدرك هذه الحقيقة الخطيرة، وهي: «إنّ سبب إخفاق الكثيرين في أن يُصبحوا محدّثين جيّدين، هو حديثهم عن الأشياء التي تُثير اهتمامهم فقط، وربما يكون هذا مملاً للآخرين»^(٢)؛ لذا ينبغي للمبلّغ الناجح أن يستدرج «الشخص الآخر [المستمع] للتحدّث عن اهتماماته وعمله وأهدافه...»^(٣).

المحور الثاني: العوامل المتعلّقة بالمادة التي تُلقى على المنبر الحسيني والمؤثّرة في تضييع وتشويه هدفه الرسالي

تُعتبر المادة الخطابية أو الشعرية التي تُلقى على المنبر ركناً أساسياً، فهي البضاعة التي يواجه بها المبلّغ الحسيني جمهوره، ويسعى من خلالها إلى تحقيق الهدف الرسالي الذي يتوخّاه، فالمادة المنبرية هي الرسالة التي تُبرز دور الدين، وتبيّن مكانته في حياة

(١) المصدر السابق: ص ١٤٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١٥٦.

(٣) المصدر السابق.

الناس، ومن هنا؛ كان من الضروري وضع اليد على بعض العوامل التي من شأنها إضعاف هذه المادة، والتقليل من تأثيرها في أذهان المستمعين، وهذه العوامل يمكن أن نجملها ضمن عاملين أساسيين، يرتبط أحدهما بطريقة العرض للمادة العلمية، وهما:

١- العامل المنهجي: سنتحدث في هذا العامل عن أن عدم اتباع المبلِّغ للمنهجية الصحيحة في عرض المادة التي يروم إلقاءها على المنبر، سيؤدي إلى عدم مقبوليتها عند المستمعين، أو لا أقل التقليل من حظوظ مقبوليتها لديهم.

وقبل أن نقوم ببيان المنهجية الصحيحة نود الإشارة إلى أن حديثنا سوف يقتصر على المادة الخطابية الملقاة من على المنبر؛ وذلك لأن الهدف من المادة الشعرية التراثية هو تهييج العواطف والمشاعر نحو القضية الحسينية^(١)، وهذا الهدف يستتبع الرصانة والدقة من الناحية المحتوائية أكثر من الناحية المنهجية، أضف إلى ذلك أن هناك اهتماماً والتزاماً كبيرين من قبل الخطباء والرواديد - نتيجة كثرة المعاهد الحسينية والدورات الخاصة بهذا المجال - بكيفية الإلقاء الصحيح للمراثي واللطميات الحسينية.

نعم، من المفترض أن تشتمل المادة الخطابية على منهجية صحيحة، تساعد الخطيب على إيصال مطالبه إلى مستمعيه بسلاسة، وهذه المنهجية عبارة عن اشتغال الخطبة على ثلاثة أقسام أو مراحل، هي:

١- المقدمة^(٢): وهي عبارة عن مدخل للخطبة، يأتي بها الخطيب ليمهّد لأفكاره ويوهم السامعين؛ ليستثير انتباههم.

(١) «الثناء: تعبير عن عاطفة إنسانية جيّاشة، تفيض بالأم، ولوعة لا يرقى إليها الشك، تتوضّح من خلالها صلة الشاعر المرتبطة بالمرثي». إبراهيم، صاحب خليل، الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام: ص ١٠٦.

(٢) ممّا يجدر لفت النظر إليه هو أنّ بعض الباحثين قد قسّم المقدمة بلحاظ ضرورة إيرادها وعدم ذلك على أربعة أقسام، هي: ١- ضرورة ذكر المقدمة. ٢- عدم ضرورة ذكر المقدمة، لكنّ ذكرها مفيد. ٣- ذكر المقدمة يكون على خلاف البلاغة. ٤- ذكر المقدمة يستتبع إيقاع الحاضرين في المشقّة والضرر. ثمّ إنّ الباحث في المقام قد أورد مثلاً توضيحياً لكل واحد من الأقسام المذكورة. أنظر: بيشوايي، مهدي، بايدها ونبايدها خطابه، (ما ينبغي وما لا ينبغي في الخطابة)، مجلة مبلّغان: ص ٥٢- ٥٥.

٢- الإثبات (عرض الموضوع): وهو عبارة عن مجموعة من الأدلة التي يسوقها الخطيب لإثبات مدّعا، أو لإبطال حجج الخصم والقضاء على دعواه.

٣- الخاتمة: وهي عبارة عن موجز لما ألقاه الخطيب، وتوضيح كامل لغايته ومراده^(١).

فإن إهمال الخطيب لهذه المنهجية وهذا التسلسل المنطقي في طرح الأفكار يؤدي في أغلب الأحيان إلى صعوبة تلقيّ الحضور للمطالب الملقاة في المقام، وبالتالي التقليل من حضور المنبر ودوره الفعّال بين الناس، وانحصار هدف الحاضرين في البركة الحاصلة بسبب ذكر مصائب سيّد الشهداء عليه السلام في واقعة الطف.

ومن هنا؛ فعلى الخطيب الساعي إلى ترتّب الهدف الرسالي على منبره، أن يراعي المنهجية الصحيحة التي تتأتى من خلال استماعه لمحاضرات خطباء كبار؛ يتعرّف من خلالها على كيفية تسلسلهم في طرح البحوث، ومراعاة انسجام ذلك مع طبيعة المواضيع المبحوثة، كما أنّه على الخطيب كذلك أن يكون له حضور جاد في الدورات التي تُقام من أجل تعليم كيفية إلقاء المحاضرات المنبرية، أضف إلى ذلك أنّه من المفترض - في حالة الإمكان - اطلاعه على نوعية المستمعين، وطبيعة تلقّيهم لموضوع محاضراته، والظروف الزمانية والمكانية لمكان الإلقاء. وبكلمة جامعة: على الخطيب أن يعي «إنّ الخطبة وإلقاءها ليست عملية سهلة وهيّنة، وليست مجرد كلام يقال دون ترتيب، أو تبويب، أو تنظيم، ولكنها أمر شاقّ، يحتاج إلى وقت وجهد كاملين... فالخطبة لا بدّ أن تكون متسلسلة منظمّة، وأن تكون واضحة البيان في أسلوبها، حتى يقتنع المستمع، وتستميله بأدلّتها، وتؤدي الغرض منها»^(٢).

٢- العامل المحتوائي: يُشكّل المضمون أو المادة العلمية والفكرية والثقافية والأدبية الركيزة الأساسية التي يبتني عليها المنبر الحسيني، ويعتمد عليها المبلّغ في

(١) أنظر: أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي: ص ٤٧-٤٩.

(٢) أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي: ص ٤٧.

مواجهة الجمهور؛ ومن هنا نجد أنّ المناطق قد عبّروا عن المادة التي تتألف منها الحجّة الإقناعية في مجال الخطابة بالعمود^(١)، وعبّروا عن الكلام المخيل في الشعر بالعمدة^(٢)، أي: إنّ المادة في كل واحدة من الصناعتين هي الأداة التي يوظّفها المبلّغ من أجل ربط الجمهور بمعطيات النهضة الحسينية؛ وبالتالي فلا بدّ أن تكون بمستوى يليق بهذه النهضة وصاحبها.

إنّ الحسين عليه السلام هو ممثّل عن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الحركة التغييرية في المجتمع الإسلامي، والشخص الذي يعتلي المنبر هو في الواقع ممثّل عن الحسين عليه السلام، فلا ينبغي أن يتعدى في أطروحاته وأشعاره عن الحقّ الذي سار عليه الرسول وأهل بيته عليهم السلام، «فإنّ تحرّي الصدق في كل ما يُذكر على المنبر، وفي كل ما ينقله الخطيب في مواعظه وخطاباته أساس نجاح قراءة العزاء، وبلوغها أهدافها الموسومة لها، من حمل الأُمَّة على فهم الخطّ الحسيني الثوري فهماً صحيحاً، يدفعها للوقوف بجانب الحقّ، ورفض الظلم... وعلى خلاف ذلك إيراد القصص الكاذبة والحكايات الباطلة، وتصوير ما حصل في كربلاء بصورة مضخّمة، تسيطر عليها المبالغات والتهويلات»^(٣).

إذاً، فمادة المنبر - في حال لم يتم بناؤها على أساس الحق والصدق - ستكون عاملاً مضرّاً بأهداف النهضة الحسينية، بل إنّها ستوجّه الضربة القاضية لهذه الحركة التغييرية، وتقتلعها من جذورها في قلوب الناس كافة^(٤)، فإنّ هناك قسماً من الناس «يتربّص بالمنبر، لعلّه يُمسك زلّة من الزلاّت، يتخذ منها مادة للتهريج، وينسى جميع إيجابيات المنبر وجهاده في سبيل العقيدة والدعوة إلى الله تعالى»^(٥)، وبما أنّ البحث في المقام مبني على الاختصار، فإنّنا نُحيل القارئ العزيز إلى مراجعة المصادر التي استعرضت جملة

(١) أنظر: المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٢٥.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٦٥.

(٣) النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: ص ٥-٦.

(٤) أنظر: النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: ص ٦.

(٥) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٤.

من الأحداث والوقائع، أو التحليلات المتعلقة بواقعة كربلاء، والتي يتم ذكرها على المنبر من دون أن يكون هناك دليل على صحّتها وثباتها^(١).

ولعمري، فإنّ الخطر الذي يُحدق بالمنبر الحسيني، ويؤدي إلى تشويه أو ضياع هدفه الرسالي جرّاء هذا العامل المخرب والهدّام واضح جداً، وأوضح منه ضرورة التحرك الحثيث والسعي الجاد من أجل الوقاية من هذا الوباء الفتاك أو معالجته، فإنّ ما يُترأى للبعض من حاجتنا في بلورة النهضة الحسينية إلى مثل هذه الادّعاءات والافتراءات محض توهم، فإنّ «واقعة كربلاء من أغنى الوقائع التاريخية المدعّمة بالوثائق والأسناد المعتمدة... فالمؤرّخون الإسلاميون المعترفون دونوا ونقلوا لنا وقائع عاشوراء بالأدلة والوثائق الدامغة منذ القرن الأول والثاني، والروايات الواردة في هذا الشأن إمّا متطابقة أو قريبة جداً من التطابق مع بعضها البعض»^(٢).

ومع هذه الحقيقة فهل يُعذر المبلّغ الحسيني في ذكره قضايا بعيدة عن الصحة والثبات على المنبر، أو ليس فعله هذا مخالفة واضحة للمنهج الذي سار عليه الأنبياء ﷺ في مقام تبليغهم للرسالات الإلهية؟! فإنّ المطالع للآيات القرآنية يجد أنّ هناك صفتين رئيسيتين قد اقترنتا برسالة الأنبياء، وهما صفتا الصدق والأمانة، وهذا واضح جداً من قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾^(٣)، الذي ورد في قصّة كل من أنبياء الله تعالى: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب)، كما قرن الله تعالى هذه الصفة أيضاً برسالة نبي الله موسى ﷺ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ

(١) أنظر: النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: ص ٢١٠-٢١٦. مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج ١، ص ١١-٢٢ و ص ٥١-٧٠. إسفندياري، محمد، عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة، مجلة نصوص معاصرة: العدد ٩، ص ١٧-٢١، و ص ٢٤-٣٠.

(٢) مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج ١، ص ٢٢-٢٣.

(٣) الشعراء: آية ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨.

فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ أَنْ أَدْوَأْ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢﴾. (١).

أما فيما يتعلق بفضيلة الصدق، فنجد أن الله تعالى قد وصف بها مجموعة من أنبيائه، وهم كل من (إبراهيم^(٢))، وإسماعيل^(٣))، ويوسف^(٤))، وإدريس^(٥))، ناهيك عن أن النبي الخاتم محمدًا ﷺ، المتحلّي بأحسن الصفات الروحية والأدبية والأخلاقية والبدنية، قد برزت له - من بين جميع ذلك - صفتا الصدق والأمانة، بحيث أصبح يُلقَّب بـ(الصادق الأمين)؛ وما ذلك إلاّ للأثر الكبير الذي يترتب على هاتين الصفتين في مقام ظهور دعوته ﷺ وانتشار رسالته، وأنّ فقدانها موجب للريب والشكّ باتّصاله بالله عزّ وجلّ^(٦).

وبناءً على جميع ما تقدّم؛ فعلى المبلِّغ الحسيني (خطيباً كان، أو شاعراً، أو رادوداً) أن يحدّر أشدّ الحدّر من جعل منبره ساحة للأساطير والخرافات، والأحاديث غير الثابتة، بأيّ واحدة من الطرق العقلائية، كما أنّ عليه أن يوسّع من دائرة معلوماته؛ حتى لا يقع في الضيق والحاجة إلى الكلام بأُمور لا ينبغي طرحها على المنبر. ومن هنا ولأجل إيقاف الناس على مصلحة دينهم وديناهم، ذكر بعض أنّ الخطيب الواعظ - والكلام يشمل المبلِّغ الحسيني عموماً - لا بدّ: «أن يكون علمه بالمباني الدينية كافياً، ولا بدّ أن تكون معرفته بالإسلام كاملة، مطّلعاً على روح التعاليم الإسلامية، عليه أن يعرف ظاهر الإسلام، وباطن الإسلام، وقشور الإسلام، ولباب الإسلام، كلّاً في مكانه وموضعه، لكي يعرف ما معنى المصلحة الدينية. ثمّ إنّ مجرد

(١) الدخان: آية ١٧-١٨.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾. مريم: آية ٤١.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾. مريم: آية ٥٤.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...﴾. يوسف: آية ٤٦.

(٥) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾. مريم: آية ٥٦.

(٦) أنظر: العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ: ج ٢، ص ١٠٧-١٠٨.

معرفة الدين لا تكفي لتبيان المصالح، بل عليه أن يعرف المجتمع، وأن يطلع على أوضاع الدنيا، وعلى ما يجري فيها، ليدرك أين مصلحة المجتمع الإسلامي اليوم...»^(١). فإنّ المبلّغ الحسيني مع توفّره على هذه المعرفة الواسعة سوف لا يحتاج إلى ملء مادة منبره بالأُمور الباطلة أو غير الثابتة.

وأخيراً، فإنّ من الآليات المهمّة في الحدّ من تفسّي هذا الأثر السلبي، هو وجود جهة تُراقب ما يُطرح على المنبر، وتقف في مواجهته عندما يكون عائقاً أمام تحقّق الهدف الرسالي المنشود، وهذه الجهة لا يمكن أن تكون غير المرجعية الرشيدة، وما تمتلكه من وكلاء ومعتمدين منتشرين في أرجاء العالم الشيعي، فإنّها صمام الأمان لحفظ أهداف المنبر الحسيني من التشويه والضياع، فما نأمله في المقام هو أن تسعى المرجعية الرشيدة مضافاً إلى ما تقوم به من مؤتمرات توجيهية قبل مواسم التبليغ إلى مراقبة ما يُقال على المنابر الرئيسة في كل منطقة تقع تحت نظرها، وتنبيه المبلّغين المقصّرين، واتّخاذ الإجراءات اللازمة في حال عدم توقفهم عن ذلك.

وفي هذا الصدد نجد السيّد الشهيد محمد باقر الصدّيق يقول بشأن ضرورة وجود هكذا أمر: «أن تكون لهم مؤسّسة مركزية يصدرون عنها في مناهج موحّدة، وتوجيهات تصدر لهم في ذلك، كما تعمل هذه المؤسّسة على التعريف بهم في داخل العراق وخارجه، ممّا يُعطيهم زخماً ومكانة معترف^(٢) بها، وتكون المؤسّسة تحت ظلّ المرجعية»^(٣)، وقد شاطر السيّد الشهيد في هذه الرؤية المهمّة الشيخ الوائلي رحمته الله، وذلك عند حديثه عن المؤسّسة المؤهّلة لبناء المنبر^(٤).

(١) مطهري، مرتضى، بين المنبر والنهضة الحسينية: ص ٢٢٢.

(٢) هكذا وردت الكلمة في المصدر المنقول عنه، والصحيح فيها: معترفاً (بالنصب).

(٣) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١١١، نقلاً عن السيّد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته الله.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٦١-٦٤.

المحور الثالث: دور المحيط في تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني

يتألف المحيط الذي يمارس فيه المبلّغ الحسيني وظيفته المنبرية من قسمين رئيسيين، هما:

١- المهتمّون بالطرح المنبري (الجمهور المتلقّي).

٢- الظروف والأوضاع التي تُحيط بالمنبر.

ويمكن تقسيم الجمهور الذي يتلقّى ما يُطرح على المنبر ويهتم به على قسمين فرعيين، هما:

١- المهتمّون بالمنبر من الشيعة.

٢- المهتمّون بالمنبر من غير الشيعة^(١).

ومن هنا؛ فإنّه توجد لدينا ثلاثة أقسام تُشكّل المحيط الذي يواجهه المنبري، الذي ينبغي له أن يكون على دراية تامّة بالعوامل المؤثّرة في تضييع وتشويه الهدف الرسالي لمنبره، والمرتبطة بأيّ واحد من الأقسام المذكورة في المقام؛ وذلك من أجل القيام بالحدّ منها وعلاجها. وبناءً على ما تقدّم فإنّ حديثنا في هذا المحور سيكون في ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: المهتمّون بالمنبر من الشيعة وأثرهم في تضييع وتشويه هدفه الرسالي

إنّ المهتمّين بالمنبر من الشيعة هم في الحقيقة يشكّلون القسم الأكبر والأكثر تأثيراً من بين الأقسام التي يتألف منها المحيط الذي يواجهه المنبر الحسيني؛ وذلك لأنّ المبلّغ يكون دائماً في مواجهة مباشرة أو شبه مباشرة مع هذا النوع من المتلقّين، كما أنّه بصدد توظيف خطبه وأشعاره الرثائية في إقناعهم وتمهيج نفوسهم وعواطفهم، وبالتالي

(١) المصدر السابق: ص ١٣، نقلاً عن السيّد الشهيد محمد باقر الصدر^(ع).

فأية سلبية في المقام سوف تكون عائقاً مباشراً أمام المبلِّغ الحسيني في تأدية مهمته الرسالية. ويمكن تقسيم جمهور المهتمين بالمنبر من الشيعة على ثلاث فئات، هي: الفئة الأولى: وهم الذين يطمحون إلى أن يكون المنبر وسيلة إعلامية ثقافية حضارية، تتحرّك على وفق ضوابط علمية محدّدة، وخالية من الثغرات والمفارقات، أمّا مسألة البكاء واستشعار المصيبة جرّاء ما حصل في واقعة الطفّ، فهي قضية ثانوية لا ينبغي التركيز عليها بشكل كبير، فالمهم في المقام هو تصدي المنبر الحسيني لحل مختلف المشاكل التي يعانها الواقع الشيعي.

الفئة الثانية: وهم الذين يرون أن المنبر الحسيني هو وسيلة للحصول على الثواب من خلال مواساة أهل البيت عليهم السلام فيما وقع عليهم من مصائب ومحن، وعليه فإنّ المبلِّغ الحسيني الناجح برأيهم هو القادر على جعلهم يعيشون تفاصيل التجربة العاشورية، وكذا سائر التجارب الأليمة التي مرّ بها عموم أهل البيت عليهم السلام، فزاهم مهتمين بشكل كبير بكون المبلِّغ يمتلك صوتاً شجياً وبراعة كبيرة في تصوير الأحداث، وأمّا قدرته العلمية في توضيح المطالب الدينية فهي قضية ثانوية، بل هامشية.

الفئة الثالثة: وهم الذين يجمعون بين طموح كلتا الفئتين أعلاه، فهم يرون أن الإمام الحسين عليه السلام الذي قال عن نفسه: «أنا قتيلُ العبرة لا يذكرني مؤمنٌ إلا استعبر»^(١)، هو بنفسه صاحب الكلمة الخالدة التي رسمت الهدف الأخلاقي لحركته عليه السلام، والتي قال فيها: «... وأني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مُفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن أمر بالمعروف، وأنهاى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب...»^(٢).

وبعبارة أخرى: إنّ هذه الفئة ترى أنّ العبرة الحسينية لا بدّ أن تكون في مصبِّ

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٠٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

بناء مكارم الأخلاق، وأن تتناغم مع أهداف الرسالة المحمّدية، وهذا الأمر لا يتأتّى إلا من خلال التفاعل مع القضية التي استشهد من أجلها سيّد الشهداء عليه السلام، كما أنّ تفعيل دور البكاء - في المقام - لا يؤدّي مفعوله في النفس إلا إذا عرف الإنسان آثاره الإيجابية، وسعى إليه، وتفاعل مع القضية التي بكى من أجلها، باعتبار أنّ البكاء باب من أبواب الفضيلة والكمال الإنساني^(١).

وبعد أن بيّنا طبيعة كل واحدة من الفئات الثلاثة نقول: إنّ هذا الاختلاف الحاصل بين شرائح المتلقّين الشيعة نفسه هو عامل سلبي، وله آثار مخرّبة، تؤدّي إلى تشويه أو تضييع الهدف الرسالي للمنبر الحسيني؛ وذلك لأنّ الاختلاف المذكور هو نتاج منظومات فكرية مختلفة، وسوف يكون مستتبعا لاختلاف مزاجي بين الفئات الثلاثة، ويكون له تأثير كبير في شخصية المبلّغ الحسيني الذي يرتقي المنبر، ونوعية الرسالة التي يطرحها؛ ممّا يجعل بعض المبلّغين ينصاعون لتحقيق رغبة الفئة الأكثر تفاعلاً، أو الأكثر حضوراً، وذلك على حساب الهدف الرسالي المرجو من المنبر الحسيني.

نعم، قد يقول قائل: إنّ سعي المبلّغ الحسيني من خلال منبره لتحقيق الرغبة الجماهيرية سوف يكون وسيلة إلى تحقيق الهدف الرسالي، وإنّ آية مكانة أو وجهة يحصل عليها من خلال الجماهير لا تكون عائقاً أمام تحقيق ذلك الهدف. وهنا نقول: ربما يُتصوّر أنّ جعل الرغبات المذكورة وسيلة لتحقيق الهدف الرسالي للمنبر كلام مقبول وصحيح بحسب ظاهره، إلا أنّه بعد التأمل والتدقيق يمكننا أن نوجّه إليه ملاحظات عدّة، هي:

١- إنّ هذا الحديث لا يشمل جميع المبلّغين، فمنهم من يبحث عن الثروة ووفرة المال، ومنهم من يبحث عن الواجهة، ومنهم من يلجأ إلى بعض الأساليب المريحة

(١) أنظر: السند، محمد، بحوث معاصرة في الساحة الدولية: ص ٩٥ - ٩٦.

بسبب الفقر العلمي الذي يعانیه، وقد بینا هذه الأمور في المحور الأول من هذه الدراسة.

من هنا؛ فإن وجود هذا التعدد المزاجي قد يكون عاملاً قوياً إلى سعي أولئك المبلّغين إلى تحقيق ما يصبون إليه، وذلك على حساب ضياع أو تشويه الهدف المرجو ترتبه على منابرهم، وهنا بودّي أن أذكر القارئ الكريم بالقاعدة الأساسية التي بينها الإمام زين العابدين عليه السلام^(١)، والتي تتلخص في أن المنبري ينبغي له أن يُحقّق أولاً وقبل كل شيء رضا الخالق، وبعد ذلك يسعى إلى تحقيق رضا المخلوق، فإذا كان الداعي الأول للمبلّغ الحسيني هو تحقيق الرضا الإلهي، فسيكون ذلك حصناً من الانجرار وراء الرغبات المخزّبة لبعض المتلقّين.

٢- ليست جميع رغبات الفئات المذكورة تصبّ في مصلحة الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، فمنها ما يُبعد المنبر بصورة تدريجية عن روح النهضة الحسينية، ومنها ما يحجّم دور المنبر ويحصره في زاوية محدّدة.

فلو أنّنا رجعنا إلى الفئة الأولى، وتأمّلنا في مطلبها، لوجدنا أن طموحها الرامي إلى التركيز على الجوانب المعرفية بكلا بُعديها الديني والعلمي، والتركيز أيضاً على المشاكل التي يعانيتها الفرد والمجتمع في حياته اليومية، هو مطلب سام، وهو أيضاً انعكاس حقيقي للهدف الرسالي الذي سعى إلى تحقيقه الأنبياء عليهم السلام من وراء دعواتهم السماوية، إلا أن جعل البكاء على مصيبة الحسين عليه السلام أمراً ثانوياً، ومطلباً غير

(١) ذكر صاحب المناقب وغيره أنّه روي: «أن يزيد (لعنه الله) أمر بمنبر وخطيب؛ ليُخبر الناس بمساوي الحسين وعلي عليهما السلام وما فعلا، فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم أكثر الوقعة في علي والحسين، وأظن في تفريط معاوية ويزيد (لعنها الله)، فذكرهما بكل جميل، قال: فصاح به علي بن الحسين: ويلك أيها الخاطب! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوأ مقعدك من النار، ثم قال علي بن الحسين عليه السلام: يا يزيد، ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد؛ فأتكلم بكلمات لله فيهاً رضاً، ولهُؤلاء الجلساء فيهاً أجرٌ وثواب...». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٧.

أساسي، قد يزرع في نفوس الأجيال أن هذا الأمر غير مهم، ويمكن الاستغناء عنه، في حين أنه يعتبر: «من عمدة أقسام الشعائر الحسينية كما في كلمات الفقهاء والمحققين والمؤرخين، بل نستطيع أن نسميه الشريان الدموي للعديد من الأقسام في الشعائر الحسينية... فإن كل هذه الظواهر المختلفة من الشعائر الحسينية، حينما تريد أن تتألق وتحلّق وتبلغ ذروتها تصل إلى حدّ البكاء، فالبكاء حينما جعلناه قسماً من أقسام الشعائر الحسينية، فإنّه في الحقيقة هو ليس قسماً مقابل الأقسام الأخرى، بل ربّما جعله بعضهم مقسماً لأقسام الشعائر الحسينية»^(١).

وفي الحقيقة أن ربط المنبر الحسيني بالمعارف المتنوعة، وتقديم الحلول الناجعة للمشاكل الحياتية، لا يؤمّنه إلاّ البكاء، فإننا لو جرّدنا المحاضرات المنبرية عن البكاء أو همّشناه، فسوف نفقد هذه الجذوة العاطفية التي أصرّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام على بقائها واستمرارها، من خلال تشجيعهم المتواصل على إقامة المجالس وإحيائها. ولعمري، إنّ هذه الكلمة المشهورة (الإسلام محمّدي الوجود حسيني البقاء) التي يتناقلها عموم الشيعة هي خير معبر عن ضرورة عدم التفريط بهذا البعد العاطفي الناشئ من البكاء على مصيبة الحسين عليه السلام في منابرنا الرسالية.

أمّا فيما يخصّ الفئة الثانية، فإننا وإن كنّا نعتقد أن البكاء على مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام، الناتج عن استشعار ما جرى في تلك الواقعة الأليمة يُعدّ عمدة الشعائر الحسينية ولبابها، وأنّ الروايات قد تضافرت في بيان فضله والثواب عليه^(٢)، إلاّ أنّ هذه الشعيرة المهمّة ليست هي النتيجة الوحيدة المترتبة على الحركة التغييرية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام بمعيرة أهل بيته وصحبه^(٣)، وإنّما توجد - في المقام - نتيجة أخرى

(١) السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص ٢٥٥.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٥٦.

(٣) من المهمّ أن ننوّه بأننا لسنا هنا بصدد الخوض في النزاع الدائر بين الباحثين حول الهدف من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ضدّ طاغية بني أمية يزيد بن معاوية (لعنه الله)؛ وذلك لأنّ هذا البحث

لها الدرجة نفسها من الأهمية، وهي أن استلهاً مجريات هذه الحركة التغييرية أصبح مقروناً بحركة رسالية تسعى إلى تهذيب وإصلاح واقع الحياة الدينية للفرد المسلم، والمجتمع الإسلامي بشكل عام، وذلك في مختلف الأبعاد (المعرفية، والسلوكية، والاجتماعية، والسياسية) وغير ذلك، وبالتالي فإن المنبر الحسيني الذي هو الوسيلة الإعلامية الأكثر أهمية في مقام إبراز البعد الرسالي للنهضة الحسينية، لا يمكن أن نحصره في الحالة العاطفية الحاصلة بسبب استشعار حالة المظلومية والمأساة التي عاشها سيّد الشهداء عليه السلام ومن معه في فاجعة الطف.

ومن هنا؛ فلا يبقى لدينا إلا ما رغبت فيه الفئة الثالثة من متلقي المنبر الحسيني، فهو بحق مطلب يصبّ في مصلحة الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، مع عدم إهداره للحالة الروحية الناتجة عن التجربة العاشورائية للمستمعين، هذه التجربة الحاصلة بسبب ما يصوّره الخطباء والشعراء والرواديد، وما يتلونه من قصائد تراثي الحسين عليه السلام ومن استشهد معه من أهل بيته وصحبه، أو ما جرى على السبيا بعد يوم العاشر من المحرم.

النقطة الثانية: المهتمون بالمنبر من غير الشيعة

لم يكن المنبر الحسيني في فترة من فتراته موضع متابعة أفراد الطائفة الشيعية واهتمامهم فقط، وإنما يوجد من الطوائف الأخرى من غير الشيعة من يتابع ويهتم بما يُقال وما يُتلى على المنبر، وهنا يمكننا أن نستفيد من تجربة عميد المنبر الحسيني المرحوم الشيخ أحمد الوائلي في تقسيم هؤلاء النوع من المتلقين على فئتين، هما:

الفئة الأولى: وهم الذين يريدون التعرف على التشيع عن طريق هذه الفعالية

واسع جداً، ويحتاج الخوض فيه إلى دراسة أكثر شمولاً. نعم، نحن في المقام بصدد الحديث عن النتائج المترتبة على النهضة الحسينية، تلك النتائج التي من المفترض أن يكون المنبر الحسيني وسيلة لتحقيقها.

المعلنة التي تُبرز الشيعي في ممارساته العقائدية بوضوح تام، بعيداً عن التستر والتقية، مما يجعلهم يرون ويسمعون ميدانياً كل ما يُنسب لهذه الطائفة من فعاليات يصورها بعضُ أيَّها لا تلتقي مع تعاليم الدين الإسلامي.

الفئة الثانية: وهم الذين يتربصون بالمنبر ليُمسكوا بزلة من الزلات التي قد تصدر منه؛ وذلك بُغية اتِّخاذها مادة للتهريج والتعظيم على جميع إيجابيات المنبر، وجهاده في سبيل العقيدة والدعوة إلى الله تعالى^(١).

وفي مقام ارتباط كل واحدة من الفئتين المذكورتين بموضوع البحث نقول: إنَّ الفئة الأولى لا يمكن أن تكون عاملاً مباشراً مؤثراً في تضييع أو تشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، وإنَّما ستكون ردّة الفعل الصادرة منها في حال كونها ضدّ أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ناتجة عن عوامل سلبية موجودة في شخصية المبلِّغ الحسيني، أو نوعية المحتوى الذي يطرحه على المنبر؛ فإنَّ هذين الركنين الأساسيين من أركان المنبر، إذا أصابها الخلل فإنَّ الناتج سيكون هو عدم وصول الصورة الحقيقية للبعدين المعرفي والسلوكي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبالتالي فإنَّ ردّة الفعل الحاصلة لدى أفراد هذه الفئة سيكون سببها ضعف المنبر الحسيني - نتيجة العوامل السلبية المذكورة - في إيصال رسالته إلى الآخرين من دون نقصان وتشويه، وقد أشرنا بصورة مفصلة إلى السلبات التي يمكن أن يُبتلى بها كل واحد من الركنين المشار إليهما في المحورين الأوّل والثاني من هذه الدراسة.

أمّا الفئة الثانية فقد يكون حالها في بعض الأحيان حال الفئة الأولى، أي: إنَّها تنطلق في مقام توجيهها سهام النقد والتجريح للمنبر، وتضعيفها لدوره الرسالي في المجتمع، ممّا فيه من سلبات، سواء كانت في شخصية المبلِّغ الحسيني أم في المادة التي تُطرح على المنبر، وفي هذا الصدد يقول المرحوم الشيخ الوائلي: «ومن المؤسف أنّ

(١) أنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٤.

بعض المنابر قد لا يكون مثبّتاً في نقله، أو يكون متسرّعاً في أحكامه، أو ليس على علم بما يعالجه من موضوعات، يوفر لهذا المتربّص مادة للتهريج، ويتخذ منه هذا المهرج تعميماً لا مبرّر له، وينتزع منه أحكاماً، كما ينعت هذا المنبري بنعوت غير صحيحة^(١).

إلاّ أنّه وفي أحيان أخرى كثيرة يكون التهريج الذي يمارسه أفراد هذه الفئة على المنبر الحسيني خصوصاً، وعلى الطائفة الشيعية عموماً، ناشئاً عن حقد وخبث سريرة دفينين، وهذا ما نشاهده كثيراً هذه الأيام على بعض فضائياتهم المغرضة، وشبكات التواصل الاجتماعي لديهم؛ إذ يسعون عبر هذه الوسائل الإعلامية جاهدين إلى تشويه صورة المنبر الحسيني من خلال قيامهم بتقطيع كلام الخطباء، أو الشعراء، أو الرواديد، وأخذهم بالمقاطع التي توحى - بعد تجريدها عمّا قبلها وبعدها - بالكفر أو الغلو، ونشرها بصورة متتالية في برامج أو فواصل إعلامية معيّنة، وبالتالي فالمنبر بواسطة هذا التدليس المشين سوف يكون وسيلة لإبعاد الناس عن الأخذ برسالة الإسلام الناصع والحقيقي، والهدف الرسالي الذي يسعى المبلّغ الحسيني إلى الوصول إليه من خلال هذه الوسيلة الإعلامية.

ونحن في مقام الوقوف في وجه هذه المكيدة الشيطانية والحدّ من تأثيرها في عقائد الناس نأمل في تحقّق أمرين مهمّين، هما:

١- السعي الحثيث من قبل الجهات المسؤولة والمتصدّية للعمل المنبري (علماء، فضلاء، خطباء، شعراء، رواديد) إلى تعرية هذه الفضائيات، أو وسائل التواصل الاجتماعي والكشف عن زيفها؛ وذلك من خلال متابعتها وبيان مكامن التدليس والتشويه فيما تنشره وتنسبه، مستفيدين من المداخلات التي يقوم بها أشخاص من ذوي الخبرة والكفاءة في كيفية الردّ على مثل هكذا أمور، مضافاً إلى مقدرتهم العلمية الكبيرة في الدفاع عن المذهب الحقّ.

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٤.

٢- الدقة الكبيرة التي ينبغي أن يتحلّى بها المبلّغون في كل ما يطر حونه على منابرهم، فعليهم أن يتعدوا عن كل ما من شأنه أن يستغلّه الطرف الآخر في مقام التشهير بالمنبر الحسيني، خصوصاً بعد هذا الانفتاح العلمي في مجال التواصل، وصيرورة العالم بمثابة قرية واحدة، وبعبارة أخرى: إنّ المبلّغين عليهم أن يعوا حقيقة أنّ المنبر لم يعد حالة خاصّة ومنحصرة في بيئة معيّنة، بحيث يتم ممارستها بصورة عفوية تمتاز بالسهولة والتسامح، وإنّما أصبح بالإمكان تحويله - في حال لم يتم ضبطه بدقة متناهية - إلى وسيلة قابلة لأن تُصاغ منها مادة اتّهام للمذهب الشيعي^(١).

النقطة الثالثة: الظروف والأوضاع التي تُحيط بالمنبر الحسيني

إنّ المنبر الحسيني باعتباره في مواجهة دائمة مع الجمهور، فهو - إذن - يعيش في بيئة مجتمعية تشتمل على ظروف وأوضاع معيّنة، يمكن أن تشكّل في بعض الأحيان تحديات تُهدّد قدرة المبلّغ الحسيني على أداء دوره الرسالي من خلال منبره، وهذه الأوضاع يمكن تقسيمها على أربعة، هي:

١- الوضع الثقافي: وهو عبارة عن التطوّر في مجال وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، هذا التطوّر الذي أسهم بشكل فعّال في الانفتاح على مختلف الثقافات والرؤى والأفكار، خصوصاً في مجال الثقافة الدينية التي أصبحت الشّاعة التي يُعلّق عليها بعضُ جميع الإخفاقات التي أدّت إلى تقهقر المسلمين وضعف قوّتهم. وبالتالي فإذا لم تكن أطروحات المنبر الحسيني وغيره من المؤسّسات الدينية الإسلامية مهيمنة على مجمل القضايا الثقافية التي يتم تداولها بين الناس، وذلك من خلال توسعة الدائرة الثقافية والمعلوماتية للمتصدّين في هذه المؤسّسات، فإنّ الدور الرسالي الملقى على عاتقهم سوف يُمنى بالضياع أو التشويه جرّاء الحملات الداخلية والخارجية الرامية إلى عزل الدين عن جميع المفاصل الحيوية في حياة الناس^(٢).

(١) أنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٥.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٦٨٣.

٢- الوضع السياسي: وهو جملة المضايقات التي تمارسها الحكومات أو بعض الجهات السياسية على المنبر الحسيني، خصوصاً مع ملاحظة القاعدة الجماهيرية التي تتمتع بها هذه الوسيلة الإعلامية الدينية، فإنّ هذا الحضور الفعّال للمنبر الحسيني بين الجمهور سوف يُثير التخوّف والتحسّس من قبل بعض الحكومات والأنظمة^(١)، أضف إلى ذلك التحزّب والانتماء السياسي لبعض المقيمين للمجالس الحسينية، ممّا ينعكس قهراً على طبيعة الخطاب الديني المنبري الذي يتم طرحه في مجالسهم، وبالتالي فإنّ هذا الوضع بمجمله قد يُشكّل عائقاً أمام حصول الهدف الرسالي للمنبر الحسيني.

طبعاً، إنّ تحلّي المبلّغ الحسيني بالصفات والفضائل الأخلاقية، من قبيل: الشجاعة، والجرأة، والاتّكال على الله تعالى، وكذلك وعيه بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، سيكون - ممّا لا شكّ فيه - عامل قوّة في مقابل هذا الوضع السياسي المتردّي.

٣- الوضع الاجتماعي: تكمن خطورة هذا الوضع في تحجيم الطرح المنبري، وجعله ينسجم مع الأعراف الاجتماعية، والعادات والتقاليد العشائرية، وبالتالي عدم الحرّية الكافية التي ينبغي أن يتمتّع بها المبلّغ الحسيني لتأدية مهمّته الرسالية.

نعم، يمكن التقليل من خطر هذا الوضع من خلال توسعة المساحة التي يشغلها المنبر الحسيني، مع منحه الدعم والإسناد الكافيين من قبل المؤسّسات ذات الشأن في المقام^(٢)، والمتمثّلة في المرجعية الرشيدة، وفضلاء الحوزة العلمية المباركة، وشيوخ العشائر المخلصين، وأهل الصلاح والوجاهة من المؤمنين.

٤- الوضع الاقتصادي: تعتبر الموارد المالية من الدعامات المهمّة لإقامة المجالس الحسينية، واستقدام المبلّغين الجيدين، وتهيئة الأمور اللازمة لمكان إقامة المجلس،

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٨٥.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٨٦.

وجعل الحضور يحظون بمستوى راقٍ من الخدمات، ومن هنا؛ فمع ضمور هذه الموارد، وتلكؤ الأوضاع الاقتصادية، سوف تضيق مساحة المنبر الحسيني؛ مما يؤدي إلى انحسار القدرة على إرساء معالم الهدف الرسالي للنهضة الحسينية^(١). هذا، ويمكننا ملاحظة أمرين مهمين بشأن هذا النوع من الأوضاع المحيطة بالمنبر الحسيني، وهما:

١- إن تردّي الوضع الاقتصادي للناس إذا كان يؤدي إلى التقليل من عدد المجالس الحسينية، أو عدم قدرة بعض الناس على إقامة المجالس، فهذا الأمر لا يرتبط بتضييع أو تشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، فمتى ما أُقيم المنبر، وارتفعت سائر العوامل السلبية الأخرى، فإن الهدف سوف يترتب عليه بلا إشكال، أما إذا كان التردّي المشار إليه يؤدي إلى عزوف بعض المبلّغين الحسينيين الجيدين، وعدم تأديتهم لواجبهم التبليغي، مما يُشكّل صورة سلبية قد تنعكس على رسالة المنبر الحسيني، فإن هذا الأمر مرفوض جداً، وهو من العوامل المخربة التي تتعلق بشخصية المبلّغ الحسيني التي تم الحديث عنها في المحور الأول من هذه الدراسة.

٢- إنّ ممّا يبعث على الاطمئنان في المقام هو أنّ الشيعة يبذلون دوماً الغالي والنفيس من أجل إقامة المجالس الحسينية، وأنّهم في أحلك الظروف الاقتصادية التي يمرّون بها يواظبون على هذه الشعيرة الخالدة، كما أنّهم يتحمّلون من أجل المشاركة في مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام وسائر المعصومين عليهم السلام أفسى أنواع المتاعب والشدائد.

وبناءً على ذلك؛ فإنّ تحسّن الأوضاع الاقتصادية ممّا يلقي بظلاله على ازدهار المنابر الحسينية، إلّا أنّ انحسار الموارد المالية للشيعة وتردّي أوضاعهم الاقتصادية لا يُعدّ - في حدّ ذاته - عاملاً مؤثراً إلى درجة خطيرة في تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني.

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٨٦-٣٨٧.

النتائج

١- يسعى القرآن الكريم - الذي هو الرسالة الإسلامية الخالدة - من خلال ما يشتمل عليه من مضامين دينية ودنيوية إلى تحقيق هدف رئيس ومهم، وهو هداية الإنسان وإخراجه من الظلمات إلى النور.

٢- إنَّ مهمّة تبليغ الرسالة الإسلامية بنصّ القرآن الكريم قد أُكلت إلى شخص النبي الخاتم محمد ﷺ.

٣- إنَّ النهضة الحسينية تُعدّ امتداداً للرسالة الإسلامية، وهذا واضح من خلال الهدف الإصلاحية الذي أعلنه الحسين عليه السلام، وكذلك إصرار الأئمة عليهم السلام على إحياء ذكرى عاشوراء في كل عام.

٤- إنَّ المنبر الحسيني هو العامل الحيوي والفعال في دوام النهضة الحسينية واستمرارها.

٥- من الممكن أن يُبتلى المنبر الحسيني بمجموعة من العوامل التي من شأنها تضييع أو تشويه هدفه الرسالي، وهذه العوامل قد تكون متعلّقة بشخصية المنبري، من قبيل: عدم رعايته للفنّ الذي يمارسه على المنبر، وانجراره وراء المكاسب الدنيوية (المادية)، وعدم تحلّيه بالفضائل الأخلاقية، وغير ذلك، وقد تكون العوامل المؤثّرة - المشار إليها - متعلّقة بالمادة الملقاة على المنبر، سواء من جهة عدم امتلاكها للمنهجية الصحيحة في العرض، أو من جهة ضعفها من ناحية المحتوى. ثمَّ إنّه يوجد صنف آخر من العوامل المؤثّرة ينبثق من المحيط الذي يُقام فيه المنبر، وهذه العوامل تتعلّق تارةً بجمهور المنبر من الشيعة، وتارةً أخرى بالمهتمّين بالمنبر من غير الشيعة، وتارةً ثالثة بالأوضاع الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تُحيط بالمنبر.

٦- ومع ملاحظة العوامل المذكورة في النقطة السابقة فعلى المبلّغ الحسيني أن يسعى جاهداً إلى رفع تلك العوامل، وذلك من خلال إصلاح نفسه من الناحيتين المعرفية والأخلاقية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١- أصول المحاضرات، السيّد كامل الهاشمي، مؤسّسة أمّ القرى للتحقيق والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي (وآخرون)، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم المقدّسة، ط ١، ١٤٢١هـ.

٣- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: جمع من المحقّقين، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٤- بحوث معاصرة في الساحة الدولية، محمد السند، مركز الأبحاث العقائدية، قم المقدّسة - إيران، ط ١، ١٤٢٨هـ.

٥- بين المنبر والنهضة الحسينية، مرتضى مطهري، دار الإرشاد، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٦- تجاري مع المنبر، أحمد الوائلي، مؤسّسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الأشرف - العراق.

٧- تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، الحسن بن علي، المعروف بابن شعبة الحرّاني، تحقيق: علي أكبر غفّاري، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة - إيران، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

٨- تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي، تحقيق: الطيّب الموسوي الجزائري، دار الكتاب، قم المقدّسة - إيران، ط ٣، ١٤٠٣هـ.

٩- خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريقي، وإميل بديع اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٨م.

١٠- الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي، عبد الرحيم أرشد، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١١- الخطابة بين النظرية والتطبيق، محمود محمد محمد عمارة، مكتبة الإيمان للنشر

- والتوزيع، المنصورة - مصر، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٢- الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي، حميد المبارك، بيت العلم للناشرين، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ١٣- دروس في فنّ الخطابة، معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ١٤- الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، محمد السند، دار زين العابدين عليه السلام.
- ١٥- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٦- الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيّد جعفر مرتضى العاملي، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدّسة - إيران، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
- ١٧- الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، صاحب خليل إبراهيم، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠ م.
- ١٨- طريق الخطابة الحسينية، حسن الكندي، دار المرتضى، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ١٩- فقه الرضا، علي بن بابويه القمي، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدّسة - إيران، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
- ٢٠- فنّ الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ، دار الاعتصام.
- ٢١- فنّ الخطابة، ديل كارنيجي، الأهلية، ط ١، ٢٠٠١ م.
- ٢٢- كامل الزيارات، جعفر بن محمد المعروف بابن قولويه، تحقيق: عبد الحسين الأميني، دار المرتضوية، النجف الأشرف - العراق، ط ١، ١٣٩٧ هـ.
- ٢٣- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، ط ٢، ١٤١٠ هـ.
- ٢٤- اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، حسين النوري الطبرسي، تعريب: إبراهيم البدوي، دار البلاغة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٣ م.

٢٥- المبسوط، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: محمد علي الكشفي، المكتبة الرضوية لإحياء آثار الجعفرية، ١٣٨٧هـ.

٢٦- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: محمد جواد البلاغي، منشورات ناصر خسرو، طهران- إيران، ٣، ١٣٤١هـ.

٢٧- مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قيش، دار الرشيد، ط ٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٨- الملحمة الحسينية، مرتضى مطهري، الدار الإسلامية.

٢٩- المنبر الحسيني نشوؤه حاضره آفاق المستقبل، فيصل الخالدي الكاظمي، دار المحجة البيضاء، بيروت- لبنان، ١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٣٠- المنطق، محمد رضا المظفر، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين، قم المقدّسة- إيران.

٣١- نهج البلاغة، تحقيق صبحي صالح، ط ١، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٣٢- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن أحمد السمهودي، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ٤، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

المجلات

٣٣- بايدها ونبايدها خطابه (٢) (ما ينبغي وما لا ينبغي في الخطابة)، مهدي بيشوايي، مجلة مبلغان، ١٣٨٦ش.

٣٤- عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة (تعدّد الأهداف الوسائل)، محمد اسفندياري، ترجمة: محمد عبد الرزاق، مجلة نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة، بيروت- لبنان، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٣٥- فقه الإعلام (المنبر الحسيني نموذجاً)، السيّد محمود المقدّس الغريفي، مجلة الإصلاح الحسيني، مؤسّسة وارث الأنبياء- العراق، ١٤٣٤هـ.

٣٦- منبر؛ نقش ارتباطات وعوامل اجتماعي مؤثر در تبليغ جهره به جهره، أحمد حسين زاده، مجلة معرفة، ١٣٨٢ش.

المنبر الحسيني وأثره في نشر العقيدة الإسلامية

السيد شهيد طالب الموسوي*

توطئة

من مقتضيات الفطرة الإنسانية حاجتها إلى التعلّم، والتوجيه، والإرشاد، بالاعتماد على المناهج العلمية والأساليب التربوية الناجعة، التي تحقق القناعة الفردية، أو العامّة لدى أفراد المجتمع بما تطرحه وسائل الإعلام الدينية، من مواضيع على صعيد العلم والتربية، وتعدّ العقيدة الإسلامية من أهمّ الموضوعات الدينية التي يجب أن تأخذها هذه الوسائل بنظر الاعتبار وإن اختلفت في المنهجيات والخصائص؛ لأنّ العقيدة من الأمور الذاتية التي تترجم إلى الواقع وتؤثر فيه، وقد تصدّى المنبر الحسيني ليؤدي دوره التبليغي على الصعيد العلمي والتربوي، وأعطى للعقيدة الإسلامية أولوية في خطابه؛ لأنّه يحمل قيمة معنوية خاصّة نابعة من ارتباطه بقضية الإمام الحسين عليه السلام، الذي رفع شعار الإصلاح في هذه الأمة، وستناول في هذا البحث وسائل الدعوة للدين وأهميّة العقيدة في حياة الفرد والمجتمع، مع بيان مساحة التبليغ العقدي للمنبر الحسيني، ونقد النمطية التي يخالها بعضُ نوعاً من التقصير في منهجية المنبر الحسيني.

المنبر الداعوي وأنواع ومنهجيات

حرص الإسلام ومنذ نشأته وبداية دعوته على تكامل الفرد والمجتمع من

* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

الناحية العقلية والروحية، وحاول إنقاذ المجتمع من عصر الجاهلية وإيصاله إلى عصر العلم والنور، وإلى منهج الحق الذي ينبغي أن يقود الحياة، فركز الإسلام على مفردات كثيرة كانت لها أهمية بالغة في تربية المجتمع وتربية الفرد، فهو وكما يتبين من خطاباته القرآنية أو النبوية، كان يستهدف الفرد والمجتمع في آن واحد. ولم يترك الإسلام في حياة الفرد والمجتمع جانباً إلا وقد أثره بنظرياته وإرشاداته؛ لحرصه على التكامل من جهة، ووضع الإنسان على طريق هدفه وغايته التي وُجد من أجلها من جهة أخرى، وأن يكون عنصراً نافعاً وفاعلاً في المجتمع، وأن يكون بناء المجتمع على أسس الفضيلة والأخلاق والتعاون والقيم، التي تتكفل برفع الظلم والتعسف والتفرقة، وترسخ مبادئ الوحدة والتعاون والعطف والرحمة؛ ولأجل ذلك نهج الإسلام - لتبليغ مبادئه وقوانينه - طرقاً وأساليب متعددة كوسائل إعلامية ناطقة بالعبقريّة الدينية وبيان معالم الدين وأحكامه، وكل ما يتعلّق بالفرد والمجتمع.

وهذا التنوع في وسائل التبليغ ومجالس العلم، إنّما جاء لأسباب عدّة، منها:

١- إنّ التنوع في طبيعته أقرب إلى القبول، فالطبع الإنساني يميل إلى التغيير وينفر من التكرار النمطي، فنفس السليقة والأسلوب قد تُصيب الفرد بحالة من الملل، الذي بدوره يسبب حالة النفور وعدم الاهتمام، فيؤدي إلى عدم تحقق الغرض من الإرشاد والتوجيه.

٢- تفاوت المستوى المعرفي والنفسي لدى أفراد المجتمع، فمن المناسب أن يكون هناك تعدد واختلاف في وسائل التبليغ، التي تختلف منهجياتها وطبيعتها تعاطيها مع الموضوعات؛ لتغطي أكبر مساحة ممكنة من الأفهام المتنوعة والمتفاوتة لدى الأفراد.

٣- حدوث بعض الظروف الطارئة التي تتعلّق بالإنسان، كالظروف الصحية من مرض، أو إعاقة، أو فقر، والتي معها يكون الفرد غير قادر على السفر لطلب العلم، أو حضور المجالس التي لا تلائم وضعه الخاصّ، ممّا يسبب له الحرمان من الانتفاع ببعض أساليب التبليغ، فلا بدّ من إيجاد أساليب أخرى من وسائل التعليم

والتبليغ، تتكفل بتوفير المعلومة الملائمة، والتوجيه المناسب لهذه الصنوف وغيرها، وهذا التنوع يحقق الهدف الذي يسعى إليه الإسلام في تبليغ دعوته لمختلف صنوف المجتمع.

وحرص الإسلام على أن يضع لكل تكليف أحكامه الخاصة؛ ليتلاءم ووضع الإنسان الصحي أو النفسي، فعلى سبيل المثال لا الحصر: إن صلاة الجمعة تتضمن خطبتين في أولها، وهي منبر الإسلام التبليغي المعروف، لكن الإسلام رفع وجوب الحضور على المسافر؛ لأن المسافر ينتمي إلى بلد آخر له متطلباته وظروفه السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية الخاصة، والخطيب يتعرض لهذه المسائل، ويحاول وضع الحلول المناسبة لها بما يتلاءم ومتطلبات المجتمع الحاضر، وهذا المسافر - بطبيعة الحال - لا ينتمي إلى هذا المجتمع، وليس له تأثير مباشر على الوضع الاجتماعي، أو الاقتصادي. ولا شك في أن هناك أسباباً أخرى.

ولهذا كان التنوع والتعدد في وسائل التبليغ ناشئاً من غايات وأهداف موضوعية، تصبّ في تحقيق الغرض من التبليغ، بالقدر الذي يتكفل بإيصال المعلومة إلى مستحقيها.

ويُعتبر المنبر الخطابي مع تعدّد مصاديقه في الإسلام، من أهمّ وسائل الدعوة والتبليغ والإرشاد، وربما يُعزى ذلك إلى أسباب تارة تكون فطرية وطبعية، وأخرى اجتماعية وعرفية، ومنها:

١- إن الخطابة تعتمد على التبليغ الشفوي للأحكام والعقائد والتعاليم، والكلام يعدّ من أهمّ وسائل الإفهام بحسب طبيعة البشر الفسلجية والفطرية، فالوجدان شاهد على أن الحوارات والألفاظ هي أهمّ الوسائل في إيصال المعنى إلى السامع بين أفراد النوع الإنساني، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(١).

(١) الأحزاب: آية ٧٠.

٢- جرت العادة عرفياً واجتماعياً، سواء في المجتمع العربي بشكل خاص أو الإنساني بشكل عام، على أن أصحاب القضايا المهمّة، الذين لهم الدور المؤثر في المجتمع، يلجأون إلى مخاطبة الناس بعد أن يحتشدوا في مكان معين، سواء كان هذا الحشد لأجل التبليغ أم لمناسبة أخرى، فلو تقصّينا حالة المجتمع العربي قبل الإسلام، فإننا سنجد عدداً كبيراً من المبلّغين كانوا ينتهزون فرص اجتماع الناس في مناسبة معينة؛ ليقوموا بتبليغ آرائهم وأفكارهم وعلى سبيل المثال قس بن ساعدة وخطاباته في سوق عكاظ، «لما قدّم وفد أياد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ما فعل قس بن ساعدة؟ قالوا: مات. قال: كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق، وهو يتكلّم بكلام له حلاوة، ما أجدني أحفظه. فقال رجل من القوم: أنا أحفظه، سمعته يقول: أيها الناس، احفظوا وعوا من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آت آت، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وبحار تزخر، ونجوم تزهّر، وضوء وظلام، وبر وأثام، ومطعم وملبس، ومشرب ومركب، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أ رضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا، وإله قس ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه، وأدرككم أوانه، فطوبى لمن أدركه واتّبعه، وويل لمن خالفه...»^(١).

ولو تتبعنا سيرته صلى الله عليه وآله منذ بداية الدعوة الإسلامية وحتى آخرها، لوجدنا أنه في بداية دعوته لعشيرته الأقربين قام خطيباً فيهم يدعوهم إلى الإسلام، قائلاً: «إنّ الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إنّ رسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة...»^(٢).

أمّا بالنسبة لمجالس العلم ومنابر العلماء، فقد أكّد الإسلام على طلب العلم في مناسبات كثيرة، سواء ما تضمنته آيات الذكر الحكيم أم السيرة النبوية، وقد أكّد

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٦١.

القرآن الكريم على السؤال وطلب العلم، قال تعالى: ﴿فَسَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، وعظّم منزلة العلماء والمتعلّمين، وأنّ لهم المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة عند الله تعالى؛ لأنّهم حملة العلم، الذي يُمثّل أرفع الأشياء وأعظمها قيمةً ومنزلةً، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

أمّا من جهة السنّة والسيرة النبوية، فلا تمرّ مناسبة إلّا كان العلم حاضرًا في طيّات كلام الرسول ﷺ، بل لا نبالغ لو قلنا: إنّ كلامه وسيرته وقوله وفعله هو العلم؛ لأنّه هو المعلّم الأول، وهو القائل ﷺ: «إنّما بُعثت معلّمًا...»^(٣).

ولمجالس العلم الدور الأكبر في تثبيت دعائم الإسلام وبيان تعاليمه وأحكامه وعقائده، بل هي الأساس الذي تعتمد عليه سائر وسائل التبليغ، فمع اختلافها في المنهج والأسلوب إلّا أنّ العمدة في جميعها على العلم والاستدلال، الذي يتحقق في مجالس العلم ويأتي الدور للخطابيات في تأكيد هذه التعاليم، وحثّ الناس على اتّباعها، وممارسة الوعظ والإرشاد؛ للحث على الالتزام بتعاليم الإسلام ومبادئه وقوانينه.

ولذا؛ فمن الأكيد أنّ مختلف وسائل الإعلام والتبليغ في طبيعة تعاطيها مع الموضوعات من جهة، والغرض الذي تنعقد لأجله من جهة أخرى، فنجد - مثلاً - في مجالس العلماء المجتهدين عند التعرّض لموضوع الزكاة في الإسلام، يتناولون هذه المفردة بأدلتها الدالة على وجوبها من الكتاب والسنّة وباقي مصادر التشريع، ثمّ بيان متعلّقها كالنقدين والغلات الأربع وغيرها، وبيان حدّ النصاب فيها، ثمّ بيان مستحقيها، وكلّ ذلك اعتماداً على الأدلة النقلية أو العقلية.

أمّا المنبر الخطابي، فإنّه في حلّ من ذلك بالجملة، ويكفيه بعد ثبوت ذلك في

(١) النحل: آية ٤٣.

(٢) الزمر: آية ٩.

(٣) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ج ٥، ص ١١٨.

محلّه أن يتعرّض لأحد الأدلة، ولكن ليس لبيان وجوبها تفصيلاً، بل إجمالاً، ويعمد إلى حثّ الناس على تأدية هذا الحق إلى مستحقه، وبيان أثره الاقتصادي الدنيوي وكذلك أثره الأخروي.

ويعدّ المنبر الحسيني أحد مصاديق المنبر الخطابي، ولسنا هنا في مقام الشرعة أو التأسيس الفقهي للمنبر الحسيني بعد ثبوت أنّ الخطابات الدينية لها ظروف متنوعة، فتارةً تكون متضمّنة لبعض العبادات، كصلاة الجمعة والعيدين، وأخرى - وهو الغالب - تخرج عن هذا القيد، فالدعوة إلى الله وإلى تعاليم الدين الحنيف، والوعظ والإرشاد، وحمل الناس على الأخلاق الفاضلة والمبادئ النبيلة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صالحة لكلّ زمان ومكان.

ويبقى التساؤل حول المساحة التي للخطيب أن يخوض فيها في مقام التعرّض للقضايا العقديّة والعلمية، وهذا ما سنفصّل الكلام فيه. وبالجملة فإنّ تعدد الوسائل الإعلامية والمنابر الداعوية في الإسلام يترتب عليه اختلاف المناهج وطبيعة تناول الموضوعات الدينية، والمنبر الحسيني من المنابر الخطابية التي تعتمد منهج الخطابة كأسلوب علمي في طرح القضايا الدينية التي تختلف عن مجالس العلم، أو المنبر العلمي - لو صحّ التعبير - لاختلاف الأغراض في كلّ منها.

إنّ طبيعة العلاقة الوثيقة بين المنبر الحسيني وبين قضية الإمام الحسين عليه السلام، وضعته أمام مسؤولية عظيمة؛ لأنّ الانتماء إلى هذه القضية كمنهج وشعار يُحتم عليه أن يتبنى أهدافها، ويسعى لتحقيقها، وهي أهداف الإمام الحسين عليه السلام في إصلاح هذه الأمة.

أهميّة العقيدة في الدين الإسلامي

تحتلّ العقيدة في حياة الفرد المسلم أهميّة بالغة؛ لما لها من دور في تحقيق السعادة الدنيوية والأخروية، والعقيدة الإسلامية الحقّة تعمل على توجيه سلوك الفرد المسلم

نحو الاستقامة والسير على الطريق المستقيم، الذي أراده الله تعالى لعباده، ويَبِّئُهُ في شرائعه المرسلَة عن طريق أنبيائه ورسله، وهي تعمل على ترسيخ القيم والمبادئ في نفس العبد، التي ستنعكس بصورة تلقائية على تصرفاته وأخلاقه وعلاقاته، سواء التي تربطه بربه تعالى أم التي تربطه بالمجتمع بشكل عام، بل وسائر المخلوقات كذلك. فكل ذلك إنما هو ترجمة وواقع فعلي لذلك الجوهر المكنون في نفس العبد وذاته، الذي يُترجم عملياً من خلال سلوكه وأخلاقياته في حياته اليومية. فالعقيدة لها نحو من الارتكاز والذاتية في نفس الإنسان، الذي له ترجمة عملية على الواقع، وهي أبعد من كونها خواطر تجول في ذهن الإنسان، أو أقوال يلحق بها بين حين وآخر. وبناءً على الذاتية الرصينة بين نفس الإنسان وسلوكه حرص الإسلام على بناء الفرد ذاتياً من خلال العقيدة التي توافق فطرته.

والعقيدة لغة: مشتقة من مادة (عقد)، قال ابن فارس: «(عقد) العين والقاف والذال، أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على شِدِّ وشِدَّةٍ وثوق... يقال: اعتقد فلانٌ عُقْدَةً، أي: اتَّخَذَهَا. واعتقد مالاً وأخاً، أي: اقتناه. وعَقَدَ قلبه على كذا، فلا يَنْزِعُ عنه»^(١).

وقال الراغب الأصفهاني: «عقد: العقد الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة، كعقد الحبل، وعقد البناء، ثم يُستعار ذلك للمعاني، نحو: عقد البيع، والعهد، وغيرهما، فيقال: عاقدته، وعقدته، وتعاقدنا، وعقدت يمينه، قال: (عاقدت أيمانكم)، وقرئ (عقدت أيمانكم)، وقال: (بما عقدتم الإيمان)، وقرئ: (بما عقدتم الإيمان)، ومنه قيل: لفلان عقيدة، وقيل للقلادة: عقد»^(٢).

أما العقيدة اصطلاحاً، فهي: «الإيمان بالله تعالى، وبأنبيائه، وما أنزله عليهم، وبأوصيائهم، وباليوم الآخر، وتسمّى أصول الدين»^(٣). فالعقيدة على هذا التعريف:

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٨٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٣٤١.

(٣) الفضلي، عبد الهادي، التربية الدينية: ص ٢٥.

هي الإيمان بأصول الدين على اختلاف الفرق الإسلامية فيها. والقرآن الكريم أكد وبشكل واضح من خلال آياته على مفردة الإيمان من جهة موضوعه، ومن جهة الدعوة إليه، بل إن الدين الإسلامي وجميع الأديان السماوية، إنما قامت على الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والأنبياء، قال تعالى: ﴿... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...﴾^(١)، وهذا هو جوهر العقيدة الدينية، وهو جوهر العقيدة الإسلامية كذلك.

ويظهر لنا من التعريف اللغوي للعقيدة أمثا من مكونات النفس الإنسانية، وما عقد عليه القلب من مفاهيم حيث أصبحت من ذاتياتها ومن الصعب انتزاعها، والحاصل: إن الأمور الذاتية الكامنة في النفس الإنسانية لها دورها في توجيه السلوك الخارجي.

وتجدر الإشارة إلى أن العقيدة تتكون من جزئين رئيسين - أي: إن لها معنى مركباً - وهما: العلم والإيمان، فالعلم: هو إدراك المفاهيم الدينية الخاصة بالله تعالى، وبأنبيائه، وملائكته، وكتبه، ويوم القيامة، والجنة والنار، وغير ذلك من موضوعات الدين من الناحية النظرية. ثم تأتي المرحلة الثانية، وهي عقد القلب على هذه المفاهيم والتصديق بها «والإيمان: التصديق، وهو الذي جزم به الزمخشري في الأساس، واتفق عليه أهل العلم من اللغويين وغيرهم»^(٢).

أما لو قيل: إن المعرفة الإلهية غير ممكنة، ومعرفة مقامات الأنبياء كذلك، ولا يمكن لنا عقد القلب على ظاهرة غيبية لا يمكن تحصيل العلم بها.

قلنا: إن العلم أو المعرفة إما تفصيلية أو إجمالية، وكلاهما تصلح أن تكون موضوعاً للإيمان، أما الغيب المحض فيمتنع الإيمان به؛ لعدم بروزه ولو من جهة

(١) البقرة: آية ١٧٧.

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١٨، ص ٢٤.

آثاره. وبعض الروايات تُشير إلى هذا المعنى ف«عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾. فقال: كان هذا قبل نوح عليه السلام، كانوا ضلّالاً، فبدأ الله، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»^(١).

فعدم المعرفة يُصيّر الإنسان ضالاً، سواء كانت هذه الضلالة عن قصد، بعد أن تتبيّن له معالم الإيمان على ألسن الأنبياء والمرسلين، أم كانت عن غير قصد، كما هو لسان الرواية المتقدّمة.

وبعبارة أخرى: إنّ الإيمان بالله تعالى ممكن؛ لأنّ العلم به علم إجمالي وليس علماً تفصيلياً، فنحن نعلم بوجوده تعالى إجمالاً، أمّا طبيعة هذا الوجود وكيفيته فهي غائبة عنّا، لكن الإيمان يكفي من هذه الجهة، أو من جهة الجزم بوجود خالق لهذا الكون بما فيه من مصنوعات.

أمّا تأثير العقيدة على السلوك الإنساني، فيظهر من الآيات القرآنية أنّ العقيدة لها الدور الأساس في تهذيب السلوك الإنساني، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾^(٢). فمنشأ هذا الموقف تجاه أعداء الله ورسوله، إنّما هو العقيدة الحقّة، والإيمان الصلب الراسخ في وجدانهم، الذي يستتبع عدم المودّة لمنّ حادّ الله ورسوله، ثمّ تقول الآية ذاتها ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.

يقول السيّد الطباطبائي «ثمّ الروح - على ما يتبادر من معناها - هي مبدأ الحياة التي تشرح منها القدرة والشعور، فإبقاء قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ على ظاهره يُفيد أنّ للمؤمنين وراء الروح البشرية التي يشترك فيها المؤمن والكافر روحاً أخرى، تفيض عليهم حياة أخرى، وتصاحبها قدرة وشعور جديدين»^(٣).

(١) البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٤٥١.

(٢) المجادلة: آية ٢٢.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٩، ص ١٩٧.

وربما قيل: إن العبادات أو ظواهر الشريعة، هي التي تؤثر على بواطن الإنسان، وهي التي تهذب سلوكه وليس العكس، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١). و«التقوى: هي الإحساس بالمسؤولية، والتعهد الذي يحكم وجود الإنسان، وذلك نتيجة لرسوخ إيمانه في قلبه، حيث يصدّه عن الفجور والذنب، ويدعوه إلى العمل الصالح والبر، ويغسل أعمال الإنسان من التلوثات، ويجعل فكره ونيته في خلوص من أية شائبة»^(٢).

والجواب عن ذلك بعد مقدمتين:

الأولى: إن الإنسان ينقسم إلى ظاهر وباطن، أمّا الظاهر فله اعتبارات متعددة، منها: وجوده الفيزيائي من وزن وحجم وكتلة، كذلك مادته الكيميائية، وما يحتويه الجسد من عناصر كيميائية مختلفة، وأعضائه الحيوية، وباطن الإنسان هو مجموعة من الأمزجة والقابليات العلمية (العقلية)، والنفسية (الأخلاقية).

الثانية: إننا وإن كنا نعدّ ظاهر الإنسان بمجموعه وحدة واحدة إلاّ أنّه حقيقة متغيرة من حيث عناصره الكيميائية أو آثاره الخارجية، وهذا الأمر نفسه يسري إلى باطنه، فهو أيضاً متعدد بمعنى أنّنا قد نعدّ أشياء كثيرة من بواطن الإنسان، وهي مختلفة بطبيعة الحال كالعقل، والقلب، والنفس، والروح.

فإذا تمت المقدمتان السابقتان تبين أنّ العقيدة وإن كانت تُعدّ من بواطن الإنسان وذاتياته، كذلك الأخلاق هي من ذاتيات الإنسان وبواطنه أيضاً، وهما مختلفتان. فالتقوى صفة نفسانية أخلاقية، أمّا العقيدة، فهي علم وإيمان، بمعنى أنّ لها جنبه عقلية وقلبية. فالعقيدة هي المؤثر في سلوك الإنسان، وهذا السلوك هو الذي يؤثر في أخلاق الإنسان.

(١) البقرة: آية ١٨٣.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٦، ص ٥٦٧.

فالصوم كسلوك نابع من عقيدة المؤمن بالله تعالى ووجوب طاعته، وهو بدوره - الصوم وسائر العبادات - له تأثيره على أخلاق الإنسان وطبائعه النفسية. وللعقيدة في حياة الفرد والمجتمع أثر واضح وعلى صُعد عدّة، ومنها:

١. على صعيد العقل والمعرفة

فمن أبرز المدارس التي تهتم بهذا الجانب، هما: مدرسة الفلاسفة، والعلوم التجريبية، وكلا الاتجاهين حاول أن يفسّر كثيراً من الظواهر ويستنتج الماورائيات، بالاعتماد على أدواته؛ لتكوين رؤية متكاملة حول الكون والله والوجود، في حين أنّ العقيدة التي تنبع من الرسائل السماوية كانت لها تفسيرات وحجج على ذلك، قطع المؤمنون بها شوطاً كبيراً، ووفرت على الإنسان المؤمن الكثير من الجهد والكد للوصول إلى المعرفة الحقّة واليقين الصادق، وشواهد التنزيل والسنة ملأى بهذا الجانب، الذي رقد العقل الإنساني بالمعرفة والتفسيرات على تساؤلاته.

٢. على صعيد الروح

ولعلّه أهمّ الجوانب الذي أفلست منه سائر الاتجاهات، في حين كان الاتجاه الديني بواسطة العقائد قد أعطى للروح الإنسانية غذاءها، بل كان تركيز العقيدة الدينية والإسلامية على وجه الخصوص هو الجانب الروحي؛ لأنّها تمثل نقطة ارتكاز الوجود الإنساني، وهي لها طبيعتها الخاصة التي خلقت عليها، التي يُعبّر عنها بالفطرة، فجاءت العقيدة الإسلامية على طبق هذا الجوهر وفطرته؛ لتسير به إلى غايته وهدفه الذي يلائم وجوده الملكوتي، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

(١) الإسراء: آية ٨٥.

٣. على الصعيد الاجتماعي

وللعقيدة أثر واضح في الجانب الاجتماعي؛ لكونها تعمل على بناء الفرد عقلياً وروحياً، وتُحيي فيه الضمير الإنساني، الذي ينعكس على سلوكه وتصرفاته وطبيعة علاقاته الاجتماعية، فالفرد كجزء لا يتجزأ من المجتمع ينتج حالة من التوافق الفكري والأخلاقي والروحي، فتتسامى معاني الإنسانية في ذلك المجتمع، ويكون مجتمع بناءً، وهذا ما نفتقده بشكل واضح في أغلب المجتمعات الإسلامية؛ والسبب يعود إلى أن العقيدة الإسلامية لا تعدو كونها حبراً على ورق أو أصواتاً تصك سمعنا ليلاً ونهاراً، دون أن نرى لهذه العقيدة أثراً واضحاً في السلوك والمعاملة، وليس لها أيّ رسوخ في نفس الفرد ووجدانه، ولم تمتلك جوانحه وجوارحه، وهذا عين ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام عندما واجه المجتمع آنذاك؛ حيث قال: «إن الناس عبید الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطنونه ما درت معائشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الديانون»^(١).

وقد صدحت آيات الذكر الحكيم بالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والإيمان بالأنبياء والرسل والتصديق برسالاتهم واتباعهم، وهذا التركيز إنما يأتي لبيان أهمية العقيدة، وكونها محور الوجود الإنساني ومنشأ سائر القضايا الدينية، كالعبادات، والمعاملات، والأخلاق وغير ذلك، قال تعالى: ﴿طَسَّ تَلَكَّ ءَابَتْهُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴿ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾^(٢).

وعلى هذا فإن الدعوة إلى العقيدة الإسلامية وتنشئة المجتمع والأفراد عليها بشقيها (العلم بها، والحث على الإيمان، وعقد القلب عليها) يُعتبر من أهم أولويات

(١) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص ٢٤٥.

(٢) النمل: آية ١-٣.

الخطاب الديني، جرياً على ما جرت عليه آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية، وبحكم العقل كذلك، باعتبار أنّها منشأ كلّ الخيرات، فإن كان الحال هكذا، فاللازم أن تكون للعقيدة الإسلامية المساحة الأكبر فيما يتناوله الخطاب الديني بصورة عامّة والمنبر الحسيني بوجه خاصّ.

المنهج الإسلامي في الدعوة للعقيدة والتشريع

اعتمد القرآن الكريم والسيرة النبوية في التبليغ والدعوة إلى العقيدة والدين على منهجيات مختلفة، مراعيّاً بذلك نقاطاً متعددة ورد ذكرها فيما تقدّم، أمّا الآليات التي اعتمدها فيمكن ملاحظتها وبيان طبيعتها من خلال بيان المهم منها. فكلّ دعوة تحاول تبليغ رسالتها تنتهج أساليب مختلفة تلائم الذوقيات المتعددة والاستعدادات والقابليات المختلفة، وهذه الأساليب تنقسم على أقسام متعددة منها:

١- المطبوعات أو المقروءات: أي القراءة من الكتب المطبوعة بشكل مباشر عن طريق الفرد نفسه أو غير مباشر كقراءة القرآن الكريم على أيدي المشايخ القراء، فتارةً يتولى الشيخ القراءة بنفسه على الطالب، وأخرى يتولى الطالب القراءة والشيخ يسمع له ويصحح أخطائه وقد جرت هذه السيرة حتى على سائر كتب الحديث وغيرها، وتعتبر القراءة أو السماع عليه في النوع الثاني من أقسام الإذن بالرواية، وأحد طرق نقل الحديث.

وهذه الطريقة تعتمد أولاً على القراءة، ويأتي في المرتبة الثانية التدبر والتفكير في معاني ما يقرأ. أمّا في القراءة فقد حثّ القرآن الكريم على القراءة في آياته أيضاً، قال تعالى: ﴿فَأَقْرَأْ وَرَأَى الْقُرْآنَ نَزَّالاً وَمَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(١).

وقال تعالى في حثّه على التدبر في آيات القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾

(١) المزمّل: آية ٢٠.

أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿١﴾. وحثَّ السنَّة النبوية الشريفة وروايات العترة الطاهرة على القراءة والتدبر «اقرأوا القرآن فإنَّ الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن»^(٢)، ومَّا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ألا أخبركم بالفقيه حقَّ الفقيه؟ مَنْ لم يؤيس الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله تعالى، ألا لا خير في علم لا فقه فيه، ولا خير في فقه لا ورع فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها...»^(٣).

وهذه الشواهد تبين أهمية القراءة الواعية للقرآن الحكيم، التي يلازمها التدبر والتفكر في آياته التي تضمنت مفاهيم الدين والعقيدة الإسلامية، ودعت إليها وأقامت عليها الحجج والبراهين؛ لأنَّ من أصول كلِّ دعوة أن تكون مدعومة بالبراهين والحجج البالغة، حتى تكون قابلة للإيمان بها والتسليم لها. وتستمر هذه العلاقة بين القرآن والعقيدة ولا تنقطع عند المؤمن مهما علت درجة إيمانه؛ لأنَّ الإيمان بمنزلة الشجرة التي تحتاج إلى الرعاية، والقرآن الكريم يعتبر بمنزلة المعين الصافي الذي يغذي شجرة الإيمان بشكل مستمر، حتى تزهو ثمارها، وتؤتي أكلها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لقاح الإيمان تلاوة القرآن»^(٤).

٢- الخطايات: حثَّ الشريعة الإسلامية على القراءة والتفكر والتدبر، وحرصت على خلق أجواء عبادية عامَّة، تجمع المسلمين في مناسبات خاصَّة، منها: السنوية، كالعيدين، في موسم الحج، وبعد نهاية شهر رمضان، ومنها: أسبوعية، كصلاة الجمعة، وتضمَّنت هذه المواسم العبادية الخطب التي يؤديها أئمَّة الصلاة، وبالجملة يتناول الخطباء في خطبهم أهمَّ الموضوعات الدينية لتوجيه الناس إليها والحثَّ على التمسك بها وترجمتها عملياً في الواقع الحياتي، إضافة إلى معالجة القضايا

(١) محمد: آية ٢٤.

(٢) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال: ج ١، ص ٥١٢.

(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جامع الأحاديث: ج ٤، ص ١١٨-١١٩.

(٤) الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٢٢.

السياسية التي تخصّ المجتمع. وتعتبر العقيدة الإسلامية من أهمّ الموضوعات التي تتناولها هذه الخطب. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ...﴾^(١)، فالبيع وإن كانت له مصالح اقتصادية تنفع المجتمع المسلم، إلا أنّ الله تعالى قد فرض في هذا الوقت تركه والسعي لهذه الفريضة، وذكر الله الذي تتضمنه الخطبة؛ لأنّه تعالى أعلم بمصالح العباد؛ ولذا قال تعالى في ذيل الآية ذاتها: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: إنّ ذكر الله تعالى خير من البيع في هذا الوقت، وهي دلالة أخرى على أهميّة العقيدة وكونها من المصالح العليا للمجتمع والأفراد.

أمّا بشكل عام، فإنّ التبليغ الرسالي سواء على مستوى العقيدة أم سائر القضايا الدينية من أحكام وغيرها، قد جرى على لسان المصطفى ﷺ خلال حياته مع الصحابة، كما كان ﷺ في بعض القضايا وخاصة قضايا العقيدة الإسلامية، يلجأ إلى الأسلوب الخطابي، ويسوق المقدمات لعرضها بالشكل الذي يؤكّد من خلاله أهميتها. ولنا في خطبة حجة الوداع خير شاهد، عندما صدح ﷺ بأمر الله تعالى في بيان طبيعة أمر الأمة الإسلامية من بعده، بعد أن فرض ولاية أمير المؤمنين، وشهد له بالبيعة سائر المسلمين، تلك الحادثة التي تناقلتها المصادر الإسلامية بمختلف أصنافها وبلغت حدّاً لا يمكن معه إنكارها حتى من المعاند.

وهي دالة على أهميّة الجانب العقدي الذي دفع النبي ﷺ إلى أن يختار هذه المناسبة وذلك الموقف؛ لتبليغ أصل مهمّ من أصول الدين، وهو الإمامة والولاية، قال ﷺ: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. فأخذ بيد علي، وقال: اللهمّ من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

(١) الجمعة: آية ٩.

(٢) الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى: ص ٦٧.

٣- الشعر: ويأتي دور الشعر والشعراء في رُفد الدعوة الإسلامية بوسيلة إعلامية أُخرى تضاف إلى الوسائل والمنابر الإعلامية، ويعتبر الشعر من ذوقيات العرب، الوطن الأول للدعوة الإسلامية، ولا شك في أنّ استئناس العرب بالشعر الذي ينسجم مع المزاج العام للفرد العربي، كان له دور هام في الدعوة الإسلامية بعد إضفاء صفة الشرعية من قبل النبي ﷺ في خصوص الشعر الذي يمثل دعوة للقيم والمبادئ الإسلامية من عقائد أو أخلاق، فقد ورد أنّ حسان بن ثابت وفي غدير خم بعد البيعة لأمر المؤمنين ﷺ أنشد قائلاً:

«يناديهم يوم الغدير نبئهم
فقال فمَن مولاكم ونبئكم
إلهك مولانا وأنت نبينا
فقال له قم يا علي فإنني
فمَن كنت مولاه فهذا وليه
بخمّ وأسمع بالرسول مناديا
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
ولم تلقَ منا في الولاية عاصيا
رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فكونوا له أتباع صدق مواليا»^(١)

فقال له النبي ﷺ: «لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»^(٢).

٤- مجالس العلم: وهي المجالس الخاصة التي تُعقد إمّا للتعليم أو للفتيا، والسيرة النبوية حافلة بذلك؛ حيث كان الصحابة الأوائل يسألون النبي ﷺ في مجلسه عن مختلف المسائل الدينية، وكان النبي ﷺ يجيبهم بمقدار السؤال أو أكثر من ذلك بما يراه ملائماً للجالسين، والسيرة النبوية وكتب الحديث خير شاهد على أنّه ﷺ معلّم المسلمين الأول، ومعلّم العلماء، وهو مدينة العلم كما قال ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمَن أراد المدينة فليأتها من بابها»^(٣).

(١) الأميني، عبد الحسين بن أحمد، الغدير: ج ٢، ص ٣٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال: ج ١٣، ص ١٤٨.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، فانفتح من كل واحد منها ألف باب»^(١).

ثم تصدى أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان منبره العلمي والخطابي في الكوفة ناطقاً بالعلم والعمل، ودفع الشبهات، وتوجيه الناس للعقيدة والفضيلة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعده تصدى أهل البيت عليهم السلام لهذه المجالس؛ لأنهم منبع العلم والحكمة، وخزان الوحي، فكانت لهم مجالس للفتيا وتعليم الناس وتوجيههم. وحث أهل البيت عليهم السلام أتباعهم ممن وصل إلى مستوى عالٍ من العلم، أن يجلس ويفتي الناس وذلك كـ (أبان بن تغلب) فقد «كانت له عندهم خطوة وقدم. وقال له أبو جعفر الباقر عليه السلام: اجلس في مسجد المدينة وافيت الناس، فإني أحب أن يرى في شعيتي مثلك. وقال أبو عبد الله عليه السلام لما أثناه نعيه: أما والله، لقد أوجع قلبي موت أبان»^(٢).

٥- المناظرات: والمناظرة لفظ استعمل للدلالة على صناعة الجدل (طوبيقا)، وتعدّ من وسائل إثبات الدعوى أمام الخصوم، مع ما لها من آثار على الجمهور عند الغلبة وانهمزام الخصم، وقد تكون نافعة عندما يكون الخصم متحرياً للحقيقة وطالباً لها، وقد حدثت في زمن أهل البيت عليهم السلام مناظرات كثيرة، كانت لهم الغلبة فيها، وهي بالتالي قد عزّزت بهذا الانتصار حقانية الدعوة الإسلامية من جهة، وبيان أحقية أهل البيت عليهم السلام في التصدي لولاية المسلمين دون سواهم؛ لأنهم الأعلم بأمر الدين فضلاً عن الدنيا من جهة أخرى. وكان للإمام الصادق عليه السلام مناظرات عدّة، منها: ما كان بينه وبين الديصاني، وابن أبي العوجاء، وغيرهما، كذلك ما دار بين الإمام الرضا عليه السلام والعلماء من الديانات الأخرى في مجلس المأمون؛ إذ «قال عليه السلام: يا نصراني

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ١، ص ٢٢٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص ٥٧.

والله، إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد ﷺ، وما ننقم على عيساكم شيئاً إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته. قال الجاثليق: أفسدت والله علمك وضعفت أمرك، وما كنت ظننت إلا أنك أعلم أهل الإسلام، قال الرضا عليه السلام: وكيف ذلك؟! قال الجاثليق: من قولك: إن عيساكم كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة، وما أفطر عيسى يوماً قط، ولا نام بليل قط، وما زال صائم الدهر، قائم الليل. قال الرضا عليه السلام: فلمن كان يصوم ويصلي؟! قال: فخرس الجاثليق وانقطع»^(١).

الخطابة واقتضاء الفطرة الإنسانية للتوجيه والإرشاد

الخطابة لغة: هي الكلام بنحو خاص «وخطب الخاطبُ على المنبر خطابةً، بالفتح، وخطبةً، بالضم، وذلك الكلام خطبةً أيضاً، أو هي الكلام المنثور المسجّع ونحوه. ورجل خطيبٌ حسن الخطبة»^(٢).

أمّا اصطلاحاً، فقد عرّفت بتعاريف شتى، منها: «فنّ مشافهة الجمهور، وإقناعه واستمالاته. فلا بدّ من مشافهة، وإلا كانت كتابةً أو شعراً مدوّناً، ولا بدّ من جمهور يستمع، وإلا كان الكلام حديثاً أو وصية، ولا بدّ من الإقناع، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين، ويؤيده بالبراهين ليعتقدوه كما اعتقدته، ثم لا بدّ من الاستمالة، والمراد بها أن يهيج الخطيب نفوس سامعيه أو يهدئها، ويقبض على زمام عواطفهم، يتصرّف بها كيف شاء، سارّاً أو محرّناً، مُضحكاً أو مُبكيّاً، داعياً إلى الثورة أو إلى السكينة. وإذا فأسس الخطابة: مشافهة، وجمهور، وإقناع، واستمالة»^(٣).

وكان لليونانيين الدور البارز على مستوى التنظيم والتأسيس للخطابة، وجعلوا الهدف من الخطابة هو إقناع الناس وإدهاشهم كما ورد في تعريفها عند أرسطو «قوة

(١) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٤٢١-٤٢٢.

(٢) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج ١، ص ١٠٤.

(٣) الحوفي، أحمد، فن الخطابة: ص ٥.

تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة»^(١).

ويظهر أن الخطابة تعتمد على الكلام؛ لأنها عبارة عن مشافهة غرضها الإقناع وحمل الجمهور على التصديق، وللخطابة خصائص ومميزات تستقل بها عن باقي الصناعات، كالبرهان، والجدل (المناظرة) وغيرهما، وقد بينته كتب المنطق والفلسفة، ويبقى السؤال عن الحاجة إلى الخطابة، وما هو منشأ هذه الحاجة؟

أما الجواب عن الحاجة إلى الخطابة، فهو كونها وسيلة ناجحة لإقناع الجمهور وتصديقهم، ثم إن المجتمع ينقسم على قسمين: (الخاص، والعام)، ونعني بالخاص: الطبقة المثقفة من العلماء والمفكرين، وهذه الطبقة بحاجة إلى القياس الذي يشمل على المقدمات البرهانية؛ لإثبات أي قضية مطلوبة وهي - هذه الطبقة - لا تحتاج عادة إلى ما يلزم الخطابة من عناصر التأثير، ولكن هذا لا يشمل عموم هذه الطبقة، «بل أكثر الخاصة المثقفين - وإن ظنوا في أنفسهم المعرفة وحرية الرأي - ينجذبون إلى الطرق المقتنة المؤثرة على العواطف وينخدعون بها، بل لا يستغنون عنها في كثير من آرائهم واعتقاداتهم، بالرغم على قناعتهم بمعرفتهم وثقافتهم التي قد يتخيلون أنهم بلغوا بها الغاية»^(٢). وبما أن السواد الأعظم من الجمهور هو من طبقة العامة، أصبح من الضروري وجود فن إقناع، ووسيلة تبليغ تلائم هذه الطبقة.

أما منشأ هذه الحاجة، فهل هو ضروري أم فطري؟ والأصوب أنه فطري نابع من حاجة الإنسان الفطرية إلى الإرشاد والتوجيه، كحاجته الفطرية إلى العلم والتعلم وغير ذلك من الاندفاعات والاستعدادات التي تُولد مع الإنسان، ويعمل على تغذيتها من خلال محيطه الخارجي. والإنسان بطبعه يميل إلى التعلم والمعرفة، مع أنه وجد خالي الوفاض، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

(١) طاليس، أرسطو، الخطابة: ص ٩.

(٢) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٢٣.

لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا... ﴿١﴾. فالدافع الحقيقي إلى العلم والتعلم هو الفطرة، بمعنى أن لديه الاستعداد والقابلية للتعلم ومنشأه فطري وغريزي.

وللفطرة تفسيرات عدة وردت في الأثر، قال تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ...﴾** (٢) وقد أورد الطبري في تفسيره أقوال عدة، فمنهم من قال: إنها العهد الذي أخذه الله على بني آدم، ومنهم من قال: إنها الإسلام، ومنهم من قال: إن الفطرة هي الإسلام منذ خلق آدم عليه السلام، «قال ابن زيد في قوله: **﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾**، قال: الإسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعاً، يقرّون بذلك، وقرأ: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾** قال: فهذا قول الله: **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾** بعد» (٣).

ولا تعارض في الأقوال التي ذكرها الطبري لو قلنا: إن الإسلام دين الله تعالى منذ أن خلق الإنسان، أي: منذ خلق آدم. والأنبياء جرى على لسانهم هذا المعنى، قال تعالى حاكياً عن لسان يوسف عليه السلام: **﴿...أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾** (٤). بمعنى أن الشرائع السماوية وإن اختلفت بأحكامها إلا أن الدين عند الله تعالى هو الإسلام، والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى و«أنا مؤمن بدليل كافٍ للطمئنان بعضه ظاهري وبعضه باطني، أن الأنبياء السابقين كانوا مسلمين، بل كانوا مسؤولين عن ولاية أهل البيت عليهم السلام؛ إذ لا نجاة لأي بشر من آدم إلى يوم القيامة إلا بولايتهم، وأولى من يلتزم بولايتهم هم المعصومون السابقون على الإسلام، الذين هم الأنبياء والرسل» (٥).

(١) النحل: آية ٧٨.

(٢) الروم: آية ٣٠.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج ٢١، ص ٤٨.

(٤) يوسف: آية ١٠١.

(٥) الصدر، محمد محمد صادق، شذرات من فلسفة تأريخ الحسين عليه السلام: ص ٣٢.

أما كون الفطرة هي الإسلام، أو التوحيد، أو الدين، باعتبار أنها السنن والقوانين التي يجب أن يلتزم بها الإنسان؛ ليصل إلى سعادته وتحقيق غاية وجوده في الدنيا والآخرة، وأن أيّ انحراف عن هذه القيم إنما هو مخالف لفطرته وخلقته، وسيُسبب ذلك خسارته بكل تأكيد «وقوله: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الفطرة بناء نوع من الفطر، بمعنى الإيجاد والإبداع، و(فطرة الله) منصوب على الإغراء، أي: الزم الفطرة، ففيه إشارة إلى أنّ هذا الدين الذي يجب إقامة الوجه له، هو الذي يهتف به الحلقة، ويهدى إليه الفطرة الإلهية، التي لا تبديل لها؛ وذلك أنّه ليس الدين إلّا سنّة الحياة، والسبيل التي يجب على الإنسان أن يسلكها، حتى يسعد في حياته، فلا غاية للإنسان يتبعها إلّا السعادة، وقد هدى كلّ نوع من أنواع الخليقة إلى سعادته التي هي بغيّة حياته بفطرته ونوع خلقته، وجَهَّز في وجوده بما يناسب غايته من التجهيز»^(١).

ومن مقتضيات الفطرة الإنسانية حاجتها إلى التوجيه والإرشاد، ووضع الفرد على الطريق الصحيح، ولو كانت الفطرة غير منفعة بالعوامل الخارجية، لانتفى الغرض من بعثة الأنبياء والرسول، والذي يوضح دورهم في التبليغ والتبشير والإنذار؛ ولذا يعدّ التوجيه والإرشاد وتحفيز هذه النزعة الفطرية عند الإنسان للتوحيد والدين، ثمّ الطاعة والامتثال من ضروريات استدامة السير على طريق الحق تعالى، أمّا أن يُترك الإنسان دون أن يكون له مربّبٌ وموجّهٌ ومعلّمٌ فإنّه سيقع فريسة لتيارات الانحراف، والشرك، والعقائد الفاسدة؛ ولذا نرى أنّ القرآن الكريم كان له منهجه الخاص في إثارة دوافع الفطرة الإنسانية، وتوجيهها بالطرق التي تنسجم معها، وهذا الاستعداد بحاجة إلى تفعيل طاقاته الكامنة في النفس الإنسانية، ودور العلم والتعلّم، وكذلك دور التربية يأتي لتغذية هذا الاستعداد وهذه القابلية، فيكون الفرد على المسار الصحيح الذي يلائم طبيعته الإنسانية، وأمّا إذا ابتعد عن ذلك،

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦، ص ١٧٨.

واكتسب ما لا يلائم هذه الطبيعة والفطرة، فإنه بذلك يخرج عن طوره الإنساني، ويفتقد لبعده المعنوي، ويكون آلة بيد الانحراف الأخلاقي أو السلوكي.

ودعوة القرآن إلى الاستماع - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ...﴾^(١) - تبيّن حاجة الإنسان إلى التوجيه والإرشاد، واتباع الأحسن والأفضل، والذي يكون نافعاً وموجهاً للإنسان إلى الهداية.

والتفت اليونانيون إلى هذه الحاجة الفطرية، وعمدوا إلى التنظير في مجال الخطابة؛ كونها تعتمد على عنصر التأثير والإقناع، وكون «الجمهور لا يخضع للبرهان ولا يقنع به، كما لا يخضع للطرق الجدلية؛ لأنّ الجمهور تتحكم به العاطفة أكثر من التعقل والتبصر»^(٢)، ولعلّ الحاجة للخطابة بدت ضرورية أكثر بعد أن بدأ الجمهور يأخذ دوره في التأثير على القرارات العامّة في المجتمع، على أنّنا لا نرى هذا الدور واضحاً في القدم، فبعض الأنبياء كإبراهيم وموسى عليه السلام كانت دعوتهم مركّزة على أصحاب القرار، كالنمرود في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، وفرعون في زمن موسى عليه السلام، كما هو واضح لمن تتبع قصصهم في القرآن الكريم، أمّا بعد أن تمتع الجمهور بشيء من الحرية وإن كانت نسبية، ظهرت الحاجة لسلوك جديد هدفه التأثير على الجماهير، «فيحتاج من يريد التأثير على الجماهير أن يسلك مسلكاً آخر غير مسلك البرهان والجدل المتقدمين؛ فإنّ الذي يبدو أنّ الطرق العقلية عاجزة عن التأثير على عقائد الناس وتحويلها»^(٣)؛ ولذلك ظهر فن الخطابة.

لكن المقاصد قد تختلف في الإسلام أو في زمن الأنبياء، فالحثّ على العلم والتعلّم، والتربية والتوجيه، وتبليغ الرسالات السماوية، ليس غايته حمل المجتمع على قضية لصالح جهة معينة، بل يستهدف الإسلام وجميع الرسالات السماوية أولاً

(١) الزمر: آية ١٨.

(٢) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٢٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

وبالذات الفرد نفسه والمجتمع؛ لأنّ وظيفتها تصحيح مساره ضمن الواقع الحقيقي الذي يحفظ له مصلحته، والذي يحمل الفرد على أن يتحلّى بالقيم الإنسانية والمبادئ النبيلة، بما يلائم وعي الجماهير ومستواهم الفكري.

المنبر الحسيني بين صناعته الخطابية ونقد النمطية

تقدّم بيان التنوع في الأسلوب التبليغي والإرشادي في الإسلام، وتعدد الطرق والوسائل الإعلامية لإيصال الفكر الإسلامي إلى الفرد والمجتمع، وتبيّن أنّ ذلك التعدد هو لتغطية أكبر مساحة ممكنة؛ من أجل إيصال كلمة الحق والعدل للناس، وبيان التعاليم الإلهية الحقّة في مختلف مجالات الحياة، واعتمد التبليغ في الإسلام بشكل أساسي على المنهج الخطابي؛ لما يتمتع به هذا الأسلوب من سهولة الوصول إلى وجدان الفرد وترسيخ القضايا الدينية في المجتمع؛ لتكون منهجاً حياتياً صالحاً لقيادة المجتمع، ولتحقيق صلاحه وصلاح الأفراد، ولهذا المنهج - الخطابي - أصول وقواعد اعتمد عليها المنبر الحسيني في أعمال صناعته الخطابية، وفي تعرضه للقضايا العامّة والخاصّة التي تدخل في شؤون المجتمع والأفراد، وتعمل على معالجة مواضع الخلل في البنية الاجتماعية، سواء كان باعثها دينياً عقدياً أم أخلاقياً، أو غير ذلك.

ولما كانت العقيدة الدينية هي منشأ السلوك عند الأفراد؛ لما لها من أهميّة في حياة الإنسان بشكل عام، وكونه مخلوقاً لله تعالى، فعليه أن يستمع إلى توجيهاته وتعاليمه التي جرت على لسان الأنبياء والرسل؛ لذلك أكّدت الشرائع السماوية بشكل واضح على العقيدة والإيمان، ثمّ العمل الصالح. وهذه الخطوط العامّة هي ما ينبغي على المنبر الخطابي الإسلامي عموماً، والمنبر الحسيني بشكل خاصّ، أن ينتهج مبادئها، وأن يعمل على بنائها وترسيخها في المجتمع المسلم.

وبما أنّ المنبر الحسيني على وجه الخصوص يعدّ من الوسائل الإعلامية أو التبليغيّة، التي تعتمد على فن الخطابة في تحقيق أغراضه المتقدّمة في طرح الموضوعات

الدينية، وإعمال الصناعة الخطابية في إقناع الجمهور بها، والتأثير عليهم إلا أنه قد يستقل في بعض خصوصياته؛ لأنه ينتمي إلى عنوان خاص وهو القضية الحسينية، بل هو قائم على هذا الأساس، وأي دور تبليغي عقائدي أو إرشادي، إنما هو محكوم بمقدار ما يفرضه عليه هذا الانتفاء، والحق أن هذا الانتفاء لا يغيّر في منهجيته ومقدار تناوله لمسائل الدين وحسب، بل يعدّ من العوامل الرئيسة التي تساعد على توسيع مهمته التبليغية، ولكنّه لا يخرج عن كونه وسيلة إقناع وتبليغ خطابية تختلف عن منابر العلم ومجالسه التي تتناول الموضوعات الدينية المحضّة، والاستدلال عليها بالطرق التقليدية، ويمكن بيان وجه المقارنة بين المنبر الخطابي والعلمي من خلال النقاط الآتية:

١- تعدد الموضوعات التي يتعرّض لها المنبر الخطابي؛ لأنّ غرضه ليس إثبات ونفي قضية علمية محضّة بالطرق البرهانية أو الجدلية، بل يكفيه تناول موضوع معين وبيان حقانيته أو بطلانه بشكل إجمالي، وبيان ما يتعلّق به وآثاره على الصعيد الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو النفسي... وبمعنى آخر: فإنّ الغالب على هذه الصناعة تعدد موضوعاتها، وعدم محدوديتها بعلم أو مسألة معينة، «وأما الخطابة، فإنّ العائمة لا يهتدون إلى تمييز الموضوعات بعضها عن بعض، وتخصيص الكلام في موضوع مبني على مبادئ تليق به وحده، على ما توجه الصناعة البرهانية»^(١)، أمّا المنبر العلمي فغير قادر على التنوع في طرح المسائل؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى نقض الغرض الذي أقيم من أجله، فهو يتعرّض للمسائل العلمية التي تدخل في أحد حقول العلم والمعرفة وفي اختصاص محدد، ولا شكّ في أنّ مسائل كلّ علم مترابطة فيما بينها، وتحتاج إلى أن تُبحث بشكل متسلسل؛ حتى يستوعب الطالب جميع مسائل ذلك العلم، ويمكنه أن يتعرّف على دقائقه وتفرداته.

(١) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، الشفاء (المنطق - فصل في عمود الخطابة وأجزائها والتفريق بينها وبين الجدول): ص ٧.

٢- تعتمد الخطابة في مادتها على نوع خاص من القضايا، تتألف منها حجتها الإقناعية للوصول إلى النتيجة التي تُريد إقناع الجمهور وتصديقه بها، وأهم هذه القضايا هي المشهورات، والمظنونات، والمقبولات، «واستعمال المشهورات في الخطابة باعتبار ما لها من التأثير على السامعين في الإقناع»^(١)، ولا شك في أن كل علم لديه مختلف أنواع القضايا التي تصلح كمادة في طرق الاستدلال على مسائله على أن تحدد في الخطابيات على ما كان مشهوراً ومقبولاً والتي تُفيد الظنّ المعترف في إيجاد القناعة والتصديق عند الجمهور؛ ولذلك يعتمد المنبر الحسيني غالباً على العمومات، سواء ما ورد في القرآن الكريم أو السنّة النبوية المعترية؛ لأنّها قضايا تُفيد الاطمئنان، بل الوثوق أيضاً. أمّا مجالس العلم، فإنّ غايتها تحقيق نتائج يقينية وإقامة الدليل عليها، فغالباً ما تكون مادتها في القياس مؤلفة من القضايا اليقينية.

٣- من أهم ما يميّز به المنبر الخطابي هو غايته التوجيهية والإرشادية والتربوية، وعليه فهو يتمتع بالشمولية والعموم، ولا يقتصر على محافل خاصّة أو فئة معينة من الناس، فالجميع أمام الوعظ والإرشاد على حدّ سواء كما لا يقتصر على طبقة خاصّة من المجتمع دون أخرى.

أمّا مجالس العلم فتخلو غالباً من التوجيه والإرشاد، أو مراعاة الجانب النفسي والأخلاقي إلا في حدود التحصيل العلمي وما يستتبع ذلك من بيان منزلة العلم والعلماء، وأهميّة العلم لما له من دور في شحذ الهمم وتقوية العزيمة على التحصيل، ومراعاة الوقت والالتزام وغير ذلك، ممّا له مدخلة بشكل وآخر في طلب العلم.

٤- ينبغي في الخطابة مراعاة المستوى المعرفي لدى الجمهور، وهو من الأمور النسبية التي تختلف من مجتمع إلى آخر، فعلى الخطيب أن يراعي ذلك في عرضه لموضوع الخطبة والقضايا المتعلقة به، كما ينبغي أن يراعي التكامل المعرفي وأن لا

(١) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٣٤١.



يقتصر على نمطيات تقليدية وقديمة يصعب أن يتفاعل معها أغلب الجمهور، بعد ملاحظة أن هناك عوامل كثيرة تؤثر على الجمهور، وعلى مستواه المعرفي والنفسي، التي ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار، أمّا مجالس العلم، فهي مقيدة بطرح مسائل العلم وإقامة الدليل عليها، ومناقشة الآراء، ولا ينبغي لغير المؤهلين علمياً حضور هذه المجالس، وهو واضح على مستوى الجامعات، فكلّ طالب يصل إلى المرحلة المتقدمة بعد أن يجتاز مرحلة الاختبار للمرحلة السابقة، فيكون مؤهلاً للمرحلة اللاحقة.

٥- إضافة عناصر التأثير إلى الخطابة كإثارة العواطف وبعث الأحاسيس ورفع الهمم، وهذا المنهج نراه واضحاً وجلياً في القرآن الكريم من خلال تعرّضه لقصص الأنبياء، التي تعدّ عاملاً مهماً يضاف إلى خطاباته وتوجيهاته، قال تعالى: ﴿كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾^(١).

ويُعتبر التعرّض إلى فاجعة الطفّ الأليمة من مقومات المنبر الحسيني، الذي يحقق هذه الإثارات العاطفية، التي تعتبر من العوامل المساعدة، أو الرئيسة للإقناع وبحسب طبيعة ومستوى وعي الجمهور، لكن ذلك ليس هو الغرض الرئيس من التعرّض لواقعة الطفّ ومأساتها في المنبر الحسيني، بل تُعدّ هذه الواقعة جوهره وهويته الحقيقية، ومنها يستمد شرعيته. وإنّما أخذ المنبر الحسيني دوره التبليغي بهذا القدر؛ لأنّ الحسين عليه السلام أحيأ الدين ومعالمه، ورسم منهج الحياة الحرّة للمسلم، فكان حريّاً بهذا المنبر الذي ينتمي للحسين عليه السلام أن يتصدى لهذه المهمة ليؤدي دوره الرسالي.

أمّا مجالس العلم، فهي في حلّ من ذلك كلّها؛ لأنّ غايتها الوقوف على مسائل العلوم وموضوعاتها وما يتعلّق بها، والهدف منها هو العلم والتعلّم وليس الإقناع كما هو الحال في الخطابة.

(١) يوسف: آية ١١.

فإذا تم ما تقدّم نقف الآن على قضية مهمّة، ألا وهي حالة النقد المستمر للخطابة الحسينية، وكونها ذات نمطية ثابتة، ولا تميل إلى التجديد في موضوعاتها. والجواب: إنّ الصناعة الخطابية لها أصولها الخاصة بها، وهي تحقق غاياتها من خلال الالتزام بهذه الأصول، لكن ذلك لا يمنع أن تتوسع الموضوعات بعد ثبوت عدم محدودية موضوع الخطابة، وأنها في سعة من هذه الجهة، لكن التعرّض للموضوعات الحديثة والمعاصرة يجب أن يكون ضمن ذلك الإطار المرسوم للخطابة، وليس خارجاً عنه، وعلى سبيل المثال: مسألة الإلحاد التي تعدّ من الموضوعات الحديثة من حيث إثارها في هذا الوقت، وتأثر الشباب بها في مجتمعاتنا، فهذا الموضوع يمكن للخطيب أن يتناوله بشكل جزئي ويستعرض الأدلة والبراهين على بطلانه، بالشكل الذي يتوافق وعدم خروجه عن غرضه؛ لأنّ التعرّض للموضوعات العلمية وإقامة الأدلة عليها تتكفل به مجالس خاصّة، وهي مجالس العلم التي تتناول العلوم الحقيقية المحضّة لاستيفاء مطالبها، والحصول على حالة اليقين بها، أمّا الخطيب فعليه «تجنب أن يكون بيانه منطقياً وعلمياً معقداً، فلا يميل إليه الجمهور، الذي من طبعه الميل إلى الصور الكلامية الواضحة السريعة الخفيفة»^(١)، ولهذا قسّم أهل المنطق الناس على قسمين خاصّ وعامّ «ولمّا كان المخاطب إنساناً وكلّ إنسان إمّا خاصّي، وإمّا عامّي، والخاصّي لا ينتفع من حيث يحتاج أن يصدق تصديق الخواص إلا بالبرهان، والعامّي لا ينتفع من حيث يحتاج أن يصدق تصديق العوام إلا بالخطابة، فالصناعتان النافعتان في أن يكتسب الناس تصديقاً نافعاً هما: البرهان، والخطابة»^(٢).

المنبر الحسيني ومساحة التبليغ العقدي

واجه القرآن الكريم - ككتاب وحياني رسالي يعزّز قيمة الإنسان، ويزرع في نفسه العقيدة الصالحة والحقّة، ويستفز الإنسان نحو المبادئ والعمل الصالح -

(١) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٤٣٩.

(٢) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، الشفاء (المنطق - فصل في منفعة الخطابة): ص ٢.



تياراً مضاداً من قبل المشركين، الذين حاولوا حجب الأمة عن القرآن الكريم بشتى السبل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)، لكن القرآن أعجزهم بعباراته وفنه ومنهجيته، وسدّ أمامهم كل الطرق التي حاولوا بها التأثير على الناس؛ من أجل منعهم من الاستماع إلى هذا الكلام، ويّين للناس غاية وجودهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)، وأنّ العبادة لله تعالى لها مقدمات، وأهمّها العقيدة والإيمان بالله تعالى، ووضع لهم أسوة حسنة متمثلة بالرسول الكريم ﷺ، الذي وصفه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

وخلف النبي ﷺ بعده كتاب الله وعترته أهل بيته، فكانوا بالمعنى ترجمان الوحي والقرآن، والصورة الفعلية لجميع المفردات القرآنية السامية، وخاصة الخمسة أصحاب الكساء؛ لأنهم كانوا الأقرب إلى النبي ﷺ، الذين شملتهم رعاية السماء، ورعاية النبي ﷺ بالتربية والتعليم، وترسيخ مبادئ القرآن الكريم والرسالة الإسلامية، فضلاً عن مقاماتهم العالية ومنزلتهم الذاتية، التي بيّنتها الآيات والروايات.

وجسّدت واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام، تلك المظلومية والمأساة في تاريخ الأمة الإسلامية أروع معاني التفاني؛ من أجل الدين والعقيدة، فهي رسالة عملية، ومنهج راسخ، صنعه الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ الأمة، ولا شك في أنّ ذلك إنّما كان بمشيئة الله وتخطيط النبي ﷺ، واشترك أهل البيت عليه السلام في هذا التخطيط، فقد روى ابن طاووس أنّ ابن الحنفية قال لأخيه الحسين عليه السلام: «... فما حدّك على الخروج عاجلاً؟ فقال: أتاني رسول الله ﷺ بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين، أخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال له ابن الحنفية: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك

(١) فصلت: آية ٢٦.

(٢) الذاريات: آية ٥٦.

(٣) القلم: آية ٤.

هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال: فقال له: قد قال لي: إن الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»^(١).

وكان للحثّ والتركيز على إحياء هذه الذكرى من قبل أهل البيت عليهم السلام دور كبير في زيادة الوعي، و«تثقيف جمهورهم بالثقافة العامّة، والثقافة الدينية، والمذهبية الخاصّة، وتعميقها فيهم، فإنّ إحياء تلك المناسبات وإن كان الهدف منه بالدرجة الأولى هو عرض الجانب العاطفي، الذي يخصّ المناسبة التي يراد إحيائها، وما يناسب ذلك إلاّ أنّه كثيراً ما تكون منبراً للثقافة العامّة، والثقافة الدينية، والمذهبية خاصّة»^(٢).

فالمنازr الحقيقي للمنبر الحسيني عن سواه من سائر وسائل التبليغ والدعوة للعقيدة والدين، هو ارتباطه بقضية الإمام الحسين عليه السلام، فهو حاكٍ عن مبادئ الحسين عليه السلام، وناطق باسمه، وسائر على ما رسمه له، ويتبيّن هذا من خلال ما نراه من خطباء المنبر الحسيني، ووصفهم لأنفسهم بأنهم خدمة الإمام الحسين عليه السلام، باعتبارهم يتبعون منهجه ويسرون على خطاه. أمّا غيره من الوسائل الإعلامية والتربوية الدينية، فهي خاضعة لتأثير من يتصدّون لها بانتماءاتهم المذهبية والفكرية.

ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق بين المنبر الحسيني وثورة الإمام الحسين عليه السلام، كان للقضايا العقدية الاهتمام البالغ في مجمل موضوعات المنبر الحسيني، ويمكن بيان أبعاد ذلك في النقاط الآتية:

١- إنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام وحيثياتها مرتبطة ارتباطاً منقطع النظير بالعقيدة الدينية، في جميع أبعادها وأسبابها وتنتائجها، بل هي قائمة على أساس ديني محض، فكانت العقيدة إحدى أهمّ مبادئ ثورته الخالدة. والمنبر الحسيني يمثّل صوت الحق على مرّ العصور والأزمان، الذي يعبر عن هذه الثورة ويتبنى أهدافها.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٠.

(٢) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

٢- إنَّ الإمام الحسين عليه السلام بما له من مقام ومنزلة في الإسلام، يمثل ركناً من أركان الدين، وبعبارة أخرى: إنَّ النبوة تُعدُّ أصلاً من أصول الدين والعقيدة، ولا يكفي الإيمان القلبي بها فحسب، بل لا بدَّ من الإيِّان بمصداقها المتحقق في الخارج، والوجدان شاهد على ذلك، فأغلب مَنْ كفر بنبوة الخاتم عليه السلام ربما لا يجد حرجاً من الإيِّان بالنبوة كفكرة عامّة، لكنّه يجحد بها فعلياً وعملياً بما لها من مصداق متحقق في الخارج، وهذا يتعدى إلى الإمامة أيضاً، فالإمام الحسين عليه السلام إمام منصوب عليه من قِبَل النبي صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إماما حق قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما»^(١)، فعلى ذلك كان الحسين عليه السلام بذاته يمثل ركناً مهمّاً في الدين والعقيدة، فالدعوة للحسين عليه السلام ولأفعاله وأقواله وتقريراته إنّما هي دعوة للدين.

٣- كون المنبر الحسيني أحد وسائل الدعوة والتبليغ الديني من جهة، واعتبار العقيدة الدينية محور الدين وقطب الرّحى الذي تدور عليه مسائله، فقد أخذ دوره في بناء العقيدة الدينية والدعوة إليها وترسيخها في المجتمع المسلم، فضلاً عن كونه الأقرب إلى واقع الجماهير، والمستوفي لجميع الشروط التي تقدّمت من ناحية منهجيته الخطابية، وتوافره على عناصر الإثارة والتأثير العاطفي، وبذلك أصبح المنبر الحسيني اليوم فاعلاً ومؤثراً بشكل كبير إلى حدِّ تغيّبت معه سائر وسائل التبليغ والدعوة، ما عدا ما فرض منها شرعاً كصلاة الجمعة والعيدين.

ومّا ساعد المنبر الحسيني على توسيع مقبوليته لدى الجمهور، هو اعتماده على منهجية ذات أسس علمية (بالاعتماد على فن الخطابة)، وفي الوقت نفسه ذات صبغة إسلامية جلية من خلال مقارنته مع القرآن والروايات، فالقرآن الكريم قد تعرّض لمقاتل عدّة في آياته، منها: مقتل هابيل: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج ١، ص ٣٧.

فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ^(١)، كما أنّ الروايات تصافرت على بكاء النبي ﷺ على الإمام الحسين عليه السلام، وفعله حجة بإجماع المسلمين، إضافة إلى دور أهل البيت عليهم السلام في بيان مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، ومنها: خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلس يزيد (لعنه الله) «... فقال الناس: يا أمير المؤمنين، ائذن له فليصعد المنبر، فلعلنا نسمع منه شيئاً. فقال: إنّه إن صعد لم ينزل إلاّ بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنّه من أهل بيت قد رُقوا العلم زقاً. قال: فلم يزوالوا به حتى أذن له، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ خطب خطبةً أبكى منها العيون...» ^(٢). وهذا ما أعطى للمنبر الحسيني شرعية واضحة، سواء في تعرضه لمقتل الإمام الحسين عليه السلام أم الاعتماد عليه في طرح موضوعات دينية عقديّة وأخلاقية تربية.

وللمنبر الحسيني - باعتبار ما له من أصول وخصوصيات - أسلوب ونمطية خاصّة في تناول المسائل العقديّة؛ ليضمن معها بناء عقيدة صالحة لدى الجمهور بما يلائم مستوياتهم الفكرية، ويشمل مختلف الموضوعات العقديّة، ويحقّق أكبر مساحة تبليغيّة لدى الجمهور. ويظهر ذلك من خلال بيان النقاط الآتية:

١- إنّ المنبر الحسيني مكّلف بمخاطبة الجمهور، فخطابه يتسم بالعمومية، وهذا ما يجعله على مراعاة العقلية والنفسية والثقافة العامّة، ويتحرّى الموضوعات الملائمة لذلك، ويتجنب ما يولد الشبهة لديهم، وما يحتاج إلى نوع من الإطناب الذي لا يلائم المقام. وبعبارة أخرى: على الخطيب اختيار مادته الخطابية بدقة؛ لأنّ غرضه إقناع الجمهور كما تقدّم، والتعرّض للمسائل العقديّة بشكل معقّد يُخرجه عن وظيفته الأساسيّة.

(١) المائدة: آية ٢٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٨.

٢- من مقتضيات الصناعة الخطابية توظيف القضايا المشهورة، التي توجب الظنّ أو التصديق لدى الجمهور، واستعمال القياس والتمثيل مع إضافة العناصر الأخرى، كعنصر العاطفة والإثارات القصصية وغيرها؛ لأنّ الاقتصار على طرق الاستدلال المنطقية لا يحقق غرضه في الإقناع، وهذا ما يتعد عنه الجمهور ولا يستسيغه، فإذا تقيّد بذلك، أصبحت موضوعاته مرتبطة بالمسائل العامة في العقيدة، دون الخوض في الجزئيات الدقيقة.

٣- تعدد موضوعات فن الخطابة يجعل المنبر الحسيني في سعة من هذه الناحية، فله أن يختار أيّ موضوع عقائدي للبحث فيه وبيان آثاره الدنيوية والآخروية، وإقناع جمهوره للالتزام به، بمعنى أنّ بناء العقيدة في ثقافة الجمهور تكون على نحو الإجمال لا التفصيل؛ لأنّ التفصيل في مقدمات الموضوع ومسائله قد تكفّلت به مجالس العلم الخاصّة.

٤- يتحرّى المنبر الحسيني الشمولية في موضوعاته، ولا يتسنى له ذلك عند طرح الموضوعات العقائدية بشيء من التركيز؛ لأنّ توضيح كلّ موضوع يرتبط بأصول الدين أو فروعه، بحاجة إلى بيان حججه الإقناعية وطرقه الاستدلالية، وكذلك بيان آثاره على الصعيد الأخرى، أو الاجتماعي، أو السياسي، أو الاقتصادي، وهذا ما يحتاج إلى سعة من الوقت قد لا تتوفر غالباً لدى الخطيب؛ ولذا عليه أن يتجنّب الخوض في التفاصيل؛ لضمان استيعاب هذه الجوانب.

٥- عقد المجالس الخاصّة كمجالس المجتهدين في أروقة الحوزات الدينية، والأكاديميين في قاعات الجامعات، وهي مجالس تعقد للعلوم المحضّة، وبيان مقدماتها ومسائلها وطرق الاستدلال عليها تفصيلاً، وهي تقتصر على مجموعة خاصّة مؤهلة لدراسة هذه الموضوعات وبطريقة علمية، أمّا المنبر الحسيني فمقيّد بمنهجه الخاصّ، الذي يختلف من جهات عدّة عن طبيعة هذه المجالس، بل يستعين بها في براهينه واستدلّاله على القضايا التي تثبت حجيتها من خلال هذه المجالس،

ولا ينبغي تحميل المنبر الحسيني شيئاً ليس من صميم مهمته التبليغية. فيتين لنا من خلال هذه المنهجية التي يتسم بها المنبر الحسيني أن من اهتماماته هي زيادة الوعي عند الفرد المسلم، ويبدأ الوعي في تبني العقيدة الصحيحة الصالحة، والرؤية الحقيقية للدين، لا أنه في معزل عن العقيدة، بل هو نابع من تبني العقيدة الحقة في الإمامة والنبوة، التي تعود إلى التوحيد والطاعة لله تعالى، غاية الأمر أنه أسلوب توجيهي له نمطه الخاص، الذي يعتمد في منهجيته على القرآن الكريم وما حققه العلماء في فن الخطابة مع ما له من خصوصيات من جهة ارتباطه بقضية الإمام الحسين عليه السلام، والالتزام بتوجيهات أهل البيت عليهم السلام، فأضحى له الدور البارز في توجيه الناس وبناء عقيدتهم الصالحة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، طبعة جديدة منقحة مع إضافات.
- ٢- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٣- البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم.
- ٤- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٥- تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي المعروف بابن شعبة الحراني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٣٦٣ش.

- ٦- التربية الدينية دراسة منهجية للأصول العقيدة الإسلامية، عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- ٧- تفسير جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المطبعة: المغرب، ١٣٨٧ هـ.
- ٩- التوحيد، محمد بن علي الصدوق، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٠- جامع الأحاديث، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جمع وترتيب: أحمد صقر، وأحمد عبد الجواد، دار الفكر، لبنان، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- ١١- الخطابة، أرسطو طاليس، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩ م.
- ١٢- دعائم الإسلام، النعمان بن محمد القاضي المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م.
- ١٣- ذخائر العقبي، أحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، ١٣٥٦ هـ.
- ١٤- شذرات من فلسفة تأريخ الحسين عليه السلام، محمد محمد صادق الصدر، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر، النجف الأشرف، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- ١٥- الشفاء (المنطق)، الحسين بن عبد الله ابن سينا، تحقيق: الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى، إيران - قم، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.

١٦- الغدير، عبد الحسين بن أحمد الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

١٧- غرر الحكم ودرر الكلم، أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي، ترتيب وتدقيق: عبد الحسن رهيني، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ١٩٩٢م.

١٨- فاجعة الطف (أبعادها ثمراتها، توقيتها)، محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، دار الهلال.

١٩- فن الخطابة، أحمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م.

٢٠- الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقه، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢١- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قدم له وعلق حواشيه: الشيخ أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٢- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، دار صادر، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

٢٣- كنز العمال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: ضبط وتفسير: الشيخ بكرى حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٢٤- اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى ابن طاووس، الناشر: أنوار الهدى، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٥- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

٢٦- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، منشورات طليعة النور، المطبعة: سليمان نزاده، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

- ٢٧- المتظم في تاريخ الملوك والأئم، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٨- المنطق، محمد رضا المظفر، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ٢٩- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ٣٠- ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، المطبعة: أسوه، ١٤١٦هـ.

دور النُخب في تطوير المنبر الحسيني^(١)

د. زهراء البرقعلاوي*

مقدمة

يكتسب المنبر الحسيني أهمية كبرى؛ إذ يُمثل إعلاماً من نوع خاصّ أمام التعدد الكبير لأدوات الإعلام وآلياته ووسائله، فهو يمثّل أداة ثقافية متصلة مع قانون التواصل الثقافي الذي يواكب الجمهور، مما يقتضي استغلال الآلية الأمثل التي تنطبق مع شروط الحالة التعددية للخطاب؛ لغرض تحقيق أُسس الخطابة النهضوية، والتي تتضمن خلق عملية اجتذاب للمتلقى وتطوير واقعه الذاتي والمجتمعي، وهذه العملية تأتي من خلال الإمكانية التي يمتلكها الخطيب لمناشدة العقل والعاطفة، من خلال عملية ربط هادفة بين الذاكرة والواقع وبين المصيبة والهدف المستخلص منها، وكيفية استثماره لتطوير المجتمع.

وبما أنّ جميع المجتمعات لا بدّها من نُخبة قادرة على توجيه مساراتها، وتحريك دفتها في الاتجاهات المرغوبة والمطلوبة؛ إذ لا يمكن للحياة الاجتماعية في أيّ مجتمع كان، أن تتم من غير نُخب توجهها وترشدها؛ لذا فإنّنا في هذا البحث سنتعرّض إلى

(١) هذا المقال عبارة عن بحث قدمته الباحثة في ندوة علمية عُقدت في مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، يوم الأحد: ٢٥/٩/٢٠١٦م.
* دكتوراه في الدراسات القرآنية المعاصرة، أستاذة في الجامعة الإسلامية، العراق.

عناوين عدّة؛ مبتدئين بإيضاح مفهوم النخبة، ومميزاتها، ثمّ نعطف الكلام إلى المنبر الحسيني وأهمّ نخبه؛ واخترنا - في المقام - ثلاثة مناهج مشهورة ومختلفة قد وظّفت المنبر للتأثير على الرأي العام، واختتمنا المقال بمبحث مختصر تكلمنا فيه عن الخطابة النسوية وأهم المشاكل التي تواجهها الخطيبة، مع إبدائنا لبعض الحلول المناسبة.

مفهوم كلمة (النخبة)

تدل كلمة النخبة في اللغة العربية على (المختار) من كلّ شيء، وعلى (الاصطفاء) في كل أمر، فهي تشتق في اللغة العربية من الفعل (انتخب)، والانتخاب هو الاختيار والانتقاء؛ وعليه فنخبة القوم تعني خيارهم وصفوتهم^(١).

وقد أشار معجم المصطلحات السياسية والدولية إلى أنّ (Elite) يقابلها في العربية (الصفوة)، أي: عُلية القوم، وهم أقلية ذات نفوذ تحكم الأغلبية، وتلعب هذه الصفوة دوراً قيادياً وسياسياً، لإدارة جماعاتهم من خلال الاعتراف التلقائي بهم وبصفتهم^(٢).

وفي اللغة الإنجليزية اشتق مفهوم النخبة (Elite) من الفعل اللاتيني (Eligere) يعني (يختار)، فمفهوم النخبة يعني: العنصر المختار. وجاء في قاموس أوكسفورد أنّ النخبة (Elite) أقوى مجموعة من الناس في المجتمع، لها مكانتها المتميّزة وتكون ذات الاعتبار^(٣). ويتضح عبر هذه الرؤية أنّ النخبة تشير إلى الفئة الاجتماعية التي يُعتقد أنّها الأفضل والأهم من غيرها؛ وذلك بسبب امتلاكها السلطة، أو الثروة، أو المهارات العقلية.

(١) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٢٤٦٨.

(٢) أنظر: بدوي، أحمد زكي، معجم المصطلحات السياسية والدولية: ص ٥٢.

(٣) أنظر: الناكوع، محمود محمد، أزمة النخب في الوطن العربي: ص ١٥.

وجاء في القواميس الفرنسية، أن النخبة متميّزة عن الجماعات التي تنتمي إليها بامتلاكها لخاصية التفوّق والقدرة، بما تملكه من قدرات وخصائص وسمات ومميّزات. كما يعرف قاموس روبرت الفرنسي (النخبة) بأنها مجموعة من الأشخاص المتفوقين في الممارسة الاجتماعية في حقل اجتماعي معين، وهم يمتلكون القدرة على التأثير في المجال السياسي والاجتماعي.

وتأسيساً على ما تقدّم يمكن القول: إنّ النخبة تعبّر عن طبقة معينة، أو شريحة منتقاة من أيّ نوع عام. وهي تعني أيضاً الأقلية المنتخبة، أو المنتقاة من مجموعة اجتماعية، تمارس نفوذاً غالباً في تلك المجموعة، بفضل مواهبها الفعلية، أو الخاصية المفترضة^(١).

وجاء في معجم علم الاجتماع بأنّ النخبة «جماعة من الأشخاص يتم الاعتراف بعظمة تأثيرهم وسيطرتهم في شؤون المجتمع، حيث تشكل هذه الجماعة أقلية حاكمة يمكن تمييزها عن الطبقة المحكومة، وفقاً لمعيار القوة والسلطة، بدلالة تمتعها بسلطان القوة والنفوذ والتأثير في المجتمع أكثر ممّا تتمتع به الطبقة المحكومة فيه؛ وذلك بسبب ما تمتلكه هذه الأقلية من مميّزات القوة والخبرة في ممارسة السلطة والتنظيم داخل المجتمع، الأمر الذي يؤهلها لقيادته»^(٢). فالنخبة جماعة (أو جماعات) من الأفراد الذين لهم خصائص مميّزة تجعلهم يقومون بأدوار أكثر تميّزاً في حياة مجتمعاتهم، ومؤشر هذا التميّز في الأدوار هو تأثيرهم البالغ في مجريات الأمور وتوجيهها، كما ينعكس في تأثيرهم على عمليات صنع القرارات المهمّة في مختلف مجالات الحياة^(٣).

(١) أنظر: النابلسي، شاكِر، مقال بعنوان (السياسة بين الجماهير الدهماء والنخبة)، جريدة الوطن: ١١ / ٨ / ٢٠١٣ م. www.alwatan.com

(٢) ميشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن: ص ١١٧.

(٣) أنظر: زايد، أحمد، نخب ما بعد الاستعمار، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام، عدد ٧٤ / ٧ / ٢٠١٩ م.

مميزات النخب

- يمكن - بالاستناد إلى مختلف التعريفات التي أوردناها - تحديد مجموعة من المميّزات للنخبة، وهي كما يأتي:
- تمتاز النخبة بقلّة العدد.
 - وتمتاز بعلو المكانة الاجتماعية.
 - وتمتاز بالقدرة على التأثير.
 - وتمتاز بالمشاركة في صنع القرارات الهامة في المجتمع.

وبعبارة جامعة: إنّ النخبة هي تلك الفئة من الناس المكلفة بتحمل مسؤولية التغيير والتسيير وقيادة المجتمع، والتي تعيش شعوراً داخلياً يمدّها بطاقة التحمل، لمواجهة الواقع الذي قد يكون سيئاً في بعض الأحيان في المجتمع، وتُكابِد من أجل تغييره نحو الأحسن، والتي ترى أنّ الانتماء إليها تكليف قبل أن يكون تشريفاً.

أمّا عناصر النخبة فهم مختلفون بحسب الاختلاف في طبيعة النخب ومجال اهتمامهم، خذ على سبيل المثال النخبة الدينية، فإنّ عناصرها هم - كما ذكر ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة -: العاملون بالعلم، الزاهدون في الدنيا، الراغبون في الآخرة، المستعدّون للنقلة بتحقيق اليقظة، والتزود الصالح. ولا يندرج معهم من اشتهر بمجرد العلم، ولم يُشتهر بالزهد والتعبُد^(١)، وعلى رأسهم الأنبياء الذين ما نالوا ذلك الشرف العظيم إلاّ بما تحمّلوا من صعاب، وتحديّ أسوأ الظروف لتحقيق التغيير المنشود.

هذا، ولا يشترط بالضرورة أن تكون العناصر التي تنتمي إلى تلك النخبة من العناصر المثقفة، ومتولدة من نخبة المثقفين ثقافة أكاديمية فقط، فكلّ التخصصات المعاصرة لها نخبة متميِّزة ومبدعة، سواء أكانت تعتمد على العقل، أم قوة الساعد، وعناصر هذه النخب يجمعها همّ واحد، وهو التغيير لتحقيق حياة أفضل لمجتمعاتها.

(١) أنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، صفة الصفوة: ج ١، ص ٢٥٣.

مراحل المنبر الحسيني ونُخبه

قد مرَّ المنبر الحسيني منذ نشوئه بتغييرات - شكلية ومضمونية - على امتداد المساحة الزمنية حتى وصل إلينا اليوم؛ إذ مثل البكاء الشكل الأول للمنبر الحسيني، رغم كونه عزاءً بالمعنى الظاهر، لكنّه كان يمثّل شعور الباكي بالندم تارةً كما حدث للتوّابين، أو دعوة لرفض الظلم والطغيان، وحثّ الناس للتأكيد على مصيبة وواقعة كربلاء بما تحمله من قيم وثوابت، وهو ما جسّد بكاء الإمام السجاد عليه السلام على أبيه طيلة حياته^(١). ثمّ تطوّر الأمر بعد ذلك؛ إذ نجد أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام قد حثّوا الشعراء للإشاد في حق مصيبة كربلاء، كالكميت، والسيد الحميري، ودعبل الخزاعي؛ لأنّ الشعر يمثّل أفكاراً ومضامين صيغت بألفاظ مشحونة بالعاطفة؛ فكان الشاعر يندب الحسين عليه السلام وفاجعته الأليمة، ويشير إلى بعض المضامين الخاصّة بأهل البيت عليهم السلام وبأحقيّتهم في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله. هذا، وقد برز بعد ذلك مصطلحان فيما يتعلّق بالعزاء الحسيني:

- أحدهما: المنشد، وأحياناً يُعبّر عنه بالنائح.
- والثاني: هو القاصّ.

يتولّى الأول إنشاد ما قيل من شعر، في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، فيما يتولّى الثاني؛ مسألة سرد قصة الإمام الحسين عليه السلام وسيرته، وحوادث كربلاء وما بعدها. وهنا نجد أنّ ملامح المنبر الحسيني بدت واضحة بظهور القاصّ الذي قرأ قصة استشهاد الحسين عليه السلام^(٢).

ثمّ أخذ المنبر الحسيني بالتطوّر والظهور بغير ما كان يُعرف به سابقاً؛ فأصبح منبراً للوعظ والإرشاد، والمعرفة، والسياسة، والاجتماع، وغير ذلك. وهذا التطوّر

(١) أنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٣٦.

(٢) أنظر: شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: ص ٢٥٨-٢٥٩.

لم يقف عند حدٍّ معيّن، بل مرّ بمراحل أُخرى وصولاً إلى ما عليه اليوم^(١)، فظهر العديد من الخطباء، وتعددت مناهجهم، حتى أصبح المنبر يختلف باختلاف الزمان والمكان، فكان هناك خطباء بارزون مثلوا نُخبة المجتمع، وساهموا في إثراء المنبر الحسيني وتطويره وجعله حاكياً عن الواقع، أكثر من كونه مرتبطاً بتاريخية المصيبة، وحاولوا البحث في أنثروبولوجية المجتمع الحالي، والتماس نقاط الوهن فيه لإيجاد حلول ناجعة لتلك المشاكل، من خلال المنهج الأركيولوجي لواقعة كربلاء واستلهاهم الموعظة والدروس منها، وسنقرأ ثلاثة من خطباء النخبة، وهم: الشيخ أحمد الوائلي، والشيخ مرتضى مطهّري، والدكتور علي شريعتي، وسنرى كيف أثّرت مناهجهم في واقعهم وغيّرت سلوكيات مَنْ جاء بعدهم.

الشيخ أحمد الوائلي

هو الشيخ أحمد بن الشيخ حسّون بن الشيخ سعيد بن الشيخ حمود الليثي، الوائلي، النجفي^(٢).

وُلد في مدينة النجف الأشرف يوم الجمعة، ونشأ في وسط اجتماعي محاط بالتربية والتعليم الديني؛ فبيئة النجف تُعدّ من أعرق البيئات المفعمة بالثقافة الإسلامية^(٣)، «واصل دراسته بجد واجتهاد، في المدارس الرسمية، والتحق بكلية الفقه في النجف الأشرف وتخرج منها، وانتقل إلى بغداد لمواصلة دراسته في معهد العلوم الإسلامية، ونال منه شهادة الماجستير، ثمّ سافر إلى القاهرة، وحصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية»^(٤)، وشهادة الدكتوراه هذه هي أول شهادة لأول خطيب في النجف^(٥)،

(١) أنظر: مركز دراسات الإمام الحسين، معجم خطباء المنبر الحسيني: ص ٣٧-٧٧.

(٢) أنظر: الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص ٨٧.

(٣) أنظر: الغريبي، أحمد ناجي، الشيخ الوائلي حياته آثاره منهجه في الكتابة: ص ٤١.

(٤) الأميني، محمد هادي، معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ج ٣، ص ١٣١٦.

(٥) أنظر: المرجاني، حيدر، خطباء المنبر الحسيني: ج ١، ص ١١٦.

«وهو مع جميع هذه المراحل الدراسية الشاقّة، كان يصعد أعواد المنابر، للتوجيه والإرشاد والدعوة، ويُسهّم في المؤتمرات والمهرجانات الأدبية»^(١)؛ إذ ارتقى المنبر الحسيني وهو لم يزل في العقد الأول، أو على مشارف العقد الثاني من عمره، كما أنه تتلمذ في هذه المدينة المقدّسة على يد بعض الأساتذة، ممّن كانوا من الخطباء المعروفين في ذلك الوقت^(٢). هذا، وقد تميّز الوائلي بمواصفات مكّنته من خدمة الرسالة الإسلامية وأداء مهمّته على أحسن وجه، حتى شيّد صرح مدرسة جديدة في عالم الوعظ والإرشاد^(٣)؛ إذ استوعب ودرس كل عوامل النجاح والتطور، ثمّ أضاف إليها الشيء الكثير، حتّى لُقّب بأمر المنبر الحسيني^(٤)، كما أنّه كرّس حياته نحو الهدف السامي في نشر المبادئ الروحية، وعوامل الإصلاح، والتعاليم الإسلامية، والمباحث الأخلاقية، وأعطى صورة مشرقة للمنبر، ممّا يتلاءم مع متطلبات ومقتضيات العصر، فقد استطاع التأثير في نفس كل مستمع له وإن كان يخالفه في الرأي.

لقد شغل الشيخ الوائلي مساحة كبيرة بين معاصريه من الخطباء، والأدباء، والشعراء، وأهل صناعة النتاج الإنساني بوجه عام، وأنّ موسوعيته وتعدد تخصصاته العلمية والأدبية، لم تأت من تحصيل نمطي لهذه المعارف، وإنّما هي نتاج أخذه من مسارات متنوعة، ولعلّ في مقدّماتها نشأته العلمية في بيئة مثل بيئة النجف وطبيعتها المعروفة، وجمعه بين التحصيلين والحوزي والجامعي، فضلاً عمّا يتمتّع به الوائلي من ألمعية وحضور، نتيجة ما يملكه من السعة المعرفية، والنفس الطامحة الموهوبة المتطلعة، إلى إعادة الوجه المشرق للفكر المعرفي الإسلامي.

(١) الأميني، محمد هادي، معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ج ٣، ص ١٣١٦.

(٢) أنظر: عباس، غانم نجيب، أهد الوائلي سيرته ودوره في الحياة الفكرية والاجتماعية في العراق (أطروحة دكتوراه): ص ٣٠.

(٣) أنظر: الخزاعي، عبد الحسين، لقاءات في المهجر: ص ١٣.

(٤) أنظر: الكرباسي، محمد صادق، معجم خطباء المنبر الحسيني: ج ١، ص ٣٦١.

ركّز الشيخ الدكتور أحمد الوائلي خطابه حول المنبر الحسيني، وثورة الإمام عليه السلام وابتعد عن كلّ ما يحيط من مكانة المنبر ومقامه؛ فابتعد عن النصوص الركيكة لفظاً أو مضموناً، وجنّب المنبر ألفاظاً لا تتناسب والموقف الكريم للنهضة الحسينية، ومن ينطق بلسانها^(١).

فقد كان له الدور الكبير والمميّز بالتقريب بين المذاهب، فكانت دعواته صريحة في مقام الحثّ على التمسك بالوحدة الإسلامية والتقارب بين الأديان؛ إذ دعا فرق المسلمين إلى أن يدرسوا بعضهم بعضاً بروح علمية، وأن ينبذوا الخلافات المشبوهة التي أدت إلى تمزيق وحدة المسلمين.

هذا، ويمكن أن نبيّن النقاط الأساسية التي ميّزت خطابة الشيخ أحمد الوائلي رحمته الله بما يأتي:

- التلمذة الموفقة على يد كبار شيوخ المنبر الحسيني من الخطباء، منهم الشيخ محمد علي اليعقوبي، والشيخ محمد علي القسام.
- جهوده الذاتية المتبلورة بسعة اطلاعه، وكثرة متابعتة للإصدارات الفكرية والثقافية؛ حتى غدا موسوعة ثقافية متعددة الجوانب.
- حسّه الأدبي وشاعريته الوقادة؛ إذ يعدّ الشيخ الوائلي من شعراء العراق والعرب، وله دواوين شعر.
- شهادته الجامعية الأكاديمية التي كانت تُعدّ فتحاً في عالم خطباء المنبر الحسيني؛ إذ مكّنته هذه الشهادة اجتذاب الطبقات المثقفة والطلبة الجامعيين.
- جعل المنبر وسيلة لبحث الأمور ذات العلاقة بحياة المسلم، والتحديات التي تواجهه، وردّ الشبهات عن الإسلام، ومحكمة التيارات الفكرية الأخرى.

(١) أنظر: عباس، غانم نجيب، أحمد الوائلي سيرته ودوره في الحياة الفكرية والاجتماعية في العراق:

- ابتداءؤه المحاضرة بآية من القرآن الكريم، والذي هو تطوّر نوعي آخر في الخطابة الحسينية.

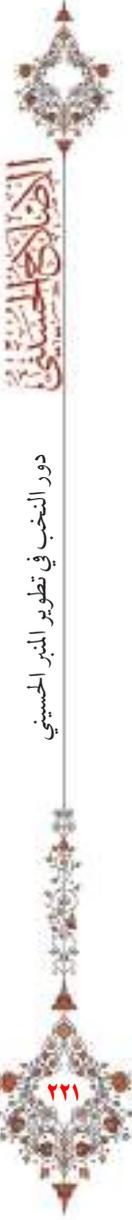
ونجد من كل ما تقدّم أنّ الشيخ الوائلي قد أحدث مدرسةً مستقلةً في الخطابة، وأسلوباً حديثاً للوعظ والإرشاد، انسجم مع روح العصر؛ ولذلك انجذب إليه الشباب والمثقفون، وتمكّن أن يخترق صفوف أبناء الجامعات العلمية، وفتح آفاقاً جديدةً للمنبر الحسيني^(١).

وقد كان الشيخ الدكتور يحمل همّ المنبر الحسيني بكل أبعاده، ويسعى إلى تطويره والاستفادة منه في تغيير الواقع، وقد حاول مع آية الله العظمى السيّد محمد باقر الصدر^(٢)، عندما كان يتردد على مجلسه في عام ١٩٧٨م، تأسيس معهد للخطابة الإسلامية؛ إذ يذكر الشيخ الوائلي ذلك بقوله: «كنت أتردد على مجلس آية الله الشهيد الصدر السيّد محمد باقر... وكان يطرح هموم الساحة من كل أبعادها، ومن الهموم التي شغلت باله قضية المنبر الحسيني، وكان يدعوني إلى تحمّل شيء من مسؤولية المنبر ولو بعمل بسيط يتطوّر بعد ذلك»^(٢). وكانت أهمّ الأفكار التي طرحها الشهيد الصدر^(٢) تتلخّص في مجموعة عناوين رئيسة أهمّها:

أولاً: تقعيد المنبر؛ بمعنى أن يصدر المنبر عن قواعد وعلم إذا تناول أيّ مفردة من المفردات في خطابه، فيكون مثل طالب العلم الفاضل، إذا عالج مفردة في موضوع شرعي عالجها بمنهجية؛ مثلاً إذا عالج مسألة فقهية نظر إلى دليلها، فإذا كان من غير القرآن الكريم يبدأ بتوثيق الدليل من حيث السند، ثم يبدأ بتقييم الرواية وتحقيقتها، من حيث عدم الزيادة والنقص والتحريف، ثم ينظر إلى ألفاظها هل هي ممّا لا يحتمل إلا معنى واحداً، أو يحتمل أكثر من معنى، فيصنّفها إلى نص أو ظاهر أو مؤول، ثم يجمع الروايات حول الموضوع ليرى مدى تأثيرها في دلالات الرواية

(١) أنظر: الكرباسي، محمد صادق، خطباء المنبر الحسيني: ج ١، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٤١.



على المعنى المراد، أو الحكم المراد، ثم يبحث عما يعارضها ويُعمل فيها وسائل التعادل والتراجيح. والاختصار أن يسلك الخطيب مسلك الفقيه في معالجة ما يطرحه على المنبر من عقيدة أو أحكام.

ثانياً: إثراء مادة المنبر، بمعنى تنويع مضامين المنبر والتماس المواد المشوقة للسامع، والتي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الاختلاف في مستوى المستمعين ومداركهم في الوقت نفسه والظروف المحيطة بالمنبر، وبذلك يحافظ على رعييل المنبر ورواده، ويعمل على زيادة عددهم من الناحية الكمية، كما يعمل على الارتفاع بمستواهم تدريجياً، وذلك في قوالب تتناغم مع أمزجتهم؛ لأنهم من شرائح غير متجانسة من جميع النواحي غالباً، وكل ذلك في إطار أجوائنا العقدية والشرعية.

ثالثاً: العمل على الارتفاع بالمنبر حتى يصل إلى مستوى مرجع متجول، يرجع إليه الجمهور للتعرف على كثير مما يهمه، من قريب أو بعيد، من حكم شرعي أو عقيدة. وبتعبير آخر: الطموح إلى جعل المنبر مكتبة متنقلة ترتقي بمقدار ما تؤدي المطلوب للجمهور، على نحو موسوعي لا يصل إلى حدود التخصص^(١).

وبعد محاولات كثيرة انتهى الأمر إلى قول السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته الله للشيخ الوائلي: إن لك عليّ الأمور الآتية:

١- أن أدمج خطباء المنبر بالحوزة العلمية، حتى يحصلوا على ما يحصل عليه طالب العلم، من مكاسب مادية وروحية وعلمية.

٢- أن أعمل على إيجاد صيغة تؤمن لهم ضماناً لأيام عجزهم، حتى لا يتعرضوا للذل أو الضياع.

٣- أن تكون لهم مؤسسة مركزية يصدرون عنها في مناهج موحدة وتوجيهات، تصدر لهم في ذلك، كما تعمل هذه المؤسسة على التعريف بهم في داخل العراق

(١) الوائلي، أحمد، مقال بعنوان: (هموم المنبر عند الشهيد السيد محمد باقر الصدر)، موقع الصراط نهج السعادة والتقدم. al_serat.com.

وخارجه، ممّا يعطيهم زخماً ومكانةً معترف بها، وتكون هذه المؤسسة تحت ظل المرجعية^(١).

أمّا صلة الخطيب بالجانب المتحرّك في أفق المنبر، فقد كان السيّد الشهيد^{عليه السلام} - بحسب ما نقله الشيخ الوائلي^{رحمته الله} - يرى أنّه العنصر المؤثر في المنبر، والروح الحقيقية له؛ لذا يجب على الخطيب أن يحمل مؤهلات معيّنة ويتصف بصفات عدّة، وكان أهمّ ما انتهت إليه الآراء ما يأتي:

١- أن يكون رعيّل الخطباء قسماً من الحوزة لا قسماً عنها، بمعنى أن يسير على ما سار عليه طلاب الحوزة من خطوات في المنهج والمضمون، وفي سلوكه وهديه والتزامه بأجواء الحوزة. إذا قدر له أن يتّصف بذلك، فستحصل له أمور أهمّها: الثقة بنفسه وأنّه بمستوى أداء الرسالة علمياً وستتغير النظرة إليه عند الجمهور، من كونه مجرد ذاكر يمارس موضوعاً يتصل بالعواطف عند محبي آل البيت^{عليهم السلام} إلى كونه من أهل العلم الذين يقومون بما يقوم به ممثلو العلماء في البلدان، غاية ما في الأمر أنّ الممثلين ثابتون في مكان محدد وهؤلاء متجولون.

٢- يتعيّن على الخطيب فضلاً عن تمرّسه المنهج الحوزي، أن يحقق اتقان الآليات ذات العلاقة بفن الخطابة الحسينية؛ لأنّ ذلك من أول شروط المنبر الناجح، على أن تكون هذه الأمور مسايرة للتطوّر أداءً ومضموناً، ومنسجمة مع ضوابطنا الشرعية والأخلاقية، وحاملة لسماة عقيدتنا في خطوطها العامّة، ومتّصفة بالبعد عن المبالغات والتهويلات... إنّ هذه الآليات المذكورة هي العنصر الفاعل في جذب الجمهور إلى المنبر، ثمّ مخاطبته وفق المستويات التي يخضع لها، من حيث الزمان والمكان والهوية وغير ذلك؛ ممّا يحدد آفاق المستمعين. وينبغي ألاّ يحرص الخطيب على مجرد إرضاء المستمعين بالنزول إلى مستواهم وما يتوقون إليه، خصوصاً إذا كان

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٤٢-١٤٣.

يؤدي إلى الهبوط بمستوياتهم، فلا بدّ من محاولة الارتقاء بهم تدريجياً وهدوء... إنّ بعض تلك الممارسات حتى لو كانت سائغة شرعاً، لكنّها إذا كانت تؤدي إلى ما يهبط بجمهورنا، ينبغي الابتعاد عنها.

٣- لا بدّ من عملية انتقاء لمن يمارس الخطابة، بمعنى أنّه ينبغي ألا يكون الباب مفتوحاً أمام من يريد سلوك هذا الطريق ما لم يحمل المؤهّلات، ولو بالحد الأدنى، وليس من المحتم دخوله هذا السلك، بل يمكن تيسير السبيل أمامه إلى أداء رسالة عن طريق الحوزة التي لا ضرورة فيها للشروط المطلوبة من الخطيب^(١).

الشيخ مرتضى مطهري

لا يمكن حصر شخصية الشهيد مطهري وخطابته ومعالجته للمنبر بسطر أو سطرين، فلقد كان رحمته موسوعة من المعرفة والفكر، لكن ما يمكن أن نلتقطه من هنا وهناك في مقام معالجته وتطويراته للمنبر والخطابة، أنّه رحمته يعتبر أنّ ملحمة الإمام الحسين عليه السلام ملحمة مقدّسة، تختلف عن غيرها من الملاحم، وذلك لميزات ثلاث: أولاً: كون رمز الملحمة المقدّسة هو ذلك الشخص الذي تعلو روحه على ما فوق ذاته، وما فوق العرق القومي الذي ينتمي إليه شعبه والقارّة التي تقع فيها بلاده. إنّ ذلك الرمز الذي لا يمكن أن يرى شخصه في الميزان، وإنّه لا يرى أمامه إلا الحق والحقيقة^(٢).

ثانياً: إنّ قدسية هذه النهضات والملاحم يرجع إلى أنّ حدوثها كان في ظروف خاصّة للغاية؛ أي: في ظل أجواء لا يتوقعها أحد على الإطلاق. وبعبارة أخرى: ترى أنّ أمر حدوثها يشبه انبلاج نور شعلة كبيرة في ظل جو مظلم وقاتم السواد للغاية.

(١) الوائلي، أحمد، مقال بعنوان: (هجوم المنبر عند الشهيد الصدر)، موقع الصراط نهج السعادة والتقدّم. al_serat.com.

(٢) أنظر: مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج ١، ص ١٠٨.

ثالثاً: إنّ هذه النهضة اتّصفت بدرجة الرُّشد، وأنّ صاحبها تميّز بالنظر الثاقب البعيد، أي: إنّ هذه الملحمة والنهضة إنّما تتبلور قدسيّتها في صاحب النهضة الذي يرى ما لا يراه الآخرون^(١).

هذا، وقد أكّد الشهيد مطهّري - في مقام حديثه عن آليّات تطوير المنبر الحسيني - على حصول تحريفات كثيرة على مرّ الزمان في واقعة الطف التاريخية والعظيمة جدّاً، ويرى أنّ مسؤوليّة كبيرة تقع على كاهل الجميع من علماء وناس عاديين في مواجهة هذه التحريفات والنضال ضدها. لذا حدّر مطهّري من استعمال الوسائل التي ترضي المزاج، خاصّة أنّ قضية الحسين عليه السلام تختلف عن بقيّة القضايا، فقال: لا يجوز لنا استخدام الوسيلة التي تعجبنا كي نُبكي بواسطتها الناس، فإنّ هذا الوهم وهذا الخيال الكاذب والخطأ الفادح المعشعش في أذهاننا يصبح بحدّ ذاته عاملاً، ودافعاً كبيراً، لحصول الاختلاق والتزوير؛ ولأنّ هذا يؤدي إلى تشويه صورة الإمام الحسين عليه السلام والانحراف عن تعاليم الإسلام التي قاتل الإمام الحسين عليه السلام من أجلها، وهي أن تبقى سنن الإسلام حيّة وعالمية وقوانينه خالدة، لا أن يكون مقتله حجة وتبريراً لمخالفة تلك السنن والاستهتار بها. إنّنا بهذه الأعمال خلقنا من الحسين صورة المخرب والعياذ بالله^(٢).

وقد شكّك الشهيد مطهّري بأولئك الذين ساهموا بإفراغ نهضة الإمام الحسين عليه السلام من محتواها العميق، واتّهمهم بأنّهم ارتكبوا الجريمة بحقه، ثمّ أكّد بأنّنا نتحمل مسؤوليّة هذه القراءة لواقعة كربلاء، وحصّرها في البكاء والمصيبة، ومن المساهمين في تحريف معركة كربلاء عن أهدافها الحقيقية^(٣)؛ لذلك يرى ضرورة

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ١٠٨-١١٠.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ١، ص ٣٩-٤٠.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٩٨.

قراءة وجهي الحادثة النوراني والرثائي، ولكنّه يشترط قراءة الوجه النوراني للتاريخ الحسيني أولاً، للتمكّن من الاستفادة من الوجه الرثائي للواقعة، وإلا فإنّ الوجه الرثائي لوحده لا فائدة منه، ويعبر عن ذلك بقوله: فهل تتصورون أنّ الحسين بن علي جالس بانتظار من يأتي ليشفق عليه؟! (١).

الدكتور علي شريعتي

مثّلت حسينية الإرشاد - التي أفتتحت عام (١٩٦٩م) كي تكون مركزاً علمياً - نقطة تحوّل في مسيرة شريعتي؛ إذ ركّز فيها كلّ نشاطه؛ وذلك من خلال إلقاءه محاضرات منتظمة عن الإسلام، وتاريخ التشيع، مصححاً من خلالها المفاهيم السائدة، وأسس فيها خمس لجان للإشراف على النشاطات المتعددة، هي: لجنة تاريخ الإسلام، ولجنة تفسير القرآن، ولجنة للأدب والفن، ولجنة للغة العربية؛ لتصحيح منابع التراث الشيعي، ولجنة للغة الإنجليزية؛ لحمل رسالة الإسلام العالمية ونشرها (٢).

إنّ حسينية الإرشاد أصبحت منطلقاً عند شريعتي؛ لتصحيح أفكار المجتمع وتغيير وسلوكياته، ملقياً بثقل الإسلام عاملاً لشحذ الهمم والتعبئة الفكرية والسياسية في أوساط الشباب، حتى أنّه كان يحضر إلى محاضراته نحو خمسة آلاف إلى ستة آلاف، أغلبهم من الشباب المثقّف الواعي الأكاديمي، بل كان يحضر - فيها - كذلك مجموعة الليبراليين واليساريين وغيرهم من الاتجاهات المختلفة. هذا، وأنّه حاول ذات مرّة في سلسلة محاضرات استعراض طبقات المجتمع التي كانت تحيط بيزيد بن معاوية، فبدأت الحشود تتزايد، فلم يجد جهاز (السافاك) إساءة للنظام

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ١٠٠.

(٢) أنظر: شريعتي، علي، دور مؤثر في جيل الثورة. <http://www.al-vefagh.com/News/223393.html>

الحاكم، مستغربين من التزايد المستمر للحشود، وعند مراجعة التسجيلات علموا بأن التقسيم الذي يقسمه شريعتي للطبقات المحيطة بيزيد ما هو إلا تقسيم للطبقات التي تحيط بالشاه، فتمّت ملاحظته، وأغلقت الحسينية؛ ولذا فإن الدكتور شريعتي من خلال إحياء القضية الحسينية، والاستفادة منها لتغيير الواقع وإعادة قراءتها قراءة واعية، أصبح معلماً للثورة كما لُقب آنذاك^(١).

هذا، وينتقد علي شريعتي ما حدث من تشويه للشعائر الحسينية، مع اعترافه بأن أصل العزاء مشروع، وذلك بقوله: «إنّ النقد الذي سنوجهه الآن لا ينصبّ على أصل التقليد ولا على أصل العزاء»^(٢)، وإنّ أصل إقامة العزاء كان سنّة معمولاً بها بين أوساط الشيعة، منذُ زمن الأئمة عليهم السلام والإمام الصادق عليه السلام على وجه التحديد، ولقد كانت سنّة حسنة، بل كانت ممارسة ثورية، خاصّة في زمن الكبت والقمع، والأجواء الخائفة التي كان لجهاز الخلافة دور في تكريسها عداءً لأهل البيت.

ومن جميع ما تقدّم نجد أنّ المنبر قد مرّ بتطوّرات كثيرة ومهمّة، كما أنّنا نجد في الوقت الحالي بروز أسماء لامعة نهضت بالمنبر الحسيني، وتناولت أفكاره سوسيولوجياً وواقعياً؛ لتنهض بالمجتمع نهضة جديدة كما أراد الحسين عليه السلام لنهضته أن تكون.

الخطابة النسائية

أمّا ما يخصّ المجالس الحسينية النسوية، فنجد أنّ سيطرة الجانب العاطفي والمأساوي على محتواها ومضمونها، قد أفقدها عامل التوجيه الفكري، وعامل النصح والإرشاد؛ إذ أصبحت المجالس النسوية تهتمّ بالبكاء والشجن، دون الاهتمام بمواجهة الأفكار العقائدية الدخيلة، أو الأفكار الخاصّة بالمرأة وشؤونها الاجتماعية، أو النفسية، أو الفكرية، بل أصبحت بعض المجالس مكررة تسمعها المرأة وتحفظها

(١) أنظر: شريعتي، علي، الشهادة: ص ١٦-١٨.

(٢) شريعتي، علي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي: ص ٢١٦-٢١٧.

عن ظهر قلب؛ لأنّها تركّز على سرد المصيبة من دون الاهتمام بتطوير المرأة؛ ولذا رصدنا أسباب عدّة لذلك:

١- إنّ المتصدّيات للخطابة الحسينية معظمنّ غير معدّات لأداء الدور الحقيقي للخطيبة الحسينية.

٢- معظمنّ غير متحصّات بدرجة علمية تؤهلهنّ لهذا الدور، كأن تكون شهادة جامعية أو حوزية، تمكّنها من معرفة التاريخ، ومعرفة القراءة الصحيحة للقرآن أو الروايات، ومعرفة العلوم الدينية ولو كانت ميسرة، لتمكّن من مناقشة الأفكار والمشاكل المجتمعية ووضع الحلول لها.

٣- معظم الخطيبات يعتمدنّ بشكل أساس على الصوت والقدرة على شحن المجلس عاطفياً.

٤- العرف السائد بين النساء على عدم إطالة المجلس، وعدم رغبتهنّ في ذلك؛ لكثرة المجالس الحسينية التي تنتظر كل واحدة، وكأنتها عُرِف اجتماعي يجب الذهاب إليه.

وهناك مجموعة من المقترحات التي يسعى هذا البحث إلى تقديمها لمعالجة هذه الظاهرة الخطيرة، وهي:

١- الحرص على إنشاء معهد للخطابة الحسينية النسوية، تتخرج منه كل من تروم أن تكون خطيبة حسينية.

٢- تدرس من تلتحق بالمعهد قضايا الدينية العامّة، من قبيل: سيرة أهل البيت عليهم السلام، وعلوم القرآن وتفسيره، وجملة من المسائل العقائدية، والفقهية، والأخلاقية المهمّة. كما يتمّ التركيز في هذا المعهد على القضايا الخاصّة بالمرأة والطفل، وتدرّس بعض العلوم المساندة كعلم النفس، وعلم الاجتماع.

٣- تدرس أيضاً لكن بشكل تفصيلي ما يخصّ واقعة كربلاء، ويتمّ التركيز على

دور المرأة في النهضة الحسينية، وقدرتها على الانتصار على الظلم والطاغوت، لا سيّما دور السيّدة زينب عليها السلام في ذلك، وخطبها المشهورة التي اختلفت في بنائها الأسلوبية تبعاً لاختلاف مضامينها؛ إذ صاغت خطبها عليها السلام مراعيةً لحالة المجتمع التي قيلت فيه. فإنّ هذه التفصيلات الخطابية ستؤثر في المجتمع، وفي بيان كيفية انتصار الثورة الحسينية.

٤- إن لم تمتلك الخطيبة للصوت الذي يؤهلها أن تكون ناعية، يمكنها الاستعانة بقرائة أخرى لأغراض النعي والبكاء.

٥- يتم تسهيل مهام الخطيبات والخطباء بإنشاء مكتبة حسينية تضمّ كل ما كُتب حول القضية الحسينية، من شعر، ومؤلفات، وبحوث، حتى تكون في متناول أيديهم.

٦- تثقيف المجتمع النسوي بضرورة تغيير شكل ومضمون المجلس الحسيني النسوي، مبتدئين بالركن الأساس المتمثل بالاعتماد على خطيبة مؤهلة، تركّز في خطابها على النصائح الواقعية وأهداف الخطابة الحقيقية، مع بيان ضرورة تطوير المنبر. وأخيراً، بما أنّ المرأة تحتاج إلى الاستلهام من فكر أهل البيت عليهم السلام؛ لذلك فهي بحاجة إلى من يواجه معها آفات المجتمع وأمراضه، فالشابات بحاجة إلى النصيح والإرشاد، وبحاجة إلى التوجيه والرعاية.

المصادر والمراجع

١- أحمد الوائلي سيرته ودوره في الحياة الفكرية والاجتماعية في العراق (١٩٢٣م -

٢٠٠٣م)، غانم نجيب عباس (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، ٢٠٠٥م.

٢- أزمة النخب في الوطن العربي، محمود محمد الناكوع، دار الساقى للطباعة والنشر، لبنان، ١٩٨٩م.

٣- أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م.

- ٤- أمير المنابر (أول دراسة علمية موضوعية شاملة عن الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي)، صادق جعفر الروازق، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ٥- تجاربي مع المنبر، الشيخ أحمد الوائلي، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٦- التشيخ العلوي والتشيخ الصفوي، علي شريعتي، تقديم: إبراهيم دسوقي شتا، دار الأمير للثقافة الإسلامية، لبنان، ٢٠٠٢م.
- ٧- ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، محمد مهدي شمس الدين، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٨- خطباء المنبر الحسيني، حيدر المرجاني، النجف الأشرف، ١٩٧٩م.
- ٩- الشهادة، علي شريعتي، دار الأمير للثقافة الإسلامية، لبنان، ٢٠٠٧م.
- ١٠- الشيخ الوائلي حياته آثاره منهجه في الكتابة، أحمد ناجي الغريزي.
- ١١- صفة الصفوة، جمال الدين عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ١٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- ١٣- لقاءات في المهجر، عبد الحسين الخزاعي.
- ١٤- معجم المصطلحات السياسية والدولية، أحمد زكي بدوي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ١٥- معجم رجال الفكر والأدب في النجف، محمد هادي الأميني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٤م.
- ١٦- معجم علم الاجتماع، دينكن ميشيل، ترجمة: إحسان محمد الحسن، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.
- ١٧- الملحمة الحسينية، مرتضى مطهري، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٩٠م.

المواقع الإلكترونية

١٨- الدكتور شريعتي دور مؤثر في جيل الثورة:

<http://www.al-vefagh.com/News/223393.html>.

١٩- السياسة بين الجاهير (الدهماء) والنخبة، شاعر النابلسي، جريدة الوطن ٨ / ١١ /
www.alwatan.com. ٢٠١٣م:

٢٠- الشيخ الوائلي، مقاله: هموم المنبر عند الشهيد الصدر:

<http://burathanews.com/arabic/thought/190778>.

٢١- مركز دراسات الإمام الحسين، معجم خطباء المنبر الحسيني:

<https://www.hcht.org/ar/ebooks/4-encyclopedia/82-third-century-poetry-v3.html>.

٢٢- معجم خطباء المنبر الحسيني، محمد صادق الكرباسي:

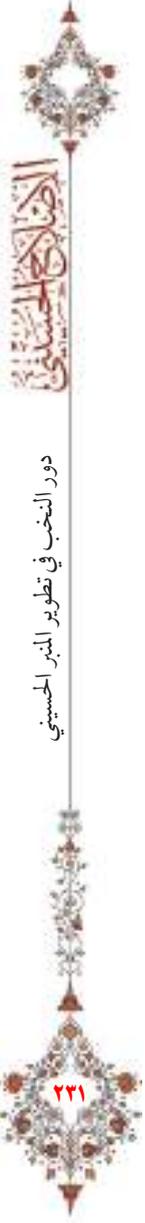
<https://www.hcht.org/ar/ebooks/4-encyclopedia/82-third-century-poetry-v3.html>.

٢٣- نخب ما بعد الاستعمار، أحمد زايد، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام،
عدد ٧٤ / ٢٠١٩:

democracy.ahram.org.eg.

٢٤- هموم المنبر عند الشهيد السيد محمد باقر الصدر، الشيخ أحمد الوائلي، موقع الصراط
نهج السعادة والتقدم:

al_serat.com.



التفاعل العاطفي في خطاب المسيرة الحسينية

م. د. كريم حمزة حميدي جاسم*

المقدمة

إنّ الخطاب يعدّ من أهمّ مظاهر السلوك الإنساني، بل هو هوية الإنسان، فضلاً عن كونه المرآة التي تعكس مشاعره وانفعالاته واتجاهاته النفسية، يقابل ذلك متلقّي الخطاب الذي لا بدّ من أن تظهر آثار ذلك الخطاب عليه، وهو ما يعبر عنه بالانفعالات العاطفية سواء إيجابية كانت أم سلبية. وبفعل الرسالة الإلهية التي تضمّنها خطاب الإمام الحسين عليه السلام استجاب كثير من الأنصار إلى نداء القلب، وقبل ذلك إلى نداء الرب؛ وكذلك الحال في خطابات المسيرة الحسينية الأخرى. ولا شك في أنّ التفاعل مع هذه الخطابات قد أخذ أبعاداً تربويةً متعددةً، منها ذلك التفاعل العاطفي الذي أدّى إلى بذل النفس في سبيل الله، والوقوف إلى صف الفريق الحق، فريق الإمام الحسين عليه السلام.

ومن هنا؛ حفلت المسيرة الحسينية بنماذج متعددة من الأنصار، الذين تفاعلوا مع خطاباتهما، ومن هؤلاء: الحرّ الرياحي، وزهير بن القين، وأمّ وهب وابنها، ويزيد بن زياد بن المهاجر الكندي، وسعد بن الحرث الأنصاري، وأخوه، وغيرهم. لذا شرعتُ بدراسة فكرة هذا البحث، مقسّماً إياه على مبحثين، تسبقهما مقدّمة وتمهيد، وتتلوهما خاتمة. أمّا التمهيد، فقد تناولت فيه الخطاب وآثاره التربوية. وأمّا

* تدريسي في كلية الإمام الكاظم عليه السلام / العراق.

المبثثان، فقد تناولت في أولهما أثر خطاب الإمام الحسين عليه السلام في عواطف الآخرين. وقد اشتمل الحديث عن أثر الخطاب في أنصار الإمام الحسين عليه السلام، ومدى تفاعلهم العاطفي معه، ومثال ذلك: الحرّ الرياحي، وزهير بن القين. وأمّا المبحث الثاني، فقد تناولت فيه أثر خطاب آل الحسين عليهم السلام في عواطف الآخرين. ومن أهم أمثلته: الإمام السجاد عليه السلام، والسيدة زينب عليها السلام، وغيرهما. وختمت البحث بعدد من النتائج التي توصلت إليها الدراسة. وقد تنوّعت روافد البحث بين المصادر التاريخية والتربوية وكلّ ما يمكن أن يخدم موضوع البحث.

وأخيراً أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لخدمة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وأن يجعل عملنا المتواضع هذا في موازين حسناتنا إنّه نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد: الخطاب وأثاره التربوية

الخطاب في اللغة: مراجعة الكلام^(١). أي: مراجعة الكلام بين المتكلّم والسامع، جاء في (مقاييس اللغة): «الحاء والطّاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال: خاطبه يخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك»^(٢). أمّا معنى الخطاب في الاصطلاح، فهو: «توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ثمّ نقل إلى الكلام الموجه نحو الغير للإفهام، وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب»^(٣). فلا بدّ من أن يكون ذلك الخطاب مفهوماً، ويتجنّب الغموض، وهذا ما ذكره المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾^(٤). قال الزمخشري: هو «البيّن من الكلام الملتصّص الذي يتبيّن منه من يخاطب به لا يلتبس عليه»^(٥)؛

(١) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٤، ص ٢٢٢. الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ٧، ص ١١٢.

(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ١٩٨.

(٣) التهانوي، محمد علي، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون: ج ١، ص ٧٤٩.

(٤) ص: آية ٢٠.

(٥) الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشّاف: ج ٤، ص ٨٠.

لذا يحتاج الخطيب إلى لغةٍ فصيحَةٍ، وبلاغةٍ في البيان، تُعينه على إظهار ما استجاشت به نفسه من مشاعر مكارم الأخلاق وسمو النفس، فيكون ذا ذوق لفظي، ونمو فكري، وعاطفة جيّاشة. ومن هنا قيل: «مطلع العلوم ثلاثة: قلب مفكّر، ولسان مُعبرٌ، وبيان مُصوّر»^(١)، وبالعبارة الجزلة الجميلة المؤثرة تستدر العواطف، ويُجمع بها شتات القلوب المتفرّقة، وتُجمع بها كلمة الحق والخير.

إنّ الخطاب كان إحدى الوسائل الإعلامية العسكرية التي اعتمدها الحسين عليه السلام وأنصاره في معركة الطف، وهذا يؤكد أنّ هذه المعركة كانت عقائدية، تجمع بين الحق والباطل، والجنّة والنار؛ لذا كان لفرسان الكلمة في معسكر الحسين عليه السلام كلمة الفصل في كسب المعركة إعلامياً وعقائدياً ومعنوياً.

وأما التربية، فهي «كلّ العمليات التي تهدف إلى تطوّر قابليات الفرد وميوله، ونماذجه السلوكية بالاتجاه الإيجابي الذي يرغبه»^(٢). وهي ترتبط بالبيئة الاجتماعية للفرد، فلكلّ مجتمع تربيته الخاصّة، التي تعكس فلسفته وأهدافه وظروف حياته، وقيمه ومعتقداته، أي: تعكس إيديولوجيته في الحياة؛ لتجعل الصغار يشبّون عليها، فينضمّون إلى حملتها مع الكبار^(٣). ونحن بهذا المفهوم قد لا نعبر عن معنى (الآثار التربوية) كما جاء في العنوان؛ لأنّ الآثار التربوية مصطلح عام، يشمل كلّ سلوك تربوي متأثر بشيء ما، فضلاً عن أنّ هذه الآثار تختلف من حيث طبيعتها وعمقها وإمكاناتها في التأثير لدى تحوّلها إلى أنماط سلوكية في الواقع؛ ولأنّ دراستنا اقتصرنا على أثر واحد، وهو التفاعل العاطفي؛ لذا يمكن أن تكون هذه الآثار قيماً تربويةً، وهذه القيم يمكن إعطاؤها تعريفاً محدداً بخلاف الآثار؛ وقد عرّف ضياء زاهر القيم التربوية بأنّها: «مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشرّبها الفرد من

(١) الفزاري، علي بن عبد الرحمن، عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة: ص ٨٤.

(٢) فينكس، فيليب، فلسفة التربية: ص ٣٨-٣٩.

(٣) أنظر: النوري، عبد الغني، وعبود، عبد الغني، نحو فلسفة عربية للتربية: ص ٢٣.

خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المتنوعة، ويُشترط أن تنال هذه الأحكام قبولاً من جماعة معينة؛ لكي تتجسد في سياقات الفرد السلوكية، أو اللفظية، أو اتجاهاته، أو اهتماماته»^(١).

وقد ظفر الإمام الحسين عليه السلام بمكونات تربوية متعددة، عملت على تقويمه وبنائه وتزويده بأضخم الثروات الفكرية والقيمية، وهي: الوراثة، والأسرة^(٢). كيف لا وهو سليل بيت النبوة، ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي، وربيب أمير المؤمنين عليه السلام، وقد رصد ذلك الشيخ باقر شريف القرشي رحمته الله بقوله: «أما الإمام علي عليه السلام، فهو المربي الأول الذي وضع أصول التربية، ومناهج السلوك، وقواعد الآداب، وقد ربّى ولده الإمام الحسين عليه السلام بتربيته المشرقة، فغذاه بالحكمة، وغذاه بالعفة والنزاهة، ورسم له مكارم الأخلاق والآداب، وغرس في نفسه معنوياته المتدفقة، فجعله يتطلع إلى الفضائل، حتى جعل اتجاهه السليم نحو الخير والحق»^(٣).

وهناك علاقة وطيدة بين الخطاب والتربية؛ إذ إن الخطاب يعكس تربية الخطيب، ويؤثر في تربية المخاطب وسلوكه، فينتج عنه أثر تربوي، قد يكون إيجابياً، وقد يكون سلبياً بحسب فكر المخاطب، وتأثره بذلك الخطاب؛ «لأنّ الإقناع والتأثير اللذين يعتمد عليهما الخطيب، يعملان عملهما في تفكير الجمهور وعواطفه، ويدفعان الإرادة إلى العمل الحاسم»^(٤). فالكلمة الجميلة تأسر مستمعها، وتجعله يتابع أحداث معانيها ودلالاتها في تفاعل وتأثر؛ لأنّها تجذب عواطفه وتأخذ بألبابه، وقد امتاز خطاب المسيرة الحسينية بمزايا تختلف عن أيّ خطاب؛ لأنّه خطاب حق، ينطلق من مبدأ قائم على أسس تربوية صحيحة، فخطاب قائد هذه المسيرة الإمام الحسين عليه السلام قد

(١) اللقاني، أحمد حسين زاهر، القيم في العملية التربوية: ص ٢٤.

(٢) أنظر: السعدي، حاتم جاسم عزيز، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين: ص ٥٠ - ٥٥.

(٣) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ص ١، ص ٥٢.

(٤) درويش، محمد طاهر، الخطابة في صدر الإسلام: ج ١، ص ١.

اكتسب من شخصيته الاجتماعية والثقافية والروحية مقوماته الرئيسة؛ إذ بني من ظروفه في مسيرة حياته من الطفولة إلى لحظات خلق النص؛ لذا «جسد الخطاب الحسيني المجتمع الذي قيل فيه؛ إذ تضمّن التراث الثقافي الذي اختزله ذهن الإمام الحسين عليه السلام بما فيه من مجتمعات صالحة، وحركات مصلحة، جرت عبر أمكنة وأزمنة متتالية، يمثل هذا الخطاب صرخات مدوية على الظلم، وتنبؤاً بما سيؤول إليه المجتمع، فقد كان المجتمع متحركاً ساخناً، يتشابه فيه الأفراد من حيث النوع والماهية؛ لكنهم مختلفون تمام الاختلاف من حيث المبادئ، والإيديولوجية، والأخلاق، والأهداف، والغايات»^(١).

وأما المخاطب، فهو عنصر مهم في تركيبة الخطاب، وهو العنصر الثاني من حيث الأهمية، فلا بدّ من وجود وشائج الاتصال مع الآخرين؛ لأنّ «الوعي الذاتي يقتضي الشعور بالآخرين، فهو اجتماعي في أعماق طبيعته الميتافيزيقية، وما دامت حياة الإنسان تعبيراً عن الأنا، فإنّها تفترض وجود الآخرين»^(٢). وقد صاحب خطاب المسيرة الحسينية تعاملاً مباشراً وغير مباشر مع الآخرين (المخاطبين)، سواء أكان الحسين عليه السلام هو المخاطب أم أنصاره وأهله كما سيتبيّن لنا ذلك.

وتظهر الآثار التربوية في المخاطب بعد تأثره بالخطاب، ومن هذه الآثار التفاعل العاطفي الذي هو محور البحث، الذي يُعدّ عاملاً مؤثراً في اتخاذ القرار، فالمرء يحتاج إلى عاطفة تتوقد في قلبه تدفعه إلى النجاح في إنجاز عمله، واتخاذ موقفاً صحيحاً، ومن يفقدها قد لا يحمل الدافع للإنجاز والنجاح في العمل. علماً أنّ العاطفة وحدها لا تكفي للنجاح في العمل واتخاذ القرار، فلا بدّ من أن يكون للعقل والحلم الدور

(١) فرحان، نعمة دهش، اجتماعيات الخطاب الحسيني دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، مجلة كربلاء، العدد الثالث، ٢٠١٥م: ص ٢٨٣.

(٢) برد يائف، نيقولا، العزلة والمجتمع: ص ٩١.

الأكبر في اتخاذ القرار الصحيح، وأنَّ الموقف الذي يتخذه المرء يجب أن يكون إفرازاً طبيعياً لتفاعل هذه الخصائص كلها، التي فطر الله عزَّ وجلَّ الإنسان عليها، أمَّا إذا كان إفرازاً لعامل واحد فقط، فهذا إغراق في العاطفة وغلو فيها، وهو مذموم^(١). وإذا أردنا أن نتحدَّث عن تفاعل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، لا يمكننا القول: إنَّ العاطفة وحدها كانت حاضرةً عندهم، وإلا لانضمَّ إلى ركب الحسين عليه السلام جميع مَنْ استمع خطابه عليه السلام، وإنَّما اشتركت عوامل إلهية مختلفة لتجمعهم في ركب واحد؛ إذ إنَّهم مصطفون للشهادة قبل شهادتهم، بدليل ما ذكره ابن عباس لما عُنْف على عدم نصره الإمام الحسين عليه السلام: «إنَّ أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم»^(٢).

المبحث الأول: أثر خطاب الإمام الحسين عليه السلام في عواطف الآخرين

انفردت المسيرة الحسينية بأثما أكبر حدث حمل انفعالات عاطفية في التاريخ الإسلامي، فكلَّ كلام، أو خطاب في هذه المسيرة له اعتباراته ودلالاته التاريخية، ولا سيَّما عندما يكون رموز ذلك الخطاب هم أهل بيت النبوة، فحمل ذلك الخطاب مضامين الخطاب النبوي؛ لذا وجد صدقاً كبيراً عند الموالين، فضلاً عن الجاحدين؛ إذ كان «يرتكز على إصلاح البنية الفكرية وترميمها، وليس على الكلمات التحريضية، أو المصطلحات المنمَّقة، أو الأكاذيب، أو البدع، وإنَّما على تشخيص مواطن الانحراف الفكري وطرق معالجتها، ممَّا أحدث تغييراً قوياً»^(٣). وستناول في هذا المبحث أنموذجين فقط للتفاعل العاطفي مع خطاب الإمام الحسين عليه السلام، وهما: زهير بن القين، والحرَّ بن يزيد الرياحي على النحو الآتي:

(١) أنظر: توفيق، محمد عز الدين، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: ص ٢٤٣.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ٥٣.

(٣) الحسن، نبيل، دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية بين الإصلاح والإفساد: ص ١٣٨.

١- تفاعل زهير بن القين مع خطاب الإمام الحسين عليه السلام عاطفياً

ذكر المؤرخون على أنّ زهيراً كان عثمانياً الهوى، قال ابن الأثير: «وكان زهير ابن القين البجلي قد حجّ، وكان عثمانياً»^(١). وكان من أبغض الأشياء إليه مقابلة الحسين عليه السلام، وسار حتى أقبل إلى ما فوق منطقة (زرود)^(٢)، بعد أن حجّ بيت الله الحرام في تلك السنة، وكان معه جماعة من فرارة وبجيلة، فصادف الحسين عليه السلام في منطقة (زرود)، فبعث إليه الحسين عليه السلام رسولاً يدعوه إليه، وكان يتغذى مع جماعته، فأبلغه الرسول مقالة الحسين عليه السلام، فذعر القوم وطرحوا ما في أيديهم من طعام كأنّ على رؤوسهم الطير. وقد أنكرت زوجة زهير عليه ذلك، وقالت له: سبحان الله! أيعث إليك ابن بنت رسول الله ثمّ لا تأتيه؟! لو أتيته فسمعت كلامه؟!^(٣).

فذهب زهير على كره منه إليه، فلم يلبث أن عاد مُسرِعاً، وقد تهلّل وجهه وامتلاً غبطة وسروراً، فقد شرح الله صدره للإيمان، فسارع لالتحاق بموكب النور، فأمر بفسطاطه وما كان عنده من ثقل ومتاع، فحوّله إلى الإمام الحسين عليه السلام، وقال لزوجته: أنت طالق^(٤).

وبعد هذا الكلام يمكننا أن نتساءل: ما الذي قاله له الحسين عليه السلام؛ لكي يجعله يعدل عن قراره بعدم مرافقة الحسين عليه السلام وصحبته؟ يزداد على ذلك الشكّ والريبة من القول بعثمانيته؛ وذلك بعد وصول درجة التفاعل العاطفي لدى هذا الرجل بحصوله على القناعة التامة بصحبة الحسين عليه السلام بحيث يصل الحال إلى طلاق

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٥١. وأنظر: السماوي، محمد، إحصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ١٦١. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ٧١-٧٢.

(٢) وتسمّى زرود العتيقة، وهي دون الخزيمية بميل، سُمّيت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحاب؛ لأنّها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاجّ من الكوفة. أنظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج ٣، ص ١٣٩.

(٣) أنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٤٦.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٤٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٣٩٦.

الزوجة؛ من أجل الالتحاق بركب الشهادة الموعودة؛ إذ قال لها: «وقد عزمت على صحبة الحسين؛ لأفديه بروحي؛ وأقيه بنفسي»^(١). ثمّ قوله لأبناء عمّه ومن كان معه: «من أحبّ منكم الشهادة فليقم، ومن كرهها فليتقدّم»^(٢).

كلّ هذا يجعلنا نقرّر أنّ زهيراً لم يكن عثمانياً الهوى؛ وإنّما كان متردداً في صحبة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء غير أنّ خطاب الإمام عليه السلام - الذي لم تُعرف مضامينه تماماً - هو الذي أثار التفاعل العاطفي عنده؛ إذ قال للحسين عليه السلام في ليلة العاشر من محرّم الحرام - بعد أن جمع الإمام الحسين عليه السلام أهل بيته وأصحابه، ثمّ خطب فيهم خطبةً أباح لهم أن يخلّوا من بيعته، وأن يتخذوا الليل جملاً...^(٣). فلما سمع أهل بيته ذلك قاموا وأبوا ذلك وفدوه بالأنفس والأموال والأهلين، ثمّ قام أصحابه واحداً بعد واحد، حتى وصل الدور إلى زهير بن القين فقال: «والله، لوددت أني قُتلت ثمّ نشرت، ثمّ قُتلت، حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك»^(٤).

ويبدو لي أنّ إثارة التفاعل العاطفي عند زهير بن القين جاء بسبب تذكيره ببعض المواقف التاريخية، على الرغم من أنّه كان الناقل لها، ومنها حادثة معركة (بلنجر)^(٥)؛ إذ قال زهير مخاطباً أصحابه: «إني سأحدثكم حديثاً، إنّنا غزونا البحر، ففتح الله علينا،

(١) ابن نما، جعفر بن محمد، مشير الأحزان: ص ٣٣.

(٢) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٤٦. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٦٨.

(٣) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤١٨ - ٤١٩. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٦٦.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤١٩ - ٤٢٠.

(٥) بلنجر: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، قالوا: فتحها عبد الرحمن بن ربيعة، وقيل: سلمان ابن ربيعة الباهلي وتجاوزها ولقيه خاقان في جيشه خلف بلنجر، فاستشهد هو وأصحابه. أنظر:

الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج ١، ص ٤٨٩.

وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي رضي الله عنه: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتكم من الغنائم؟ فقلنا: نعم. فقال: إذا أدركتم شباب آل محمد، فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم ممّا أصبتكم اليوم من الغنائم. فأما أنا فأستودعكم الله^(١). فتذكير الإمام الحسين عليه السلام له، أو تذكيره هو لأصحابه قد أحيا أمراً بديعاً كان في ذاكرته، لا يحتاج إلى دليل إثبات. ومن أسباب التفاعل العاطفي عند زهير إخبار الإمام الحسين عليه السلام له بتفاصيل شهادته؛ إذ أخبره عليه السلام قائلاً: «يا زهير، اعلم أنّها هنا مشهدي، ويحمل هذا من جسدي - يعني رأسه - زحر بن قيس، فيدخل به على يزيد يرجو نواله، فلا يعطيه شيئاً^(٢)». فأثر هذا الخبر نفسياً في زهير، فكيف يحدث مثل هذا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. ويعبر عن هذا التأثير في الدراسات التداولية الحديثة بـ(الفعل التأثيري)، وهو «فعل إقناع شخص بشيء، أو إزعاج شخص، أو حمل شخص ما على كلامنا، إنّه أثر الفعل الإنجازي^(٣)».

كما أنّ إخبار الحسين عليه السلام له بطريقة مقتله يجعله من مستودع سرّه، كما حصل مع أصحابه الآخرين: (أي: حبيب بن مظاهر، ونافع بن هلال)، فليس هيئاً ذلك السرّ، وهو سفك الدم الطاهر، لإمام الخلق، وسبط النبي صلى الله عليه وآله، وسيد شباب أهل الجنة، وبذلك صارت الدنيا عنده أهون من جناح بعوضة، والشهادة أحلى من العسل^(٤).

٢- تفاعل الحرّ بن يزيد الرياحي مع مواقف الإمام عليه السلام وكلامه عاطفياً

الحرّ هو أحد قادة الجيش الأموي، حدثت بينه وبين الإمام الحسين عليه السلام مواقف

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٧٣. وأنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٧٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص ١٨٢.

(٣) جحفة، عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة: ص ٣٠.

(٤) أنظر: شعبة التحقيق في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدّسة، زهير بن القين: ص ٥٥.

متباينة تجمع بين الهداية والضلال، أدركته الهداية، فترك قيادة الجيش، وجاء إلى الإمام الحسين عليه السلام منكساً رأسه. وكان قبل ذلك قد جمع بمعسكر الحسين عليه السلام، واعترض طريقه إلى الكوفة، حيث قال: «هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه، أن أجمع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه، وهذا رسوله، وقد أمره ألا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره»^(١). فقال الحسين عليه السلام: «الموت أذى من ذلك»^(٢).

لقد أدرك الحرّ أنّ الإمام الحسين عليه السلام بموقفه هذا يعرض نفسه للخطر؛ لذلك حدّره من نية ابن زياد، إلا أنّ الإمام لم يأبه لهذا التحذير؛ لأنّه يعلم بالمصير الذي سيؤول إليه، فلذلك لم يكن ليخشى الموت ما دام متمسكاً بمبدئه، ومؤمناً بعدالة قضيته، فقال للحرّ جواباً يكشف عن كينونة نفسه القوية، قائلاً: «أبالموت تخوفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟! ما أدري ما أقول لك؟! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه، ولقيه وهو يريد نصره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال له: أين تذهب؟ فإنك مقتول، فقال:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى
وآسى الرجال الصالحين بنفسه
إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وفارق مشوراً يُغشّ ويرغماً

قال: فلما سمع ذلك منه الحرّ تنحّى عنه، وكان يسير بأصحابه في ناحية وحسين في ناحية أخرى»^(٣).

ومن المحاورات التي جرت بينهما، والتي أثّرت فيه تأثيراً كبيراً ما جاء في المحاوراة الآتية: حيث إنّ الحرّ لم يزل مرافقاً للحسين حتى حضرت الصلاة (أي:

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٠٨.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٨٦. العصامي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالي: ج ٣، ص ١٧٤.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٠٤. وأنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٥٩.

صلاة الظهر)، فأمر الإمام الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذن، فأذن، فلما حضرت الإقامة خرج الإمام عليه السلام في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، معذرة إلى الله ثم إليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رُسلكم، فإن أعطيتموني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم دخلنا معكم مصركم، وإن تكن الأخرى انصرفت من حيث جئت. فأسكت القوم، فلم يردّوا عليه، حتى إذا جاء وقت العصر نادى مؤذّن الحسين، ثم أقام وتقدّم الحسين عليه السلام فصلّى بالفريقين»^(١).

ومنها أيضاً الخطبة التي قال فيها: بعد حمد الله والثناء عليه: «أيها الناس، إن رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلّم - قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلّم - يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيري، وقد أتتني كتبكم ورُسلكم ببيعتكم، وأنكم لا تسلّموني ولا تخذلوني، فإن أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، وأنا الحسين بن علي، ابن فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلّم - نفسي مع نفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلکم في أسوء، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي، فلعمري ما هي لكم بنكير، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغترّب بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ﴿فَمَنْ تَكْتَفِ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٢)، وسيغني الله عنكم، والسلام»^(٣).

وتعرّزت هذه المواقف بخطاب زهير بن القين: «رافعاً صوته يقول: عباد الله،

(١) الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ج ١، ص ٢٤٩. أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٠١. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٥٨.

(٢) الفتح: آية ١٠.

(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٥٩.

لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا ينال شفاعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قوم أهرقوا دماء ذريته، وقتلوا من نصرهم وذبت عن حريمهم»^(١).
وتمثل التفاعل العاطفي عند الحرّ بن يزيد الرياحي في الآتي:

١- دعوة الآخرين إلى نصرته الإمام الحسين عليه السلام

تداخلت في نفس الحرّ موجة من الصراع النفسي، هل يلتحق بالإمام الحسين عليه السلام، ويضحى بحياته ومنصبه، أو أنه يبقى محارباً للإمام الحسين عليه السلام؟ فاختار الحرّ نداء ضميره، وتغلّب على هواه، فصمم على الالتحاق بركب الشهداء؛ لذا توجه نحو ابن سعد قائلاً له: «أمقاتل أنت هذا الرجل؟! قال له: إي والله، قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي. قال: أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضياً؟ فقال عمر بن سعد: والله، لو كان الأمر إليّ لفعلت، لكن أميرك قد أبى ذلك»^(٢).

اقتنع الحرّ قناعة تامّة بمبادئ الثورة الحسينية، وأراد أن يصحب أكبر عدد؛ لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، وحثّه في ذلك الخصال الطيبة المتعددة التي ذكرها الحسين عليه السلام في خطابه، والتي أقرّها الحرّ الرياحي، ولا سيّما بعد الصلاة خلف الحسين عليه السلام، وبعد تقديم الإمام الحسين عليه السلام الحجة الناصعة، فضلاً عن حديثه عن الظالمين، والمناصرين لهم، وأخيراً تذكيرهم بأنّه ابن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هذه الخصال أثرت عاطفياً بالحرّ الرياحي، وهو ما يسمّى بأسلوب العاطفة، أو أسلوب الخطاب النفسي، «فإذا كان العقل لا يسهل قيادته في بعض الأحيان مهما وضحت الحجة وعلت في صحتها وقطيعتها، فإنّ العاطفة تكون حينئذٍ عوناً على استمالة

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٩٥.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٧١. أنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٤٦٩. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٩٥. العصامي،

عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالي: ج ٣، ص ١٧٨.

المدعو واجتذابه»^(١) مما انعكس على ابن الحرّ فيما بعد كما سنرى. ولكنها - للأسف - لم تؤثر في السواد الأعظم من أعداء الحسين عليه السلام.

٢- التوبة والاعتذار من الإمام الحسين عليه السلام

بعد أن يؤس الحرّ من إقناع القوم بمشروعية النهضة الحسينية أقبل «يدنو من حسين قليلاً قليلاً، فقال له رجل من قومه - يقال له المهاجر بن أوس -: ما تريد يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت، وأخذه مثل العرواء، فقال له: يا بن يزيد والله، إن أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة رجلاً؟ ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟ قال: إنني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله، لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه فلحق بحسين عليه السلام، فقال له: جعلني الله فداك يا ابن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق، وجعجت بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو، ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي: لا أبالي أن أضيع القوم في بعض أمرهم ولا يرون أنني خرجت من طاعتهم، وأما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض عليهم، ووالله، لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك، وإنني قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربي، ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟ قال: نعم، يتوب الله عليك ويغفر لك، ما اسمك؟ قال: أنا الحرّ بن يزيد. قال: أنت الحرّ كما سمّتك أممك، أنت الحرّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة»^(٢).

(١) الحميدان، إبراهيم بن صالح، الإقناع والتأثير دراسة تأصيلية دعوية، مجلة جامعة الإمام، العدد ٤٩، سنة ١٤٢٦ هـ: ص ٢٨٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٢٨. أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٧١. العصامي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالي: ج ٣، ص ١٧٨.

هذه الكلمة الموجزة أُبْنِ بها الإمام عليه السلام الحرّ، فكانت المصداق الواقعي للحرية، التي تحرّر بها الحرّ من القيود، فلم تؤثر فيه مغريات الحياة، ولا غرور المنصب، ولا طغيان الجاه والزعامة، ولا حبّ المال. فما أروع الأحرار عندما يقلّدهم الإمام الحسين عليه السلام وسام الحرية الإلهية؛ للعروج بهم على بساط الحرية، فوق سماء الأجيال كلّها، حتى الوصول إلى أحضان الحور العين في رياض الجنّة الباقية، وتكفي الحرّ هداية الإمام الحسين عليه السلام له إلى حقيقة الحرية، حتى لو كان له موقف سيئ من قبل، فالحسين عليه السلام مثال رحمة الله التي وسعت المذنبين التائبين، أليس الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين؟

وهذا الاعتذار بيّن مدى التفاعل العاطفي مع خطاب الإمام الحسين عليه السلام وما رافقه من مواقف تربوية؛ إذ إنّه انفعال عاطفي «يتمثّل في النواحي العاطفية والانفعالية المرتبطة بالأشياء والأشخاص والأحداث المختلفة، ولقد أكّدت معظم الدراسات والبحوث التي أُجريت حول المكونات العاطفية والانفعالية للاتجاه النفسي، أنّها تحدد عمق وشدّة وكمية الانفعال الذي يصاحب سلوك الفرد نحو موضوع، أو شخص، أو شيء مُعيّن، ويتضح ذلك من غضب، أو سرور الفرد عند مناقشته موضوع الاتجاه مع الآخرين»^(٣). وهذا ما ظهر واضحاً عند الحرّ، فقد أظهر اعتذاره للإمام الحسين عليه السلام، ثمّ أصبح من أوائل الشهداء الذين استشهدوا بين يديه.

لقد وضع حوار الإمام عليه السلام مع الحرّ بن يزيد الرياحي حدّاً فاصلاً بين الحق والباطل، وبيانا واضحاً للحق وأهله والباطل وأهله.

وهناك صور متعددة من الإيثار والفرح كان أصحاب الحسين عليه السلام يعيشونها في ذلك اليوم العظيم، وكأنّهم واقفون على أبواب الجنّة يريدون الدخول إليها، وهذا لعمرى يقين عظيم؛ تقول الرواية: لما أخبر الحسين أصحابه بأنّهم سيقتلون، قالوا بأجمعهم: «الحمد لله الذي أكرمنا بنصرتك وشرفنا بالقتل معك، أو لا ترضى أن نكون

(٣) الكندري، أحمد محمد مبارك، علم النفس الاجتماعي والحياة المعاصرة: ص ٢٩٨.

معك في درجتك يا بن بنت رسول الله؟ فقال لهم خيراً، ودعاهم بخير^(١). فهذا الإيمان العقائدي هو أعلى قيمة إيمانية يمكن أن يصلها الإنسان. ويُقصد بالقيمة الإيمانية: «تلك العقيدة المتكاملة التي يتحرك بها المسلم في مجال الحياة، عابداً لربه ومجاهداً في سبيله، وساعياً في الخيرات بإذنه. وهذه العقيدة إيمان وثيق بالله لا يتزعزع، وثقة تامة في عدله وقضائه، وتصديق شامل بكتبه ورسوله، ومعرفة يقينية باليوم الآخر، على نحو ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة»^(٢)؛ لذا فإن اختيار الحرّ طريق الجتّة كان اختياراً موفقاً؛ لأنّه نبع من إيمان حقيقي بالله وبرسوله ﷺ، وبأوليائه عليهم السلام. وقد روى ابن نهار^(٣) أنّ الحرّ عند خروجه من الكوفة نُودي من خلفه: أبشر يا حرّ بخير. فتعجب من ذلك حيث لم يرَ أحداً^(٤).

٣- التحاق ابن الحرّ بالإمام عليّ، فضلاً عن ثلاثين فارساً

بعد خطاب الإمام الحسين عليه السلام المذكور آنفاً، وبعد تفاعل الحرّ العاطفي بذلك الخطاب، التحق ولد الحرّ بأبيه؛ لنصرة الحسين عليه السلام، فجاء في (ينابيع المودة): بعد كلام للإمام الحسين مع الطرف الآخر سمعه الحرّ بن يزيد الرياحي، فقال لولده: «إنّ الحسين يستغيث، فلا يُغيثه أحد، فهل لك نقاتل بين يديه، ونفديه بأرواحنا، ولا صبر لنا على النار ولا على غضب الجبار، ولا يكون خصمنا محمد المختار؟ قال ولده: والله، أنا مُطيعك. ثمّ حملاً كأنّهما يقاتلان، حتى جاء بين يدي الإمام وقبلاً الأرض»^(٥). كما التحق ثلاثون فارساً آخرون بمعسكر الحسين عليه السلام، وتركوا جيش ابن سعد، وجعلوا يقولون لأهل الكوفة: يعرض عليكم ابن رسول الله ﷺ ثلاث خصال، فلا تقبلون منها شيئاً؟ وجعلوا يقاتلون ببسالة معه حتى استشهدوا بين يديه^(٥).

(١) الخصب، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى: ص ٢٠٤.

(٢) السعدي، حاتم جاسم عزيز، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٥٠.

(٣) أنظر: ابن نهار، جعفر بن محمد، مثير الأحران: ص ٤٤.

(٤) أنظر: القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ٣، ص ٧٦.

(٥) أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ١٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية

والنهاية: ج ٨، ص ١٨٤.

المبحث الثاني: أثر خطاب آل الحسين عليهم السلام في عواطف الآخرين

حمل خطاب المسيرة الحسينية أبعاداً تربويةً متعدّدة؛ ذلك لأنّ الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن أهل بيته وأنصاره آمنوا بمبادئهم، وآثروا اختيار طريق الحق، «فلا غرابة أن يمثل البعد الأخلاقي والإنساني جانباً مهماً من جوانب الخطاب الحسيني، فالخطاب الحسيني في كثير من تراكيبه وأساليبه هو خطاب إنساني وأخلاقي»^(١)؛ فلا بدّ من أن يقابل ذلك انفعالات عاطفية إيجابية، ولأنّ خطاب المسيرة الحسينية متعدد بتعدّد شخصه؛ لذا اقتصرنا على أهمّ الخطابات الإيجابية المؤثرة التي أحدثت تفاعلاً عاطفياً على النحو الآتي:

١- التفاعل العاطفي مع خطاب العقيلة زينب عليها السلام

إنّ المفردات التي اشتمل عليها خطاب العقيلة زينب عليها السلام، وما حقّقه على أرض الواقع من تفاعل عاطفي يؤكّد القيمة المعنوية والتاريخية التي اكتنزها ذلك الخطاب، وللسيدة زينب عليها السلام خطبتان مشهورتان، إحداهما في الكوفة، والأخرى في الشام، ولا مجال لذكرهما هنا؛ لأنّ الغاية من البحث في هذا الموضوع معرفة التفاعل العاطفي الذي أحدثته تلك الخطب، إلّا أنّنا نذكر بعض العبارات التي يتطلّبها الموقف، وتمثّل التفاعل العاطفي في خطابها عليها السلام، في المظاهر الآتية:

أ- حيرة أهل الكوفة ودهشتهم

لقد ذُهل أهل الكوفة عند سماعهم خطاب العقيلة زينب عليها السلام، قال الراوي كما جاء في كتاب (بلاغات النساء): «فرأيت الناس حيارى، وقد ردّوا أيديهم إلى أفواههم، ورأيت شيخاً كبيراً من بني جعفي، وقد اخضلتّ لحيته من دموع عينيه، وهو يقول:

كهولهم خير الكهول ونسلهم
إذا عد نسل لا يبور ولا يخزى»^(٢)

(١) الياسري، عبد الكاظم محسن، الخطاب الحسيني في معركة الطف: ص ١٤٤.

(٢) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص ٢٨. وأنظر: الآبي، منصور بن الحسين، نشر

الدر في المحاضرات: ج ٤، ص ٢٠.

فهذا الشيخ يقرّ بأنّ أهل هذا البيت هم أشرف الناس، كيف لا، وقد أظهرت الحوراء عليها السلام صلتهم برسول الله صلى الله عليه وآله؛ إذ قالت: «أمن العدل يا بن الطلقاء، تخديرك نساءك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١)، وقالت أيضاً: «يا ابن مرجانة، ويُسْتَصْرَخُ بك وتعاوى، وأتباعك عند الميزان، وقد وجدت أفضل زاد زودك معاوية قتلك ذرية محمد صلى الله عليه وآله»^(٢).

إنّ بيان هذه الصلة من شأنه أن يحقّق وظيفتين نفسيّتين، تتمثّل الأولى بتأليب الحاضرين في مجلس المخاطب؛ وذلك عند اكتشافهم صلة الخطيب بالنبي محمد صلى الله عليه وآله. وأمّا الوظيفة النفسية الثانية، فتتمثّل بإدخال الرهبة في نفس المخاطب، لما قد تؤوّل إليه الأمور محدثة ثورةً وانقلاباً، وهذا ما حصل فيما بعد^(٣).

ب - اعتراف ابن سعد بعصيان الله وقطع الرحم

روي أنّ عمر بن سعد - بعد مشاركته في معركة الطف، وسماعه خطاب الحوراء زينب عليها السلام - قال: «والله، ما رجعت أحد بشرٍ ممّا رجعت، أطعت عبيد الله، وعصيت الله، وقطعت الرحم»^(٤). ويبدو أنّ هذا التفاعل العاطفي كان مؤقتاً، وجاء كردّ فعل لخطاب الحوراء عليها السلام، وإلاّ فإنّه لم يراعِ ذلك في مواقفه الجاحدة لاحقاً. ويسمّى مثل هذا الانفعال عند بعض علماء النفس في مصادرهم وأدبياتهم بـ(الانفعالات الفاترة الخاملة) - كأنفعالي الحزن والخوف - التي تجعل الفرد منقبضاً في داخله، ومنكمشاً على نفسه، ومنكفئاً على ذاته، ويكون فاقداً للقدرة على مواجهة الأحداث والأمور حتى لو كان ذلك المدّة مؤقتة يمكن بعدها من العودة إلى وضعه الطبيعي^(٥). ولهذا لم ينفذ ذلك الاعتراف، بل لم يؤثّر على سلوك ابن سعد فيما بعد.

(١) المصدر السابق: ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٧.

(٣) أنظر: حتّون، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص ١٦٢.

(٤) ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص ٨٨.

(٥) أنظر: مدن، يوسف، دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام: ص ٣٥٣.

ج - إقامة العزاء في بيت يزيد

أحدث خطاب العقيلة موجة عاصفة في مجلس يزيد، وأشاعت في نفوس الجالسين مشاعر الحزن والأسى والتذمر؛ إذ انتقل العزاء في بيت يزيد من قبل نساءه؛ ولا سيما هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز، فأثر ذلك الخطاب في كل من حضر المجلس، وأجهش الجميع بالبكاء^(١).

د - نهي يزيد عن ضرب رأس الإمام الحسين عليه السلام

صدر مثل هذا الموقف عن أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقال له: أبو برزة الأسلمي، إذ قال: «أتنتك بقضيبك في ثغر الحسين؟ أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً كريماً، رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يرشفه، أما إنك، يا يزيد، نجية يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه [وآله] شفيعه، ثم قام فولى»^(٢). ونقل المؤرخون هذا الموقف بعد ذكرهم خطاب الحوراء زينب عليها السلام، ويبدو أن التفاعل العاطفي عند هذا الرجل بلغ مرحلة لا يمكن معها السكوت عما يفعله يزيد (لعنه الله).

٢ - التفاعل العاطفي مع خطاب الإمام علي بن الحسين عليهما السلام

كانت الثورة الحسينية بحاجة إلى الجانب الإعلامي الدعائي؛ وقد تصدى لذلك أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان في معسكر الإمام الحسين عليه السلام، بدءاً من الإمام نفسه عليه السلام، وانتهاءً بأصغر فرد من آل الحسين عليه السلام، وكان للإمام علي بن الحسين عليه السلام الدور الأكبر في بيان مشروعية الثورة الحسينية، ولا سيما بعد معركة الطف؛ إذ رافقت رحلة السبي لآل المصطفى عليه السلام مواقف صعبة متعددة، وكان المتصدّي لأغلب هذه

(١) أنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٤٨٩. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٦٢.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٦، ص ١٥١.

المواقف الإمام السجاد عليه السلام، والخوراء زينب عليها السلام. ومن مظاهر التفاعل العاطفي في خطابات الإمام علي بن الحسين عليهما السلام ما يلي:

أ- عدول شيخ عن رأيه في آل البيت عليهم السلام

لما أخذوا سبايا الإمام الحسين عليه السلام إلى الشام «جاء شيخ فدنا من نساء الحسين عليها السلام [و] عياله، وقال: الحمد لله الذي أهلككم وقتلكم، وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له علي بن الحسين: يا شيخ، هل قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ قال: قد قرأت ذلك. فقال له علي: فنحن القربى يا شيخ. فهل قرأت في بني إسرائيل ﴿وَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾؟ فقال: قد قرأت ذلك. فقال علي: فنحن القربى يا شيخ. فهل قرأت هذه الآية ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾؟ قال: نعم. فقال له علي: فنحن القربى يا شيخ. ولكن هل قرأت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟ قال: قد قرأت ذلك. فقال علي: فنحن أهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهارة يا شيخ. قال: فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به، وقال: بالله أنكم هم؟! فقال علي بن الحسين عليه السلام: تالله، إننا لنحن هم من غير شك، وحق جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله إننا لنحن هم. فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد من جنٍّ وإنسٍ. ثم قال: هل لي من توبة؟ فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا. فقال: أنا تائب. فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ، فأمر به فقتل»^(١).

إن هذا الاعتذار جاء بسبب وجود قناعة داخلية بالاعتذار والتوبة، وبدافعية أخلاقية وعبادية محضة، وهو يمثل التصفية الأخلاقية لآثار الفعل الخاطئ وتداعياته، فكان لأجوبة الإمام عليه السلام الدور الأكبر في عدول قناعة الشيخ الخاطئة، وتفاعله العاطفي مع الوضع المأساوي الذي يعيشه آل بيت النبوة عليهم السلام.

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ٢١٩ - ٢٢٠.

ب - ضجيج الناس بالبكاء بعد خطبة الإمام عليه السلام

جرت محاورة محتدمة بين الإيمان والكفر، بين الإمام علي بن الحسين عليه السلام ويزيد ابن معاوية، أفضت إلى ارتقاء الإمام المنبر، «فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: أيها الناس، مَنْ عرفني فقد عرفني، ومَنْ لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفاء، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن مَنْ لا يخفى، أنا ابن مَنْ علا فاستعلا، فجاز سدره المنتهى، فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى. فضجّ أهل الشام بالبكاء حتى خشي يزيد أن يرحل من مقعده، فقال للمؤذّن: أذن، فلما قال المؤذّن: (الله أكبر، الله أكبر) جلس علي بن الحسين على المنبر، فقال أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله...»^(١).

لقد أجملت الخطبة إنجازات أهل البيت عليهم السلام تحت إمرة رسول الله صلى الله عليه وآله وقيادته، وأجملت تضحياتهم في سبيل الدين، وعلو منزلتهم، ودورهم العظيم في بناء الإسلام في نفوس الناس، وأظهرت هذه الخطبة بلاغة الإمام عليه السلام وجرأته. وفي المقابل فإنّ بكاء القوم هو بكاء التماسيح - كما يقال - التي تبكي على فريستها، وهي غير قاصدة لذلك. يقول الشيخ التستري: إنّ بكاء هؤلاء القساة الأجلاف ناشئ من الرقة الموجودة في الفطرة من غير اختيار، مع التفات الباكين إلى أنّه رقة على المبكي عليهم مع الغفلة عن بغضهم، وهناك بكاء أيضاً ناشئ من الفطرة، ولكن مع الالتفات إلى بغض المبكي عليه. وما هو إلاّ تفاعل عاطفيّ مؤقت سرعان ما ترجع الأمور إلى طبيعتها بسبب ضعف إيمانهم، وعدم ثباتهم^(٢).

ج - تنصل يزيد من مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السلام

بعد مواجهة الإمام عليه السلام ليزيد بن معاوية بذلك الخطاب الكبير المفعم بالبلاغة

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٩.

(٢) أنظر: التستري، جعفر، الخصائص الحسينية: ص ١٣٦.

والشجاعة، أدرك يزيد أنه خسر معركة القلوب بعد أن تغلب ظاهراً في معركة الأجساد، فحاول تدارك ذلك الأمر عبر التنصل من جنايته التي ارتكبتها بحق الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وإلقاء مسؤولية ذلك على عبيد الله بن زياد والي الكوفة، فقال: «لعن الله ابن مرجانة، أما والله، لو آتني صاحبه ما سألتني خصلة أبداً إلا أعطيتها إيها، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت، يا بني كاتبني حاجة تكون لك»^(١)، فسكت الإمام عليه السلام، ولم يجبه.

د - تظاهر يزيد بتطبيب خاطر الإمام عليه السلام

هذا الأمر وإن حمل طابع المكر والخداع، إلا أنه لا يمنع من أن يكون لخطاب الإمام عليه السلام أثر كبير في إرغام يزيد على أن يتراجع قليلاً عما خطط له، من إيذاء لموكب السبايا، ومحاولته قتل بقیة العترة، الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، فبعد الخطاب تغير كل شيء، وتظاهر يزيد بالتودد إلى الإمام عليه السلام، حيث ألح عليه: إن كانت له حاجة فيقضيها له؟ فقال عليه السلام: «الأولى: أن تريني وجه سيدي ومولاي وأبي الحسين عليهما السلام فأتزود منه، والثانية: أن ترد علينا ما أخذ منا، والثالثة: إن كنت عزمت على قتلي أن توجه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدهن عليهن السلام. فقال له يزيد: أما وجه أبيك فلا تراه أبداً، وأما قتلك فقد عفوت عنك، وأما النساء فما يردهن غيرك إلى المدينة، وأما ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته. فقال عليه السلام: [أما مالك فما نريده، فهو موفر عليك، وإنما طلبت ما أخذ منا؛ لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمد عليها السلام ومقنعتها وقلادتها وقميصها»^(٢).

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٧ - ٨٨.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١١٣.

٢. التفاعل العاطفي مع خطاب السيِّدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام

بعد خطاب السيِّدة فاطمة بنت الإمام عليه السلام، قال الراوي في وصف حال أهل الكوفة: «فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب، وقالوا: حسبك يا ابنة الطيبين، فقد أحرقت قلوبنا، وأنضجت نحورها، وأضرمت أجوافنا. فسكتت»^(١).

إنَّ بكاء هؤلاء القوم وتفاعلهم العاطفي المؤقت، هو دليل على ازدواج شخصيتهم التي تجعل مَنْ يتَّصف بها متغيِّراً من حال إلى حال آخر، وهو ما أكَّده علماء النفس بقولهم: «ونكتشف الازدواجية بسهولة عندما تكون المشاعر المقصودة عابرة ومتغيِّرة»^(٢).

٣. التفاعل العاطفي مع خطاب السيِّدة أمّ كلثوم عليها السلام

انبرت حفيذة الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السيِّدة أمّ كلثوم عليها السلام إلى الخطابة، فأومأت إلى الناس بالسكوت، فلما سكنت الأنفاس بدأت بحمد الله والثناء عليه، ثمَّ قالت: «يا أهل الكوفة، سوأة لكم، ما لكم خذلتُم حسيناً وقتلتموه، وانتهبتُم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه؟ فتباً لكم وسحقاً. ويلكم أتدرون أيّ دواهٍ دهتكم؟... قال الراوي: فضجَّ الناس بالبكاء والنوح، ونشر النساء شعورهنَّ ووضعنَّ التراب على رؤوسهنَّ، وخمشنَّ وجوههنَّ وضربنَّ خدودهنَّ، ودعونَ بالويل والثبور، وبكى الرجال، واتفوا لحاهم، فلم يُرَ باكية أكثر من ذلك اليوم»^(٣).

(١) المصدر السابق: ص ٩١. أنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩. ابن نما، جعفر ابن محمد، مثير الأحزان: ص ٦٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١١٢.

(٢) غرينسون، رالف، فن التحليل النفسي وممارسته: ص ٣٤.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩١ - ٩٢. وأنظر: ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص ٦٩.

نتائج البحث

١- إن الخطاب إحدى الوسائل الإعلامية العسكرية التي اعتمدها الحسين عليه السلام وأنصاره في معركة الطف، وهذا يؤكد أن هذه المعركة كانت معركة عقائدية، تجمع بين الحق والباطل، والجنة والنار؛ لذا كان لفرسان الكلمة في معسكر الحسين عليه السلام كلمة الفصل في كسب المعركة إعلامياً وعقائدياً ومعنوياً.

٢- هناك علاقة وطيدة بين الخطاب والتربية؛ إذ إن الخطاب يعكس تربية الخطيب، ويؤثر في تربية المخاطب وسلوكه، فينتج عنه أثر تربوي، قد يكون إيجابياً، وقد يكون سلبياً، بحسب فكر المخاطب، وتأثره بذلك الخطاب.

٣- لا يمكننا القول: إن العاطفة وحدها كانت حاضرة عند أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وإلا لانضم إلى ركب الحسين عليه السلام جميع من استمع خطابه عليه السلام، وإنما اشتركت عوامل إلهية مختلفة لتجمعهم في ركب واحد؛ إذ إنهم مصطفون للشهادة قبل شهادتهم.

٤- إن زهيراً لم يكن عثمانياً الهوى؛ وإنما كان متردداً في صحبة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، غير أن خطاب الإمام عليه السلام - الذي لم تُعرف مضامينه تماماً - هو الذي أثار التفاعل العاطفي، يُزاد على ذلك تذكيره ببعض المواقف التاريخية، على الرغم من أنه كان الناقل لها، ومنها حادثة معركة (بلنجر)، وإخباره بتفاصيل شهادته عليه السلام.

٥- تمثل التفاعل العاطفي عند الحرّ بن يزيد الرياحي في مظاهر متعددة، منها: دعوته الآخرين إلى نصرته الإمام الحسين عليه السلام، واختياره طريق الجنة بدلاً من النار، وتوبته واعتذاره من الإمام الحسين عليه السلام، وتأثيره العاطفي على ولده.

٦- تمثل التفاعل العاطفي مع خطاب الحوراء زينب عليها السلام في المظاهر الآتية: حيرة أهل الكوفة ودهشتهم، واعتراف عمر بن سعد بعصيان الله وقطع الرحم، فضلاً عن ذلك إقامة العزاء في بيت يزيد (لعنه الله)، ونهيه عن ضرب رأس الإمام الحسين عليه السلام.

٧- تمثل التفاعل العاطفي مع خطابات الإمام علي بن الحسين عليه السلام في عدول رجل عن رأيه السلبي في آل البيت عليهم السلام، وضجيج الناس بالبكاء في مجلس يزيد بعد خطبته عليه السلام، ثم تنصل يزيد من مسؤوليته في قتل الإمام الحسين عليه السلام، ومحاولته تطيب خاطر الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

٨- لم يقتصر التفاعل العاطفي في خطابات المسيرة الحسينية على ما ذكرناه آنفاً، بل كان لخطاب آل الحسين عليهم السلام ومواقفهم أثر كبير في تغيير مواقف كثير من الناس، والحال كذلك بالنسبة لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١- إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد السماوي، تحقيق الشيخ محمد جعفر الطبرسي، مطبعة حرس الثورة الإسلامية، ط ١، ١٤١٩ هـ.

٢- الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق وملاحظات: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.

٣- الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٠ م.

٤- الإرشاد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣ م.

٥- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق وتخرّيج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣ م.

٦- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود البلاذري، تحقيق: سهيل زكّار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.

٧- بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد باقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م.

٨- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٩٨٨ م.

٩- بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨ م.

١٠- تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣ م.

١١- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧ هـ.

١٢- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، محمد عز الدين توفيق، دار الرسالة، ط ١، ١٩٩٨ م.

١٣- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية، هادي سعدون حنون، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ٢٠١١ م.

١٤- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرري، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.

١٥- حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط ٢، ٢٠٠٨ م.

١٦- الخصائص الحسينية، جعفر التستري، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٦ هـ.

١٧- الخطاب الحسيني في معركة الطف، دراسة لغوية وتحليل، د. عبد الكاظم محسن الياسري، إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط ١، ٢٠٠٩ م.



١٨- الخطابة في صدر الإسلام، محمد طاهر درويش، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٨ م.

١٩- دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام، الأستاذ يوسف مدن، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدّسة، مراجعة وحدة الدراسات والنشر، مطبعة دار البرهان، بيروت، ط ١، ٢٠١٤ م.

٢٠- دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٣ هـ.

٢١- دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية بين الإصلاح والإفساد، دراسة وتحليل وتحقيق: السيّد نبيل الحسني، إصدار شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في العتبة الحسينية المقدّسة، ط ١، ٢٠١٤ م.

٢٢- زهير بن القين، تأليف شعبة التحقيق في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدّسة، ط ١، ٢٠٠٩ م.

٢٣- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م.

٢٤- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦ م.

٢٥- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠ م.

٢٦- العزلة والمجتمع، نيقولاوي برد يائف، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: علي أدهم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ٢، ١٩٨٦ م.

٢٧- علم النفس الاجتماعي والحياة المعاصرة، د. أحمد محمد مبارك الكندري، نشر وطبع: مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ٢٠١٢ م.

٢٨- عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل، طبع بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت).

٢٩- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال، (د.ت).

٣٠- فلسفة التربية، فيليب فينكس، الناشر: القاهرة، نيويورك، دار النهضة العربية مؤسسة فرنكلين، ١٩٦٥ م.

٣١- فن التحليل النفسي وممارسته، رالف ر. غرينسون، ترجمة أسعد ميخائيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٨ م

٣٢- القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام، د. حاتم جاسم عزيز السعدي، إصدار وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ٢٠١٣ م.

٣٣- القيم في العملية التربوية، طبع مؤسسة الخليج العربي، ١٩٨٤ م.

٣٤- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٧ م.

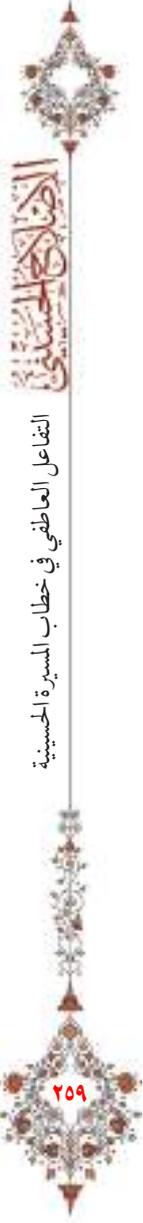
٣٥- الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٣٦- اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، نشر: أنوار الهدى، مطبعة مهر، قم، ط١، ١٤١٧ هـ.

٣٧- لواعج الأشجان، السيّد محسن الأمين، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، مطبعة العرفان، بيروت، ١٣٣١ هـ.

٣٨- مثير الأحزان، جعفر بن محمد ابن نما الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠ م.

٣٩- مختصر تاريخ مدينة دمشق، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، المحقق: روحية النحاس، ورياض عبد الحميد مراد، ومحمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا، ط١، ١٩٨٤ م.



٤٠- مدخل إلى الدلالة الحديثة، عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م.

٤١- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٤٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م

٤٣- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب، مطبعة انتشارات علامة، المطبعة العلمية في قم. (د.ت).

٤٤- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٤٥- نثر الدر في المحاضرات، أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، المحقق: خالد عبد الغني محفوظ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٦- نحو فلسفة عربية للتربية، عبد الغني النوري، عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م.

٤٧- الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصبي، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩١م.

البحوث المنشورة

٤٨- اجتماعيات الخطاب الحسيني دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، د. نعمة دهب فرحان، بحث منشور في مجلة كربلاء، السنة الثانية، المجلد الثاني، العدد الثالث، ٢٠١٥م.

٤٩- الإقناع والتأثير دراسة تأصيلية دعوية، إبراهيم بن صالح الحميدان، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام، العدد ٤٩، سنة ١٤٢٦هـ.

إصلاح المنبر الحسيني في مؤلفات الشيخ مرتضى مطهري

قراءة وصفية

د. فراقدا داوود سلمان الشلال*

المقدمة

إنّ الاشتغال على التعريف بالجوانب الشخصية للشيخ الشهيد مرتضى مطهري في هذه الدراسة، يأتي ضمن سياق التعريف بمنهجه الفكري الديني وليس بشخصه؛ لوجود مؤلفات عدّة تناولت تفاصيل حياته الشخصية. حيث يُعدّ مطهري من أبرز مفكري إيران الذين ظهروا في منتصف القرن الماضي، ولقد جمع مرتضى مطهري في دراسته بين الحوزة والجامعة وبين الأصولية والتجديد، فاهتم من جهة بدراسة الأدب العربي والفارسي، وعلم الكلام والفلسفة الإسلامية، واللغة العربية، تاركاً لنا أكثر من خمسين كتاباً، مثلت صرحاً من الإبداع الفكري، وجعلت منه واحداً من أبرز أعمدة الفكر في الفضاء الشيعي المعاصر، ومن جهة أخرى يُعدّ الله رائد التجديد وناقد الفكر الديني، والدعوة للعودة إلى القرآن الكريم، وتصحيح الأفكار ونبد البدع. استشهد الشيخ مرتضى مطهري في ١٢/ شباط/ ١٩٨٠م على يد جماعات مسلحة^(١)، وشيّع جثمانه تشييعاً مهيباً، شاركت فيه مختلف شرائح المجتمع الإيراني، وكان الإمام الخميني رحمته الله يتصدّرهم، ودُفن الشيخ الشهيد مرتضى مطهري بجوار

* جامعة البصرة، مركز دراسات البصرة والخليج العربي.

(١) أنظر: حمية، خنجر، مرتضى مطهري الإشكالية الإصلاحية وتجديد الفكر الإسلامي: ص ٩٣.

مرقد السيِّدة فاطمة المعصومة عليها السلام في مدينة قمّ جنوب طهران، وأُعلن الحداد العام في الجمهورية الإسلامية على روحه الطاهرة لمدة ثلاثة أيام، وأقيم مجلس العزاء في المدرسة الفيضية.

وقد تحلّى الشهيد مطهري بجملة كبيرة من الخصال العلمية التي تميّزت بها شخصيته، وقد برزت في نتاجه العلمي وفي محاضراته وخطبه، والتي منها:
أولاً: دقة منهجه في التفكير، وعمق طريقته في معالجة المشكلات، فقد كان يعرض المسائل التي تشغل فكره عرضاً تفصيلياً، موضحاً تاريخها، وواصفاً إيّاها وصفاً دقيقاً وموضوعياً، وربطاً بين القضايا ربطاً منطقيّاً محكماً، ومستنبطاً النتائج برؤية ثابتة ودقة تقدير.

ثانياً: إيمانه العميق بما كان يدعو إليه ويُنظر له من الرّوى والمبادئ، كما أنّه عليه السلام كان من ذوي القناعات الثابتة من دون تزمت أو تعصّب في الرّأي.

ثالثاً: كان مطهري يتمتع بعقل رافض للتقليد الأعمى للأفكار، حتّى ولو كانت راسخة شائعة، ويتّبع النقد الواعي لكلّ فكرة من غير أن يقع تحت تأثيرها، أو يطغى عليه تماسك منطقتها، مضافاً إلى أنّه عليه السلام لم يكن يقبل رأياً أو يرفضه إلاّ بحجة قوية^(١).

رابعاً: كان عليه السلام شديد الإيمان بحرية الفكر والتعبير عن الرّأي، إيماناً مصحوباً بالتطبيق ومؤكّداً بالممارسة، بحيث كان عليه السلام يؤكّد على حقّ كلّ شخص في أن يعلن عمّا يراه بلا خوف أو قمع أو اضطهاد، وأنّ الإسلام يضمن حرية الفكر والقول، مع سلامة النية وصدق القصد من غير خداع أو تضليل^(٢).

خامساً: إنّ عليه السلام كان يعالج من خلال نتاجه الفكري الموضوعات التي لها ميسس الحاجة في المجتمع، ويتطرّق إلى المشكلات التي يعاني منها الواقع، فيختار الأهم

(١) أنظر: مجموعة من الباحثين، جولة في حياة الشهيد مطهري: ص ٢٥٦.

(٢) أنظر: مطهري، مرتضى، مقالات حول الثورة الإسلامية: ص ١٢.

منها، ثم المهم منها، وذلك من قبيل: حقوق المرأة، والحجاب، والقومية الإيرانية^(١). هذا، وقد ظهرت العديد من الدراسات الأكاديمية الحديثة والمعاصرة عن المنبر الحسيني، منها ما اتّسم بالسطحية، وآخر اتّسم بالعمق والجدية، إلا أن دراسات الشيخ مطهري عن النهضة والملحمة الحسينية تتسم بالأصالة والتحليل والعمق؛ لأنه ﷺ يرى أن الإمام الحسين عليه السلام، صاحب رسالة مقدّسة، هدفها الأساس المحافظة على نقاء الدين الإسلامي من زيف الادّعاءات الأموية، وأن المنبر الحسيني لا بد أن ينطلق في معالجته لمختلف المشاكل التي يعاني منها المجتمع، كمعطى من معطيات هذه الرسالة، التي ضحّى من أجلها عليه السلام في واقعة الطفّ، هو ومن معه من أهل بيته وصحبه؛ ومن هذا المنطلق، يمكن للباحث والمتابع أن يطرح مجموعة من الأسئلة المتعلقة بما ذكر، وهي: هل أن إصلاح المنبر الحسيني وفق رؤية مرتضى مطهري ناجم عن تردّي وضع بعض خطباء المنبر؟ وما هي طروحات مطهري لإصلاح المنبر الحسيني؟ وما هي منهجيته في تأليف كتبه موضع البحث والدراسة؟ سنحاول - في هذا المقام - الإجابة عن هذه الأسئلة وفق المنهج الوصفي التحليلي، معتمدين في ذلك على كتابي الشهيد مطهري اللذين هما بعنوان: (الملحمة الحسينية)، و(بين المنبر والنهضة الحسينية).

المبحث الأول: الملحمة الحسينية

ويتكوّن هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء، وهو من مؤلفات مرتضى مطهري، التي تتصف بغنى مباحثه وجرأة طروحاته، والتي تضمّ أفكاره وتحليلاته حول النهضة الحسينية بأسلوب النقد البناء، الرامي إلى تصحيح الكثير من الانحرافات والمغالطات.

والكتاب عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها الشيخ مرتضى مطهري

(١) أنظر: مجموعة من الباحثين، مطهري العقبري الرسالي: ص ١٧.

في مناسبات عدّة، وقد تمّت طباعة الكتاب في إيران أكثر من أربعة عشر مرّة من قِبل مؤسسة الدار الإسلامية في بيروت.

كان يهدف الشيخ من وراء هذا التأليف؛ تصحيح وتصويب ما تعرّضت له النهضة الحسينية من تشويهات، ومغالطات، وتحريفات بأسلوب سهل ومباشر. في مقدّمة الكتاب ذكر الناشر الأستاذ (نادر التقي) أن الشيخ مرتضى مطهري يضع أيدينا على جوهر هذه النهضة المباركة، التي شكّلت منعطفاً حاسماً في مسار التاريخ الإسلامي المجيد، والتي كانت وما زالت مناراً مشعاً يقود السالكين في دروب الحق ومعارج الحقيقة.

يتناول مطهري هذه الملحمة الفريدة من جانبها الحي الملهب صدقاً وحماساً، والمشح أصالةً ونبلاً، ويصفه مثل الطبيب الجراح الماهر، الذي يضع مبضع الحقيقة ويزيل ما تراكم عليها من أدران الوهم والخيال، ويكشف زيف ما علق بها من تشويه الأساطير والانحرافات، ويدفع ما لحق بها من مغالطات، وكلّ ذلك بهدف إخراج هذه النهضة صافية نقيّة قوينة المنهج صحيحة المسار.

أولاً: الجزء الأول من الملحمة الحسينية

حاول مرتضى مطهري في الجزء الأول من الملحمة سبر أغوار واقعة كربلاء بالدراسة والتحليل، والتطرّق إلى التحريف الذي طال الثورة الحسينية وأهدافها السامية، وحذّر مطهري من تلك الانحرافات التي أدخلت عليها، سواء كانت من النوع اللفظي أو المعنوي، ويبيّن بأنّها تؤدي إلى فقدان هذه الملحمة العظيمة تأثيرها السياسي والاقتصادي، والفكري والثقافي في المجتمع؛ لذلك يدعو الشيخ عليه السلام في هذا الجزء من كتابه إلى التمسك بمضمون هذه الحادثة كما هي، بموضوعية تامّة بعيداً عن الانفعال، والوهم، والخيال في عرض الأدوات المتصلة بها؛ لأنّ هذه الأمور تؤدي إلى أضرار فادحة تطال الأمة الإسلامية، تلك الأمة التي تحتاج إلى التفاعل مع رموزها

ومحطّاتها الدينية والتاريخية بالشكل الذي يحفظ لها توازنها وأصالة حضورها.

وفي هذا الإطار يرى مرتضى مطهري أنّ الأفراد يحتاجون إلى التفاعل مع رموزهم الدينية والتاريخية، بالشكل الذي يحفظ لهم التوازن والأصالة؛ لأنّ الفهم الحقيقي لغايات الثورة الحسينية ينعكس إيجاباً على الواقع الإسلامي ككل، ويقول مطهري في هذا الشأن: «إنّ هذه القضية ينبغي عرضها كما هي ودون زيادة أو نقصان؛ لأنّه في حالة أيّ تدخلٍ أو تصرفٍ في اللفظ أو المعنى مهما كان بسيطاً سيرتّب بلا شكّ حرف اتجاه الحادثة عن مسارها، وبالتالي إلحاق الضرر بأنّنا بالتأكيد بدلاً من إفادتها منها»^(١).

كما بيّن الشيخ مطهري بأنّ المسؤولية - في المقام - تقع على عاتق كلّ من العلماء والرواة وعمامة الناس، للوقوف بوجه الذين أساءوا إلى القضية الحسينية، وأفرغوها بتحريفاتهم وتفاعلهم السلبي معها من كل قيمة، أو مضمون يمكن أن يرتفع بمستوى وعي الأمة؛ إذ يقول بهذا الصدد: «إنّ التحريفات التي أصابت هذه القضية على أيدينا، كانت كلّها باتجاه التقليل من قيمة الحادثة، ومسئوليتها وتحويلها إلى حادثة لا طعم لها ولا معنى، والمسؤولية تقع - هنا - على الرواة والعلماء، كما تقع على العمامة من الناس»^(٢).

ويدعو الشيخ مطهري إلى تصحيح النظرة في التعاطي مع المجالس الحسينية، فهي ليست مناسبة لإذكاء الحماسة والانفعال، وإثارة الخيال والأوهام، واختراع القصص الخيالية، من أجل إدخال الحرارة إلى المجلس؛ ليتفاعل الناس مع ذلك، بل إنّ المجالس الحسينية مناسبة لبناء الذات والوعي وتأصيل الشخصية، عبر استلهاهم ما تحمّل من عِبَر ومواعظ، تخاطب العقل والشعور. كما يدعو إلى مقاومة اللاوعي واللامسؤولية في استحضار عاشوراء وتسطيحها، فعاشوراء مناسبة للتخليق في

(١) مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج ١، ص ١١-١٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢.

سياقات الوعظ والتأمل والإصلاح، وليس في فضاء الخيال، وحول هذا الأمر يقول: «فمن أجل شدّ الناس إلى صورة الفاجعة التاريخية وتصويرها المأساوي، ودفع الناس إلى البكاء والنحيب، ليس إلا كان الواعظ على الدوام مضطراً إلى التزوير والاختلاق»^(١). واعتبر مرتضى مطهري أنّ هذه الأساليب فيها الشيء الكثير من الإساءة إلى قضية عاشوراء ومعانيها السامية، لا أنّها ترفع من شأنها؛ وأنّ الأمر بالتالي مشين ومأساوي. وبالرغم من ذلك حثّ مطهري الناس على ضرورة الاستماع إلى المآثم الحسيني الصادق؛ حتّى تتوسّع معارفهم وينمو مستوى التفكير عندهم، ويدركوا بأنّ اهتزاز روحهم مع آية كلمة من كلمات الخطيب، يعني انصهارها مع روح الحسين عليه السلام، وأنّ دمة واحدة إذا ما خرجت من عيونهم كافية لمنحهم ذلك المقام الكبير لأصحاب الإمام عليه السلام، أمّا الدموع التي تخرج من خلال العرض المأساوي، ورسم المجزرة والتشريح والذبح والمذبحة، فلا تساوي شيئاً حتى ولو كانت بحراً من الدموع^(٢).

ولكنّه يرى أنّ المشكلة الكبرى عندما يتحوّل المنبر الحسيني إلى العرض المأساوي؛ لكسب أكبر قدر ممكن من عاطفة المستمعين، فيقوم بعض الخطباء بإيراد روايات من كتب السير والتراجم التي تعزز هذا التوجه، وأغلب الروايات تكون دون سلسلة سند أو تحقيق، وبعض الخطباء لا يقفون عند هذا الحدّ، بل قد يتجاوزوه إلى روايات غير معتبرة أو مكذوبة أو ملفقة في قضية الإمام عليه السلام؛ الغرض منها تحقيق أغراض ومنافع شخصية على حساب أسمى ثورة في التاريخ أسقطت عروش الطغاة والمستبدين.

إنّ الرسالة الحقيقية للمنبر الحسيني وفق رؤيته، ترتبط بالسياق الذي يتتمي له هذا المنبر، فالمنبر الحسيني يمثل مرآةً للنهضة الحسينية، يحمل قيمها وأهدافها العظيمة،

(١) المصدر السابق: ص ١٦.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ١٥.

والنهضة الحسينية تنطلق من قاعدة القيادة المعصومة لأهل البيت عليهم السلام، التي ينبثق عنها مشروع متحرك للإصلاح الديني، والحفاظ على الكرامة الإنسانية، وتحقيق العدل والمساواة، وهذه الشعارات ذاتها تمثل رسالة المنبر الحسيني وفق المتطلبات والتطبيقات الموضوعية المتجددة، وفي هذا المجال يذكر مطهري: «لقد أراد منا أئمتنا أن تظل مدرسة الحسين حيّة، أن تبقى التربة الحسينية حيّة، وأن تنفخ روح الحسين في هذه الأمة، ومن ثمّ تشعّ على الأطراف... لقد أراد أئمتنا لنا أن نحيا مجالس العزاء، وهذا أمر صحيح. إنّ فلسفة إقامة مجالس العزاء الحسينية فلسفة صحيحة ورفيعة المعاني للغاية»^(١). نعم، إنّ تحقيق هذا الأمر - على حدّ تعبير الشهيد مطهري - يحتاج منا إلى جهود كبيرة في هذا المجال، مضافاً إلى ضرورة تحديد أهدافنا من وراء هذه الجهود، وأن تكون هي الأهداف نفسها - المتقدمة - التي أرادها لنا أئمتنا عليهم السلام، لكن للأسف الشديد فإنّ بعضاً لم يدرك هذا المعنى السامي وأخذ يتصور بأنّ الاجتماع في تلك المجالس والبكاء والنحيب على الإمام عليه السلام بحدّ ذاته هدف دون التعرّف على فلسفة النهضة الحسينية ومعرفة شخصية الإمام عليه السلام التاريخية، فهو - بحسب نظر هؤلاء - كافٍ في مقام تكفير الذنوب من دون وجود أمر آخر وراء ذلك^(٢).

وبناءً على ما تقدّم؛ فإنّه عليه السلام يرى أنّ التركيز على الجوانب العاطفية بالطرق التقليدية المطروحة دون التأكيد على مبادئ النهضة الحسينية والأسس التي سار عليها الإمام الحسين عليه السلام، هو بلا شكّ حرف الأمة عن الأهداف الربانية والإنسانية العظيمة، التي أراد تحقيقها الإمام عليه السلام في ثورته، والمتمثلة بوقوفه ضدّ الظلم وقمع الحرية، ورفضه الدين الأموي الذي أريد له أن يحلّ محلّ الدين المحمدي الأصيل. وفي هذا الصدد يقول عليه السلام في الجزء نفسه: «أبكوا البطل، وأقيموا مجالس الرثاء والعزاء

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٧.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٧.

للبطل، حتى تولدوا إحساساً بالبطولة والشجاعة في أنفسكم، واجلسوا في رثاء البطل عسى أن تنعكس ظلال روح البطل على أرواحكم، وتزداد غيرتكم تجاه الحق والحقيقة، وتندروا أنفسكم للعدالة، وتصبحوا من المقاتلين ضدّ الظلم والظالمين، وتصبحوا أحراراً وتقدرُوا معنى الحرية، اجلسوا في مجالس رثاء الإمام الحسين حتى تعرفوا [ما] معنى عزّة النفس؟ وما معنى الشرف والإنسانية؟ حتى تعرفوا ما معنى كلمة الكرامة؟^(١).

وفي ختام الحديث عن الجزء الأول من كتابه الملحمة الحسينية، فقد أتضح لنا أنّ مرتضى مطهري أراد رسم صورة ذهنية جديدة متوازنة لدى الناس، ما بين تضحية وعطاء الإمام وأهل بيته عليهم السلام وبين المنبر الحسيني الرسالي الأصيل، القائم على أساس تحقيق الأهداف النبيلة للفرد والأمة الإسلامية. واتّضح لنا أيضاً بأنّ المسلم إذا لم يُضحِ بنفسه وماله وكل ما يملك في سبيل رفعة راية الإسلام، فلن يكون للإسلام حضور ووجود في حياة الناس، وأنّ دور المنبر الحسيني لا يكون بالسرّد التاريخي للسيرة الحسينية الشريفة فقط، وإنّما إحياء سنن الإسلام الصحيحة ونشر تراث أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: الجزء الثاني من الملحمة الحسينية

تطرق مرتضى مطهري في هذا الجزء إلى العوامل المؤثرة في النهضة الحسينية، ويبيّن بأنّ فلسفة إقامة المجلس والعزاء الحسيني، هي فلسفة تربوية يقصد منها إدراك المعارف وتوسيعها^(٢)، ويبيّن أيضاً أنّ باستشهاد الإمام عليه السلام قد تحققت أهدافه المعنوية وغاياته العرفانية، مقابل عدم تحقيق آل سفيان أيّاً من أهدافهم بأيّ شكل من الأشكال^(٣)؛ وبذلك انتصر الدم على السيف، والذي عدّ وصمة عارٍ تلاحق الظالمين

(١) المصدر السابق: ص ١٠٠.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٢، ص ٨.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ١٤.

في كل مكان وزمان، فلو لا تلك النهضة الحسينية لما كان للإسلام أن يستقيم.
كما أورد مطهري - في المقام - مراحل وأقسام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
شارحاً، ومحققاً، ومستوفياً كل تفاصيل هذا الحادث الإسلامي الخطير، ودقائقه،
وشروطه، وأثره في حياة الأمة، معرّجاً في ختام كتابه على حقيقة عاشوراء وجوهرها
الأصيل، المتناغم مع هذا الأصل الإسلامي العظيم. وذلك من خلال التعرّف على
شعارات عاشوراء، تحليل واقعة عاشوراء، والوقوف على جوهر النهضة الحسينية.

ثالثاً: الجزء الثالث من الملحمة الحسينية

تحدّث الشيخ مطهري في هذا الجزء عن الإطار العام لواقعة كربلاء، وعن
الجدور التاريخية لها، وعن قيمة الشهيد والشهادة في إطار المنطق السليم والأهداف
المقدّسة، وحس السمو، وتوفر الإدراك، وشجاعة الروح، وتوازن العقول.
إنّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام قد تجسّدت في ثلاث صور، وبعبارة أخرى: إنّه عليه السلام
استشهد ثلاث مرّات المرّة الأولى: استشهد على يد يزيد بفقدانه جسده، والمرّة الثانية:
استشهد من خلال تشويه الأعداء لسمعته ومقامه واسمه، لا سيّما على يد الخليفة
العباسي المتوكّل بالله، والمرّة الثالثة: استشهدت أهدافه على يد بعض أهل المنبر
الحسيني^(١).

كما أوضح عليه السلام أنّ فلسفة المدرسة الحسينية مبنية على أساس تربية جيل يتحلّى
بالخلق النبوي المحمدي الأصيل، ولا استمرار هذه الفلسفة كان لا بدّ من إحياء
هذه الذكرى في كل سنة، بهدف تخليد مدرسة النبوة التي خُتمت بمحمد صلّى الله عليه وآله؛ وعليه
فالمدرسة الحسينية هي بمثابة البديل الدائم لمصدر الوحي والإلهام النبوي^(٢).
وأوضح أيضاً - تحت عنوان: المنطق التقليدي لأهل المنبر (الحديث عن شهادة

(١) أنظر: المصدر السابق: ج ٣، ص ٦٥.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

ومظلومية أبي عبد الله - أنواع الموت مبيّناً بأنه تارةً يكون موتاً طبيعياً، وأخرى يكون موتاً اخترامياً، سواء كان بسبب الحوادث الطبيعية أم القتل العمد، وثالثة يكون موتاً عن طريق التضحية والفداء والشهادة؛ إذ يكون للمقتول في العملية الإرادة الواعية لدى التعرّض للقتل، فقد تقدّم نحو الموت بهدف الدفاع عن أهداف وعقيدة راسخة في أعماقه، وهي له ذات أبعاد مقدّسة تتطلب التضحية بكلّ شيء من أجل تحقيقها، أي: إنّ الموت هنا يكون اختيارياً، أو موتاً واعياً، سعياً وراء تحقق الأهداف المرجوة^(١).

في مجال الخطاب العاطفي الحسيني يرى مرتضى مطهري أنّه قد جرت العادة أن يتطرّق الذاكرون، وأصحاب المنبر الحسيني لشهادة الإمام الحسين عليه السلام بالتركيز على إظهار براءة المقتول ومظلوميته، وذهاب نفسه هدراً وضياعها، فأغلب أصحاب المنبر يذكرون حادثة مقتل الإمام عليه السلام من باب التأسّف على روح سيّد الشهداء عليه السلام، التي ذهبت هدراً وهباءً منشوراً، في حين أنّه من الأخطاء الاعتقاد بذهاب دم الإمام عليه السلام هدراً، واعتبار خسارتنا لروحه ونفسه الطاهرة خسارة وكفى، فالإمام عليه السلام على العكس من ذلك، فهو قد منح قيمة بالغة لا يقدر ثمنها بالدنيا كلّها، لكلّ قطرة دم سالت من جسده الطاهر، وهو الذي زلزل بموته عرش الطغمة الظالمة، وعلى مدى قرون لا يزال المثل الأعلى لكل الحوادث الزمانية^(٢).

إنّ الشيخ مطهري ليس ضدّ الخطاب العاطفي المعتدل والصحيح والواقعي، ولكن طريقة الطرح الخطابي والكيفيّة التي تتناول النهضة الحسينية من خلال بعض المنابر التي كانت موجودة في إيران في عهده هي محلّ الخلاف. إن ما كان يرمي إليه مطهري من خلال ما سبق، هو أن يكون منهج خطباء المنبر الحسيني منهجاً حسينياً قوياً ومؤثراً بالناس خالياً من الشذوذ في الأفكار والعقائد.

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٣، ص ٧٥ - ٧٦.

ويوضح مطهري أنّ القصد من إقامة الشعائر الحسينية لا ينحصر بتقديم التضامن والسلوى لآل بيت النبوة، وكما يقال: إسعاداً وإرضاءً للزهراء عليها السلام، وبالتالي يكون التصوّر أنّه كلّما بكينا أكثر على آل البيت كلّما كان ذلك أكثر عزاءً وسلوى للرسول العظيم صلّى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام.

فكم نكون بذلك قد حجّمتنا وهمّشنا من قيمة وحجم الرسول صلّى الله عليه وآله، وعلي والزهراء عليها السلام، وهم الذين كانوا يتوقون للشهادة، ويرون فيها فخراً لهم، بينما نتخيل أنّهم وبعد مضي أكثر من ثلاثة عشر قرناً على رحيلهم، فإنّهم لا يزالون يعيشون حالة من الأسى والحزن والرعب^(١).

ومن هنا؛ فإنّ ما يريد - مطهري - أن يوصله إلى قرّائه ومتابعيه، هو أنّ الأصل في قيام النهضة الحسينية هو النهوض بالأمة نحو التغيير والإصلاح، وذلك كما ورد على لسان رائد هذه النهضة المعطاء الإمام عليه السلام نفسه: «... ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُنتهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلاّ برماً...»^(٢)، أعلنها الإمام عليه السلام صراحة وفي مواضع متعددة راسماً من خلالها خارطة طريق في نهضته، ومن هذا المبدأ يتبيّن أنّ السبب الرئيس لنهضة الإمام عليه السلام، هو الإصلاح والتغيير لرفع راية الحق وإبطال الباطل؛ وعليه فإنّ إحياء هذه الذكرى وإقامتها كشعيرة لا بدّ وأن يتماشى مع الهدف الأصلي والأساس، الذي انطلقت من أجله الثورة الحسينية، ومن هنا يلزم أن يكون خطاب المنبر الحسيني قائماً على أساس نشر أهداف الإمام عليه السلام في نهضته وحركته؛ من أجل التغيير والإصلاح، ونشر الوعي والثقافة الأصيلة، وما عدا ذلك يبقى مجرد متمم لهذا الهدف الرئيس، المنشود من وراء المنبر الحسيني على شرط الصحة وليس بديلاً عنه.

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٨٤.

(٢) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص ٢٤٥.

وهنا لا بدّ لنا من وقفة عند الخطاب العاطفي في المنبر الحسيني، الذي نراه أحياناً يطغى ويتحوّل إلى هدف بحدّ ذاته، بحيث أصبح مجرد سرد روائي للجانب المأساوي لثورة الإمام عليه السلام، بعيداً عن الربط بأهداف الحراك الذي استشهد لأجلها الإمام عليه السلام، وكأنّنا الإمام عليه السلام لم يهدف من وراء ثورته ونهضته إلا أن يخبر الناس كيف استشهد هو وأهل بيته، بدلاً من أن يعلمهم لماذا استشهد.

إنّ من الواجب أن يكون الناس أكثر إدراكاً ووعياً، وأكثر انتقاءً لفرز الخطباء والمجالس الحسينية، من أجل الارتقاء بهم. فإنّ الاستمرار في حضور المجالس التقليدية التي لا ترى في ثورة الإمام عليه السلام إلا الجانب التاريخي والعاطفي السلبي، هو خلاف ما هدف إليه أئمّتنا الأطهار عليهم السلام الذين ركّزوا على العاطفة لا من أجل صنع مأساة، وإنّما من أجل تأجيج عاطفة حبّ وعشق للإمام الحسين عليه السلام، فيكون الناس هائمين بحركته وتضحياته، فتتحوّل العاطفة إلى شعلة من العطاء والتضحية بكل غالٍ ونفيس حبّاً في الله.

المبحث الثاني: بين المنبر والنهضة الحسينية

من مؤلفات الشيخ مرتضى مطهري الأخرى التي نحن بصدد التعرّض لها هو كتاب (بين المنبر والنهضة الحسينية)، الذي هو عبارة عن مجموعة محاضرات، كان قد ألّفها على طلابه في جامعة طهران، وحملت المحاضرات عناوين مختلفة، من قبيل: الفطرة، حقيقة النهضة الحسينية، شهيد يتحدّث عن شهيد، الخطابة والمنبر، المشكلة الأساس في جماعة علماء الدين، المفهوم التوحيدى للعالم، الدوافع نحو المادية، حرية الفكر والعقيدة في الإسلام، الحق والباطل، إحياء الفكر في الإسلام. هذا، وإنّه عليه السلام على غلاف الكتاب كتب بضعة كلمات مفادها أنّه يشعر بمسؤوليته الإلهية، موجهاً تحذيره إلى زعماء النهضة الإسلامية العظام، قائلاً لهم: إنّ نشر الأفكار الغربية وتزويقها وتسميتها باسم الإسلام سواء كان ذلك بقصد أم بغير قصد، خطر يُهدّد

كيان الإسلام. وقد أراد - من هذا الكلام - فتح العيون المغلقة والعقول المصابة بداء التحريف والانحراف.

ومن الأمور التي عرضها الشيخ مطهري في هذا الكتاب هي ما يلي:

أولاً: إصلاح قراءة المراثي

من الأمور الأساسية التي يجب أن ينتبه لها قراء المراثي، هي معرفة فلسفة النهضة الحسينية، وفلسفة تعاليم الأئمة الأطهار بخصوص إقامة مجالس العزاء، فيجب أن يكون الخطباء على بصيرة من ذلك، بحيث يستطيعون أن يذكروا حقائق النهضة الحسينية، لا أن يُقصرُوا معلوماتهم على فصول النواحي الحربية من معركة كربلاء، ويجب عليهم أيضاً ذكر فلسفة النهضة الحسينية ذكراً متكرراً على المنابر؛ لكي يتحقق ما أوصى به الأئمة المعصومون عليهم السلام زين العابدين، والباقر، والصادق، لكي يكون لدينا أمثال الكميت، ودعبل الخزاعي، فينشدون المراثي والتعازي^(١).

ثانياً: مواصفات خطيب المنبر الحسيني

١- أن يكون الخطيب ناطقاً باسم الإسلام

إنّ مهمّة الخطيب هي الحفاظ على الإسلام، وبتعبير آخر: إنّ الناطقين باسم الإسلام هم الخطباء ورجال المنبر، وهم - كذلك - الذين يشرّحون ويوضّحون للناس ما يجري حولهم، وتلك هي فلسفة إقامة المجالس الحسينية، التي لم تقتصر على البكاء، فالإمام عليه السلام يريد إحياء ذكره لإحياء مدرسته التي تريد أن تحارب كل باطل مثل الرأسمالية، والشيعوية، والظلم والفساد، وغياب العدالة؛ لأنّه لم يُنْزَرُ منطلقاً من نزعة ذاتية، أو حركة عفوية، وإنّما انتفض من أجل الإسلام؛ لأنّه عليه السلام

(١) أنظر: مطهري، مرتضى، بين المنبر والنهضة الحسينية: ص ٢١٩-٢٢٠.

يمثل الإسلام^(١). مات الإمام الحسين عليه السلام ولكن مبادئه لا زالت حيّة، فإننا نحارب تحت لواء الحسين عليه السلام، ونسير تحت ظلّه في طريق الحق، فالإمام الحسين عليه السلام هو هوية أمة بكاملها، هوية الانتفاء إلى عقيدة متجذرة في النفوس والعقول، تتعاقب على حملها الأجيال جيلاً بعد جيل عبر الزمن.

٢- أن يكون الخطيب في موضع هداية

والهداية التي يوردها مطهّري، هي الإرشاد إلى الطريق القويم. كالقافلة التي تسير نحو مقصد لها، فتسأل شخصاً عن الطريق إلى المكان المقصود، فيدلّها عليه قائلاً: اذهبوا من هنا، أو من هناك، هذه هي الهداية إلى الطريق، ولا بدّ أن تتوفر شروط عدّة في الهادي، من قبيل:

١- أن يكون عارفاً بوجهة القافلة ومسيرها.

٢- أن يكون عارفاً بجغرافية المكان الذي هم فيه والمتوجهين صوبه^(٢)؛ فالمجتمع كالقافلة دائم الحركة لا بدّ من وجود هداة له يعرفون كيفية قيادته وكبح جماحه، وذلك من أجل وضعه على مسار جديد وتحريكه نحو هدفه الأصيل. العالم اليوم في تسابق مستمر في ميدان العلم والصناعة، وعليه لا بدّ من بذل الجهد وتحريك المجتمع؛ لئلا يتخلّف عن هذا السباق، وعدم الاكتفاء بالانتقاد وتصيّد الأخطاء وإصدار الأوامر، فإنّ هذا لا يمكن تسميته هداية^(٣).

٣- أن يتصف الخطيب بالإخلاص والصدق

يرى الشهيد مطهّري تبعاً للعلامة النوري الطبرسي في كتابه (اللؤلؤ والمرجان في آداب المنبر)، أنّ الذي يريد أن يرتقي المنبر لا بدّ عليه أن يحقّق شرطين، هما: الصدق، والإخلاص الذي هو عبارة عن صفاء الأعمال من الشوائب والرياء،

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٣١.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢٣.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢٣-٢٢٤.

وجعلها خالصة لله سبحانه وتعالى^(١)، فهو يعتبر جوهر العبادة ومعه تكون مقبولة لدى المولى عز وجل، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(٢). والمنبر باعتباره رسالة الهدف منها ذكر المصالح الدنيوية والأخروية للناس، فإنه يجب على مرتقيه - مضافاً إلى علمه ومعرفته بأحوال الناس ومصالحهم - أن يكون هدفه الأساس من حديثه معهم هو الإخلاص لله تعالى وخدمة دينه، وليس حب الشهرة والظهور، أو الحصول على الأموال الوفيرة، أو البحث عن الوجاهة؛ لأن ذلك من محبطات العمل ويسلبه البركة والتوفيق الإلهي^(٣).

٤. أن يتبع الخطيب أسلوب الوعظ

ينبغي على الخطيب اتباع أسلوب الوعظ، وذلك من خلال التعريف بالخلق الفاضل والحث على امتثاله، وبيان الخلق السيئ والتنفير منه، مستعيناً بما يرقق القلب ويزيل القسوة منها، ويخفف حدة الغضب والشهوة، ويسكن أهواء النفس ويصقل القلب ويمنحه الشفافية والصفاء. ولا يوجد أحد - بحسب ما يذكر الشيخ مطهري - ليس بحاجة إلى الوعظ، أو مجتمع غني عن الموعظة، فهي تذكير الغافل، وتثيت المهتدي بالله، وتبصير الناس بشرائع الإسلام وحدوده، تعريف الخلق بالخالق، وزجر العاصي والفاجر. وبالتالي فكلما ازداد عدد الخطباء الذين يتبعون هذا الأسلوب مع امتلاكهم الشروط المطلوبة، فإن ذلك سوف يمنح الخطابة والمنبر فعالية كبيرة وحضوراً جيداً^(٤).

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) البينة: آية ٥.

(٣) أنظر: مطهري، مرتضى، بين المنبر والنهضة الحسينية: ص ٢٢٨.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢١.

٥. عرض المصالح

إنّ من مهام الخطيب الحسيني أن يقوم بإفهام الناس ما يصلح لهم في دينهم ودنياهم، وما الذي يجب أن يقوموا به؛ ليكون خيراً لهم في الدنيا والآخرة. وهذه المهمة تعتبر عملاً كبيراً، وهو أصعب من الوعظ بكثير، فإنّ مَنْ كان على شيء من صفاء الضمير والإيمان، وعلى معرفة بعدد من المواعظ يستطيع أن يعظ، وأن يكون مفيداً في وعظه، وإذا كان الواعظ نفسه مخلصاً، ملتزماً بمضمون وعظته، فإنّ مجرد تكرار أقوال عظيمائنا يكفي، ولكن إذا أراد الشخص أن يخوض في مصالح الناس الدنيوية والأخروية العليا فيعرفهم بمصالحهم تلك، فالأمر ليس بتلك السهولة؛ وذلك لأنّ هذا المتكلّم يحتاج - مضافاً إلى إخلاصه في هذه المهمة - إلى أن يكون ذا علم وسعة اطلاع كبيرين^(١).

٦. أن يتمتع الخطيب بالمعرفة الدينية والمعرفة الاجتماعية

فمن حيث العلم والمعرفة لا بدّ أن يكون علم الخطيب بالمباني الدينية كافياً، وأن تكون معرفته بالإسلام كاملةً، ويكون كذلك مطلعاً على روح التعاليم الإسلامية. عليه أن يعرف لباب الإسلام وقشوره، باطنه وظاهره؛ وذلك لكي يعرف ما معنى المصلحة الدينية، ثمّ إنّ مجرد معرفة الدين لا تكفي لتبيان المصالح، بل عليه أن يعرف المجتمع وأن يطّلع على أوضاع الدنيا وما يجري فيها ليُدرك أين مصلحة المجتمع الإسلامي اليوم في قبال ما يجري في المجتمعات الأخرى التي حوله، فيضع الناس أمام مجريات الأمور وما تقتضيه المصلحة^(٢).

هذا، ويرى عليه السلام أنّ من الخطباء «مَنْ يقصر مطالعته على بضعة كتب معيّنة كالفقه، أو الآداب، أو الفلسفة، ويعيش منزوياً في إحدى المدارس، لا يستطيع أن يفهم ما يجري في

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢٢.

المجتمع وما يجب عمله، [ف] هو يحتاج إلى حسّ نافذ ينذره بما ينتظر حدوثه في المستقبل، فيتهياً له حتى يقود المجتمع عبره بأمان، فالهداية بغير القدرة على التنبؤ مستحيلة»^(١).

وعلى ما يبدو فإنّ سبب التأكيد الكثير من قبل الأئمة عليهم السلام، على ضرورة إقامة مجالس العزاء الحسينية هو بقاء مبدأ الحسين عليه السلام - الذي قُتِل في سبيل الحقّ - أبد الدهر، وضرورة شهادته مدرسة تعلّمنا دائماً كيفية الانتصار في صراع الحق مع الباطل، وإلا فما نفع بكائنا عليه، ثمّ يذهب كل منّا إلى حال سبيله. لقد أراد أئمة الدين عليهم السلام أن يظلّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مذهباً ومشعلاً دائماً الاتقاد، ومصباحاً من مصابيح الحق، ونداء من طلب الحق وأراد الحرية، وسعوا إلى أن يبقى هذا المنار - منار الحرية والكفاح ضدّ الظلم - شاخخاً تيراً^(٢).

إنّ الخطابة والمنبر الشائعين لدينا كما ينوّه مطهّري في كتابه الآنف الذكر هما وليدا فاجعة كربلاء، التي أوصى الأئمة عليهم السلام والعلماء بإحيائها من خلال إقامة مجالس العزاء لسيد الشهداء، وهي باقية ببركة سيد الشهداء. وهذا الأمر هو ممّا ذهب إليه العقلاء المدركون والمتديّنون، فإنّهم يرون أنّه ما دامت هناك مجالس تعقد باسم الإمام الحسين عليه السلام، وما دام الناس يجتمعون في هذه المجالس، فلماذا لا نستغل هذه الحالة من أجل إحياء فريضة مهمّة وحيوية، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك يصبح للحسين كرسيان: كرسي للثناء والتعزية وإبراز المشاعر نحو المظلوم ضدّ الظالم، والكرسي الآخر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

ومن خلال الطرح السابق يمكن القول: إنّ مرتضى مطهّري ساهم من خلال مؤلفاته بإحداث ثورة عقائدية فكرية اجتماعية إنسانية، ممزوجة بالحرية السياسية

(١) المصدر السابق: ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٢١٨.

والدينية. وكان يرى أن مهمّة إصلاح الأمة الإسلامية التي تقع على مفكرها وولاية أمورها تستوجب ما يلي:

أولاً: الإمام بالثقافة الإسلامية بمختلف علومها.

ثانياً: تجديد التفكير الديني ونقد الذات.

ثالثاً: النظر في أسباب الانحطاط والتخلّف ومراجعة آليات التفكير وسبل العيش.

رابعاً: الحرية هي حرية الفكر والعقيدة والتعبير، ولا تعني المروق عن الدين، أو التعارض مع التوحيد الإلهي؛ لذلك نجدّه ﷺ يرفض عقائد عدّة، قائمة على الوراثة والجهل والتقليد، ومبنية على الميول والأهواء، وبعيدة عن التفكير، ومشمّلة على الغموض المؤدي للتعصب.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ملامح منهجية مرتضى مطهري في تأليف المصادر الآنفة الذكر من وجهة نظر الباحثة كالآتي:

- 1- قام من خلال رؤيته التحليلية - في المقام - بتصحيح الممارسات المغلوطة معتمداً على أسلوب نقدي بناء، وإطار منطقي سليم، ولغة راقية ومتحصّرة.
- 2- اتّبع جانب الموضوعية في دعواته بشأن إصلاح المنبر الحسيني.
- 3- ابتناء تحليلاته على إيمانه وقناعته بضرورة التغيير؛ لذلك تتصف طروحاته بالتجديد.

الخاتمة

يعدّ مرتضى مطهري من أبرز علماء الدين والفلاسفة والمجتهدين في إيران، أسهم بدور كبير في إغناء الفكر من خلال مؤلفاته التي جاوزت الخمسين كتاباً، وخاض في مواضيع كثيرة فلسفية، ودينية، وتاريخية، واجتماعية، وتربوية، وكان ينظر إلى المسائل الاجتماعية بذهنية فلسفية، وبالاستفادة من قدرات تحقيقية هائلة،

وكان أيضاً يُخضع نظرتَه تلك إلى إطار منضبط ومنظّم. دراساته منطلقة من أهداف رسالية من أجل العودة إلى التراث الحقيقي للثورة الحسينية؛ وذلك بُغية تحريك معطياتها الفكرية والسلوكية والعلمية في الواقع الإسلامي العام. كما أنّ واجبه الرسالي هو الذي دفعه لنصرة الحق المتمثل في محاولة إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، وفق المنهجية التي تخدم أهدافه ورسالته لتجعل منه المدرسة الأصيلة التي تحمل هم الإسلام وتسير على خطى أهل البيت عليهم السلام باتجاه الأهداف الإسلامية الكبرى. وأنّ رسالة المنبر الحسيني ودوره الإصلاحي كما يراها مرتضى مطهري لا تقتصر على جانب معيّن دون الآخر، بل إنّها تناولت جميع جوانب الإنسانية سواء في الحياة الدنيا أو الآخرة، ويتضح ذلك من خلال أهمية المنبر في الإصلاح الديني والعقائدي والسياسي والاجتماعي والثقافي. وبالتالي فهو يرى - في المقام - أنّ المنبر الحسيني ليس لسرد حوادث الماضي فحسب، وإنّما للاستفادة من دروس الماضي من أجل صنع الحاضر والمستقبل، وأنّ رسالة المنبر الحسيني تتأكد على مرّ العصور من خلال ما يمثله من أهمية في إصلاح المجتمع المسلم، ومن خلال طروحاته النقدية الرامية إلى بناء المجتمع، وتربية الأجيال وتنشئتهم تنشئةً صالحة؛ ليكونوا سدّاً منيعاً ضدّ أفكار الظلال، والإلحاد، والتكفير، والغلو المؤدية للإرهاب.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١- بين المنبر والنهضة الحسينية، مرتضى مطهري، دار الإرشاد، بيروت - لبنان، ط ١،

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢- تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني، تحقيق: علي أكبر

غفاري، نشر جماعة المدرسين، قم، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

- ٣- جولة في حياة الشهيد مطهري، مجموعة من الباحثين، دار الهادي، بيروت - لبنان، ١٩٩٢ م.
- ٤- مطهري العبقري الرسالي، مجموعة من الباحثين، دمشق، ١٩٩١ م.
- ٥- مقالات حول الثورة الإسلامية، مرتضى مطهري، ترجمة: محمد جواد المهري، طهران، مركز إعلام الثورة، ١٤٠٢ هـ.
- ٦- الملحمة الحسينية، مرتضى مطهري، الدار الإسلامية، بيروت - لبنان.
- ٧- الملحمة الحسينية، مرتضى مطهري، ترجمة السيّد محمد صادق الحسيني، ط ٢، ١٩٩٢ م.

دراسات حسينية

- ◆ موسم الحج ورحلة الفتح الحسيني.. تأملات في الغايات والأبعاد
- ◆ الجود والكف.. العباس عليه السلام في الشعر البحريني المعاصر
- ◆ أثر النشأة الصالحة في بناء الفرد.. أم البنين أنموذجاً

موسم الحجّ ورحلة الفتح الحسيني

تأملات في الغايات والأبعاد

أ. د. هادي عبد النبي التميمي *

المقدمة

أعلن الإمام الحسين عليه السلام في الأشهر الحُرْم ثورته المباركة ضدّ كلّ مظاهر الظلم والاستكبار الأموي، والانحراف الذي طالّ مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، وقد توخّى لثورته (دار هجرة) - إذا صحّ التعبير - فكانت مكة، و(دار نصر) فكانت الكوفة؛ وقد تقبّدت هذه الهجرة إلى مكة بزمانٍ خاصّ توافق مع موسم الحج العبادي، ممّا منح الثورة فرصة (الدعوة العامة) للالتحاق بركبها، وكلّ ذلك وفّر للتحرّك الحسيني أن يكون حدثاً تاريخياً وديناً بامتياز؛ لما تضمّنه من صراع بين محورين، رباني وشرطاني من جهة، وما أنتجه من الاحتفاظ بالقدرة على الإصلاح العقدي والتشريعي من جهةٍ أخرى.

إنّ هذا البحث يخصّ بمقاربة الغايات والأبعاد التي انطوى عليها التحرك الحسيني في موسم الحج، تحديداً من حيث الزمان والمكان، ومن حيث الهدف والبعد العقدي والاجتماعي والسياسي، إذ تستطيع القراءة المتأنّية لتاريخ الثورة الحسينية أن تسجّل العديد من التساؤلات على وفق المعطيات التاريخية والدينية، وقد حاولنا من خلال البحث والتقصّي الإجابة عن بعض ما يخصّ عنوان البحث منها.

* دكتوراه في التاريخ الإسلامي، عميد كلية العلوم الإسلامية - الجامعة الإسلامية/ النجف الأشرف.

يتكوّن البحث من خمسة محاور، تضمّنت هذه المحاور عدداً من الاستفهامات التاريخية والفقهية التي ستلّمس الإجابة عنها في صفحات هذه الدراسة المتواضعة، وذلك فيما يرتبط بالموضوعات المدرجة أدناه:

- طلب البيعة من الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنورة.
- مسوّغات هجرة الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة.
- تحرّكات الإمام الحسين عليه السلام في مكة.
- مغادرة الإمام الحسين عليه السلام لمكة يوم التروية (الأسباب الموضوعية والبُعد العقدي).
- الرأي الفقهي في خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة قبل تأدية مناسك الحج.

١- طلب البيعة من الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنورة

بُوع ليزيد بن معاوية بعد هلاك أبيه في رجب من سنة (٦٠هـ)^(١)، فكتب إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان^(٢) بأخذ البيعة من أهل المدينة عامّة والإمام الحسين عليه السلام خاصّة^(٣)، فأنفذ الوليد بن عتبة - بعد وصول كتاب يزيد إليه - إلى الحسين عليه السلام في الليل، فاستدعاه^(٤) لبياع خشية أن يعلم بموت معاوية، فيُظهر

(١) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٥٦.

(٢) ولي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب المدينة بعد عزل مروان بن الحكم عنها سنة (٥٧هـ)، وقد غضب عليه يزيد بن معاوية بعد أن فشل في إجبار الإمام الحسين عليه السلام على البيعة فعزله، ثم أعاده على المدينة سنة (٦١هـ)، ثم عزله سنة (٦٢هـ) إبان تحرّك عبد الله بن الزبير في مكة، أرادته أهل الشام على الخلافة بعد موت معاوية الثاني بن يزيد، فطعن فمات. للمزيد أنظر: ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٣، ص ٢٠٦ - ٢١٢. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٥٣٤.

(٣) أنظر: البُعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ البُعقوبي: ج ٢، ص ٢٤١. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٣٧ - ٢٣٨. سبط بن الجوزي، يوسف، تذكرة الخواص: ص ٥١٢.

(٤) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٢.

الخلاف والمناظرة والدعوة إلى نفسه قبل إتمام بيعة يزيد في المدينة^(١).

وتصوّر بعض المصادر جواب الإمام الحسين عليه السلام لوالي المدينة على طلب البيعة بأنّه كان بمثابة طلب الإمهال، إذ قال عليه السلام: «أما ما سألتني من البيعة، فإنّ مثلي لا يُعطي بيعته سرّاً، ولا أراك تجتريّ بها منّي سرّاً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية؛ قال: أجل. قال [الإمام الحسين عليه السلام]: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة، دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً. فقال له الوليد - وكان يُحب العافية -: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس. فقال له مروان: والله، لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، إحبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام، فقال: يابن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت. ثمّ خرج...»^(٢).

بينما تذكر مصادر أخرى أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد رفض البيعة مباشرة، وأنّ عامل يزيد على المدينة حينها عمّه عتبة بن أبي سفيان، فقال: «ما كنت أبايع ليزيد»^(٣)، وقد ورد في رواية الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام عن جدّه الإمام زين العابدين عليه السلام جواب الإمام الحسين عليه السلام لعتبة برفض البيعة، وقد جاء فيه: «يا عتبة، قد علمت أنّا أهل بيت الكرامة، ومعدن الرسالة، وأعلام الحقّ الذي أودعه الله قلوبنا، وأنطق به ألسنتنا، فنطقتْ بإذن الله عزّ وجلّ، ولقد سمعتُ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الخلافة محرّمة على ولد أبي سفيان. وكيف أبايع أهل بيتٍ قد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله هذا؟!»^(٤).

ويبدو أنّ الإمام الحسين عليه السلام تدرّج في رفض البيعة من طلب الإمهال إلى

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق: ج ٥، ص ٢٢٨ - ٢٢٩. وأنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٣.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٠.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢١٦.

الرفض القاطع على وفق متطلبات الموقف مع والي المدينة، كما يتبيّن ذلك من رواية ابن طاووس التي فضّلت في استدعاء الوليد بن عتبة للإمام الحسين عليه السلام، وعرض بيعة يزيد عليه، فقال عليه السلام: «إن البيعة لا تكون سرّاً، ولكن إذا دعوت الناس غداً فادعنا معهم. فقال مروان: لا تقبل أيها الأمير عذره، ومتى لم يبايع فاضرب عنقه. فغضب الحسين عليه السلام... فقال: أيها الأمير، إنّ أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجلٌ فاسقٌ، شاربٌ الخمر، قاتلٌ النفس المحرّمة، ملعنٌ بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقُّ بالخلافة والبيعة؟»^(١) ثم خرج الإمام الحسين عليه السلام.

وقد يكون من ضمن مسوّغات الموقف الأوّل للإمام الحسين عليه السلام - وهو إرجاء موقفه من بيعة يزيد حتى يجتمع أهل المدينة - إلقاء الحجّة على الناس بعدم صلاحية يزيد لمنصب الخلافة، وتذكيرهم بحق أهل البيت عليهم السلام، إلّا أنّ تهديد مروان العنيف بقتل الإمام الحسين عليه السلام قد حال دون هذه الخطوة، فأعلن رفضه المباشر لبيعة يزيد، ثمّ أعدّ مباشرةً للخروج من المدينة إلى مكة المكرمة، ليفوّت الفرصة على والي المدينة وعتاة الأمويين فيها من التدبير لأيّ عملية اغتيالٍ تطاله؛ تنفيذاً لأوامر يزيد^(٢)، وتمنعه من اللقاء بالجمهور الأكبر في مكّة المكرمة، ممّا يوفّر له تعبئة وإعداد أكبر للناس ضدّ هذه البيعة النكراء؛ فخرج الإمام الحسين عليه السلام لليلتين بقيتا من رجب سنة (٦٠ هـ) باتجاه مكة^(٣).

كان الإمام الحسين عليه السلام يريد أن يكون زمام المبادرة بيده هو لا بيد أعدائه، فهو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو الذي ينهض، وهو الذي يتحرّك، وهو الذي يقرّر، وهو الذي يحدّد قدر الإمكان طبيعة المواجهة... كان عليه السلام لا يريد أن

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٧.

(٢) أنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٨.

(٣) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٤.

يظلّ متخفياً حتى يأتوا إليه ليعتقلوه أو يقتلوه، ولا يريد أن تكون حركته صدئاً لحركتهم^(١).

٢. مسوغات هجرة الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة

عندما أمر الله تعالى المؤمن بمقاومة الباطل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، علم أنّ بعض الظروف قد لا تسمح للإنسان بالمقاومة، ولا تعينه على الصمود؛ فأذن الله لعباده بالهجرة من الأرض التي يُفتنون فيها، أو يخشون فيها على دينهم، ويكون فيها الابتلاء عظيماً، وربّما يصل الحكم في بعض الأحيان إلى وجوب الهجرة من مثل هذه الأرض^(٢) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٣)، فالحق والعدالة ليسا حكراً على أرضٍ دون أخرى، مثلما أنّ الأراضي ليست واحدة في تقبّل الدعوة، فما يواجه بالصدّ في بلدٍ ما قد يواجه بالترحيب في بلدٍ آخر^(٤)، وعلى الإنسان الرسالي أن يختار الأرض المناسبة التي تحتضن دعوته وتتلقاها بالقبول، فقد هاجر نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهاجر موسى عليه السلام منفرداً ومجتمعاً مع قومه، وهاجر نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة، فكانت هجرته «حدثاً تاريخياً فاصلاً، ودرساً سياسياً كبيراً في ضرورة المناورة واستغلال الأقاليم والأقطار في نشر الدعوة وتأسيس النظام»^(٥).

وعندما ضاقت أرض المدينة بالإمام الحسين عليه السلام، خرج منها إلى مكة على مثل

(١) أنظر: فرج، مرتضى، قراءة في نهضة الإمام الحسين، وقائع مؤتمر الإصلاح الحسيني: ج ١، ص ٣٩٢.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان: ج ٥، ص ٣١٥ - ٣٢٠. الزنجشيري، محمود بن عمر، الكشاف: ج ١، ص ٥٥٧. الشريف، محمد رضا، الأصول النظرية للدولة: ص ١٣١.

(٣) النساء: آية ٩٧.

(٤) أنظر: الشريف، محمد رضا، الأصول النظرية للدولة: ص ١٣٠.

(٥) المصدر السابق: ص ١٣١.

حال موسى عليه السلام ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، ولم يكن هذا الأمر رضوخاً لحال الخوف على نفسه من الاغتيال، بل تأسياً بقول نبي الله موسى عليه السلام الذي «أشفق من غلبة الجهال، ودؤل الضلال»^(٢).

وقد اختار الإمام الحسين عليه السلام مكة المكرمة مكاناً لهجرته، ودعوته إلى الثورة على ظلم بني أمية لعدة مسوغات، منها:

١- أن مكة هي الحرم الإلهي الآمن وفقاً للعديد من الآيات القرآنية، كقوله تعالى:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا...﴾^(٣)، وقوله عزّ من قائل: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنَخِّطُفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الزَّيْبَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِن عَذَابِ الْعِبرِ﴾^(٥).

وقد وقف النبي صلى الله عليه وآله بوجه أيّ تأويلٍ لاستحلال حرمتها فقال: «إِنَّ مكة حَرَمُهَا اللهُ تعالى ولم يَحْرِمها الناس، ولا يحلُّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، أو يعضد بها شجرة، فإن أحدٌ ترخَّص لقتال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسوله (صلى الله عليه وآله) فيها فقولوا له: إن الله أذن لك، وإننا أذن لي فيها ساعةً من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد

(١) القصص: آية ٢١. وكان الإمام الحسين عليه السلام يتلو هذه الآية عندما سار إلى مكة.

(٢) نهج البلاغة، خطبة رقم ٤: ص ٣٩. وقد ذكر العلامة الطباطبائي أنّ الخوف هنا يعني: «الأخذ بمقدمات التحرز عن الشر، غير الخشية التي هي تأثر القلب واضطرابه... والأنبياء عليهم السلام يجوز

عليهم الخوف دون الخشية...». الطباطبائي، محمد حسين، الميزان: ج ١٦، ص ١٤٤.

(٣) البقرة: آية ١٢٥.

(٤) القصص: آية ٥٧.

(٥) الحج: آية ٢٥.

الغائب»^(١)، وأكد في آخر حجّة له ﷺ قدسية المكان والشهر الحرام^(٢).

وبناءً على ما تقدّم من الأمر الإلهي والنبوي باحترام قدسية مكة، والعرف السائد بذلك، فإنّها تمنح اللائذ بها - ولا سيّما في الأشهر الحرم - حصانةً ومنعةً، فهي حرم الله، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(٣)، كما يقول الله تعالى، ومن ثمّ فهي المكان المناسب لهجرة الإمام الحسين عليه السلام، المهتدّ بالقتل إن لم يبايع، فحرماتها تمنع السلطة الأموية «من إعلان الحرب فيها أو الغدر به، وبهذا سوف يكون آمناً على الأقلّ حتى قدوم أمير الحاج»^(٤).

٢- مركزية مكة، وتتمثّل هذه المركزية بالمحورين الآتين:

أ- إنّ مكة هي المكان العام لإعلان المواقف والتبليغ، كما جرى في عهد النبي ﷺ عندما أرسل الإمام علي عليه السلام لتبليغ سورة براءة، وإعلان البراءة من المشركين بعد ذلك العام^(٥).

ب- إنّ مكة هي المكان الوحيد من العالم الإسلامي كلّ الذي يجمع في موسم الحج عدداً كبيراً من المسلمين رجالاً ونساءً، ومن مختلف الطبقات والشرائح الاجتماعية، ممّا يضمن لصاحب الثورة أن تصل دعوته لمسامع هؤلاء، بما يقطع عذر المعتذر منهم من جهة، ويؤمن لثورته المباركة إعلامياً أن يستمرّ صوتها صادحاً في مختلف الأقطار، عبر تناقل خبر النهوض والتحرّك من جهة ثانية، فهي أنسب محطة لرجل أراد أن يبدأ انطلاقه الكبير بإيصال صوته لكلّ الناس، وبيان هدفه الرسالي من الثورة.

٣- إنّها المكان الذي اجتمع عليه رأي الإمام الحسين عليه السلام ريثما يتبيّن له الموقف،

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي (الجامع الصحيح): ج ٢، ص ١٥٢.

(٢) أنظر: ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه: ج ٢، ص ١٠٢٢.

(٣) آل عمران: آية ٩٧.

(٤) المصلي، عبد العزيز بن سعيد، اتفاق الحسن وكره بلاء الحسين عليه السلام: ص ١٠٨.

(٥) أنظر: نجاد، محمد منصور، العقل ودوره في صيانة النهضة الحسينية، بحث منشور في مجلة الإصلاح الحسيني، مؤسسة وارث الأنبياء (مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

سابقاً)، العدد ٢: ص ٨٤ - ٨٥.

ويلقي الحجّة على كافّة أبناء الأُمّة الإسلامية المتواجدين في موسم الحج بمكة، فضلاً عن رأي مَنْ استشارهم^(١)، وبذلك صرح عندما قال عليه السلام: «وإني قد عزمْتُ على الخروج إلى مكة، وقد تهيأتُ لذلك أنا وإخوتي وبنو إخوتي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي...»^(٢)، وكانت تلك هي نصيحة أخيه محمد بن الحنفية، مفضلاً مكة على غيرها من الأمصار؛ لأمانها، ولأتمّها توفر للإمام الحسين عليه السلام حرية التحرك والتصرّف ودعوة الناس، فقال له: «يا أخي... تنحّ بتبعتك عن يزيد بن معاوية، وعن الأمصار ما استطعت، ثمّ ابعث رسلك إلى الناس، فادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك، لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار، وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفةٌ معك، وأخرى عليك فيقتتلون، فتكون لأوّل الأستّة، فإذا خير هذه الأُمّة كلّها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً... فانزل مكة، فإنّ اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك، وإن نَبْتُ بك لحقت بالرمال، وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد، حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي»^(٣).

وبالفعل فقد كانت مكة مكاناً آمناً - نسبياً - مكث فيه الإمام الحسين عليه السلام ريثما تبيّن الموقف، وتلقّى فيها دعوة الكوفيين^(٤)، وهي المكان الأوّل الذي انبرى للنصرة، فتحرك الإمام عليه السلام بخطوات متأبّية لاختبار موقفهم بهذا الاتجاه.

إنّ سرعة الانتقال إلى مكة فوّتت الفرصة على بني أُمية لكتمان صوت الإمام الحسين عليه السلام، أو التعمية على قضيتّه عبر إجباره على البيعة، أو اغتياله في المدينة المنورة،

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٨٥.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٢١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج ٥، ص ٢٣٠. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين: ج ١، ص ٢٧٢.

(٤) أنظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤١ - ٢٤٢. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج ٥، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

فإن إرباك السلطة بسرعة انتقاله إليها، وتواصله مع جموع الوافدين إليها من مختلف الأقطار حجاجاً ومعتمرين، استلزم من السلطة الأموية التي كانت في فترة انتقالية - إذا صحَّ التعبير - أن تتأني فيما ينبغي أن تتخذه من تدابير بشأنه.

٣- خطوات الإمام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة

خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة ليومين بقيا من رجب^(١)، ووافى مكة في الثالث من شعبان سنة (٦٠هـ)^(٢)، فنزل بأعلاها، وضرب هناك فسطاطاً ضخماً، ثم تحوّل إلى دار العباس بن عبد المطلب^(٣)، وفرح به أهلها فرحاً شديداً، وجعلوا يخلّفون إليه بكرةً وعشية^(٤)، ويأتونه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق^(٥)، فكانوا يجتمعون عنده حلقةً حلقةً^(٦)، ويستمعون كلامه^(٧).

أراد الإمام الحسين عليه السلام في مكة أن يلفت النظر إلى قيامه ودوافع ذلك القيام وأهدافه، وأن يستعرض المواقف العامّة للناس، ويشدّ اهتمامهم^(٨)، ولم يُحْفِ - طيلة الأربعة أشهر التي أقام فيها في مكة، من ٣ شعبان وحتى ٨ ذي الحجة - نيّته على الثورة ضدّ يزيد؛ بدليل أنه عليه السلام تلقّى نصائح عدد من وجهاء الأمة المشفقين عليه من

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٢٩. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٤. ومن الملاحظ أنّ هذا التاريخ يتوافق منطقياً مع تاريخ هلاك معاوية في الخامس عشر من رجب، ومدّة وصول البريد إلى المدينة بموته وبيعة يزيد، وبقاء الإمام الحسين عليه السلام على مدى ليلتين في المدينة يقلّب الأمور، ويفكر في الأمر، حتى عقد العزم على الخروج من المدينة إلى مكة.

(٢) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٥.

(٣) أنظر: الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين: ج ١، ص ٢٧٧.

(٤) أنظر: ابن أعمش الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٢٣.

(٥) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٣٦.

(٦) أنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٢٩.

(٧) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٦٢.

(٨) أنظر: جعفر، صادق، المشروع الاستراتيجي للنبي وأوصيائه: ص ٢٥٠.

الخروج على يزيد؛ مخافة قتله وفشل ثورته^(١).

ولا شك في أن الأيام المائة وخمسة وعشرين التي قضاها في مكة، والتي تشكل الفترة الأطول من عمر النهضة الحسينية المقدّسة، قد حفلت بكثير من الاتصالات واللقاءات، والمحاورات والمراسلات، وأنشطةٍ أخرى غيرها كان الإمام الحسين عليه السلام قد قام بها، ومن المؤسف أن التاريخ لم يُسجّل عن هذه الأيام المكيّة إلا ملاحظاتٍ عامّةً غصّت الطرف وأغمضته عن كثير من التفاصيل التاريخية^(٢).

ومهما يكن من أمرٍ فلا شك في أن الفترة التي قضاها الإمام الحسين عليه السلام في مكّة هي فترةٌ استثنائيةٌ في حياة مكّة المكرمة بالذات، فهي أيام الموسم العبادي الكبير (الحج)، الذي يشهد وفود المعتمرين والحجاج في الأشهر المباركة، ومن ثمّ كان للإمام الحسين عليه السلام متّسع من الوقت لإعلان قضيته، وبيان أحقيّته بالخلافة، وأولويّته بقيادة الأمّة من يزيد^(٣)، وتّما يدفعنا إلى ترجيح القول باحتمال قيام الإمام الحسين عليه السلام بحركة اعتراضٍ واسعةٍ على مساوئ بني أميّة عامّة، ويزيد بصورةٍ خاصّة، ما روته بعض المصادر عن نشاطه عليه السلام قبل هلاك معاوية بستين، وفي المكان والزمان ذاته، إذ حجّ الإمام الحسين عليه السلام، وقد جمع ودعا بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم، من حجّ منهم ومن لم يحجّ، ومن الأنصار ممن يعرفونه وأهل بيته، ثمّ لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أبنائهم والتابعين، ومن الأنصار المعروفين

(١) ومنهم: عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن جعفر، عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، زرارة بن صالح، وغيرهم. أنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٢٩، وص ٣٦٠ - ٣٦١. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٥٨ - ٢٥٩. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) أنظر: الطيبي، نجم الدين، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة (الإمام الحسين في مكة): ج ٢، ص ١٧ - ١٨.

(٣) أنظر: المصلي، عبد العزيز بن سعيد، اتفاق الحسن وكره بلاء الحسين عليه السلام: ص ١٠٨.

بالصلاح والنسك إلا جمعهم، فاجتمع عليه بمنى سبعمائة رجل في رواية^(١)، أو أكثر من ألف رجل في رواية أخرى^(٢)، والإمام الحسين عليه السلام في سرادقٍ، عامتهم التابعون وأبناء الصحابة، فقام الإمام الحسين عليه السلام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «فإن الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإني أريد أن أسألكم عن أشياء، فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمتهم ووثقتهم به، فادعوهم إلى ما تعلمون، فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متم نوره ولو كره الكافرون. فما ترك الحسين شيئاً أنزل الله فيهم [أهل البيت] من القرآن إلا قاله وفسره، ولا شيئاً قاله الرسول في أبيه وأمه وأهل بيته إلا رواه... ثم قال: أنشدكم بالله إلا رجعتم وحدتكم به من تثقون به»^(٣).

فإذا كانت هذه الخطبة بما فيها من محظورات - تمثلت بالدعوة إلى حق أهل البيت عليهم السلام في الحكم، ورواية أحاديث النبي صلى الله عليه وآله بتقديمهم وتفضيلهم، وذكر مساوئ معاوية وتجاوزاته - قد أعلنها الإمام الحسين عليه السلام في السنتين الأخيرتين من حكم معاوية، المعروف بقوة جهازه القمعي، فكيف سيكون نشاط الإمام الحسين عليه السلام في الموسم والمكان ذاته، بجمع تلك الأعداد الغفيرة من الوافدين إلى مكة، وفي فترة حساسة من عمر الدولة الأموية التي شهدت موت طاغيتها معاوية، وانتقال السلطة إلى من لا يمثله طغياناً ودهاءاً؟! لا شك في أنه سيكون نشاطاً أكبر على مستوى اللقاءات والمحاورات والمراسلات؛ ودليل ذلك تواصل الإمام الحسين عليه السلام مع شيعته من أهل الكوفة والبصرة، عبر اللقاءات وإرسال رسائل الدعوة لهم لنصرة

(١) أنظر: سليم بن قيس، كتاب سليم: ص ٣٢٠.

(٢) أنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٨.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٩.

الثورة^(١)، وانضمام عددٍ من أهل هذين المصرين لركب الثورة الحسينية، وهو لا يزال في مكة^(٢).

إنَّ الفترة الزمنية التي أمضاها الإمام الحسين عليه السلام في مكة كانت كافيةً لتقييم وضع الأمصار الإسلامية إزاء ثورته المباركة، وكان بقاؤه في مكة إلى يوم التروية فرصةً مؤاتيةً لمن أراد الالتحاق به من مختلف الأماكن والبلدان؛ إذ إنَّ قوافل الحجاج في توافدٍ مستمر، ولا يمكن تمييز مَنْ يدخل مكة بهدف نصرته الإمام الحسين عليه السلام أو الحج. وقد يُثار تساؤلٌ مشروعٌ عن السرِّ في إمهال السلطة الأموية للإمام الحسين عليه السلام طيلة فترة الأربعة أشهر التي مكثها في مكة، وعدم معالجته أو القضاء عليه، على الرغم من تصريح الإمام عليه السلام برفض بيعته يزيد وخلافته؟ وقد يبدو التساؤل أكثر منطقيةً وجديّةً إذا ما أضفنا إليه أنَّ السلطة الأموية قد أُحيطت علماً بتحركات الإمام الحسين عليه السلام، وربما تكون قد وقفت على مكاتباته لأهل العراق على الرغم من توخّي الإمام الحسين عليه السلام السريّة في ذلك^(٣)، ناهيك عن كثرة المختلفين إليه من الناس في مكة، ممّا يشكل خطراً ماثلاً للعيان.

وللجواب عن ذلك نقول:

• إنَّ السياسة الأموية هي ذاتها في المدينة وفي مكة، فقد جرت سُنّة الأمويين أن يكون تخيير الإمام الحسين عليه السلام في مكة - كما في المدينة - بين البيعة أو القتل، فلمّا يئست السلطة الأمويّة من أمر البيعة اتّخذت قرارها بتنفيذ خطّة الاغتيال.

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٣٨. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٢٩ - ٣١. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٩. ابن نما الحلّي، جعفر بن محمد، مشير الأحزان: ص ١٥ - ١٦.

(٢) أنظر لقائمة من أسمائهم في: الطبري، نجم الدين، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة (الإمام الحسين في مكة): ج ٢، ص ٣٨١ - ٣٩٢.

(٣) يتبيّن هذا من وصيته عليه السلام لمسلم بن عقيل بكتمان أمره إذا ما وصل الكوفة. أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٣٨. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٩.

• إن إمهال الإمام الحسين عليه السلام لم يكن أمراً اختيارياً من السلطة الأموية، بل هو وضعٌ أُجبرت عليه بفعل خطوة الإمام الحسين عليه السلام المدروسة والذكية بتعجيل التوجّه إلى مكة، والاندماج مع المسلمين الذين قدموا من كل أقطار العالم الإسلامي، والذين أسرعوا لزيارته والالتفاف حوله، فالسلطة لا تستطيع - إزاء هذا الوضع - أن تُسفر عن وجهها القبيح بهذه السرعة باعتقال الإمام الحسين عليه السلام أو قتله علانيةً، في مكان وزمان خاصٍ جداً، دون أن يكون لها عذر مقبول أمام هذا الجمهور الكبير، فلما توفّر هذا العذر بسريان دعوة الإمام الحسين عليه السلام إلى معارضة بيعة يزيد، صار التعجيل بإيقاف ذلك من الأمور المصيرية التي لا تحتمل التأجيل بالنسبة للسلطة الأموية، ولكن هذه المرّة أحرزت أمام الجميع أنّها منحت الإمام الحسين عليه السلام الفرصة ليدخل فيما دخل فيه المسلمون من بيعة الخليفة الجديد، لا سيّما وأنّها لا تزال آخذةً بأزمة الأمور في جميع الأمصار الإسلامية.

٤ - مغادرة الحسين عليه السلام لمكة يوم التروية (الأسباب الموضوعية والبُعد العقدي)

اختلفت المصادر في ذكر تاريخ خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق، فمنها ما ذكرت اليوم الثالث من ذي الحجة^(٤)، ومنها ما ذكرت اليوم السابع من ذي الحجة^(٥)، ومنها ما ذكرت أنّ الثامن من ذي الحجة كان موعداً لخروجه عليه السلام من مكة^(٦)، والأشهر من هذه التواريخ هو اليوم الثامن من ذي الحجة^(٧)، وهو يوم مغادرة الحجيج إلى منى، والراجح أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد خرج في هذا اليوم من

(٤) أنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٤٢.

(٥) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٣٥. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٢، ح ١٨٤.

(٦) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٥٧. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٦٩. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٦٦.

(٧) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٧٢.

مكة إلى العراق^(١)، بعد أن أقام في مكة بقية شعبان، وشهر رمضان، وشوالاً، وذا القعدة، وثمانى ليالٍ خلون من ذي الحجة^(٢).

وتقف وراء خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة أسباب، عدّة أهمّها:

١- لم تكن مكة مكاناً مناسباً لإقامة الإمام الحسين عليه السلام فيها بعد انقضاء الشهر الحرام وموسم الحج الذي أوشك على الانتهاء، فهي تحت السيطرة المباشرة لوالي يزيد، ممّا يجعل الإمام الحسين عليه السلام تحت أعين السلطة ومراقبتها، إن لم يكن تحت ضغط تهديدها بإعطاء البيعة التي رفضها الحسين عليه السلام في المدينة.

٢- إن المجتمع المكي معروف بولائه، فهو قرشي أموي^(٣)، ومعظمه من أبناء الطلقاء أو المتورين من آل علي عليه السلام، وقد سبق أن أهل مكة أبوا أن يبايعوا الإمام علياً عليه السلام في أوّل خلافته^(٤)، وكانت أوّل مكان تجمّع فيه معارضوه الذين ادّعوا المطالبة بثار عثمان بن عفان، وهم: عائشة، وطلحة، والزبير، ومن انضمّ إلى دعوتهم من ولاة عثمان الذين عزلهم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وعدد من أهلها، ثمّ خرجوا لحربه في معركة الجمل سنة (٣٦هـ) في البصرة^(٥)، فضلاً عن أن بعض أهلها قد انضمّ إلى

(١) يتبين ذلك من رسالة الإمام الحسين عليه السلام الثانية إلى أهل الكوفة، وقد جاء فيها: «وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضيّن من ذي الحجة يوم التروية». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٦٦. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٧٠.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٦٦.

(٣) وصف ابن أبي الحديد أهل مكة بأنهم كانوا كلّهم يبغضون أمير المؤمنين الإمام علياً، وبالأوون بني أمية، ومع أنّه وصف قديكون مبالغاً فيه، إلّا أنّه يلقي ضوءاً على ولاء أهل مكة. أنظر: شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٨٠.

(٤) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٢١١.

(٥) أنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، الجمل وصفين: ص ٩٧، وص ٢٠٩ - ٢١٠. البلاذري، أحمد ابن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٢٢١ وما بعدها. الثقفى، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج ٢، ص ٢٩٥. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٨٢. المفيد، محمد بن محمد، الجمل: ص ٢٣١ - ٢٣٢، وص ٣٦٤، وص ٣٩٣ - ٣٩٤. الحسنائي، ختام راهي، العثمانية في عهد الإمام علي (دراسة تاريخية)، بحث منشور في مجلّة الكلية الإسلامية الجامعة: العدد ٦، ص ٧٠ - ٧١.

معاوية أو لحق به، وحضروا معه صفين ضدَّ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام^(١)، فلا يظهر من ذلك أن يتحقَّق أيُّ تعاطفٍ جدِّي منهم مع ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ولم تكن مكة على وفق ذلك مؤهَّلةً لاحتضان الثورة وتحقيق غاياتها البعيدة.

٣- إنَّ تخطيط السلطة الأموية لتنفيذ أمر يزيد بن معاوية باغتيال الإمام الحسين عليه السلام، كان من أهمِّ الأسباب التي دَعَت الإمام الحسين عليه السلام للخروج مسرعاً؛ لما في ذلك من انتهاك حرمة وليِّ الله ووصيِّه من جهة، ولما في بقائه من احتمال نجاح الأمويين بتنفيذ خطة الاغتيال التي يبدو أنَّها وصلت إلى شوطها النهائي^(٢)، وما في ذلك من انتهاك حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام^(٣) من جهةٍ أُخرى، فكان على الإمام الحسين عليه السلام الحفاظ على ذاته المقدَّسة؛ لأداء ما محمَّل من رسالة وأمانة، وقد صرَّح الإمام الحسين في أكثر من نصٍّ بنية بني أمية على قتله في مكة دون رادع، ودون مراعاة لقدسيَّتها، فقال لأخيه محمد بن الحنفية: «قد خفتُ أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يُستباح به حرمة هذا البيت»^(٤).

وقال لعبد الله بن الزبير: «والله، لئن أُقتل خارجاً منها بشيرٍ أحبَّ إليَّ من أن أُقتل داخلًا منها بشيرٍ، وأيم الله، لو كنت في حجر هامةٍ من هذه الهوام لاستخرجوني حتَّى

(١) أنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٥٤. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٢٧٧ وما بعدها. أبو مخنف، لوط بن يحيى، الجمل وصفين، ص ٥٣٤-٥٣٥. الثقفى، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج ٢، ص ٤٢٩. رسالة عقيل بن أبي طالب لأمر المؤمنين الإمام علي عليه السلام في أعقاب معركة صفين، التي يبيِّن فيها انضمام عددٍ من أبناء الطلقاء في مكة إلى صفِّ معاوية.

(٢) يتبيَّن ذلك من جواب الإمام الحسين عليه السلام للفرزدق عندما سأله عن الخروج قبل الحج، فقال الإمام عليه السلام معبراً عن هذا المغزى: «لو لم أعجل لأخذت». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٦٠. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٦٧.

(٣) قال الإمام الحسين عليه السلام: «إنَّ أبي حدثني أنَّ بها [مكة] كبشاً يستحلُّ حرمتها، فما أحبُّ أن أكون أنا ذلك الكبش». أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين: ص ٦٦. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٥٩.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٣٩-٤٠.

يقضوا في حاجتهم، ووالله، ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت»^(١)، أو قوله عليه السلام: «لئن أقتل بمكان كذا وكذا أحبُّ إليّ من أن يُستحلَّ بي حرم الله ورسوله»^(٢).

فكما أن البقاء في الحرم له مبرراته ومميزاته، كذلك له موانعه ومحاذيره، وهي هتك حرمة البيت والحرم^(٣).

ولنا أن نساءل عن السبب الذي دفع يزيد إلى توجيه الأمر إلى والي مكة عمرو ابن سعيد بن العاص الأشدق^(٤) بقتل الإمام الحسين عليه السلام غيلة^(٥) في مكة المكرمة، والإقدام على المخاطرة في بداية حكمه بمثل هذا العمل، على ما فيه من المحاذير؟

وللجواب عن ذلك نقول: إن مباغته الإمام الحسين عليه السلام وتحركه السريع نحو مكة مثل خطأ واقعياً على خلافة يزيد واستقرارها، استلزم مواجهته؛ إذ إن إقبال الناس على الإمام الحسين عليه السلام واستماعهم إليه ينذر بحراجة الموقف إذا ما وجد الإمام الحسين عليه السلام أذناً صاغية من هؤلاء، وهو ينتقد حكم بني أمية وتسلطهم وظلمهم، وإن إعلان الإمام الحسين عليه السلام لمعارضته للدولة الأموية وسكوتها عنه قد يُغري آخرين بتمثل الموقف نفسه إذا ما وجدوا تهاوناً في قمعه وردعه، فضلاً عن أن الإمام الحسين عليه السلام يمتاز بخصائص وميزات دينية وأسرية وذاتية مقارنةً بيزيد بن معاوية، تستلزم النظر إليه بوصفه أكثر أهليةً من يزيد؛ مما يهدد شرعية شخص الحاكم الأموي،

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين: ص ٦٧. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٤٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٥٩.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١٢٠.

(٣) أنظر: المصلي، عبد العزيز بن سعيد، اتفاق الحسن وكره بلاء الحسين عليه السلام: ص ١٣٤.

(٤) عمرو بن سعيد الأشدق، من سادة بني أمية، استخلفه عبد الملك بن مروان على دمشق لما سار إلى العراق، فوثب في دمشق وبايعه الناس، فلما توّطدت العراق لعبد الملك رجع وحاصر عمراً في دمشق، وأعطاه أماناً مؤكداً، ثم غدر به وقتله. أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٤٩.

(٥) أنظر: المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين: ص ١٦٥.

ويجعل اعتراضه ذا بُعدٍ عقدي، فضلاً عن بعده السياسي والاقتصادي والاجتماعي. بقي أن نقف عند زمان مغادرة الإمام الحسين عليه السلام، وهو يوم التروية (الثامن من ذي الحجة)، وعدم تربيته بضعة أيام ريثما يُتمّ مناسك الحج كبقية الناس، لنستشفّ أسباب وأبعاد هذا الفعل التي تمثلت بما يأتي:

لقد تحرّك الإمام الحسين عليه السلام قبل عرفة بيومٍ واحد، وقد ارتدى الإحرام كبقية الحجاج، فظنّ الناس أنه سيتوجّه لأداء مراسم الحج معهم، لكنّه فاجأ الجميع بأن أدّى العمرة، وأحلّ إحرامه، وغادر مكة مسرعاً؛ ليفوّت على الأمويين نجاح مؤامرتهم التي كانت تستهدف حياته، في الحال الذي لا يمكنه دفع ذلك وهو في لباس الإحرام مجرداً من السلاح، وفي الساعات العبادية التي يكون الإنسان فيها آمناً مطمئناً^(١)، فقد قرّر الفاسق أن يقتله أينما وجده^(٢)، إذ يتمكنّ الأمويون أن يدعوا أنّهم بريؤون ممّا جرى على الإمام عليه السلام، لأجل أن يحافظوا بذلك على الإطار الديني لحكمهم، أو أن تزداد المصيبة سوءاً حين يُطالبون بدم الإمام الحسين عليه السلام، فيقتلون من أمره بقتله، أو يتهمون بريئاً بقتله فيقتلونه، ويخدعون الناس بادّعائهم أنّهم أصحاب دمه، الآخذون بثأره، فيزداد الناس انخداعاً بهم، ومحبةً لهم، وتصديقاً بما يتظاهرون به من التدين والالتزام، فتكون المصيبة على الإسلام والأمة الإسلامية أدهى وأمر^(٣).

(١) للوقوف على هذا المعنى أنظر في رسالة عبد الله بن عباس ليزيد بن معاوية بشأن الظروف التي رافقت حركة الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق، فقال: «وما أنس من الأشياء، فلست بناس إطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقب... ثم إنك الكاتب إلى ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال، وأمرته بمعاجلته وترك مطاولته». اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٤٩.

(٢) أنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين: ص ٦٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٥٩.

(٣) أنظر: الطبري، نجم الدين، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة (الإمام الحسين في مكة): ج ٢، ص ٩٠.

٥- الرأي الفقهي في خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة قبل تأدية شعائر الحج

اختلفت الأوساط الفقهية قديماً وحديثاً في تفسير خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة يوم التروية دون أن يُتمَّ حجّه، ونجم هذا الاختلاف عن تعارض بعض النقول التاريخية مع المروي من حديث بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن، ويمكن أن نقسّم هذه الآراء إلى قسمين على النحو الآتي:

الرأي الأول

إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد بدّل في اليوم الثامن من ذي الحجة إحرامه من الحج وعمرة التمتع إلى العمرة المفردة؛ اعتماداً على ما ورد لدى عددٍ من المؤرّخين وأرباب المقاتل مثل:

• قول الشيخ المفيد (ت ١٣٤ هـ): «إنّه «لما أراد الحسين عليه السلام التوجّه إلى العراق، طاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، وأحلّ من إحرامه، وجعلها عمرة؛ لأنّه لم يتمكّن من تمام الحج؛ مخافة أن يُقبض عليه بمكة...»^(١).

• قول ابن الفثال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ): «وأحلّ من إحرامه، وجعلها عمرة؛ لأنّه لا يتمكّن من إتمام الحج»^(٢).

• قول الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ): «لما أراد [الحسين] الخروج إلى العراق طاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، وأحلّ إحرامه، وجعلها عمرة؛ لأنّه لم يتمكّن من إتمام الحج؛ مخافة أن يُقبض عليه بمكة»^(٣).

وقد عضّد بعض الباحثين^(٤) هذا الرأي بما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام في نيّة

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٦٧. أنظر: ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص ٢٧.

(٢) النيسابوري، محمد بن الفثال، روضة الواعظين: ص ١٧٧.

(٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ١، ص ٤٤٥.

(٤) أنظر: الدعمي، صلاح عودة، الأحكام الشرعية في النهضة الحسينية: ص ١٦٥.

الحج إذ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُرِيدُ التَّمَتُّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ عَلَى كِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ، فَإِنْ عَرَّضَ لِي شَيْءٌ يَجْبُسُنِي فَحُلِّنِي حَيْثُ حَبَسْتَنِي لِقَدْرِكَ الَّذِي قَدَّرْتَ عَلَيَّ، اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ تَكُنْ حَاجَّةً فَعُمْرَةً»^(١).

نستنتج من هذه الرواية أنَّ مَنْ كَانَ مَضْطَرًّا بِجُوزِ لَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْعُمْرَةِ الْمَفْرُودَةِ اضْطِرَّارًا، وَيَتَرْتَّبَ عَلَى هَذَا أَنَّ مَنْ كَانَ بَعِيدًا فَلَا يَجُزُّهُ إِلَّا التَّمَتُّعُ، وَالْحَاضِرُ إِلَّا الْإِفْرَادُ أَوْ الْقِرَانُ، إِذَا كَانَ مَا نَوَاهُ حَجَّةُ الْإِسْلَامِ، أَمَّا الْحَجُّ النَّدْبِيُّ فَيَجُوزُ لِكُلِّ مَنْ الْبَعِيدِ وَالْحَاضِرِ جَمِيعِ تِلْكَ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ (التَّمَتُّعُ، أَوْ الْإِفْرَادُ، أَوْ الْقِرَانُ) بِلَا إِشْكَالٍ، وَالْأَفْضَلُ التَّمَتُّعُ^(٢)، فَإِذَا كَانَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنِ ﷺ - وَفَقَاهُ هَذَا الرَّأْيُ - لَمْ يَنْوَ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ وَنَوَى الْحَجَّ النَّدْبِيَّ، يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْإِفْرَادِ أَوْ الْقِرَانِ أَوْ التَّمَتُّعِ بِلَا إِشْكَالٍ، وَهَذَا يَتَوَافَقُ مَعَ مَا رَوَتْهُ بَعْضُ الْمَصَادِرِ مِنْ أَنَّهُ ﷺ قَدْ حَوَّلَ حَجَّهَ إِلَى عُمْرَةٍ اضْطِرَّارًا^(٣). وَمَا يُضْعَفُ الْقَوْلُ بِهَذَا الرَّأْيِ مِنْ أَنَّ الْإِمَامَ الْحُسَيْنِ ﷺ قَدْ بَدَّلَ حَجَّهَ إِلَى عُمْرَةٍ مَفْرُودَةٍ مَا يَلِي:

أ- المشهور عدم جواز تبديل عمرة التمتع إلى العمرة المفردة، وأنَّ مَنْ دَخَلَ مَكَّةَ بِعُمْرَةِ التَّمَتُّعِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَجْعَلَهَا مَفْرُودَةً، وَلَا أَنْ يُخْرَجَ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى يَأْتِيَ بِالْحَجِّ؛ لِأَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِالْحَجِّ^(٤).

ب. إنَّ كَانَ التَّبْدِيلُ (مِنْ عُمْرَةِ التَّمَتُّعِ إِلَى الْعُمْرَةِ الْمَفْرُودَةِ) قَدْ وَقَعَ لِأَجْلِ الصَّدِّ وَمَنْعِ الظَّالِمِ، فَإِنَّ الْمَصْدُودَ عَنِ الْحَجِّ يَكُونُ إِحْلَالَهُ بِالْهَدْيِ، لَا بِقَلْبِ إِحْرَامِ الْحَجِّ إِلَى عُمْرَةٍ عَلَى وَفْقِ مَا نَصَّ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ^(٥).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٣٣٢.

(٢) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، معتمد العروة الوثقى (المجلد ٢٧ في الموسوعة): ج ٢، ص ١٩١.

(٣) أنظر: الدعوي، صلاح عودة، الأحكام الشرعية في النهضة الحسينية: ص ١٦٥.

(٤) أنظر: الطبسي، نجم الدين، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة (الإمام الحسين في مكة): ج ٢، ص ٩٨.

(٥) أنظر: الشهيد الأوَّل، محمد بن مكي، الدروس الشرعية: ج ١، ص ٤٧٨. الشهيد الثاني، زين

الدين بن علي، مسالك الأفهام: ج ٢، ص ٣٨٨.



الرأي الثاني

ويرى البعض أن الإمام الحسين عليه السلام قد دخل مكة وهو محرم إحرام العمرة المفردة ابتداءً، لا عمرة التمتع، ولم يكن ثمة تبديل في الإحرام؛ لأنه لم يكن قاصداً للحج من أول الأمر، بل كان قاصداً للعمرة المفردة، فلا يبقى موضوعاً للتبديل، ولم يكن يواجه مشكلة من هذه الناحية^(١).

ويستند القائلون بهذا الرأي إلى روايتين وردتا عن الإمام الصادق عليه السلام:

الرواية الأولى: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه سُئل عن رجلٍ خرج في أشهر الحجّ معتمراً، ثمّ رجع إلى بلاده؟ قال عليه السلام: «لا بأس، وإن حجّ في عامه ذلك وأفرد الحجّ، فليس عليه دم، فإنّ الحسين بن علي عليه السلام خرج قبل التروية بيومٍ إلى العراق، وقد كان دخل معتمراً»^(٢). ومفاد هذه الرواية أن الإمام الحسين عليه السلام قد دخل مكة المكرمة محرماً للعمرة لا للحجّ.

الرواية الثانية: سُئل الإمام الصادق عليه السلام: من أين افرق المتمتع والمعتمر؟ فقال عليه السلام: «إنّ المتمتع مرتبطٌ بالحجّ، والمعتمر إذا فرغ منها ذهب حيث شاء، وقد اعتمر الحسين بن علي عليه السلام في ذي الحجّة، ثمّ راح يوم التروية إلى العراق، والناس يروحون إلى منى، ولا بأس بالعمرة في ذي الحجّة لمن لا يريد الحجّ»^(٣).

(١) أنظر: الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى: ج ١١، ص ١٩٢. السبزواري، عبد الأعلى، مهذب الأحكام: ج ١٢، ص ٣٤٩. الكلبيكاني، محمد رضا، تقارير الحج: ج ١، ص ٥٨. المحقق الداماد، كتاب الحج: ج ١، ص ٣٣٣. الريشهري، محمد، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٣، ص ٣٠٤. الطبسي، نجم الدين، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة (الإمام الحسين في مكة): ج ٢، ص ٩٦-٩٧.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٣٠٧.

(٣) المصدر السابق: ج ٤، ص ٣٠٨.

وبذلك فإنَّ الدليل يدل على أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقصد التمتع ثمَّ أبدله إلى عمرة مفردة مبتولة^(١) (مقطوعة) اضطراراً كما في الرأي الأوَّل، فالاعتبار وحده - وفقاً لهذه الرواية - مشروع في نفسه، وجائزٌ للمعتمر الخروج بعده من مكة بلا لزوم الإتمام بالحج^(٢).

ولعلَّ المتأمل في موقف الإمام الحسين عليه السلام، وخروجه في اليوم الذي يستعدُّ فيه الحجاج لأداء الشعيرة المقدَّسة، يستوقفه سؤال: هل ثمة فرقٌ معنويٌّ كبيرٌ بين ما يُفترض أن يؤدِّيه الحجاج في ذلك الزمان والمكان الخاصَّ - والذي لم يتمكن الإمام الحسين عليه السلام من أدائه حينها - وبين ما قام به عليه السلام فعلياً بخروجه ثائراً إلى العراق، معلناً أنَّه متَّجهٌ إلى الفتح العظيم؟

ولعلَّ الإجابة: أنَّ الحج في مراسمه وأهدافه يستبطن غاية تحرير الإنسان من عبودية الطاغوت والهوى، وربطه بالله، وتعبيده، واستقطاب ولائه له (عزَّ وجل)، ولا تختلف غاية وهدف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته عن هذا البعد والمعنى، فلقد وقف يوم عاشوراء في كربلاء يدعو البشرية إلى العودة إلى الله، وتحطيم الطاغوت، وكسر كبريائه وجبروته، والعودة إلى عبودية الله... ومقارعة الظالمين، وكسر شوكتهم وسلطانهم... وتحكيم شريعة الله تعالى وحدوده في حياة الإنسان، وانتزاعه من محور الطاغوت إلى محور الولاء لله تعالى^(٣).

ولعلَّ كفاءة الإنجاز الحسيني في ذلك الصراع الضاري بين الشرك والتوحيد، وخلوص النية فيه لله، كان وراء اعتبار أجر زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعدل الحج -

(١) عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «العمرة المبتولة يطوف بالبيت وبالصفا والمروة، ثمَّ يجل فإن شاء أن يرتحل من ساعته ارتحل». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٣٧.

(٢) أنظر: المحقق الداماد، كتاب الحج: ج ١، ص ٣٣٣.

(٣) أنظر: الآصفي، محمد مهدي، في رحاب عاشوراء: ص ٢٤٠.

وهو الفريضة الواجبة - بأضعافٍ كثيرة، كما دلّت على ذلك الأخبار المشهورة التي رواها أئمة أهل البيت عليهم السلام ^(١).

الخاتمة

بعد أن أتمنا البحث بعونٍ من الله تعالى قد توصلنا إلى جملةٍ من الاستنتاجات، منها:
١- خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة بعد أن طُلبت منه البيعة ليزيد بن معاوية؛ ليفوّت الفرصة على والي المدينة وعتاة الأمويين فيها من تنفيذ أوامر يزيد باغتياله أو قتله؛ فقتل الثورة في مهدها، وحرص الإمام الحسين عليه السلام - وهو بصدد تأدية دوره الرسالي - على أن يكون زمام المبادرة بيده هو لا بيد أعدائه.

٢- كان اختيار مكة المكرمة مقراً لهجرة الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة لعدّة مسوغات، منها:

٣- إنّها حرمٌ آمن بموجب النصّ القرآني والنبوي، ولا سيّما في الشهر الحرام، فهي تتيح للإمام الحسين عليه السلام فرصة البقاء والتحرّك فيها إلى حين انتهاء التهديد لحياته، فضلاً عن كونها مقصداً لعددٍ كبيرٍ من المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، ممّن جاؤوها للتعبّد بتأدية العمرة والحجّ؛ ممّا يتيح للإمام الحسين عليه السلام إيصال صوته بمعارضة الحكم الأموي، وعرض مساوئه على مسامع الناس، وإعلان الثورة وهدفها المبدئي، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي ذلك إقامةٌ للحجّة على الناس، وفي مكة يمكن للإمام الحسين عليه السلام أن يقوم بأقصى مايمكن أن يقوم به من الإعداد والتحشيد لتحرّكه المرتقب، ناهيك عن أن مكة كانت محطة الانتظار للإمام عليه السلام، حتى وصلته دعوة الكوفيين وسواهم من الأمصار الإسلامية لاحتضان نهضته المباركة.

(١) رُويت عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام روايات كثيرة، منها ما جعلت زيارته تعدل ثواب حجّة وعمرة مبرورة، أو حجّتين وعمرتين، وزادت أحاديث أخرى الثواب إلى أضعاف مضاعفة حتى وصلت إلى ألف حجّة وألف عمرة مبرورة. أنظر: ابن قولويه، جعفر ابن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٣٨ وما بعدها.

٤- استثمر الإمام الحسين عليه السلام الفترة الاستثنائية التي تواجد فيها في مكة، والتي بلغت حوالي أربعة أشهر، باللقاءات المباشرة مع وفود الزائرين، والاتصالات والمحاورات مع أبرز رجالات الأمصار الإسلامية؛ لبيان أسباب النهضة وأهدافها المقدسة، فضلاً عن إرسال الرسائل إلى شيعته في الكوفة والبصرة، وقد كان الزمن الذي أمضاه الإمام الحسين عليه السلام في مكة مناسباً لتقييم موقف الأمصار الإسلامية إزاء تحركه المبارك من جهة، وفرصة مؤاتية لانضمام من يريد الالتحاق به من جهة أخرى.

٥- من أهم الأسباب التي دفعت الإمام الحسين عليه السلام لترك مكة المكرمة، والتوجه إلى العراق في الثامن من ذي الحجة، عدم أهلية مجتمعها لنصرة الثورة إذا ما انقضى موسم الحج، لا سيّما أنها مدينة قرشية مغلقة للمؤمنين، وبسبب وصول مؤامرة السلطة الأموية باغتياله عليه السلام إلى شوطها الأخير، مما يهدّد الثورة تارةً، وحرمة مكة بالانتهاك تارةً أخرى، فأسرع الإمام الحسين عليه السلام بالخروج منها قبل وقوع المحذور.

٦- انقسم الرأي الفقهي في تفسير خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة يوم التروية قبل إتمام الحج إلى رأيين:

الرأي الأول يقول: إن الإمام الحسين عليه السلام قد أبدل حجّه إلى عمرة مفردة، واستند هذا الرأي إلى بعض ما ورد في المصادر التاريخية من أن الإمام الحسين عليه السلام أحلّ إحرامه وجعلها عمرة؛ لأنه لم يتمكّن من إتمام الحج.

الرأي الثاني يقول: إن الإمام الحسين عليه السلام لم يدخل مكة قاصداً الحج، فلما أدّى العمرة المفردة جاز له أن يتوجّه إلى أي مكان يشاء، وذلك على وفق ما ورد في روايتي الإمام الصادق عليه السلام، ويرجح هذا الرأي - المعتضد بالروايتين - قول الفقهاء بعدم جواز التبديل من الحج إلى العمرة المفردة في أشهر الحج، ومن أراد الخروج من إحرامه اضطراراً خرج بالهدي لا بالإبدال.

٧- إن شعيرة الحج المقدّسة - بما تنطوي عليه من بُعد عقديّ ومعنويّ خاصّ، تستهدف ربط الإنسان بالله، وتحريره من سيطرة الهوى والشيطان - لا تختلف عن هدف وغاية

الإمام الحسين عليه السلام من تحرّكه الرسالي، وثورته المباركة، فلئن كان الحاج قد أدّى مراسمه في يوم التروية وما بعده، ولم يتمكّن الإمام الحسين من ذلك؛ فلقد أذاها الإمام الحسين عليه السلام على أروع صورة في العاشر من محرم، في عرصات كربلاء، وفي موقف الصراع الأكبر بين محور الشرك ومحور التوحيد، وكانت مراسمه تتمثّل في الانقطاع إلى الله، والإخلاص في طاعته، لإخراج الناس من ظلمات بني أمية إلى نور الهداية والحرية وإباء الظلم، فاستحقّ أن يكون الطواف حول مثواه الأخير ومزاره المقدّس استثنائياً في أجره وثوابه، عجبياً في تأثيره فيمن زاره عارفاً بحقّه.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١- اتفاق الحسن وكربلاء الحسين عليه السلام، عبد العزيز بن سعيد المصلي.
- ٢- الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي (ت ٦٢٠ هـ)، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخراسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.
- ٣- الأحكام الشرعية في النهضة الحسينية، صلاح عودة الدعيمي (رسالة ماجستير)، كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء.
- ٤- الأخبار الطوال الدينوري، أحمد بن داوود الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٦٠ م.
- ٥- الإرشاد، محمد بن محمد المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.
- ٦- الأصول النظرية للدولة، محمد رضا الشريفي.

- ٧- إعلام الوري بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٨- الأمالي، محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٩- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤هـ.
- ١٠- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ١١- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.
- ١٢- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ)، دار صادر، بيروت.
- ١٣- تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ١٤- تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، يوسف بن فرغلي (سبط بن الجوزي) (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق عامر النجار، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- ١٥- تقارير الحج، محمد رضا الكلبيكاني (ت ١٤١٤هـ)، طبعة حجرية.
- ١٦- جامع البيان، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٧١- الجمل، محمد بن محمد المفيد (ت ٤١٣هـ)، مكتبة الداوري، قم.
- ١٨- الجمل وصفين، أبو مخنف لوط بن يحيى (ت ١٥٨هـ)، جمعه وحققه حسن حميد السنيد، مؤسسة دار الإسلام، لندن، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ١٩- الدروس الشرعية، الشهيد الأوّل محمد بن مكّي العمالي (ت ٧٨٦هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط ٢، ١٤١٧.

- ٢٠- روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ)، تقديم السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم.
- ٢١- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- ٢٢- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٢٣- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مأمون صاغر جي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٢٤- شرح نهج البلاغة، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٢٥- العثمانية في عهد الإمام علي (دراسة تاريخية)، الحسن اوي، ختام راهي، بحث منشور في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، السنة الثالثة، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، العدد ٦.
- ٢٦- العقل ودوره في صيانة النهضة الحسينية وتكريس قابلية التكرار والمحاكاة، محمد منصور نجاد، ترجمة الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي، مجلة الإصلاح الحسيني، بحث منشور في مجلة الإصلاح الحسيني، مؤسسة وارث الأنبياء (مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية سابقاً)، العدد ٢، السنة الأولى، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.
- ٢٧- الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣ هـ)، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني، طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن، إيران.
- ٢٨- الفتوح، أحمد ابن أعمش الكوفي (ت ٣١٤ هـ)، تحقيق علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ.
- ٢٩- في رحاب عاشوراء، محمد مهدي الآصفي (ت ١٤٣٦ هـ)، مؤسسة نشر الفقاهة.
- ٣٠- قراءة في نهضة الإمام الحسين، مرتضى فرج، وقائع مؤتمر الإصلاح الحسيني،

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٦م.

٣١- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٣، ١٣٦٧هـ.ش.

٣٢- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ط ١، ١٤١٧هـ.

٣٣- كتاب الحج، عبد الله الجواد الطبري الأملي تقريراً لأبحاث المحقق الداماد (ت ١٣٨٨هـ).

٣٤- كتاب سليم، سليم بن قيس الهلالي (المتوفى في القرن الأول الهجري)، تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني، نشر دليل ما، قم، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٣٥- الكشف، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم، خلفاء، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

٦٣- اللهوف في قتلى الطفوف، السيد رضي الدين علي بن موسى ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، أنوار الهدى، قم، ط ١، ١٤١٧هـ.

٣٧- مثير الأحزان، جعفر بن محمد ابن نما الحلبي (ت ٦٤٥هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

٣٨- مسالك الأفهام، الشيخ زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني) (ت ٩٦٥هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط ١، ١٤١٣هـ.

٣٩- مستمسك العروة الوثقى، السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ)، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ.

٤٠- المشروع الاستراتيجي للنبي ﷺ وأوصيائه، صادق جعفر، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٤١- مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة (الإمام الحسين عليه السلام في مكة)، نجم الدين



- الطبيسي، مركز الدراسات الإسلامية لحرس الثورة، ط ٢، ١٤٢٨ هـ.
- ٤٢- معتمد العروة الوثقى (ضمن موسوعة الإمام الخوئي)، محمد رضا الموسوي الخلخالي تقريراً لأبحاث السيد أبي القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ط ٤، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
- ٤٣- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق وتخريج حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٤٤- مقتل الحسين، أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت ١٥٧ هـ)، تعليق حسن الغفاري، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٨ هـ.
- ٤٥- مقتل الحسين عليه السلام، محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ)، تحقيق شيخ محمد السماوي، أنوار الهدى، قم، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- ٤٦- مقتل الحسين عليه السلام أو حديث كربلاء، عبد الرزاق المقرم (ت ١٣٩١ هـ)، قدم له محمد حسين المقرم، منشورات الشريف الرضي.
- ٤٧- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ)، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.
- ٤٨- مهذب الأحكام، السيد عبد الأعلى السبزواري (ت ١٤١٤ هـ)، مكتب آية الله العظمى السيد السبزواري، ط ٤، ١٤١٦ هـ.
- ٤٩- موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، محمد الريشهري بمساعدة السيد محمود الطباطبائي نژاد والسيد روح الله السيد طبائبي، تحقيق ونشر مركز بحوث دار الحديث، قم، ط ١، ١٤٣١ هـ.
- ٥٠- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٤ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسية بقم المشرفة.
- ٥١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، شرح الشيخ محمد عبده، دار الذخائر، قم، ط ١، ١٤١٢ هـ.

الجود والكفُّ العباس عليّ في الشعر البحريني المعاصر

أ. م. د. علي مجيد البديري*

مقدمة

ينفرد العباس بن عليّ عليه السلام بخصوصية عالية من بين وجوه واقعة الطفّ، من خلال الدور الهامّ الذي مثله في هذه الواقعة منذ مقدماتها التي تمتد إلى أيام طفولته، وطبيعة علاقته بأخيه الإمام الحسين، وبأخته الحوراء زينب عليها السلام، وما نقلته الروايات والأخبار التاريخية عن رعايته الخاصّة لأفراد الركب المتّجه إلى العراق من النساء والأطفال فضلاً عن الآخرين، بوصفه أكبر إخوة الإمام الحسين عليه السلام وموضع ثقته في نهضته الإصلاحية. ولعلّ في المواقف التي صوّرها التاريخ للعباس عليه السلام في حياته كلّها - ومنها ساعات معركة الطفّ - ما يعدّ محرّضاً قوياً للمبدعين والأدباء على توظيف هذه الشخصية في نصوصهم، أو تخصيصها لتأمّل أبعاد هذه الشخصية والإفادة من مواقفها في كتابة نصّ ذي رؤية فكرية وفنية عميقة.

ومن هنا؛ كان اجتهاد الشعر العربي عامّة - ومنه الشعر البحريني المعاصر على وجه الخصوص - في محاولة الاقتراب من معطيات الواقعة وتوظيفها بطريقة لافتة لنظر القارئ، وهي مسألة لا تخلو من صعوبة بالغة؛ فتحقيق ذلك وسط هذا المنجز الضخم من الشعر الحسيني لا يمكن أن يتمّ من غير بذل جهدٍ استثنائي قائم على

* دكتوراه في اللغة العربية وآدابها (الأدب المقارن)، كلية الآداب/ جامعة البصرة.

فراة في الاختيار، وبراعة جمالية في التوظيف والمعالجة الجمالية؛ إذ يركز نجاح الشعر في ذلك من عدمه على مديات التعامل مع المادة التاريخية، وإتقان فنّية الانتقال بها من حدود الوثيقة إلى حدود الفنّ الشعري من غير أن تنقطع الصلة ما بين الطرفين.

بين الشعر والتاريخ

من المعروف أنّ الشعر يُكتب على وفق اشتراطاته الخاصة، ويحرص على تحقيق مزاياه النوعية، فهو تجربة فنّية قبل أيّ شيء آخر، في مقابل ذلك يسجل (التاريخ) خصوصيته وطبيعته فهو يرصد فعل الإنسان وإنجازاته رصداً تسجيلياً يحرص فيه بشدّة على المحايدة والدقة في التوثيق واطعاً القارئ في مركز نشاطاته كذلك، فيمنحه التجربة الإنسانية مسجلة، ويفتح أمامه باب الحوار والامتيّاح من معطياته ويهيئ له تلمّس (الطابع العلمي للقانون التاريخي) أيّ طابع الموضوعية والعلمية للسنة التاريخية.

فالتاريخ «نشاط يسعى من خلال المنجز المادّي للحضارة، والمنجز الروحيّ للفكر، والمنجز الأسطوري، والميثولوجي، يسعى لأن يحرر في ذواتنا أنشطة جديدة»^(١).

وقد شخّص أرسطو وهو يتناول مهمّتي الشاعر والمؤرّخ نقطتي الالتقاء والافتراق ما بين المنهج الشعري والتاريخي بشكل أوّلي، فمهمّة الشاعر تتجسّد في روايته لما يمكن أن يقع احتمالاً أو ضرورة، وليست مهمّته متابعة ما وقع من الأمور وروايته كالمؤرّخ، وبهذا يكون الشعر لدى أرسطو أسمى مقاماً من التاريخ؛ لأنّ الأول يهتمّ برواية الكلي (العمومي)، بينما يكرّس التاريخ جهده في رواية الجزئي (الخاص)، ويلتقي الاثنان (الشاعر والمؤرّخ) في أمّهما يشتركان برواية الأحداث، الأول شعراً والآخر نثراً^(٢).

(١) ناظم عودة، الشعر والتاريخ، شعرية التناص، مجلة الأقلام، العدد ٨/٧، تموز/ آب/ ١٩٩٢م: ص ١٣٢.

(٢) أنظر: أرسطو طاليس، فن الشعر، (ترجمة وتحقيق: د. عبد الرحمن بدوي): ص ٢٦.

إنّ للشعر خصوصية كبيرة في قراءة الواقع وأحداثه، فهو يتضمّن وجهة نظر (تأويلية، جمالية) للواقع والفنّ في الوقت ذاته. يستطيع القارئ من خلال قراءة مقارنة لنصوص شعرية عديدة أن ينال ما لا يستطيع المؤرّخ ذاته أن يمنحه له؛ إذ يقف المؤرّخ عند حدود الرصد الواقعي والحرفي للأحداث والأشياء من دون الولوج إلى دواخلها؛ ذلك أنّ قراءة الشعر للواقع لا تعني مجرد وضع دالّ مكافئٍ لدلول ما، إنّما هي عبارة عن حوار يعقد اتّصلاً وتفاعلاً بين (الشاعر/ القارئ) وبين (الواقع/ المقروء)، وهي اكتشاف يمنحنا التجربة الواقعية مفسّرةً منفتحة أمام إمكانات عديدة للقراءة الأخرى، ويمنحنا التجربة الفنيّة عبر تجليّاتها في الكتابة الشعرية^(١).

لقد كان اختيار الباحث للشعر البحريني المعاصر مجالاً للدراسة والمعاينة النقديتين؛ نتيجة متابعة دقيقة لمجموعة من التجارب الحديثة التي سجّلت في نظر الباحث المتواضع مؤشراً إبداعياً متميّزاً على صعيدي الوعي المعرفي بمعطيات النهضة الحسينية متمثلةً بوجه من وجوهها (العباس عليه السلام)، ومديات ثرائها الممتدّة، والوعي الفنّي متمثلاً في شعور هذه التجارب بضرورة الإضافة الجديدة والسعي نحو المغايرة في المعالجة والتوظيف، وبشكل ينسجم مع التجدد الحاصل في معطيات الحدث التّاريخي.

ولا يسعى البحث إلى مصادرة رأي القارئ في ذلك، فما نقوله بمثابة الفرضية التي ستكفّل الصفحات الآتية باختبار تحفقه من عدمه في نماذج من الشعر البحريني المعاصر.

(١) أنظر: البديري، د. علي مجيد، الشعري والتاريخي، قصيدة ابن الرومي في خراب البصرة أنموذجاً (بحث مخطوط، مقبول للنشر في مجلة تراث البصرة/ جامعة البصرة): ص ٥.

العباس عليه السلام موضوعاً شعرياً

تحتل واقعة الطف - بوصفها موضوعة شعرية - مكانةً أثرية في الشعر العربي، وتُشكّل القصائد التي كُتبت فيها منجزاً ضخماً وهاماً على أصعدة عدّة منها التاريخي التوثيقي والجمالي الفني، وكان أمام الشاعر البحريني المعاصر اختباراً صعباً لموهبته وقدراته الإبداعية، في مجالٍ كُتِبَ فيه آلاف القصائد، ولم يترك الشعراء فيه جانباً إلا وخاضوا فيه. ومن هنا كان البحث عن موضوعة مناسبة مفتاحاً من مفاتيح الإضافة في توظيف هذا الحدث الكبير، واستثماره في الكتابة الشعرية.

وتعدّ شخصية العباس بن علي عليه السلام من شخصيات الطف التي كانت موضع عناية الشعر الحسيني، فقد كُتبت فيه قصائد عديدة، تنوّعت في طرائق تناولها لأبعاد هذه الشخصية، ما بين تسليط الضوء على القيم الأخلاقية أو قيم الشجاعة والبطولة عبر حماسة تستنهض همم الناس وترفع معنوياتهم في طريق الحقّ والثبات عليه، أو مستثمرةً البعد المأساوي في حدث الاستشهاد وما ترتّب من بعده على النساء والأطفال من سبّي وتعذيب وترويع.

وتبقى - بلا شك - فرصة الإضافة والنجاح في تقديم قصيدة متميّزة أمراً مرهوناً ببراعة التناول والتوظيف من خلال الإفادة من الطاقات الجمالية في اللغة وآليات التصوير الشعري والعناية بالعناصر الفنية الأخرى في بناء القصيدة، فضلاً عن صدق الشاعر ومدى تفاعله على المستوى النفسي والعقدي مع وجوه الطف وقيم النهضة الحسينية ورسالتها الإصلاحية.

لقد ساعد على اكتساب توظيف شخصية العباس عليه السلام في القصيدة البحرينية ميزته وخصوصيته التصاقاً كاتبها بمواجه الأمة الإسلامية التي تمثل ملامحاً بارزاً من ملامح السياق الثقافي الذي كتبت في ظل مؤثراته هذه النصوص، ويمكن لنا حين نقرأ نماذج من هذا الشعر أن ننصت لأصداء ذلك في مجمل الأصوات التي تتضمنها القصيدة.

مع (تجليات نهر إلهي)

نقرأ للشاعر ناصر زين من قصيدة له بعنوان (تجليات نهر إلهي) قوله:

يا مَجْمَرَ العَطَشِ المُقَدَّسِ قَدْ أَبَتْ كَفَّاكَ إِلَّا أَنْ تُبَايِعَ مَحْشَرَكَ
يَا حَامِلاً ذِكْرِي قَمِيصِ (سُكَيْنَةَ) أَلْقِ القَمِيصَ عَلَى العُيُونِ لِتُبْصِرَكَ
حُزْناً قَدْ ابْيَضَّتْ وَصَارَتْ غَيْمَةً مُدَّ شَاهَدَتْ يَا بَدْرٌ لَيْلاً جَزْرَكَ^(١)

وهنا يأتي النداء لمعنى الرفض المقدس الذي مثله العباس عليه السلام خير تمثيل في أيام عاشوراء، فالشفتان المتوهجتان عطشاً في صحراء كربلاء اللاهبة أبتا أن تتلفظ بولاء غير سبط النبي صلى الله عليه وآله، وكانت الكف عنواناً للرفض، وقد تعامل معها النص علامة بارزة (أيقونة) لرفض الخنوع، والإقدام على الشهادة في سبيل المبدأ الحق.

ومن الواضح التناص الشعري مع القرآن الكريم في البيتين الثاني والثالث، وعلى وجه التحديد التناص مع الآيات المتعلقة بقصة النبي يوسف عليه السلام، قوله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، تغدو مأساة الفقد ولوغته، ووحشية الذبح وقطع الرأس الشريف قميصاً معجزاً يغسل عن البصائر غشاوة الألم والشعور بالفقد، لتكون النتيجة إبصار الحق وتجلياته.

في القصيدة ذاتها، يستمر ناصر زين في الإفادة من أبعاد شخصية العباس عليه السلام

يقول:

(١) الشاعر البحريني ناصر زين، قصيدة (تجليات نهر إلهي)، قصيدة (مخطوطة) شاركت في مسابقة الجود العالمية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء.

(٢) يوسف، آية ٩٣.

(٣) يوسف: آية ٩٦.

دَمَعَاتُ (زَيْتَب) كَالسَّمَاءِ تَسْكَتُ
فَأَفْرَشُ لِدِ (أَخْتِ الدَّمْعِ) رُوحَكَ مَعْبَرًا
عَيْنَاكَ فِي عَيْنِ الْفِرَاتِ أَطْلَتْنَا
حَتَّى نَمَّا الْحُزْنَ الْمُرَاقُ بِقِرْبَةٍ
يَسْعَى إِلَى الرَّأْسِ الْمُهَاجِرِ جَنَّةً
يُهْدِيكَ فِي الْمَوْتِ الْجَمِيلِ وَلَادَةً
لَهْفِي لِشُغْرِكَ إِذْ تَنَاطَرُ أَنْجُمًا
تَرْجُو الْفِرَاتَ بِنَظْرَةٍ أَنْ يَنْظُرَكَ
لِلشَّامِ بِالْأَيْتَامِ تَسْلُكُ مَعْبَرَكَ
دِفْنًا وَسَهْمُ الْغَدْرِ أَدْمَى مَحْجَرَكَ
وَالنَّهْرُ فِي أَلَمِ آتَاكَ لِيشُكْرَكَ
وَيُلْمَلِمُ الْأَشْلَاءَ يَقْصِدُ مَهْجَرَكَ
مَا أَجْمَلَ الذَّبْحَ الَّذِي قَدْ أَزْهَرَكَ!!
دُونَ ابْتِسَامَتِكَ الْكَوَاكِبُ لَمْ تَرَكَ^(١)

يقف الشاعر عند مشهد يجمع عناصره ببراءة، وذكاء: (الحوراء زينب، العباس، الفرات، الأيتام، القرية، الرأس المهاجر، ولادة الثغر/الرفض) ليعبر عن حالة انفعالية، فيها دموع الفقد والسبي للحوراء زينب عليها السلام التي يرتبط ذكرها مع ذكر العباس عليه السلام، وفيها ولادة الثغر الذي كان مجمر العطش المقدس، وموضع الكلمة الراضية للكفر والمروق عن الدين المتمثل في السلطة الأموية.

ولم يدع الشاعر - وهو يصور حالة انفعالية مؤلمة - الموت يهيمن على المشهد المصور، بل استثمره في استنطاق قيم الفداء التي جسدها العباس عليه السلام في ملحمة عاشوراء، فصار: الموت والذبح ولادة متجددة.

على حافة القمر

ويتناول شاعر آخر هذا المعنى بطريقة مختلفة، نقرأ للشاعر أحمد هاشم العلوي من قصيدة له بعنوان: (على حافة القمر)، قوله:

أرأيتَ عيناً يشتهيها ألفُ سهمٍ مارِقٍ، عَصَرَ الدَّمُوعَ بِخَمْرِهِ
أرأيتَ كفاً صافحتْ عطشَ السَّمَا فتَنَزَلَتْ غِيماً يَمُورُ بِغَمْرِهِ

(١) الشاعر البحريني ناصر زين، قصيدة (تجليات نهر إلهي)، قصيدة (مخطوطة) شاركت في مسابقة الجود العالمية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء.

قد كنت شفافاً تظلُّ دمعاً سألت على خدّ المساء ونحره
قد كنت (لاءً) حين خضبك العمود وقفت مثل مغامرٍ عن ثأره
قد كنت لحناً يستهينُ بجوقه لا تعزفُ الإيثار ساعة كسره^(١)

يجعل العلوي قوة الشرّ متعددة، ولكنها بجوهر واحد، هو القتل والمروق المتمثل بـ(ألف سهم) وكلّ ذلك في قبالة (عين، وكف)، غير أن الموت لم يتته إلا لمفارقة يكون فيها الموت ميلاداً مستمراً لـ (لا) الرفض، حيث تتسع الحياة أمام مواجهة مستمرة مع القتلة، لا تكون فيها العين والكف غير أداتي رفض وميلاد. من جانب آخر لم تكن مواجهة القتلة بالتضحية فقط، من غير أن يكون للاستبسال في المقاومة دور كبير وفاعل:

ونزعت أظفار الجيوش وكنت نساً شاحخاً يلوي أظافر طيره
أرخت مجد السافيات بأنّها هبت على سرج الحسين ومهره
فتناسلت من ضوئه كلّ القناديل التي شهدت ولادة جمه^(٢)

يختزل الشاعر صورة معركة في بيت واحد، وهي مهمة صعبة للغاية، فالبيت الأول من المقطع أعلاه يصف معركة صغيرة، جزءاً من معركة أكبر، فيها العباس عليه السلام نسر ينقض على فريسته، وفي مشهد لاحق بعد الاستشهاد تظل عيناه تلاحقان النسوة الفارّات من المخيم المحترق في صحراء كربلاء، تطأ أرجلهن الأشواك، وتطأ خيول الأعداء الأطفال المذعورين، وتبقى نظرة العينين محتاجة إلى تفسير آخر ينسجم مع تضحيات كربلاء، وبسالة الموقف الذي سجّله أبطال عاشوراء على رمال المعركة،

(١) الشاعر البحريني أحمد هاشم العلوي، قصيدة (على حافة القمر)، قصيدة (مخطوطة) شاركت في مسابقة الجود العالمية، العتبة العباسية المقدّسة، كربلاء.

(٢) المصدر السابق.

غير أن ما يبدو من صورة المشهد، ملامح وتفصيل تثير القلق لدى الشاعر وهو يرى
 أمامه مشهد السبي مسبوفاً بالترويع والذعر، فيسقط تساؤلاته على نظرة العينين:
 عيناه فوق الرمح شاردتانِ مذُ
 فرّت على الأشواكِ نِسوةٌ خدرِه
 مَنْ ذا يترجمُ نظرةَ الرأسِ الكليمِ
 وتمتاتِ الوردِ داخلَ سفْرِه
 من ذا يلثمُ الليلَ ساعةَ خوفِه
 مَنْ ذا يضمُّ اليتيمَ ساعةَ دُعرِه
 ذبحٌ وترويعٌ ورحلةٌ نائِرِ
 ووَداعٌ طفلٍ في وداعةِ عمْرِه
 وجعٌ شهْيٍ واحتراقٌ فراشةِ
 ودعاءٍ رملٍ طاهرٍ في قبرِه^(١)

ثم يعود الشاعر ليصوّر الظفر بعيداً عمّا قدم من أجل تحقيقه، فهو الغاية التي
 سعى العباس عليه السلام إليها، وهي الغاية التي تذوب عند أعتابها كلّ صور التوتّر والقلق
 على النسوة والأطفال، بعد انتهاء المعركة، صورة الموت المنكسر أمام الحياة التي
 تصنعها التضحية، يغدو الموت مدهوشاً منكساً رأسه، أسيراً ذليلاً:

الموتُ مشدوهاً يهرولاً منك مدهـ
 الموتُ زارك لم يجد أحداً فعاد
 وشأً شرحت له ضالّة قدرِه
 مُنكساً ومكبّلاً في أسره^(٢)

هنا المفارقة التي تقوِّض سطوة الموت، فيتحوّل من مهيمن على المصائر مهاب في
 قوّته إلى ضئيل، ضعيفٍ ومنكسر.

سمات التوظيف الفني

ليس من شكّ في أنّ ما يشغل الشاعر قبل الكتابة - وفي أثنائها - كيفية تقديم
 تجربته للقارئ، وكيف يحقق ذلك بطريقة مبتكرة، وإبداع حقيقي، وقد نجد في
 نصوص مختارة من قصائد الشعراء البحرينيين (موضوع هذه الدراسة) ملامح هذا

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

الهاجس النفسي، متجلية فيها عبر ظواهر فنية مختلفة، يمكن قراءة بعضها على نحوٍ موجز:

١. العنوان عتبة جمالية

من مظاهر إدراك الشاعر البحريني - لأهمية أن يقدم النصّ الشعري الحسيني إضافة نوعية حقيقية للمنجز السابق - عنايته بعناوين القصائد، بطريقة نجدها تشابه عنايته بمتن القصيدة وجوهرها، ويعد النجاح في اختيار العنوان من أهمّ مقومات النصّ الناجح، فقد «أصبح العنوان قاعدة أساسية من قواعد الإبداع الشعري ليس في ديوان شعر الشاعر فحسب، لكن في القصيدة بحيث يعدّ العنوان الآن جزءاً من أجزائها الشعرية المعاصرة»^(١)، وهو أمر انفرد فيه النصّ الحديث عن سابقه الشعري القديم حتى غدت العنونة هاجساً ملحاً للكاتب، وهو يضع القارئ ضمن مقدمة أولوياته، فنجده ينشغل في كيفية تقديم نصّه للقارئ؛ نظراً للدور الخطير الذي يمارسه العنوان في العملية الأدبية إبداعاً، والغواية المثيرة التي يبثها حول النصّ تلقياً، بمعنى أن العنونة جزء لا يتجزأ من استراتيجية الكتابة لدى الكاتب بشكل عام وللشاعر بشكل خاصّ للفت انتباه القارئ وإشراكه في عملية القراءة، وكذلك يُعدّ من أبعاد استراتيجية القراءة لدى المتلقي^(٢).

ويؤدي العنوان وظائف عدّة منها الإحالة والإغراء، وهما وظيفتان تقتسمان عملهما بين النصّ وقارئه، فالعنوان يحيل على النصّ بأكمله، وهو الجزء الدالّ من النصّ الذي يؤثّر على معنى ما، فضلاً عن كونه وسيلة للكشف عن طبيعة النصّ وفكّ غموضه، ويدهش القارئ ويغريه بمتابعة قراءة النصّ، واكتشاف جمالياته،

(١) عويس، محمد، العنوان في الأدب العربي (النشأة والتطور): ص ٢٧٨.

(٢) أنظر: حسين، د. خالد حسين، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية):

ولذا فالعنوان لا يستقل بدلالته لأنه من أهم العناصر المكوّنة للمؤلف الأدبي، ويعدّ مكوناً داخلياً يشكل قيمة دلالية عند الدارس، ويمكن قراءته بوصفه ممثلاً لسلطة النصّ وواجهته الإعلامية، التي تمارس دوراً توجيهياً للمتلقي^(١).

إنّ قراءة متأنية لعنوان قصيدة ناصر زين (تجليات نهر إلهي) التي مرّ ذكرها، تكشف عن إحالتين: الأولى خارجية، تتعلق بمتونٍ تاريخية خاصةً بجغرافية المكان (كربلاء، ونهر الفرات) الذي وقعت فيه معركة الطف، فضلاً عن إحالته على حدث جلب العباس عليه السلام للماء لمخيم الإمام الحسين عليه السلام، ولا تخفى إحالة العنوان على اختصاص العباس عليه السلام بسقاية النساء والأطفال في الطف، فهو (ساقى عطاشى كربلاء).

أمّا الإحالة الثانية للعنوان فهي داخلية، يمكن اكتشافها من خلال قراءة متن القصيدة كاملة، وينبئ مطلع القصيدة بهذه الصلة؛ إذ تكون إحالة العنوان واضحة على متن القصيدة، يقول الشاعر:

سُبْحَانَ هَذَا الْمَاءِ نَهْرًا صَبْرَكَ إِذْ كَوُتِرَ الْجُرْحَ الْفَتِيَّ وَكُوْتِرَكَ
مَا زِلْتَ تَنْبُضُ بِالْحَيَاةِ عُدُوبَةً وَاللَّهُ فِي صَدْرِ الْكِرَامَةِ فَجْرَكَ
وَالْعَاشِقُونَ عَلَى ضِفَافِكَ أَمْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَالْحُبُّ غَيْثًا أَمْطَرَكَ^(٢)

تنتمي كلمتا العنوان (تجليات، إلهي) إلى المعجم الصوفي، وهي تنبئ بنصّ يفيد من الرؤية الصوفية في قراءة العلاقة ما بين العباس عليه السلام وبين ماء الفرات من جهة، وبينه وبين محبّيه ومريديه، غير أنّ مفردة (الماء) وما يمتّ بصلته لها من مفردات تهيمن على الأبيات، (نهر، كوثر، عدوبة، فجر، ضفاف، غيث، أمطر)، وبذا ينحى النصّ

(١) حليفي، شعيب، هوية العلامات في العتبات والتأويل: ص ١١.

(٢) الشاعر البحريني ناصر زين، قصيدة (تجليات نهر إلهي)، قصيدة (مخطوطة) شاركت في مسابقة الجود العالمية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء.

بعيداً عن موضوعات مألوفة في الشعر الحسيني، بل وينأى عن تكرار صور شعرية فقدت جماليتها من كثرة التكرار والاستعمال.

لقد رسم النص معالم عنوانه منذ السطور الأولى دون أن تكون للمؤلف - بوصفه ذاتاً مفكرة مبدعة - فكرة مسبقة عن العنوان، بطريقة يمكن الجزم فيها بتأخر وضع العنوان بعد إتمام كتابة القصيدة وتوجيه عليها، والعلاقة هنا بين اللغوي المتعدد بمرجعياته ودلالاته وأبعاده النفسية والعقدية والسياسية البعيدة الغور، واللغوي الموصوف بالافتقار دائماً إلى مَنْ يغني افتقاره^(١).

تضع الشاعرة إيمان عبد النبي إبراهيم لقصيدتها عنواناً دالاً (هدهدة على شرفة اليقين)^(٢)، يتميز بكونه يجمع بين دالتين لا تجتمعان لدى قراءة تمرّ بهما سريعاً، غير أنّ تأمل صلتهما بالنص يقود إلى اكتشاف مساحة مشتركة بينهما:

الجودُ ساقيةٌ.. وكفك أنهرٌ وعلى الضفاف العاشقون تشجروا
ما غبت عنا.. ما يزال الثأر في نا باهراً.. ما زلت فينا تكبر
ورؤاك هدهدة تعلق لحظها بالما وراء وفوق ما تصوّر
الحلم شرفتها تحدق في انعكا سك في مرايا الروح لا تتعكر

فالهدهدة تنسجم مع ألفاظ الحلم، ومرايا الروح، ولكنها لا تنسجم مع اليقين الذي يفترض قوّة البصر والبصيرة والوعي الفائق بالأشياء، من ناحية أخرى تمنح دلالة الأبيات مجتمعة قبولاً لاجتماعهما في فضاء واحد فيه من الحياة بعض صورها، ومن اليقين بعشقتها وعشق مَنْ يمثّل نهرها الجاري الذي تحلّق حول ضفافه العاشقون وهو العباس عليه السلام وجوداً ممتداً، وبالنتيجة يكون الفضاء متشكلاً من الثبات والحياة.

(١) أنظر: سلوي، مصطفى، عتبات النص (المفهوم والموقعية والوظائف): ص ١٦٦.

(٢) أنظر: الجود، إصدار وثائقي خاص بمسابقة الجود العالمية الثالثة، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء،

١٤٣٣ هـ: ص ٦١ وما بعدها.

تتضافر هذه الدلالات عبر أبيات القصيدة فالجود الذي يتحوّل إلى رمز للبقاء وتجدد الحياة يغدو ساقية، وكفا أبي الفضل أنهرًا، والطالبون من ماء الحياة عاشقون يقفون على ضفاف عطائه مثل الأشجار. وهكذا يتصل العنوان عبر دلالاته العميقة مع أبيات القصيدة، فالهددة تحاول أن تمنح اليقين بعداً حلمياً بشكل ينسجم مع رؤى العباس عليه السلام وهي تمنح عاشقيه بصيرة تستطيل إلى ما وراء الحس، إلى جوهر الإنسان.

٢. الاستهلال

مثلاً يكون قبول النصّ لدى القارئ أو رفضه مرهوناً بنجاح الشاعر في اختيار عتبة العنوان لقصيدته، فإنّ للجمل الأولى من النصّ ذات الأهمية والتأثير، فبالاستهلال «تفتتح القصيدة بناءها، وهو مقدم على غيره من الأبيات»^(١).

ويؤدّي الاستهلال دوراً توجيهياً للقارئ، يمكن أن يدفع بقراءته إلى عمق النصّ وفضاءاته المتسعة، ويمكن له أيضاً أن يطرد قارئه ويغلق بوجهه أبواب النصّ، والأمر في حالتيه مرهون ببراعة الكاتب ووعيه الفنيّ بشعرية الأجناس الأدبية وطرائق الكتابة، و«لا بدّ للاستهلال من أن يكون بكلام توليدي، ديناميكي فاعل، الكلمة فيه مشحونة بالمعرفة والإحالة والتأويل، والفاعل فيه فاعل مؤثّر، يرتبط بالشخصية الدائمة الحضور في النصّ، ويبنى جملته وفق صياغة أسلوبية تُعدّ مركزية داخل النصّ، فإذا كان النصّ يكثر من الحال على الاستهلال أن يؤكّدها، وهكذا فالبنية الأسلوبية الشائعة والمؤكدة في عموم النصّ على الاستهلال أن يؤكدها كنوى فاعلة له»^(٢).

من هنا؛ فإنّ قراءة النصّ لا بدّ أن تُعنى بمكان الأبيات على خارطة النصّ؛ إذ يضاعف ذلك من فرصة فهم النصّ وفحص جمالياته، نقرأ للشاعر البحريني أحمد

(١) بنيس، محمد، الشعر العربي الحديث (بنياته وإبدالاتها التقليدية): ص ١٣٠.

(٢) النصير، ياسين، الاستهلال فن البدايات في النصّ الأدبي: ص ٢٦.

هاشم العلوي استهلاله لقصيدته (على حافة القمر)^(١):
الماء ماؤك واحرارُ جبينه لونٌ جديدٌ في انعكاسه نهره
صُغتَ الوجودَ وثارَ من معنَاكَ أكبرُ مارِدٍ رَشَقَ الزمانَ بزهره

مفتتح القصيدة بالماء، مقروناً بذكر الوجود وانفتاح الزمن على خلود استثنائي، لعلّ في هذا الاستهلال اختزالاً بديعاً لمعنى أن يكون الموت صانعاً للحياة، حيث يكون حضور العباس عليه السلام متفوقاً على الزمان عبر انتمائه لإنسانيته الفريدة، ويحقق هذا الاستهلال وظيفته البنائية من خلال صلته بما بعده من أبيات فهو كما مرّ بنا، يُعدُّ عنصراً بنائياً للنصّ بكامله، ووظيفته نصّية أساساً؛ لأنّه القلب الذي تصبح أبيات القصيدة مجبرة على الخضوع لقوانينه، ابتداءً بالتصريح وانتهاءً بامتداد دلالاته في أوردة النصّ وأجزائه، فضلاً عن وظيفته في تحقيق ربط التواصل بما يرضي رغبة السامع/ القارئ^(٢). فيتصل الاستهلال هنا بأبيات أخرى من النصّ، يقول العلوي فيها^(٣):

يا سيدي ما زال موالُ العراقِ يكرّرُ الحزنَ القديمَ بثغره
ما زال يمتدُّ الصراخُ ويكتبُ المأساةَ دونَ تكلفٍ في شعره
ما زال يعبرُ فوقَ كَفِّكَ للحسينِ نوارسٌ سكنتُ بفلذةِ صدره

امتداد الزمن، وصياغة الوجود هاجس القصيدة الذي حرص الشاعر على معالجته، فيكرر (ما زال) مرّتين، ويكثر من إيراد الأفعال لبعث الحركة في النصّ تأكيداً لمعنى الديمومة التي تشغل على تجسيدها القصيدة.

ويأتي الاستهلال في قصيدة الشاعر فاضل عباس رحمة (أوحى لي الماء) مجسداً

(١) الشاعر البحريني أحمد هاشم العلوي، قصيدة (على حافة القمر)، قصيدة (مخطوطة) شاركت في مسابقة الجود العالمية، العتبة العباسية المقدّسة، كربلاء.

(٢) أنظر: بنيس، محمد، الشعر العربي الحديث (بنياته وإبدالاتها التقليدية): ص ١٣١.

(٣) الشاعر البحريني أحمد هاشم العلوي، قصيدة (وكان عرشه على الرمح)، قصيدة (مخطوطة) شاركت في مسابقة الجود العالمية، العتبة العباسية المقدّسة، كربلاء.



لوظيفة بنائية مماثلة، إذ يقول^(١):

من غيمةٍ في سماءِ الحَبِّ قد هَطَلُوا موتى فموتى، وكم جادُوا وما بَخِلُوا
وحينما شاخَ وجه الشمسِ ما أفلوا وأسرجوا دمهُم للناسِ واشتعلوا
ستائرُ الحزنِ بالأوجاعِ تنسدُّ على شبابيكِ من بالضوءِ قد نُكِلُوا

يجسّد هذا الاستهلال العطاء الممتد الذي تجسّد في ظهيرة يوم الطف، وهذه الديمومة في المنح والجود يلازمها البعد المأساوي في صور الواقعة وهو ما سينعكس في أجزاء القصيدة الأخرى حيث يقول:

هنا بذاكرةِ الرملِ الحزينِ دمٌّ يظلُّ بين سنينِ الدهرِ يتقلُّ

بقاء العطاء الذي أسست له عاشوراء وامتداده جعل من الشاعر يصل إلى حالة من الانبهار، ليصوغ في النهاية خلاصة العطاء المنهمر من سماء المحبة في استهلال القصيدة، ويختصره بيت يجسّد فيه التساكن ما بين معطيات الواقعة على المستوى القيمي والعقدي والأخلاقي، وبين الواقعة في بعدها المأساوي حين تجسّدت فيها مأساوية القتل:

يا سيّدي كلّ شيء فيك يبهرني الرأسُ والكفُّ والأخلاقُ والمثُلُ

٣. درامية التصوير

تدخل الحركة الدرامية عنصراً فاعلاً في بناء الصورة الشعرية على نحو مقنع بجدواها الجمالية وقيمتها الفنيّة في النصوص التي تناولت شخصية العباس (عليه السلام)، ولعلّ ما زاد من ثراء دلالتها ودورها الجمالي في النصوص طبيعة الموقف المصوّر وما فيه من بُعدٍ درامي يدفع بالشاعر إلى تجاوز ظاهر الحركة في الموقف في حدوده المكانية والزمانية المحددة إلى ما في بنية هذه الحركة من عمق دلالي خفي، فتدفع الحركة

(١) الجود، إصدار وثائقي خاص بمسابقة الجود العالمية الثالثة: ص ٧٨ وما بعدها.

الدرامية - بما تمتلكه من ثراء جمالي وبعْدٍ دلالي عميق - الصورة الشعرية لأن تكون نابضةً مشعَّةً في النصِّ كلِّه.

نقرأ للشاعر أحمد العلوي من قصيدة بعنوان (وكان عرشه على الرمح) قوله^(١):

فإلى وداع سَارِحٍ فِي الْأُمْنِيَّاتِ أَطَالَ (نَهْرُ الْعَلْقَمِيِّ) سِنِينَهُ
مُتْرَجِّلاً كِي يُوقِظَ الْعَمَّ الْقَتِيلَ يُعِيدُ فِي جَسَدِ الْغِيَابِ يَمِينَهُ
وَيُبْسُوحُ لِلْحُلْمِ الَّذِي مَا زَالَ يَزُكُّضُ فِي الْعَرَاءِ وَقَدْ عَرَفْتَ مَعِينَهُ

تتجاوز الصورة هنا النقل باتجاه المزاوجة ما بين الحركة الخارجية للشخصية وحركتها النفسية، مستعينة بلغة استعارية إيحائية، تمتلك القدرة على الإيحاء وإظهار البعد العميق الكامن في ظاهر المواقف المصوَّرة، وهو ما يسهم بشكل كبير بتنمية الحركة الدرامية في الصورة. وتقود المواقف الكبيرة المراد تصويرها الشاعر إلى أن يستعين بتعدد الصور وتكثيفها لتوائم طبيعة هذه المواقف، وتقرب من جوهرها؛ ولذا فمحاولة كهذه تجعل من النصِّ الشعري متضمناً لما يمكن تسميته بـ (النصِّ الدرامي المضمَر) الذي يتشكّل خفياً، ويمكن لقراءة ما تُعنى به أن تظهره وتعيد تشكيله. لا شك في أن هذا البعد الجمالي في التصوير قد أسهم في تحقيق فُرادة في التناول اتَّسمت به هذه النصوص.

نقرأ للشاعر ناصر زين^(٢):

خَشَعَتْ لَكَ الْأَرْوَاحُ جُوداً مُهْرَقاً وَالرَّايَةَ الْحَمْرَاءُ أَضْحَتْ (خُنْصُرَكَ)
يَا أَيُّهَا الْعَبَّاسُ رَأْسُكَ مُشْعَلٌ بِشُمُوحِهِ كَيْفَ ارْتَمَى فِي الْمُعْتَرِكِ

لا تركز الصورة هنا إلى حوار أو صراع من مفردات البناء الدرامي المعروفة،

(١) الشاعر البحريني أحمد هاشم العلوي، قصيدة (وكان عرشه على الرمح)، قصيدة (مخطوطة) شاركت في مسابقة الجود العالمية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء.

(٢) الشاعر البحريني ناصر زين، قصيدة (تجليات نهر إلهي)، قصيدة (مخطوطة) شاركت في مسابقة الجود العالمية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء.



ولكنها تركز إلى لغة استعارية متحركة، بمعنى أن أطرافها لا تفقد فاعليتها نتيجة غلبة أحدها على طرف آخر، جاعلاً الأرواح جوداً مهرفاً من شدة خشوعها، وهنا إحالة إلى حدث جزئي من المعركة تستخدم فيه الحركة، حينما برز العباس عليه السلام لقتال الأعداء، وثم من لحظة استشهاده بعد أن أصاب القرية التي ملاًها بالماء للمخيم سهم، وأريق ماؤها، وما يلاحظ على الصورة هنا أنها قامت على مبدأ التناسب بين أجزاء الصورة ذاتها.

خاتمة

حققت النماذج المدروسة لبعض شعراء البحرين المعاصرين توظيفاً متميزاً لشخصية العباس بن علي عليه السلام، ابتعدت في معظمها عن طرائق سادت في الشعر الحسيني، ونجحت في تجاوز البعد التاريخي لواقعة الطف ووجوهها، والتعامل مع الحدث بوثنائية، باتجاه إعادة تشكيل الحدث بلغة تصويرية ذات طابع درامي، بما ينسجم مع الموضوع ويحقق له ثراءً دلاليًا وجماليًا.

وقد توقفت الدراسة عند عناوين بعض القصائد ودرستها بوصفها عتبة نصية لها وظيفة بنائية هامة، ويثابرها في هذه الأهمية الاستهلال الذي كانت له هو الآخر وظيفة بنائية مرتبطة بأجزاء القصيدة الأخرى. والحمد لله أولاً وآخراً.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- 1- الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي: ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 1993م.
- 2- الجود، اصدار وثائقي خاص بمسابقة الجود العالمية الثالثة، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، 1433هـ.

- ٣- الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها (١) التقليدية: محمد بنيس، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ط٢، ٢٠٠١م.
- ٤- عتبات النص، المفهوم والموقعية والوظائف: مصطفى سلوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، ط١، ٢٠٠٣م.
- ٥- العنوان في الأدب العربي (النشأة والتطور): محمد عويس، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط١، ١٩٨٨م.
- ٦- فن الشعر: أرسطو طاليس، ترجمة وتحقيق: د. عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت - لبنان.
- ٧- في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية: د. خالد حسين حسين، التكوين للتأليف والطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٨- هوية العلامات، في العتبات والتأويل: شعيب حليفي، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء.

ثانياً: المقالات

- ٩- الشعر والتاريخ، شعرية التناس: ناظم عودة، الأقلام، ع٧/٨- تموز/ آب- ١٩٩٢م.
- ١٠- الشعري والتاريخي، قصيدة ابن الرومي في خراب البصرة أنموذجاً: د. علي مجيد البديري، بحث مخطوط، مقبول للنشر في مجلة تراث البصرة/ جامعة البصرة.

ثالثاً: قصائد مخطوطة

- ١١- تجليات نهر إلهي: الشاعر البحريني ناصر زين، قصيدة (مخطوطة) شاركت في مسابقة الجود العالمية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء.
- ١٢- على حافة القمر: الشاعر البحريني أحمد هاشم العلوي، قصيدة (مخطوطة) شاركت في مسابقة الجود العالمية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء.
- ١٣- وكان عرشه على الرمح: الشاعر البحريني أحمد هاشم العلوي، قصيدة (مخطوطة) شاركت في مسابقة الجود العالمية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء.



أثر النشأة الصالحة في بناء الفرد أم البنين أنموذجاً

الشيخ محمد رضا الساعدي*

مقدمة

لا يخفى ما للتربية والنشأة الصالحة من أثر كبير في بناء الفرد، وهذا الأمر من الأمور الوجدانية التي لا تحتاج إلى مزيد بيان أو إقامة برهان، فكلُّ منَّا قد شاهدها، بل وعاشها في بيته وأسرته وأبنائه وإخوته، كما أنَّ العكس صحيح، فيما لو كانت التربية والنشأة في بيئة فاسدة، وبيت كبيت العنكبوت؛ فإنَّ ذلك يُنتج وبالأحرار في حياة الفرد ومستقبله من جميع النواحي.

وتكمن أهمية التربية والنشأة في أنَّ الأثر الناشئ منها - سواء كان سلبياً أو إيجابياً - لا يقتصر على الفرد وحياته، بل يشمل الحياة الاجتماعية بكافة مفاصلها، سواء كانت دينية أو دنيوية، وسواء كانت تربوية، أو ثقافية، أو اقتصادية، أو أمنية، أو غيرها. فينصبُّ تأثيرها على علاقة الإنسان بربه ونفسه ومجتمعه، بل على الكون كله، فإمَّا أن تكون علاقة إيجابية قائمة على أسسٍ ونظمٍ قويمه، ملؤها التقوى والإيمان، وإمَّا أن تكون علاقة سلبية قائمة على أسسٍ منحرفة، ملؤها الضياع والكفران، وبتعبير القرآن الكريم: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١).

وهذه المفردة قد وقعت محلاً للبحث والتتبُّع والاختلاف عند علماء الدين

* باحث وأستاذ في الحوزة العلمية/ النجف الأشرف.

(١) الإنسان: آية ٣.

والاجتماع؛ لما لها من أثرٍ واضحٍ وكبيرٍ في سعادة الدارين أو تعاستها؛ لذا نرى التركيز الكبير والواضح على هذه المفردة، ودور الآباء في تقويمها والقيام بها، من قبل النصوص القرآنية والروائية، والممارسات العملية التي كان عليها أهل التشريع عليه السلام.

ولا أدعي هنا أنّ تلك التنشئة والتربية هي علة تامّة للصلاح، وإتّما هي جزء علة، بل هي المقتضي الأكبر له، ويبقى وجود المانع قائماً، ولو من باب القاعدة القرآنية: ﴿يُخْرِجُ **الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**﴾^(١)، التي فسّرت في الروايات^(٢)، بخروج المؤمن من صلب الكافر، وربّما العكس، فعبرت عن الكافر بالميت، وعن المؤمن بالحي.

وهناك عدّة عوامل تجتمع لإنجاح هذه التربية والتنشئة، ولعلّ أهم تلك العوامل هي المدرسة الأولى للبناء، وهي الأمّهات والآباء، ودور الأمّ في تلك التربية أكبر وألصق في سنيّ الحياة الأولى، فالطفل يتربّى وينشأ في أحضانها، ويتغذى من حنانها، ويرتشف من عذب صفاتها وأخلاقها، وينمو متأثراً بشخصيتها والتزامها ومواهبها.

وفي هذا البحث سندرس تلك المفردة من خلال تجربة عملية لامرأة وابنها أصبحتا مضرّباً للمثل في الأرض والسماء، وموطن الاقتداء والمدح لدى الصلحاء والشرفاء، ومعلماً للإباء والوفاء، إنّها السيّدة الفاضلة (أمّ البنين) وابنها السيّد المقدم (أبو الفضل العباس) عليه السلام.

وسندرس في هذا المقال المباحث التالية:

المبحث الأول: نبذة من سيرة أمّ البنين ونشأتها

اسمها

هي السيّدة الجليلة أمّ البنين فاطمة بنت حزام الكلابية، وأبوها من الشخصيات

(١) الروم: آية ١٩.

(٢) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٥. المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول: ج ٧،

المرموقة المعروفة بالشجاعة والجود والسخاء. لم يذكر لنا التاريخ في أيِّ عامٍ وُلدت، ولكن يُرَجَّح أن ولادتها كانت بين عامي (٥ - ٩هـ).

واختلف أهل التاريخ والتراجم في أن اسمها: أم البنين، أو فاطمة، أو غير ذلك، فبعض المؤرخين يذكرونها بفاطمة، وبعضهم يقولون: أم البنين، وذكر بعضهم غير ذلك.

فممن قال: إن اسمها أم البنين: الشيخ الطوسي في رجاله، حيث قال في ترجمة العباس عليه السلام: «أمه أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، من بني عامر»^(١)، وكذا في الاختصاص والمقتعة والإرشاد، وغيرها من المصادر، ومنهم الطبري في تاريخه، حيث قال: «أم البنين بنت حزام، وهو أبو المجل بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب ابن عامر بن كلاب»^(٢).

وممن قال: إنها فاطمة: ابن عمدة في عمدة الطالب، حيث يقول: «أم البنين، فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة...»^(٣).

ورجح التستري القول الأول، وردّ القول الثاني، فقال في قاموس الرجال: «ثم تسمية المصنّف لها بفاطمة لم أدر إلى أيّ شيءٍ استند، فلم يذكر الزبيري والطبري والأصبهاني والعمدة والمفيد لها اسماً، بل ظاهرهم أن أم البنين اسمها»^(٤).

وقيل: إن اسمها (جعدة)، كما في الهداية الكبرى: «وكان له عبد الله والعباس وجعفر وعثمان من أم البنين، وهي جعدة ابنة خالد بن زيد الكلابية»^(٥).

وأرّجح الجمع بين القولين، بأن يكون اسمها فاطمة أو جعدة، وكنيتها أم البنين على كنية جدتها، ويؤيد ذلك أنه لم يُعرف كثيراً عند العرب (أم البنين) كاسم، وإنما عُرف ككنية.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأبواب (رجال الطوسي): ص ١٠٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١١٨.

(٣) ابن عنبه، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٣٥٦.

(٤) التستري، محمد تقي، قاموس الرجال: ج ١٢، ص ١٩٦.

(٥) الخصبي، حسين بن حمدان، الهداية الكبرى: ص ٩٤.

ويُستدلّ على ذلك بأمرين:

الأوّل: إنّ الذي كَنّاها بأُمّ البنين هو أبوها حزام؛ تيمُّناً بجدّتها ليلي بنت عمرو ابن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، حيث كان لها خمسة أبناء، أكبرهم أبو براء ملاعب الأسنّة^(١).

الثاني: كان ذلك بطلبها من زوجها الإمام عليّ عليه السلام - كما قيل - أن لا يناديها بفاطمة؛ حتّى لا يشعر أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام بالحزن عند سماع اسم أمّهم في كلّ مرّة، فطلبت منه عليه السلام مناداتها بأُمّ البنين؛ تفاؤلاً بالبنين بعد ولادتها^(٢).

الزوجة الرابعة

اختلف المؤرّخون في كون السيّدة أمّ البنين الزوجة الثانية لأمير المؤمنين عليه السلام، أو الثالثة، أو الرابعة، وتسبقها أمانة بنت العاص، وخولة بنت جعفر بن قيس الحنفيّة؟ ولعلّ الصحيح أنّها الرابعة.

أمّا استبعاد كونها الثانية فلاُمور:

الأوّل: إنّ الإمام عليّ عليه السلام تزوّجها بعد السنة الرابعة والعشرين للهجرة الشريفة، كما ذكر أهل السير والتراجم^(٣).

الثاني: استبعاد بقاء أمير المؤمنين عليه السلام بلا زوجة من السنة الحادية عشرة للهجرة إلى السنة الرابعة والعشرين هجرية.

الثالث: إنّ الزهراء عليها السلام قبل وفاتها أوصته بأن يتزوَّج أمانة، وقد فعل كما نصّت الروايات^(٤).

(١) أنظر: الشريف المرتضى، علي بن الحسين، أمالي المرتضى: ج ١، ص ١٨٩.

(٢) أنظر: القرشي، باقر شريف، أمّ البنين قدوة وجهاد: ص ٢٠.

(٣) موقع ويكيديا.

(٤) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٩٢. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قرغلي،

تذكرة الخواص: ص ٥٩٥.

الرابع: إنَّ عمرها كان صغيراً عند استشهاد الزهراء عليها السلام، إمَّا أن يكون سنتين؛ بناءً على أنَّ ولادتها سنة تسع هجرية، أو ستّ سنين؛ بناءً على أنَّ ولادتها في سنة خمس هجرية، فالمعقول أنَّه عليها السلام تزوّجها في السنة الرابعة والعشرين هجرية، كما نصَّ أهل التاريخ على ذلك، وعمرها حينذاك تسع عشرة أو خمس عشرة سنة^(١).

وأما استبعاد كونها الثالثة، فلأنَّ محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين عليه السلام - وأمه خولة الحنفية - هو أكبر عمراً من العباس عليه السلام؛ لأنَّه وُلد في السنة الحادية والعشرين هجرية، كما نصَّ أهل التاريخ^(٢)، فعمره وولادته سبقت زواج أمير المؤمنين عليه السلام بأمّ البنين؛ لأنَّه تزوّجها في السنة الرابعة والعشرين هجرية، ويتمُّ هذا الوجه بقريضة الاستبعاد في الثانية أيضاً، كصغر عمرها مثلاً، فالأرجح أنَّها الزوجة الرابعة.

أمُّها

«أمُّها ليلي بنت السهيل بن مالك، وهو ابن أبي برة عامر ملاعب الأستة»^(٣)، وهي أسرة معروفة بالعراق والأصالة. وقيل: هي ثمامة بنت سهيل بن عامر، وكانت ثمامة هذه أديبة أريية، وعاقلة لبيبة، فأدّبت ابنتها أمّ البنين بأداب العرب، وعلمتها ما ينبغي للبت الرشيدة تعلّمه، من الأخلاق والآداب الحميدة^(٤).

وفاتها

كانت وفاتها في الثالث عشر من جمادى الآخرة في السنة الرابعة والستين هجرية كما ذكر البيرجندي^(٥)، وقد نقل الخبر عن الأعمش، والسيد محمد باقر القره باغي في كتابه (كنز الطالب) وغيرهما، حيث جاء في (الاختيارات) عن الأعمش أنه قال: «دخلتُ

(١) موقع ويكيبيديا.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن عنبه، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٣٥٦.

(٤) أنظر: القرشي، باقر شريف، أمّ البنين قدوة وجهاد: ص ١١-١٢.

(٥) أنظر: البيرجندي، محمد حسن، وقائع الأيام والشهور: ص ١٠٧.

على الإمام زين العابدين في الثالث عشر من جمادى الآخرة، وكان يوم الجمعة، فدخل الفضل بن العباس وهو باكٍ حزين، يقول له: لقد ماتت جدّتي أمّ البنين»^(١).

اختيار أمير المؤمنين عليه السلام لأمر البنين

هناك مجموعة مقوّمات لاختيار المرأة، نشير إليها إجمالاً قبل بيان اختيار الأمير عليه السلام لها^(٢)، وأثر اختيار المرأة التي نشأت في أجواء صالحة، في إنشاء الجيل الصالح والذرية الطيبة.

اختيار الزوجة الصالحة

لاختيار الزوجة الصالحة أهميّة كبيرة في حياة الأبناء قبل وبعد الولادة، وذلك من خلال ما ثبت من انتقال الصفات الروحية والجسمية من الآباء والأمّهات إلى الأبناء، فالزوجة هي أمّ الأولاد، ومدربتهم الأولى؛ لذا نجد أنّ الروايات قد أكّدت أشدّ التأكيد على أهميّة اختيار الزوجة، فقالت الرواية: «اخترُوا لنطفكم»^(٣)، وقد جاء التأكيد بأساليب متنوّعة، فتارةً نجد الروايات تشدّد على نسب الزوجة، وتارةً تشدّد على بيئة الزوجة، وتارةً على دين الزوجة، وتارةً على سلامة الزوجة من العيوب النفسية والبدنية^(٤).

وهذه الأصناف من الروايات بيّنت لنا شيئاً مهمّاً، وهو أنّ عملية الانتقاء في الزواج لها دور كبير في صلاح الحياة الزوجية من جهة، وصلاح الأولاد من جهة أخرى، فكلّما توفّرت هذه المواصفات في الأمّ انعكست إيجاباً على الأبناء، وهذا ما جعل أمير المؤمنين عليه السلام يختار أمّاً صالحة لأبنائه، اسمها أمّ البنين.

(١) المصدر السابق، وقد نقل الخبر عن الأعمش.

(٢) وقد بيّنت ذلك تفصيلاً في كتابي: (تربية الأبناء من منظور إسلامي)، في فصل: (صفات الزوجة الصالحة).

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٣٣٢.

(٤) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ٢٧-٨٤.

هذه الصفات التي كانت لها ولأهلها أهلتها لأن يختارها أمير المؤمنين عليه السلام من بين كل النساء في زمانه؛ وذلك لعظيم النشأة الصالحة التي نشأتها، ولا شك في أنه باختياره لها لم يختَرها كزوجة فحسب، بل كأُمٍّ لأعظم خلق الله في زمانهم، كأُمٍّ لأيتام السيِّدة المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي ذات دين وحسب ونسب، وبيئة جغرافية سليمة، وكمال روحيّ وماديّ انعكس على كلِّ أبنائها، فأنشأتهم نعم النشأة.

استشارة أمير المؤمنين عليه السلام أخاه عقيلًا في زواجه بأُمِّ البنين

قد نقل المؤرِّخون أن أمير المؤمنين عليه السلام استشار عقيلًا في اختيار زوجة له، ففي عمدة الطالب: «روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل - وكان نسابة عالمًا بأنساب العرب وأخبارهم - أنظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها، فتلد لي غلامًا فارساً. فقال له: تزوج أم البنين الكلابية، فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها. فتزوجها»^(١).

المبحث الثاني: التربية والنشأة وتأثيرهما في بناء الفرد

أما ما يرتبط بالتربية والنشأة فقد لخصنا أهمَّ المطالب ضمن النقاط الآتية:

النقطة الأولى: التربية والنشأة في اللغة والاصطلاح

التربية لغةً: مشتقة من (ربا) بمعنى (زاد ونها)، وتأتي بمعنى التغذية^(٢)، وهكذا تشتقُّ التربية من الربِّ الذي يطلق على المالك والسيد والمدبِّر والمربي^(٣)... ويكون المعنى: القيام بأمر الطفل على وجه أحسن.

والحاصل: أنَّ الاستفادة من كلمات اللغويين في مفهوم التربية، هو: حسن القيام

(١) ابن عنبه، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٣٥٧.

(٢) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٤، ص ٣٠٤، وج ١٥، ص ١١٩.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ج ١، ص ٤٠٤.

بشؤون الأطفال، بحيث تنمو أجسامهم وعلومهم وعقولهم، والقيام بتدبير أمورهم على نحوٍ يزيد في كلِّ ما كان صلاحاً لهم من أمور الدنيا والآخرة.

قال المحقق المصطفوي في التحقيق: «إنَّ الأصل الواحد في هذه المادَّة سوق شيء إلى جهة الكمال، ورفع النقائص بالتخلية والتحلية، سواء كان من جهة الذاتيات، أو العوارض، أو الاعتقادات والمعارف، أو الصفات والأخلاقيات، أو الأعمال والآداب، أو العلوم المتداولة في إنسان أو حيوان أو نبات، ففي كلِّ شيءٍ بحسبه، وبحسب ما يقتضي ترفيع منزلته، وتكميل شأنه»^(١).

أما التنشئة: فهي حُسن التربية، وفي الحديث: «عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما علامة الإمام الذي بعد الإمام؟ فقال: طهارة الولادة، وحسن المنشأ...»^(٢)، و«كأنه من النشء كقفل، اسم من نشأت في بني كذا: أي ربيت فيهم، والمراد حسن التربية، وتنزيهه عن المعاصي»^(٣)، «والناشئ: الشاب الذي نشأ وارتفع وعلا»^(٤).

قال المصطفوي: «إنَّ الأصل الواحد في المادَّة هو إحداث أمر مستمرّ، أو حدوثه في استمراره ومع البقاء، ومن مصاديقه: حدوث في بقاء واستمرار وتجدد، وتربية شيء إحداثاً وإبقاءً، وخلق في تربية وتقدير، وإحداث سحب وسوقه إلى نقطة للإمطار، وإحداث برنامج علميٍّ وإجراؤه، وحدث حالة شباب واستمراره... وفي التنشئة يكون النظر إلى جهة الوقوع والتعلُّق بالمفعول، كما قلنا في موارد آخر: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾^(٥)، ﴿أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٦)، ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ﴾^(٧)، ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾

(١) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٤، ص ١٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٨٥.

(٣) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ١، ص ٤١٦.

(٤) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ١٢، ص ١١٦.

(٥) الروم: آية ١٤١.

(٦) يس: آية ٧٩.

(٧) الرعد: آية ١٢.

﴿مَنْحَنُ الْمُنشِئُونَ﴾^(١)، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾^(٢)، ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٣)،
﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^(٤)، فالمادّة في هذه الأفعال تدلّ على إحداث في استمرار^(٥).

المستفاد ممّا تقدّم:

أولاً: إنّ التربية هي تنمية الشيء مادياً أو معنوياً، أو هي «إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام»^(٦) ذاتاً وأخلاقاً وعملاً وأدباً وعلماً وترفيحاً.

ثانياً: إنّ التربية قد تكون إلهية أو بشرية، ولا تختصّ بالصغار، وإن شاع إطلاقها على ذلك، كما أنّها لا تختصّ بالإنسان، بل تشمل الحيوان والنبات، كلٌّ بحسبه. ثالثاً: إنّ التربية قد أخذ فيها حمل المربيّ للمربيّ - ولو قسراً وإجباراً - على ما يصبّ في مصلحته وتنميته.

رابعاً: إنّ التنشئة هي من أنواع التربية، وتمثّل مرحلة من مراحلها، وهي مرحلة التربية في مراحل العمر الأولى، وقد تُطلق على حسن التربية أيضاً. خامساً: إنّ التربية قد أخذ فيها الاستمرار، فهي لا تقف عند حدّ معيّن؛ لأنّها انطلاقة نحو الكمال.

النقطة الثانية: أقسام التربية

للتربية أقسام عديدة، ولا تقتصر على ما شاع بين الناس من التربية الجسمية، نذكر منها الأقسام الآتية:

التربية الجسمية: وهي العناية التي يوليها المربيّ - الآباء والأمّهات والأجداد -

(١) الواقعة: آية ٧٢.

(٢) المؤمنون: آية ٣١.

(٣) هود: آية ٦١.

(٤) المؤمنون: آية ١٤.

(٥) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ١٢، ص ١١٧.

(٦) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ١٨٤.

لجسم المرَبّي، بحيث يُؤدّي فقدانها إلى مرض البدن، أو إيجاد عاهة مؤقّته أو دائمة فيه، ومنها توفير النظافة والتغذية الكافية والصحيّة، وحفظه عمّا يضرّه؛ لينشأ الأولاد «على خير ما ينشؤوا عليه، من قوّة الجسم، وسلامة البدن، ومظاهر الصحّة والحويّة والنشاط»^(١).

التربية الإيمانية: و«المقصود بالتربية الإيمانية ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان»^(٢)، كالإيمان بالله سبحانه وملائكته ورسله والأئمّة المعصومين عليهم السلام، وتدريبه منذ صغره على العبادات البدنية والمالية، كالصلاة والصوم والزكاة، وتأديبه على حبّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وحبّ آل بيته عليهم السلام، وتلاوة القرآن، واصطحابه إلى محالّ الطاعة، كالمراقد المقدّسة والمساجد والمحافل الدينية والشعائر الحسينية.

التربية الخلقية: «وهي مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي ينبغي أن يتلقّنها الطفل، ويكتسبها ويعتاد عليها، منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفاً، إلى أن يتدرّج شاباً، إلى أن يخوض خضم الحياة»^(٣)، فيُبنى له منظومة أخلاقية من خلال تلقينه المفاهيم النظرية، وخلق قدوةٍ صالحةٍ يقتدي بها عملياً.

التربية النفسية: «والمقصود بالتربية النفسية: تربية الولد منذ أن يعقل على الجرأة والصراحة، والشجاعة والشعور، وحبّ الخير للآخرين، والانضباط عند الغضب، والتحلّي بكلّ الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق»^(٤)، والابتعاد عن الصفات النفسية المنبوذة.

التربية العقلية: والمقصود بالتربية العقلية تكوين منظومة معلومة مادية وفكرية واعية

(١) فريجات، حكمت عبد الكريم، فصل الكلام في حقوق الطفل والمرأة في الإسلام: ص ١٠٠.

(٢) أخو رشيدة، عوض خلف، والخزاعلة، ياسر طالب، حقوق الإنسان في الفكر الهاشمي: ص ٤٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٦.

ومتناسقة للمربّي بكلّ ما هو نافع من العلوم الشرعية، والثقافة العلمية والعصرية، والتوعية الفكرية والحضارية، حتّى ينضج فكراً، ويتكوّن علمياً وثقافياً^(١).

التربية غير التعليم

إنّ مفهوم التربية أعمّ من التعليم؛ لأنّ التربية تشمل كلّ ما يحتاج إليه المربّي في نمّوه ورشده؛ سواء كان من لوازم الجسم أو العقل أو النفس، أمّا التعليم فيختصّ بما يخرج من الجهل إلى العلم، فالتعليم هو أحد أقسام التربية، وكلّ منهما مرتبط بالآخر، ويصحّ أن يُقال: كلّ تعليم هو مصداق للتربية وفرد منها، وليس العكس صحيحاً.

النقطة الثالثة: مراحل التربية والنشأة

للتربية والتنشئة مرحلتان أساسيتان، يُسهم في تكوينها الأب والأم على حدّ سواء، فكلّما كان الاهتمام بتحقيقها أكبر كانت التربية أجدى وأكمل، وهما مرحلة ما قبل الولادة، ومرحلة ما بعدها.

المرحلة الأولى: المقدمات والأسباب

وهي المقدمات والأسباب اللازم توفيرها من قبل الزوج؛ للحصول على ذرية صالحة وسليمة من الآفات النفسية والبدنية، وذلك من خلال التركيز على أهميّة اختيار الزوجة ذات المواصفات الجيدة، وأهميّة عامل الوراثة في صلاح الذرية، وأهميّة اتّباع الروايات التي حدّدت الزمان المناسب، والكيفية المناسبة، والمكان المناسب للجماع، وأهميّة الدعاء في طلب الولد الصالح، وأهميّة الاهتمام بمرحلة الحمل، وبنوعية الأكل بالنسبة للزوجة، وأمور أخرى قد ذكرت بعضاً منها فيما مضى^(٢).

(١) أنظر: المصدر السابق.

(٢) وتفصيل ذلك في كتابي: (بحوث في الفقه الاجتماعي).

وإليك إجمالها:

١. اختيار الزوجة الصالحة: وقد مرّ بيانه.

٢. اختيار وقت الجماع.

وردت روايات كثيرة في مراعاة أوقات الجماع وكيفيته، تحثّ على اتّباع الزمان والمكان والكيفية الأمثل، فبعض الأزمنة والكيفيات قد تُسبب ضياع الطفل، أو اكتسابه بعض الصفات البدنية أو النفسية غير الجيدة.

ومن هذه الأزمنة والكيفيات الممنوعة: الجماع في حالة الطمث (الحيض)، أو بعد الاحتلام، أو حال الاختضاب (أي: وضع الحناء)، أو حال كون الزوج والزوجة واقفين، أو كونهما عارين، أو يتكلّمان حال الجماع، أو أن ينظر الرجل في فرج زوجته، أو أن يجامعها في سفينة، أو مستقبلاً للقبلة، أو بين الطلوعين، ووقت خسوف القمر، وكسوف الشمس، أو في وقت هبوب الرياح السوداء أو الصفراء أو الحمراء^(١).

٣. الاهتمام بالدعاء

للدعاء أهمية بالغة في حياة المسلم والمسلمة، فهو الوسيلة المثلى للتقرّب إلى الله تعالى، وجلب المحبوب، ودفع المكروه، وقد تعلّمنا من سيرة أهل بيت النبوة ﷺ أنّ منهج الدعاء له تأثير كبير في حياة الإنسان.

وجاء الحثّ الكثير في الكتاب والسنة على ضرورة الالتزام بالدعاء، فإحدى الآيات تبين أنّ للدعاء أثراً كبيراً في قبول الإنسان عند ربّه، فتقول الآية: ﴿قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٢)، وفي آية أخرى تهدّد تارك الدعاء بالنار؛ لأنّ الدعاء عبادة، والتكبر على العبادة يوجب دخول النار: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

(١) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ٢٥٠ وما بعدها.

(٢) الفرقان: آية ٧٧.

عَنْ عِبَادَتِي سَيِّدَ خُلُونِ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿١﴾، إلى غيرها من الآيات.

أما الروايات فكثيرة، أذكر منها الرواية التي تبين أنّ للدعاء أثراً بالغاً في تغيير مصير الإنسان من الأسوأ إلى الأحسن، ومن الشقاء إلى السعادة، فتقول الرواية: «الدعاء يدفع البلاء النازل، وما لم ينزل»^(٢)، كما أنّ الدعاء مخّ العبادة على حدّ تعبير الرواية: «الدعاء مخّ العبادة»^(٣)، فدعاء الأب والأم له أثر كبير في حياة الطفل قبل وبعد الولادة، وقد دلّت الروايات على أنّ هناك أدعية خاصّة بطلب الولد الصالح، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أردت الجماع فقل: اللهم ارزقني ولداً، واجعله نقيّاً، ليس في خلقه زيادة ولا نقصان، واجعل عاقبته إلى خير»^(٤).

٤- الاهتمام بمرحلة الحمل

لهذه المرحلة أثر كبير ومهمّ في عملية تحسين النسل وصلاحه من الناحيتين البدنية والنفسية؛ لذا جاءت التوصيات تؤكّد الاهتمام بهذه المرحلة، محاولة تجنب المرأة المؤثرات السلبية، كارتفاع درجة الحرارة، أو الصدمة القوية، أو سوء التغذية، أو تعرّك جوّ العائلة، أو الاضطرابات العصبية، فهذه الأمور تؤدّي إلى إضعاف عقل الجنين وبدنه؛ لذا حثّت الروايات على أمور، منها الاهتمام بالطعام، وركّزت على بعض الأصناف من الطعام، وبيّنت أنّ للطعام أثراً إيجابياً كبيراً في سمات الطفل وصفاته.

وقد وردت أكثر من رواية تركّز على الطعام الانتقائي للحامل، أذكر منها، الرواية الواردة عن رسول الله ﷺ: «أطعموا حبالكم السفرجل، فإنّه يحسّن أخلاق أولادكم»^(٥)، كما حثّت الروايات على أكل السفرجل من قبل الأب والأم، ففي الرواية: «... المرأة الحامل

(١) غافر: آية ٦٠. (عبادتي: أي دعائي).

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٦٩.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٧، ص ٢٧.

(٤) المصدر السابق: ج ٢١، ص ٣٦٩.

(٥) المصدر السابق: ص ٤٠٥.

تأكل السفرجل؛ فإنّ الولد يكون أطيب ريحاً، وأصفي لوناً^(١)، كما أنّ أكل الفواكه مثل الرمان والتين والعناب والزبيب، وكذلك أكل اللحم والخضروات والبقول والسلق، ممّا أكّدت عليه الروايات في فترة الحمل.

المرحلة الثانية: ما بعد الولادة

وتتناول الأمور اللازم توفيرها بعد الولادة، ابتداءً من مرحلة النفاس وما بعدها، وانتهاءً بالمرحلة الحادية والعشرين، وقسمت هذه المرحلة على أقسام:

الأول: (المرحلة المبكرة).

الثاني: (مرحلة التعليم الأولى).

الثالث: (مرحلة التعليم الثانية).

تفصيل مراحل التربية بعد الولادة

بعدما عرفنا في القسم الأوّل المقدمات اللازم توفيرها من قبل الزوج للحصول على ذرية صالحةٍ وسليمةٍ من الناحية الجسمية والروحية، ندخل في القسم الثاني، وهذا القسم يُعدّ القسم العملي للتربية، وهو أكثر أهميّة من القسم الأوّل، وقد قسّمته إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: (المرحلة المبكرة)

وتبدأ هذه المرحلة من ولادة الطفل إلى سنّ السابعة، والنفاس هو أوّل شيء نتعرّض له في هذه المرحلة.

١. النفاس

هو الخطوة الأولى ما بعد الولادة، وهذه المرحلة لها أهميّة في إمكان تحسين النسل، والنفاس هو فترة من الزمن يخرج فيها دم يقذفه الرحم بالولادة معها أو بعدها، على نحوٍ

(١) المصدر السابق: ص ٤٠٢.

يُعلم استناد خروج الدم إليها، ولا حدّاً لقليله، وحدّ كثيره عشرة أيّام من حين رؤية الدم^(١)، وله أحكام خاصّة تُراجع في الرسائل العملية للفقهاء.

وفي هذه الفترة أوصى أهل البيت عليهم السلام بتناول أنواع معيّنة من الأغذية، وأهم ما أكّدوا عليه من الطعام الرُّطب، فقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تأكلُ نُفساءَ - يوم تلد - الرُّطب فيكون غلاماً إلاّ كان حليماً، وإن كانت جارية كانت حليمة»^(٢).

٢. الرضاعة

وبعد خطوة النفاس تأتي خطوة الرضاعة، وهذه الخطوة ذات أهمّية بالغة في مسار حياة الطفل من الناحية البدنية والنفسية، وهي أهمّ من خطوة النفاس؛ نتيجة لطولها ومقدار ما يتلقاه الطفل من التغذية (الحليب).

وللتغذية الانتقائية في هذه المرحلة أهمّية بالغة، فكلّما كان غذاء الأم جيّداً وطاهراً وحلالاً كان الحليب كذلك؛ لذا فإنّ الشرع المقدّس أكّد واهتمّ بمسألة التغذية في هذه الفترة، حتّى أنّ الروايات في هذا الباب قد فاقت عدد الروايات في الأبواب السابقة التي حثّت على تحسين النسل.

ونجد الروايات قد اهتمّت أيضاً بنوع المرضعة وصفاتها الكمالية والجمالية؛ لانعكاس صفاتها على المولود، وقد أكّدت الروايات على ضرورة وأفضلية إرضاع الأمّ لولدها، فقد ورد في الرواية: «ليس للصبي خير من لبن أمّه»^(٣)، فالرواية تدلّ على أفضلية حليب الأمّ على كلّ أنواع الحليب، سواء كان من امرأة أخرى، أم من الحليب المجفّف، وقد جاءت الآيات القرآنية مبينة فترة الرضاعة، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٤).

(١) من ذلك يتبيّن أنّه لا اعتبار بما تقوله بعض النساء من أنّ فترة النفاس أربعون يوماً. للتفصيل راجع الرسائل العملية.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٠٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٦٨.

(٤) البقرة: آية ٢٣٣.

وقد وردت روايات تمنع أن تسترضع مَنْ كانت غير متديّنة، أو غير سليمة من الناحية الجسدية أو النفسية والعقلية، وإليك بعض الروايات: «أنظروا مَنْ يرضع أولادكم؛ فإنّ الولد يشبّ عليه»^(١)، وهناك رواية أخرى تحذّر من استرضاع الحمقاء، كما حدّرت الروايات فيما سبق من الزواج بها، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «لا تسترضعوا الحمقاء؛ فإنّ اللبن يعدي»^(٢).

٣- مراسم الولادة والتسمية

هناك مجموعة من المراسم التي جعلها الشارع المقدّس، منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، فمن الأمور المستحبة: غسل الولد بالماء، والأذان في أذنه اليمنى، والإقامة في اليسرى، وتحنيكه بماء الفرات، أو تربة الإمام الحسين عليه السلام، أو التمر، وتسميته الأسماء الحسنة، وحلق رأس المولود في اليوم السابع من الولادة، ذكراً كان أو أنثى، والتصدّق بوزن شعره ذهباً أو فضةً، وتستحبّ الوليمة عند الولادة وبعدها، ومن المستحبّات أيضاً العقيقة عن المولود - ذكراً كان أم أنثى - في اليوم السابع من الولادة، ولها أحكام خاصّة مذكورة في كتب الفقه^(٣).

وهذه المستحبّات ذكّرت في بعض الروايات، أذكر منها ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ وُلِدَ له مولود فليؤدّن في أذنه اليمنى بأذان الصلاة، وليؤمّ في أذنه اليسرى؛ فإنّه عصمة من الشيطان الرجيم»^(٤)، وفي الرواية إشارة إلى الجانب الروحي والمعنوي الذي يحصل عليه الطفل بسبب هذه المراسم. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «حنكوا أولادكم بالتمر؛ فكذا فعل

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٦٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر: المحقّق الحلي، جعفر بن الحسن، المختصر النافع: ص ١٩٣. أبو الحسن الأصفهاني، وسيلة النجاة: ص ٧٥٩.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٠٦.

رسول الله ﷺ بالحسن والحسين»^(١).

كما وردت روايات تحثّ على أهميّة التسمية، وضرورة الالتزام ببعض الأسماء، مثل: (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وأسماء الأنبياء، وأسماء العبودية، كعبد الله وعبد الرحمن). وإليك بعض الروايات^(٢)، فقد ورد في رواية عن أبي جعفر عليه السلام: «أصدق الأسماء ما سمّي بالعبودية، وأفضلها أسماء الأنبياء»^(٣)، وفي رواية أخرى: «استحسنوا أسماءكم؛ فإنكم تُدعون بها يوم القيامة»^(٤)، وفي رواية ثالثة: «حقّ الولد على والده أن يُحسن اسمه وأدبه...»^(٥)، وفي قبال ذلك هناك أسماء ممنوعة، وغير مرغوب فيها، مثل: (حرب ومرة وخالد وحكيم وحارث وظالم)، وأسماء أعداء أهل البيت عليه السلام كيزيد ومرحب وغيرهما^(٦). أمّا المراسم الواجبة فأبرزها الختان، فهو واجب لنفسه، وواجب لغيره، فهو شرط في صحّة الطواف، هذا من الناحية الشرعية.

٤. التربية العملية

وسنقسّم هذه التربية بحسب مراحل السن التالية:

أ: الأعمار من (١-٧)

الخطوة الرابعة من هذه المرحلة، مرحلة ممارسة التربية العملية، وقد أولاها علماء التربية (الاتجاه الوضعي) اهتماماً بالغاً، حتّى أنّ بعضهم قد رسم شخصية الفرد كاملة من خلال استقراره لهذه المرحلة، أمّا الاتجاه السماوي فقد أولى هذه المرحلة اهتمامه، ولكن ليس بدرجة كبيرة جداً، فإنّ هناك مراحل متأخرة عنها أهمّ منها. فهذه المرحلة (١-٧) مرحلة تربية تمهيدية، وقد خلع عليها المشرّع الإسلامي صفة

(١) المصدر السابق: ص ٤٠٧.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٩١ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٩١.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٨٩.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٦) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٨٩ وما بعدها.

اللعب أو السيودية للطفل، وقد وردت هذه الألفاظ في الروايات، أذكر منها رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح وإلا فلا خير فيه»^(١)، أو: «الغلام يلعب سبع سنين...»^(٢)، وفي رواية أخرى: «الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين»^(٣).

فهذه الروايات وغيرها تدلّ على أنّ هذه المرحلة ليست بمستوى المراحل التالية في الأهمية؛ فإنّ الطفل يُترك فيها يلعب وكأنّه سيّد الموقف، ولكن مع هذا اللعب والسيودية يُعلّم بعض التعاليم الخفيفة السهلة التي تُناسب عمره، فيُدرب على بعض الأشياء المهمة، ويُعلّم بعض الكلمات الدينية، ومن أمثلة ما يُعلّم في هذا العمر أن يتعلّم قول: (الله)، وقول: (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله)، و(اللهم صلّ على محمد وآل محمد)، والتوجّه إلى الصلاة وغيرها من الأفكار.

ب: مرحلة التعليم الأولى (٧ - ١٤)

نجد الأوصاف قد تغيّرت في هذه المرحلة عما كانت عليه في المرحلة السابقة، فقد كانت الروايات تسمّي الطفل بأنه سيّد، أو أنّه يلعب، بينما هنا تغيّر لسانها، فالروايات كانت تقول: «دع ابنك يلعب سبع سنين...»، وفي رواية أخرى: «الولد سيّد سبع سنين»، أمّا هذه الفترة فهي مختلفة، فهي فترة عبودية وطاعة للمربي، وفترة يُلزم فيها المربي بمراقبة الطفل أو الحدث، وقد أولاها الشارع المقدّس اهتماماً بالغاً أكثر من الاهتمام بالمرحلة السابقة، وأكدت النصوص أنّ التعلّم هنا تعلّم فيه جدية أكثر، بل إنّها المرحلة التي يتأثر بها سلوك الإنسان وشخصيته في مستقبل حياته، كما دلّت بعض الروايات التي منها: «ألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح وإلا فلا خير فيه»، فهنا دلالة واضحة على أنّ التربية إذا لم تنجح في هذه المرحلة، فمن الصعب السيطرة على الطفل لاحقاً.

(١) المصدر السابق: ص ٤٧٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٧٦.

وأهم التوصيات في هذه المرحلة نستطيع أن نذكرها بعد استعراض روائي لهذه المرحلة، فقد ورد في الرواية «الغلام... يتعلم الكتاب سبع سنين»^(١)، وفي رواية عن رسول الله ﷺ: «علموا أولادكم السباحة والرماية»^(٢)، وفي رواية أخرى: «... ويؤدّب سبع سنين»^(٣).

وهذه الروايات أكدت على مسألة تعلم كتاب الله تعالى، وتعلم السباحة والرماية الشائعتين في ذلك العصر، والآن السباحة كما هي، ولكن الرماية كانت سابقاً بالسهم، ولعلها الآن بالبندقية، وتعليم الحدث أساليب القتال، لا لأجل العدوان والدموية كما يتصور البعض، ولكن لأجل الدفاع عن النفس والعرض والدين إذا ما اعتدي عليه.

وهناك روايات أكدت على ملء قلب الصبي في هذه المرحلة بالأحاديث والتعاليم الصحيحة، باعتبار أن قلب الصبي أو الحدث كالإناء الفارغ، يتلون بالسائل الذي يوضع فيه، وحدثت الروايات من خطر امتلاء قلب الصبي بالعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة، وإليك بعض الروايات الدالة على ذلك:

ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة»^(٤)، وفي رواية أخرى: «لا خير فيمن لا يتفقّه من أصحابنا. يا بشير، إن الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم، وهو لا يعلم»^(٥).

(١) المصدر السابق: ص ٤٧٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الإرجاء: هو التأخير. والمرجئة: فرقة ضالّة مضلّة، وقد عرّفت هذه الفرقة بتعاريف عديدة، أبرزها: أنّهم فرقة يقولون: «إنّ الواحد من المكلفين إذا قال: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، وفعل بعد ذلك سائر المعاصي، لم يدخل النار أصلاً». الجيلاني، عبد القادر بن أبي صالح، الغنية لطالبي طريق الحقّ (عزّ وجلّ): ج ١، ص ١٨٥، وعرّفت بتعريف آخر: «هي التي أرجت حقيقة أفعال الخلق إلى الله». الماتريدي، محمد بن محمد، كتاب التوحيد: ص ٣١٨، وقيل: هم الذين يعتقدون أنّ الإيمان قول فقط.

(٥) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ٣٣١.

(٦) المصدر السابق: ج ٢١، ص ٤٧٧.

وهذه المرحلة (٧ - ١٤) اتّسمت بصفة الإلزام والإجبار والعقاب فيما لو صدر العصيان أو التمرد من الأولاد، بخلاف المرحلة السابقة (١ - ٧) التي خلت من ذلك، وهذا يدلّ على أنّ لكلّ فترةٍ من حياة الطفل وسائل وبرامج خاصّة ينبغي اتّباعها، وأيّ إخلال فيها يؤثّر في تربية الطفل سلبياً.

ج: مرحلة التعليم الثانية (١٤-٢١)

وهذه المرحلة من أهمّ المراحل، ونستطيع أن نُطلق عليها مرحلة التعليم الكبرى، حيث كُنّفت الأدوات المعرفية والثقافية على الأولاد في هذا السنّ، فيعلّمون فيها أمور الشريعة لكي يطبّقوها، ويطلق بعض الباحثين على هذه المرحلة مرحلة (سنّ الرشد)، وقد تظافرت الروايات على تميّزاتها، واللازم تقديمه للأولاد فيها، ففي رواية: «الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلّم الكتاب سبع سنين، ويتعلّم الحلال والحرام سبع سنين»^(١)، وفي الرواية السابقة: «الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين».

إنّ الفقرتين الأخيرتين من الرواية الأولى والثانية تبيّنان سمة هذه المرحلة، وأتمّها مرحلة تعليم الحلال والحرام، وأنّ الولد فيها وزير، ففي هذه المرحلة^(٢) يصبح الولد الذكر مكلفاً بتكاليف السماء، وعليه الالتزام بمسائل الشريعة، فيعمل بالواجبات، ويترك المحرمات، وهذا العمل بالواجب والترك للمحرم هو فرع تعلّم مسائل الحلال والحرام، فالعلم ثمّ العمل، فيتحمّل الولد كامل المسؤولية بالالتزام بالأحكام الشرعية حلالها وحرامها.

ثم إنّ الرواية الثانية تبيّن أنّ الولد أصبح وزيراً في هذه المرحلة بعد أن كان سيّداً في المرحلة الأولى، وعبدًا في المرحلة الثانية، وإعطاء صفة الوزارة في هذه المرحلة يدلّ على تطوّر

(١) المصدر السابق: ص ٤٧٥.

(٢) علماً بأنّ الفتاة مكلفة منذ المرحلة السابقة؛ لأنّ سنّ التكليف عندها يتبدّى بإكمال تسع، بخلاف الذكر الذي يبلغ بإكمال خمس عشرة سنة، أو إحدى علامتين أحر، وتفصيل ذلك في محلّه من الفقه.

مدركات الولد، ولكن ليس إلى حدّ أن يتصرّف باستقلالية. نعم، له استقلال ولكنه ناقص، ويكمل استقلاله باستشارة المربي الذي يمثل رئيس الدولة في مملكتهم الصغيرة التي هي منزلهم، فالمرهق يحسّ ببعض الاستقلالية في إدارة الشؤون خلال هذه المرحلة، ولكن القول الفصل ليس بيده، بل بيد رئيس الدولة (المربي)، كما أنّ طاقات الأولد تبرز في هذه المرحلة خصوصاً في سنّ الثامنة عشرة، كما دلّت الرواية: «لا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى ثماني عشرة سنة، فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه»^(١).

المبحث الثالث: النشأة الصالحة تخلق نشأة صالحة (أم البنين والعباس عليهما السلام)

كان لنشأة السيدة أمّ البنين في أسرة كريمة - كما تبين ممّا مرّ ويأتي - الأثر الأكبر في استقامتها وتميّزها بصفات عظيمة؛ إذ إنّ الأبناء يرثون صفات الآباء، ويكتسبون من أخلاقهم وتربيتهم، وهنا بيان إجمالي لنشأة أمّ البنين الصالحة، وأثرها في إعداد الجيل الصالح، فقد عُرفت عائلة أمّ البنين بصفاتٍ، أهمّها:

١. الشجاعة

فهذه الأسرة معروفة بهذه الصفة، وكانت محطّاً للأُنظار في ذلك الحين، وقد أنجبت تلك القبيلة الفحولية من العرب، ومن فرسانها الشجعان: عامر بن الطفيل، وهو أخو جدّة أمّ البنين، وعامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنّة، وهو الجدّ الثاني لأمّ البنين، وغيرهما كالطفيل، وعروة بن عتبة.

وقد أشار الشاعر لييد - وهو من أبناء هذه القبيلة - إلى ذلك في مجلس النعمان بن المنذر ملك الحيرة، حيث يقول:

سيوف جنّ وجفانٌ مترعة
الضاربون الهام تحت الخيضة^(٢)

نحن بنو أمّ البنين الأربعة
ونحن خير عامر بن صعصعة

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١، ص ٩٦.

(٢) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، جمهرة الأمثال: ج ٢، ص ١١٧.

جاء في سفينة البحار: «ليبد هو أبو عقيل ليبد بن ربيعة العامري، عمّ حزام بن خالد بن ربيعة، والد أمّ البنين زوجة أمير المؤمنين عليه السلام، أمّ عباس بن علي وإخوته، وكان من أشرف الشعراء المجيدين المخضرمين، والفرسان المعمرين، عمّر مائة وأربعين سنة أو أزيد، وأدرك الإسلام، وأسلم وهاجر وحسن إسلامه، ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطّاب، فأقام بها حتّى مات في أواخر خلافة معاوية، وهو أحد شعراء الجاهلية أصحاب المعلّقات، وكان من أجواد العرب، حكى أنّه آلى على نفسه في الجاهلية أن لا تهبّ صبا إلّا أظعم، وكان له جفتان يغدو بهما ويروح في كلّ يوم على مسجد قومه فيطعمهم»^(١).

انعكاس التربية

وهذه التربية على الشجاعة وأجواء القوّة والبطولة التي كانت تعيشها أمّ البنين انعكست إيجاباً على تربيتها لأبنائها، فكان العباس عليه السلام وإخوته مضرب الأمثال في الشجاعة والاستبسال، فنشأتها في بيت شجاع أنجب أبناءً شجعاناً، فالأصل إن طاب طاب الفرع والثمر، لذا كانت الشجاعة من مفاخر أبي الفضل، فقد أنشأ في ميدان الطف يقول:

لا أرهّب الموت إذا الموت زقا حتّى أوارى في المصاليق لقا^(٢)

٢- الجود والسخاء وطيب النفس

ومن صفات هذه الأسرة التي انعكست على أمّ البنين الجود والسخاء، فكانت أمّ البنين طيّبة النفس، سخية في المال والنفس والأبناء، فقد آثرت أبناء الزهراء عليها السلام على أبنائها، وافتدتهم بهم، وواقعة كربلاء واضحة الدلالة على الجود والإيثار الذي تحلّى به

(١) القمي، عباس، سفينة البحار: ج٤، ص٢٨٢.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص١٠٨.

العباس عليه السلام تجاه الإمام الحسين عليه السلام، وهذا انعكاس لتربيته له، وقد بينا ذلك تفصيلاً في بحث مطبوع^(١)، وسنشير إجمالاً إلى ذلك في طيّات البحث تحت عنوان خاصّ مشترك بين أمّ البنين والعباس عليه السلام.

٣. الأدب والشعر

عُرفت تلك القبيلة بالأدب والشعر، فكان لديها مجموعة شعراء تميّزوا بالفصاحة والبلاغة ودقّة التصوير، ولعلّ الشاعر لبّيد من أبرزهم، وهذه أبيات من شعره:

بُلينا وما تُبلى التّجوم الطوابعُ	وتبقى الجبال بعدنا والمصانعُ
وقد كنت في أكناف جارٍ مضنّة	ففارقني جارٍ بأربد نافعُ
فلا جزع إن فرّق الدهر بيننا	فكلّ فتى يوماً به الدهر فاجعُ
وما الناس إلا كالديار وأهلها	بها يوم حلّوها وغدوا بلاعُ
وما المرء إلا كالشّهاب وضوئه	يجور رماداً بعد إذ هو ساطعُ
وما البرّ إلا مضمّرات من التقى	وما المال إلا معمرات ودائعُ
وما المال والأهلون إلا ودائع	ولا بدّ يوماً أن تردّ الودائعُ ^(٢)

وهذا الأدب والشعر ورثته عن أهلها، وأورثته لأبنائها، وشعر العباس عليه السلام في واقعة الطف وارتجاله هو أكبر الشواهد على أثر الوراثة والتربية الأدبية في ذلك، وقد مرّ سالفاً بعض شعره، وسيأتي أيضاً.

العامل الوراثي

وقد أشار الشعراء في أدهم إلى علاقة طيب أصل أمّ البنين ونشأتها الكريمة بالصفات

(١) الإيثار في المنظومة الأخلاقية (أبو الفضل العباس نموذجاً)، بحث شاركت به في مهرجان ربيع الشهادة العالمي الثالث عشر، وقد فاز بالمرتبة الأولى.

(٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء: ج ١، ص ٢٧٠-٢٧١.

التي أخذها العباس عليه السلام وإخوته عنها، ومن ذلك شعر العلامة الشيخ هادي كاشف الغطاء في مقبولته:

أمُ البنين طابت الأبناءً منك كما قد طابت الآباءُ
أمُ الأسود من بني عمرو العلاء أمُ الحماة والأبوة النبلاء^(١)

وقد اتّصفت أمُ البنين بصفاتٍ أخرى ميّزتها، منها:

الوفاء: فإنّ من صفاتها الظاهرة المعروفة فيها هي صفة: (الوفاء)، فقد عاشت مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفاء وإخلاص، وعاشت بعد شهادته مدّة طويلة لم تتزوَّج غيره، إذ خطبها أبو الهياج بن أبي سفیان بن الحارث فامتنعت، وقد روت حديثاً عن علي عليه السلام في أن أزواج النبي والوصي لا يتزوَّجن بعده^(٢).

وذكر بعض أصحاب السّير أنّ شفقتها على أولاد الزهراء عليها السلام وعنايتها بهم كانت أكثر من شفقتها وعنايتها بأولادها الأربعة العباس عليهم السلام وإخوته، بل هي التي دفعتهم لنصرة إمامهم وأخيهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، والتضحية دونه، والاستشهاد بين يديه، وهذا المعنى قد انعكس بوضوح على فداء العباس عليه السلام وإخوته لأخيهم وإمامهم الحسين عليه السلام، فالتربية على الوفاء ولّدت عند أبنائها الوفاء.

ومنها: ولاؤها للزهراء وآل الزهراء عليهم السلام، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كانت أمُ البنين - أمُّ هؤلاء الأربعة الإخوة القتلى - تخرج إلى البقيع، فتندب بنيتها أشجى ندبةً وأحرقها، فيجتمع الناس إليها يسمعون منها، فكان مروان يجيء فيمّن يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبتها ويبيكي»^(٣)، وكذا كان أبنؤها عليها السلام يكتنون كلّ الحبّ والإخلاص لأخيهم الحسين عليه السلام.

ومنها: العفّة والشرف؛ فكانت أعفّ نساء قومها، وأعظمن شرفاً وحياءً،

(١) كاشف الغطاء، هادي، المقبولة الحسينية: ص ٩٧.

(٢) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٩٢.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٥٦.

وكذلك تميّزت بصفاتٍ أُخر، كحسّن التربية، والقناعة، والزهد، وغيرها، وهذه الصفات أورشتها أبناءها، فكانوا في غاية العفة والوفاء والإخلاص لأبناء الزهراء عليها السلام، ولا سيّما علاقة العباس عليه السلام بأخيه الإمام الحسين عليه السلام كما أشرنا.

العباس عليه السلام ثمرة تربية أم البنين

إنّ هذه الصفات التي اتّصفت بها أمّ البنين أهلّتها لأن تحتضن وتربي ناصر الحسين عليه السلام، فبين صفاتها الذاتية، ونشأتها الصالحة، ومراعاتها للآداب والأخلاق الإسلامية، نشأ أبو الفضل العباس عليه السلام، وانعكست تربية أمّ البنين على تربيته، فكان العباس عليه السلام ثمرة ذلك كلّها، فتربّي هو وإخوته على الشجاعة، والإباء، والوفاء، والأدب، والشعر، وصلابة الإيوان، كما وصفه الإمام الصادق عليه السلام: «كان عمّنّا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيوان، جاهد مع أبي عبد الله، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً»^(١).

صفات العباس عليه السلام وصفات أم البنين

قلنا: إنّ صفات أبي الفضل العباس عليه السلام مشتقة في كثير من جوانبها من أمّ البنين، طبعاً بغضّ النظر عن الصفات التي ورثها واكتسبها من أمير الموحّدين عليه السلام، فإنّ ذلك خارج عن بحثنا، وهناك صفات كثيرة مشتركة، ولكنّي سأركّز على نموذج واحد، وهو (الإيثار).

صور من إيثار أم البنين

- ١- أثرت أبناء الزهراء عليها السلام ورعايتهم على أبنائها، وكانت تقدّمهم عليهم، ولم تشعرهم بأنهم ليسوا أبناءها.
- ٢- أثرت أن تقضي شبابها في خدمة أبناء الزهراء عليها السلام، ومداراتهم إطعاماً وخدمةً واهتماماً.

(١) ابن عنبه، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٣٥٦.

٣- أثرت الحسين عليه السلام بأبنائها وفلذات أكبادها؛ لكي يبقى الحسين عليه السلام سالماً، وهذا خلاف ما عليه جلّ النساء، من تقديم أبنائهنّ على أبناء ضرائرهنّ.

٤- عند شهادة أبنائها كان سؤالها الأوّل عن الحسين عليه السلام دون أبنائها الأربعة، كما ذكرت المصادر التاريخية.

والنصّ التالي يبين بعض ما مرّ:

ففي هامش شرح الأخبار: «قال صاحب رياض الأحزان ص ٦٠: وأقامت أمّ البنين زوجة أمير المؤمنين العزاء على الحسين عليه السلام، واجتمع عندها نساء بني هاشم يندبن الحسين وأهل بيته، وبكت أمّ سلمة، وقالت: فعلوها ملاء الله قبورهم ناراً. وقال المامقاني في تنقيح المقال: ويُستفاد من قوّة إيمانها أنّ بشرأ كلّما نعى إليها أحداً من أولادها الأربعة قالت (ما معناه): أخبرني عن الحسين، فلما نعى إليها الحسين، قالت: قد قطّعت أنياط قلبي، أولادي كلّهم فداء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، ومَن تحت الخضراء...»^(١).

وكذلك العباس عليه السلام أثر على نفسه عدّة مرّات؛ إذ لم يشرب الماء لأنّه تذكّر عطش الحسين عليه السلام كما سنذكر، وجاد بنفسه عندما نزل للمعركة فداءً للحسين عليه السلام. وإليك جملة من الروايات الدالّة على عظيم إيثاره وتضحّيته، والتي نُقلت بألسنة عديدة، نذكر منها:

اللسان الأوّل: ما ورد فيه كلمة إيثار ومواساة نصّاً

الرواية الأولى في الخصال: عن علي بن الحسين عليه السلام: «رحم الله العباس - يعني ابن علي - فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتّى قطّعت يده، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنّ للعباس عند الله تبارك وتعالى لمنزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة»^(٢).

هذه الرواية واضحة الدلالة على عظيم إيثار العباس عليه السلام، وهي صادرة من شاهد

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٨٦.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٦٨.

حاضر في واقعة الطف، تحكي لنا قصة إيثار وفداء قام العباس عليه السلام بتسطير حروفها على رمضاء كربلاء، كتب فيها فداءه للحسين عليه السلام بنفسه، فحصل بذلك على مرتبة يغبطه عليها كل الشهداء، وهذا النص يُعطي العباس عليه السلام منزلة لم تُعطَ لكل الشهداء؛ لأنَّ الإيثار الذي قدّمه لم يقدمه غيره، وقد بيّنا سابقاً أنَّ الإيثار كلّما كان أكبر كانت المنزلة أعظم، والمقام أعلى، فقد وقى نفس الحسين عليه السلام بنفسه، كما نُقل عنه مرتجلاً:

نفسي لنفسي الطاهر الطهر وقي
إني صبور شاكر للملتقى^(١)

الرواية الثانية: ما ذكره السيّد ابن طاووس في إقبال الأعمال الحسنة من زيارة الشهداء في يوم عاشوراء: «... السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقي الساعي إليه بائه، المقطوعة يداه، لعن الله قاتليه، يزيد بن الرقاد الحيتي، وحكيم بن الطفيل الطائي...»^(٢).

فالزيارة المهذوية^(٣) لعمة العباس عليه السلام تُبيّن مقدار ما أثر به في واقعة الطف، حيث قدّم نفسه فداءً للحسين عليه السلام، ولم يشرب الماء مع مكنته منه؛ سعيّاً لأن يشرب الحسين عليه السلام وآل الحسين عليه السلام قبله، رغم عظيم عطشه.

وقد نُسب لأبي الفضل العباس عليه السلام شعر في ذلك، ففي شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام: «فهزم القوم، ودخل المشرعة، وأراد أن يشرب الماء، فذكر عطش الحسين عليه السلام، فصبّ الماء من يده ولم يشرب، وملاً القربة، وخرج منها قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هوني
هذا حسين شارب المنون
هيهات ما هذا فعال ديني
من بعده لا كنت أن تكوني
وتشربين بارد المعين
ولا فعال صادق اليقين^(٤)

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج ٣، ص ٧٦.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٧٤.

(٣) باعتبارها ممّا خرج من الناحية المقدسة سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

(٤) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٩١.

اللسان الثاني: ما ورد من تعابير دالة على الإيثار في الزيارة الواردة في حقّه ﷺ

فقد وردت مجموعة عبارات في زيارته تُشير أو تُشعر بالفداء العظيم والإيثار الواضح لأخيه الحسين ﷺ، منها:

العبرة الأولى: إيثار طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ وآله ﷺ والحسين ﷺ خاصة على طاعة نفسه وهواها: ففي كتاب المزار (للشيخ المفيد): «السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين وللحسن والحسين صلى الله عليهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه»^(١).

العبرة الثانية: إيثار الجهاد على الراحة، والمناصحة على الخيانة، من خلال إبراز عنصر الولاء لآل الله، والبراءة من أعداء الله، ففي كتاب المزار: «أشهد وأشهد الله أنك مضيت على ما مضى به البديرون والمجاهدون في سبيل الله، المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرته أوليائه، الذابون عن أحبائه»^(٢).

العبرة الثالثة: المبالغة في النصيحة، وإعطاء غاية المجهود، وترك الراحة والدعة؛ إيثاراً منه لأخيه الحسين ﷺ، ونصيحة لله عز وجل ورسوله ﷺ، وهذه النصرة والمبالغة في النصيحة لم تكن في أمر يسير، بل في أعظم مشروع ديني يحفظ الإسلام حتى ظهور القائم ﷺ، فهو لم يبذل المجهود فحسب، بل أعطى غاية المجهود، ففي كتاب المزار: «أشهد أنك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود.. أشهد لقد نصحت لله ولرسوله، ولأخيك، فنعم الأخ المواسي»^(٣).

العبرة الرابعة: إيثار الدفاع عن الأخ، والتضحية بالنفس لأجل بقاءه، وإيثار نصرته، والدفاع عنه في أحلك الظروف، ولو كلف ذلك الحياة، ففي كتاب المزار: «فنعم الصابر المجاهد، المحامي الناصر، والأخ الدافع عن أخيه»^(٤).

(١) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٢-١٢٤.

(٤) المصدر السابق: ص ١٢٤.

الخاتمة

كيف نستفيد من تلك التجربة؟

إنّ دراسة تجارب العظماء وسيرهم لها فوائد جمة، لعلّ أبرزها الاستفادة منها في الحياة الإنسانية؛ فإنّ التجربة علم مستفاد، ولعلّ أهمّ تلك الفوائد اتّخاذهم أسوة وقدوة.

دور الأسوة والقدوة في البناء والإعداد

إنّ الاقتداء بالعظماء يوفرّ فرصة كبيرة للصلاح والاستقامة؛ لأنّه يمثلّ بُعداً تعليمياً لمبادئ الشريعة من جهة، وبُعداً تطبيقياً من جهة أخرى، ولعلّ الثاني أهمّ؛ لذا جاء عنوان التأسّي بالنبي ﷺ وآل البيت  موضعاً للاهتمام الكبير في التشريع، فالقدوة عامل كبير في صلاح الناس أو فسادهم، لا سيّما في صلاح الصغار أو فسادهم، فإنّ كان المرّي صادقا أميناً كريماً عفيفاً نشأ الولد على الصدق والأمانة والشجاعة والعفة، وإن كان خائناً بخيلاً جباناً... نشأ على الكذب والخيانة والجبن والبخل.

لذا أمرنا الله بالاقتداء بالنبي الأعظم ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(١)، وكذا أمرنا بالتأسّي بإبراهيم النبي : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾^(٢)، بل غير الأنبياء أيضاً ربّما يكونون أسوة وقدوة، كالسيّدة آسيا : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾^(٣).

ومن ذلك التأسّي بالسيّدة أمّ البنين وفاءً وإخلاصاً، وتربية وإيثاراً، ومراعاة حتّى لأبناء زوجة الرجل الأخرى (الشريكة) - كما يعبرّون - والتأسّي بالعباس 

(١) الأحزاب: آية ٢١.

(٢) الممتحنة: آية ٤.

(٣) التحريم: آية ١١.

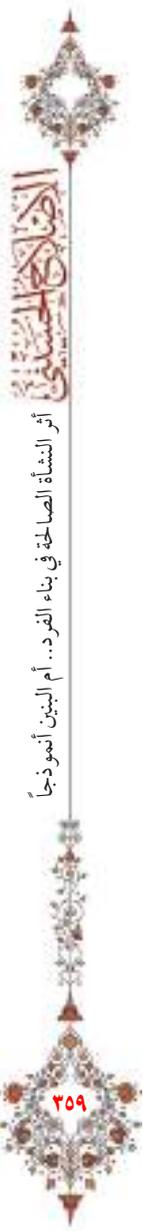
وفاءً وإخلاصاً وإيثاراً لعنوان الأخوة، حتى الإخوة من أبناء الأب، فقد كانت أمّ البنين والعباس عليهما السلام مثلاً أعلى في الإخلاص والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل صلى الله عليه وآله، والسبط المنتجب عليه السلام، فنشأة الأم نشأةً صالحة كانت سبباً مباشراً لنشأة الابن نشأةً صالحة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١- (الأبواب) رجال الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٢- إقبال الأعمال (مضمار السبق في ميدان الصدق)، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣- أمّ البنين قدوة وجهاد، الشيخ باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣هـ)، مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام - دار الماهر، الطبعة الرابعة ٢٠١٤م.
- ٤- الأمالي، علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المعروف بالشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تصحيح: سيّد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدّسة - إيران، ١٤٠٣هـ ق.
- ٥- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٦- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مراجعة وتصحيح: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- ٧- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مؤسّسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، ١٤١٧ هـ.
- ٨- تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواصّ الأمة في خصائص الأئمّة، يوسف بن قزغلي المعروف بسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ)، تحقيق: الدكتور عامر النجار، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- ٩- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجليل، بيروت - لبنان، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- ١٠- حقوق الإنسان في الفكر الهاشمي، عوض خلف أخورشيدي، وياسر طالب الخزايلة، دار الخليج للنشر والتوزيع، عُمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٥ م.
- ١١- الخصال، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران، ١٤٠٣ هـ.
- ١٢- سفينة البحار، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ)، تحقيق: مجمع البحوث الإسلامية، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠ هـ.
- ١٣- شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، القاضي النعمان بن محمد المغربي (ت ٣٦٣ هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- ١٤- الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- ١٥- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ)، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٨٠ هـ / ١٩١٦ م.



- ١٦- الغنية لطالبي طريق الحق ﷺ في الأخلاق والتصوّف والآداب الإسلامية، عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني (ت ٥٦١هـ)، وضع حواشيه: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ١٧- فصل الكلام في حقوق الطفل والمرأة في الإسلام، حكمت عبد الكريم فريجات، دار أمواج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢م.
- ١٨- قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري (ت ١٤١٥هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ١٩- الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ١٣٦٣ش.
- ٢٠- كتاب التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية - مصر.
- ٢١- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.
- ٢٢- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، مرتضوي، الطبعة الثانية، ١٣٦٢ش.
- ٢٣- المختصر النافع، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المحقّق الحلي (ت ٦٧٦هـ)، قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة، طهران - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
- ٢٤- مرآة العقول، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، قدّم له: العلم الحجّة السيّد مرتضى العسكري، إخراج ومقابلة وتصحيح: السيد هاشم الرّسولي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ٢٥- المزار، الشيخ محمد بن محمد بن نعمان المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٦- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٢٧- مقاتل الطالبين، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تقديم: كاظم المظفر، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٢٨- المقبولة الحسينية، الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١هـ)، مؤسّسة كاشف الغطاء، النجف الأشرف - العراق، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩- موقع ويكيديا.

٣٠- مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، تصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

٣١- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٣٢- وسيلة النجاة، السيد أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥هـ)، تعليق: السيد الخميني، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٣- وقائع الأيام والشهور، محمد حسن البيرجندي.

٣٤- الهداية الكبرى، حسين بن حمدان الخصبي (ت ٣٣٤)، مؤسّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣٥- ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ)، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى،

١٤١٦هـ.

خُلَاصَةُ الْمَقَالَاتِ

بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ

المحددات الشرعية والمنطقية لصناعة الخطيب الحسيني

(القسم الثاني)

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

استكمالاً لما ذكره الباحث في القسم الأول من مقال المحددات الشرعية والمنطقية لصناعة الخطيب الحسيني - والتي تناول فيها الجانب الشرعي لصناعة الخطيب الحسيني - ولكي تتم الرؤية لدى القارئ الكريم فقد تناول في القسم الثاني من بحثه آنف الذكر المحددات المنطقية لصناعة الخطيب الحسيني، ولكون القسم الأول قد تناول أهم النقاط التي لها دور في تحديد مسار الخطيب، فقد كان مسار البحث هنا في ضوء النقاط ذاتها التي ذكرت في البحث؛ ليتمكن القارئ من المقارنة بين كلا الرؤيتين لمعرفة أيهما أقرب للحقيقة وأكثر جدوائية، وعلى هذا الأساس فقد ارتسمت خارطة البحث في النقاط التالية: المقدمة التي ذكر فيها سلفاً صعوبة إعطاء نتيجة جزمية عن رؤية علم المنطق حول الخطابة بصورة عامة لأسباب عديدة، من أبرزها سعة المكتوب في هذا المجال، وعدم الاطمئنان إلى الترجمة المتوفرة في أيدينا. متناولاً في المقدمة أيضاً العلاقة بين الخطابة والكتب المنطقية، كما أنه انطلق في موضوع بحثه من حيث انتهى القسم السابق؛ فكان المبحث الثاني في هذا القسم هو بداية موضوعه، وقد عنونه بـ: (المحددات المنطقية لصناعة الخطيب الحسيني)، وأدرج تحته النقاط التالية: بناء الذات للخطيب الحسيني والتي تمحورت في المحددات العلمية متناولاً في ذلك الرأي السائد في كتب المنطق وما وجد في قبالة من رأي مبين له؛ ذاكراً بعض النقاط المترتبة على الرأي الأول والأسباب التي دعت إلى بروزه ومعروفيته في الأروقة العلمية، ثم تناول المحددات العملية والتي انقسم فيها علماء المنطق إلى رأيين كذلك، ولينتقل فيما بعد إلى المحددات المعنوية والروحية في الخطيب والتي لم يجد لها

أثراً في الكتب المنطقية، بل التي عنيت بالخطابة بشكل مستقل أيضاً.

وأما البعد الآخر في الخطابة - وهو المحددات المتعلقة بالخطاب - فقد تناول أيضاً النقاط التي تم الحديث عنها في القسم الأول وبنفس الخطوات المتقدمة؛ إذ تناول موضوعة الإعداد المسبق للخطاب، وضرورة التناسب الطردي بين المشكلة وحلها، مع الإشارة إلى ضرورة مراعاة المتلقي وتجنب ما ينفّر الجمهور.. وغير ذلك من النقاط المهمة.

وقد أنهى البحث بذكر المبحث الثالث الذي خصصه للنظرة المقارنة إلى المنهجين؛ بغية إعطاء صورة متكاملة بعد إجراء عملية مقارنة بين المنهج الشرعي والمنهج المنطقي، ذاكراً في ذلك نقاط الاتفاق والافتراق بين الشرع والمنطق.

The Religious and Rational Regulations When Educating Husayni Orators (Part Two)

Shaykh Sabah Abbas al-Saidi

In continuance of what the researcher mentioned in part one of the article, “The Religious and Rational Regulations When Educating Husayni Orators (PBUH)” – in which he addressed the religious dimension when educating Husayni orators – and in order to complete the image for the dear reader; the researcher addresses the rational regulations when educating orators in this second part of the research.

Since part one of the research mentioned the most important religious factors defining the path of the orator; part two will mention the most important rational factors defining the path of the orator. The reader will then be able to compare the two views and decide which one is more useful and close to the truth. Accordingly, the organization of the research is as follows:

An introduction, mentioning the difficulty of presenting a definite conclusion of logic’s view on rhetoric and speeches in general, due to several reasons, such as the extent of the literature on this subject, and the uncertainty of the available translations. The researcher also mentions the relation between rhetoric and logic books in the introduction.

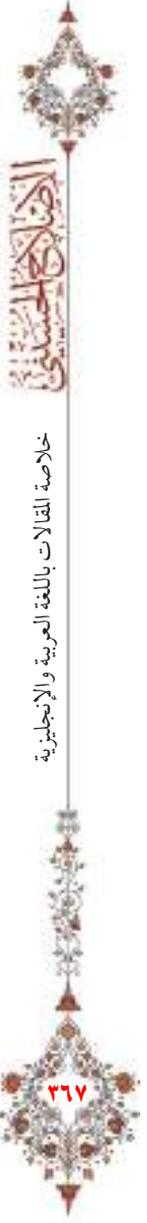
After that, the researcher begins where he left last, naming the chapter, “The Logical Regulations When Educating Husayni Orators”. In this chapter the researcher addresses the following subjects: “Building the Core of the Husayni Orator”, in which he addresses the scientific regulations and the common view in the logic books and the opposing view, mentioning consequential factors to the first view and the causes of its popularity in the scientific corners. Following is the “The



Scientific Regulations” where the writer also addresses the scholars of logic’s two views. While in the last subject, “The Mental and Spiritual Regulations of the Orators”; the writer discusses the regulations but was not able to find any mentioning of such regulations in logic books, nor in rhetoric books.

The other dimension of rhetoric, “The Regulations Related to the Speech” mentions some of the same subjects mentioned in part one of the research, using a similar approach. Accordingly, several subjects were mentioned, such as, the post-preparation of the speech, the necessity of proportionality between the problem and the solution, and the importance of regarding the recipient and avoiding what discourages the audience, etc.

The researcher ends his research with the third main subject, dedicated to the comparing view to the two schools of thought, in order to present a complete image after the comparison between the religious approach and the logical approach, which contained the similarities and differences.



تجاذبات فكرية حول مصير المنبر الحسيني

عرض ومناقشة

العلامة السيد أحمد الأشكوري

بيّن الكاتب في مقدّمة هذه المقالة بأنّ فكرة المنبر بما تحمله من جنبه دينية قد اقترنت ببداية الدعوة الإسلامية، وذلك على يد الرسول الكريم محمد ﷺ، وقد استمرت حتى زمان حدوث واقعة الطفّ الأليمة، حيث عبّر عن المنبر بعد هذه الواقعة بـ(المنبر الحسيني)، الذي قام على تشييده أئمة أهل البيت ﷺ، وخصوصاً الإمامان الصادق والرضا ﷺ اللذان كانا يرعيانه ويهتمان به على شتى الأصعدة، وصولاً إلى الدور الذي لعبه ويلعبه أصحاب القرار الديني وعلى رأسهم المؤسسة الدينية والمراجع العظام في مجال حفظ المنبر الحسيني وتطويره.

أمّا في مقام استعراض الرؤى المتداولة حول إمكانية استمرار المنبر الحسيني ومدى تطويره فإنّ الكاتب يذكر رؤيتين، سعت أولاهما إلى تغليف المنبر الحسيني بطابع الفلكلور الشعبي، واعتباره من الأمور التاريخية المحكومة بتعدّد الثقافات المجتمعية وتغيّرها، وسعت ثانيتهما إلى المحافظة على المنبر، وذلك من خلال الوقوف أمام أدنى تغيير أو تبدّل يمكن أن يطرأ عليه، وبعد مناقشة الكاتب لكلا الرؤيتين وبيان نقاط الضعف فيهما، قام بالتعريف بالمنبر النموذجي الذي يتألّف من الأطراف الثلاثة (الخطيب، المستمع، المادّة الخطابية)، والذي يمتلك قدسية كبيرة بسبب ارتباطه بالحسين ﷺ، مبيّناً أنّ هذه المكانة العالية للمنبر الحسيني لا تمنع من توظيف الأساليب الحديثة في مجال تطويره، شريطة الحفاظ على هيكلية المنبر التي أسسها أهل البيت ﷺ وفي نهاية المقالة بيّن الكاتب - بشيء من التفصيل - طبيعة المؤسسة التي يؤمّل لها أن ترعى المنبر الحسيني وتقوم على تطويره ورفده بالطاقات الصالحة.

Intellectual Interactions Regarding the Fate of the Husayni Dais – Presentation and Discussion

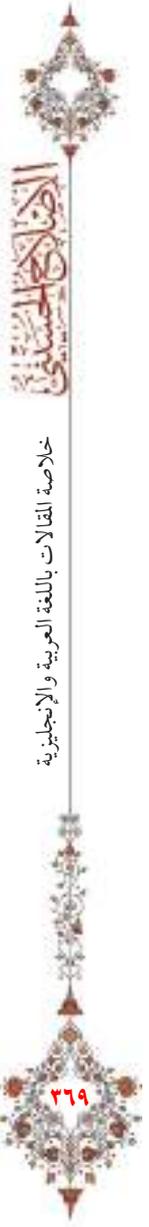
The Scholar, Sayyid Ahmad al-Ashkouri

The writer articulates at the beginning of this article that the idea of the Husayni dais with its religious dimensions began with the beginning of the Islamic proselytizing at the hands of the noble Messenger Muhammad (PBUH&HF). It continued till the tragic occurrence of the Event of al-Taff, and after that event, the dais was called the “Husayni” dais. The Husayni dais was established by the Imams of the Household (PBUT), especially Imam al-Sadiq and Imam al-Redha (PBUT) who nurtured the dais and cared for it on all levels.

After that, the writer continues his articulation of the biography of the dais and addresses the role, that was, and still is conducted by the people in charge of the religious affairs, mentioning the religious institutions and the Great Maraji’i regarding the preservation and development of the Husayni dais.

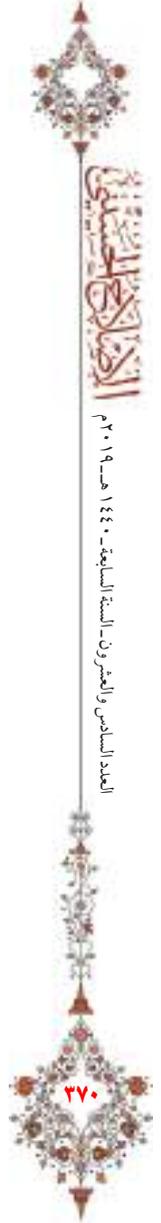
Regarding the circulating views on the ability of the Husayni dais to continue and develop, the writer addresses two views. The first view seeks to present the Husayni dais as a dais with a popular folklore nature and regards the dais among the historical matters subject to various societal cultures and their change. The second view seeks to preserve the Husayni dais by opposing the slightest change or modification that might face the dais.

The writer then discusses these two views and articulates their weaknesses. He then presents the ideal dais, which consists of three pillars; the speaker, the audience, and the speech itself, and possesses great holiness due to its relation to al-Husayn (PBUH). The writer also elabo-



rates, that this high status does not hinder the dais from using modern techniques, provided that the structure of the dais, which the Household (PBUT) created, is preserved.

At the end of the article, the writer articulates – in details – the nature of the institutions aspired to develop the dais and support it with proper resources.



التبليغ المباشر، أهميته وخصائصه

د. روح الله عباس زاده

ترجمة: د. السيد خالد سيساوي

يسعى الكاتب إلى بيان الأسلوب الأمثل للتبليغ، ويحاول الإجابة عن السؤال التالي: هل هناك ضرورة لاستمرار التبليغ بالأسلوب التقليدي مع وجود وسائل الإعلام الجديدة؛ أم يتعيّن على المبلّغين مجانبة التبليغ المباشر؟ بداية تطرّق الكاتب إلى تعريف التبليغ المباشر، وأهميته، ومكانته، مبيّناً أنّ هذا النوع من التواصل لا زال يحتل مكانة خاصّة؛ وذلك لقربه من الطبيعة الإنسانية واحتياجاتها العاطفية والمعنوية.

ثمّ أشار إلى خصوصيات التبليغ الديني المباشر باعتبار المخاطب والمخاطب والخطاب؛ وحجم تأثيره وردود الفعل المترتبة عليه. فذكر أنّ على الخطيب أن يكون بشوش الوجه، ذا مظهر لائق، غير منفرد لمن حوله من المخاطبين، وأنّ يتواجد بين الناس وفي محافلهم الخاصّة.

كما تطرّق إلى ضرورة تعرّف الخطيب على ميولات مخاطبيه وميزاتهم السلوكية، وأنّ يكون خطابه أكثر قرباً من لسان الناس وقدرتهم الاستيعابية.

بعد ذلك ذكر خصوصيات أخرى للتبليغ المباشر، ومنها: أنّ حضور المبلّغ وعيشه جنباً إلى جنب مع المخاطب ووجود حالة من التعاطف بينهما، يبعث على تزايد الثقة وترتب الأثر المرجو من التبليغ. كما أنّ ردود الفعل في هذا الأسلوب من التبليغ هي ردود آنية وفورية؛ حيث يمكن للمبلّغ أن يراقب المخاطب ويستشف ردود أفعاله من خلال ما يوصله له من خطابات.

The Direct Proselytizing - Its Significance and Characteristics

Ruhollah Abbaszadeh

Translated into Arabic by Dr. Sayyid Khaled Al-Sisawi

The writer seeks to articulate the optimal method to proselytize, and he tries to answer the following question: Is it necessary to continue proselytizing in the classical way with the present day media platforms, or should the proselytizers simply avoid direct proselytizing?

In the beginning, the writer addresses the definition of direct proselytizing, its importance, and its status. He explains that this method of interaction still holds a special status, and that is due to its proximity to the human nature and its emotional and mental need.

Thereafter he discusses the characteristics of direct religious proselytizing, its addresser, addressee, and subject. In addition to the size of the impact and the responses. He mentions that the speaker must be smiling and be properly dressed, and must not repel the addressees. The speaker must also be present among the people and attend their ceremonies.

The writer then addresses the necessity of being aware of the tendencies and characteristic behavior of the audience, and that his language must be close to the level of the audience's language and be understandable for them.

After that, he mentions other characteristics of direct proselytizing. Such as; the presence of the proselytizer among the audience and having him live among them – in addition to the existence of an emotional relation between them – enhances the trust and the desired effect from the proselytizing. Also, the responses from this method of proselytizing are instantaneous and immediate, allowing the proselytizer to observe the addressed and detect the responses to his speech.



الأسس العلمية لإنشاء معاهد إعداد الخطباء الحسينيين

الشيخ محمد الكروي القيسي

يتحدّث المقال عن الأسس العلمية التي ينبغي مراعاتها في إعداد الخطيب الحسيني، والتي تجعله قادراً على أداء رسالته المقدّسة. في مقدمة المقال تطرّق الكاتب إلى أهمّية العلم في حياة الإنسان، وضرورة التخصص في العلوم، وبيان أهمّية الخطابة ودور الخطيب فيها، واستعرض مجموعة من النصوص في ذلك.

ثمّ أشار إلى تاريخ المعاهد الحسينية، واستعرض جملة من المحاولات المتقدّمة لإنشاء معاهد إعداد الخطباء، والأسباب التي أدّت إلى فشلها. بعد ذلك قسّم البحث إلى محورين: بحث في المحور الأول المفاهيم العامّة، فتطرّق إلى معنى الأسس العلمية، والمراد من إعداد الخطيب الحسيني، وضرورة وجود المعاهد لإعداد الخطباء الحسينيين.

وفي المحور الثاني تطرّق إلى الأسس العلمية التي ينبغي مراعاتها في إعداد الخطباء، فقسّمها إلى: أسس علمية متغيرة الموضوعات، وأسس علمية ثابتة، وبيّن أن التغيّر في الموضوعات إما زماني، أو مكاني، أو بلحاظ المخاطب، أو بلحاظ نوع الخطاب. ثمّ أوضح أنّ الأسس العلمية الثابتة على نوعين: أسس نابعة من العقل العملي، وأسس نابعة من العقل النظري. والأولى هي: الأسس الأخلاقية، والأسس الفنيّة. والثانية هي: أسس الاستقاء المعرفي، والعلوم التي ينبغي للخطيب أن يكون ملماً بها، والمناهج الدراسية التي يحتاج إليها.

وختم المقال منوهاً بضرورة تهيئة الإمكانيات المادية والمعنوية للخطيب، وأن يسير تحت مظلة المرجعية الرشيدة ودعمها ومباركتها.

The Scientific Principles When Establishing Academies to Educate Husayni Speakers

Shaykh Muhammad Jaleel al-Karawi al-Qaysi

The article addresses the scientific principles which must be followed when educating Husayni speakers, and which enable them to deliver their holy message.

In the introduction of the article, the writer addresses the importance of science in the life of humans, and the importance of becoming specialized in science. He also articulates the importance of speeches and the role of speakers in the scientific field, followed by some supportive texts.

After that, the writer mentions the history of the Husayni educational institutions, while presenting a series of previous attempts to establish institutions to educate speakers and the cause behind their failure.

The writer then divides the research into two parts. In the first part, he discusses the general understandings. Such as; the meaning of “scientific principles”, and what is meant with educating or preparing Husayni speakers, and the importance of having institutions to educate and prepare Husayni speakers.

In the second part of the article, the writer addresses the scientific principles which must be followed when educating and preparing the speakers. He divides them into scientific principles variable with the conditions, and constant scientific principles. He also articulates that the changing conditions are either timely or geographical, or related to the speaker or the type of speech.

The writer also divides the constant scientific principles into two types; principles originating from practical reason, and principles originating from theoretical reason. The first principles are; the ethical



principles and the artistic principles. The principles originating from the second reason are; the principles of obtaining knowledge, and the sciences which the speaker must be conversant with, and the educational curriculums which he needs.

The article is concluded with the writer's emphasizing on the necessity of providing the material and mental capabilities for the speakers, and the importance of working under the umbrella of the wise High Religious Authorities (the Marji'iyah) and with their support and blessings.

ورقة عمل بعنوان سبل توحيد الخطاب المنبري

الشيخ إسكندر الجعفري

قسّم الكاتب بحثه إلى قسمين، تناول في القسم الأوّل المقصود من توحيد الخطاب، وأهميته، والآثار المهمّة المترتبة عليه، مشيراً إلى أنّ المراد بتوحيد الخطاب، هو توحيد الرؤى والمضمون، معتبراً هذا المعنى (ضرورة منبرية)؛ لإبعاد المنبر الحسيني عن التناقضات والتباين في الآراء والأفكار.

ثمّ ذكر بعض الآثار والفوائد المترتبة على توحيد الخطاب في المنبر الحسيني، ومنها:

١- تركيز الأفكار والتأثير في النفوس بشكل جيّد.

٢- إثارة الرأي العام حول معالجة موضوع محدّد.

٣- دفع الخطباء إلى التشاور وتبادل المعلومات حول موضوع معيّن.

وفي القسم الثاني تطرّق الكاتب إلى كيفية توحيد الخطاب في المنبر الحسيني، وذكر أنّ هناك عاملين يجب مراعاتهما في محاولة توحيد الخطاب، وهما: أهمية الموضوع، ومواهب الخطيب الخاصّة.

ثمّ اقترح إيجاد جهة مختصّة بشؤون المنبر الحسيني، تتبنّى انتخاب مواضيع مهمّة معاصرة، وإعداد ملفات لكلّ موضوع؛ لتوضع في متناول أيدي الخطباء في كلّ موسم، ثمّ تُطرح قبل موسم التبليغ بفترة تكفي الخطباء لإعدادها وحفظها لإلقائها، معتبراً أنّ هذه الطريقة يمكن أن تُساهم في توحيد الخطاب إذا ما طُرحت الموضوعات - من قبل مجموعة من الخطباء - في موسم واحد أو مواسم متقاربة.

A Working Paper: Methods to Unite the Speeches on the Dais

Shaykh Eskandar al-Ja'afari

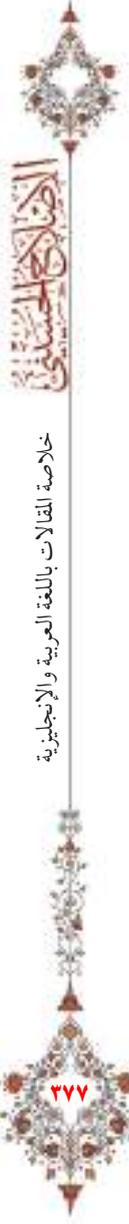
The writer divides his article into two parts. In the first part, he addresses the meaning of uniting the speeches, its importance, and the important outcome of this project. The writer elaborates the meaning of uniting the speeches to be; uniting the opinions and content of the speeches. He believes this meaning to be of the dais' necessities in order to avoid contradiction and inconsistency in the thoughts and opinions presented on the dais.

After that follows a presentation of some outcomes and benefits from uniting the speeches on the Husayni dais, such as:

1. The emphasizing of the thoughts and the enhancing of the effect.
2. Mobilizing the public to solve a specific subject.
3. The encouragement of speakers to exchange and discuss information regarding a specific subject.

In the second part of the article, the writer addresses methods to unite the speeches on the Husayni dais. He also mentions that there exist two factors that must be considered when attempting to unite the speeches. These are; the importance of the subject and the talent of the speaker.

After that, the writer suggests the establishment of a body specialized in the Husayni dais, that chooses the important recent subjects and organizes portfolios for each subject. These portfolios would then be available for the speakers before the proselytizing seasons, in order for the speakers to study them and make use of them in their speeches. The writer would regard this project as a useful method to unite the speeches if the subjects were presented and delivered to the public by a group of speakers, in the same or following season.



العوامل المؤثرة في تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني

د. الشيخ أسعد علي السلطان

قام الكاتب في هذا المقال بتشخيص جملة من العوامل المؤدية إلى تضييع أو تشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، مع إبدائه بعض المعالجات المناسبة في المقام. ثم إنّه ومن أجل توضيح ذلك قسّم بحثه إلى تمهيد، وقف فيه على بيان المراد من المنبر والمراحل التاريخية التي مرّ بها والأركان الرئيسية التي يتألف منها؛ وقسّمه كذلك إلى ثلاثة محاور رئيسية، هي: المحور الأوّل: (العوامل المتعلقة بالمُلقي والمؤدية إلى تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني)، بحيث تمّ التطرّق إلى خمسة عوامل، منها: عدم اهتمام المُلقّي بالغرض من الفنّ الذي يمارسه على المنبر الحسيني، انجرار المُلقّي وراء المنافع والمكاسب الدنيوية، عدم تحلّي المبلّغ الحسيني بالفضائل الأخلاقية، وغير ذلك. المحور الثاني: (العوامل المتعلقة بالمادّة التي تُلقى على المنبر الحسيني والمؤثرة في تضييع وتشويه هدفه الرسالي)، والتي هي عبارة عن عاملين مهمّين، هما: عدم امتلاك المادّة للمنهجية الصحيحة (مقدمة، موضوع، خاتمة)، واشتغال المادّة على النسب غير الثابتة والأساطير والقصص الخيالية. المحور الثالث: (دور المحيط في تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني)، فبعد أن قسّم الكاتب المحيط إلى ثلاثة أقسام، هي: المهتمّون بالمنبر من الشيعة، والمهتمّون بالمنبر من غير الشيعة، والظروف والأوضاع التي تُحيط بالمنبر؛ قام ببيان جملة التحديّات التي تواجه المنبر في كلّ واحد من هذه الأقسام المذكورة، والتي قد تُشكّل عوامل مخزّبة تهدف إلى تضييع أو تشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني.

The Effective Factors in Disrupting and Slandering the Apostolic Goal of the Husayni Dais

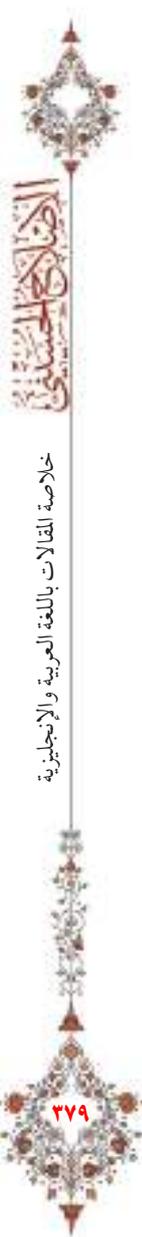
Dr. Shaykh Asaad Ali al-Salman

In this article, the writer identifies a series of effective factors which lead to the disrupting, or the slandering, of the apostolic goal of the Husayni dais, accompanied with some proper solutions to the matter. In order to elaborate, the writer divides his article into different parts; an introduction, in which he articulates the history and stages of the dais, in addition to the dais' fundamentals, followed by three main chapters.

In the first chapter; "The Factors Related to the Speaker Which Leads to the Disrupting and Slandering of the Apostolic Goal of the Husayni Dais" – the writer addresses five factors. Among which are; the speaker's disregard of the art he is performing on the Husayni dais, the speaker's hunt for earthly gains and benefits, and the Husayni proselytizer's lack of ethics.

The second chapter, "The Factors Related to the Content Presented on the Husayni Dais, Assisting in the Disrupting and Slandering of its Apostolic Goal", presents two important factors; the lack of proper methodology (introduction, subject, conclusion) and content containing unauthenticated narrations, legends, and fictional stories.

In the last and third chapter, "The Role of the Community in the Disrupting and Slandering of the Apostolic Goal of the Husayni Dais", the writer divides the community into three parts; "The Shiites Attending the Dais", "The Non-Shiites Attending the Dais", and "The Circumstances and Conditions Surrounding the Dais". The writer then addresses the challenges faced by the dais in each of the mentioned three parts, which might act as harmful factors aiming at disrupting or slandering the apostolic goal of the Husayni dais.



المنبر الحسيني وأثره في نشر العقيدة الإسلامية

السيد شهيد طالب الموسوي

بدايةً تناول الكاتب حاجة الإنسان الفطرية إلى عملية التوجيه والإرشاد، وضرورة تنوع المناهج والأساليب في بيان الموضوعات، وأهمها العقيدة الإسلامية. ثم تطرّق إلى بيان دور المنبر الخطابي في عملية التوجيه والإرشاد، وأنه من أهم وسائل الإعلام والتبليغ؛ لطبيعة تعاطيه مع الموضوعات من جهة، واتساع جمهوره من جهة أخرى، وأنه يختلف في ذلك عن مجالس العلم التي تركز على موضوعات محدّدة، للاستدلال عليها وإثباتها بالأدلة العلمية.

بعد ذلك انتقل إلى تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً، ودورها في تهذيب سلوك الإنسان، وتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية للفرد المسلم.

ثم بيّن المنهج الإسلامي في الدعوة إلى العقيدة، فذكر بعض الآيات والروايات التي تدعو الناس إلى القراءة والتدبر في آيات الله ومضامينها الدينية والعقدية، وتحثهم على المشاركة في المناسبات العبادية، كصلاة العيدين، وصلاة الجمعة، واستلهاهم المفاهيم العقدية من خطبها.

ثم تطرّق إلى تعريف الخطابة لغة واصطلاحاً، وضرورتها في عملية التوجيه والإرشاد، موضحاً أنّ الحاجة إليها نابعة من مقتضيات الفطرة الإنسانية.

وتحت عنوان: مساحة التبليغ العقدي في المنبر الحسيني، بيّن أنّ التضحية الحسينية قد جسّدت أروع معاني التفاني من أجل الدين والعقيدة؛ ولذلك حظيت المسائل العقدية بمساحة واسعة في موضوعات المنبر الحسيني.

The Husayni Dais and its Effect in the Spreading of the Islamic Creed

Sayyid Shaheed Taleb al-Mousawi

In the beginning, the writer addresses the instinctive need of humans for guidance and advice, and the importance of having various methods and approaches when presenting any subject, among which is the Islamic creed.

After that, he mentions the role of the speaker's dais in the process of guidance and advice and that the dais is among the important media and proselytizing tools, due to its nature of dealing with such subjects, but also due to its wide audience. The writer also emphasizes that the dais is different from the scientific gatherings which might be limited to some subjects only, in order to conduct deduction and present scientific evidence to prove them.

The writer then presents the linguistic and terminological definition of the term "Aqidah" (creed), and its role in the refinement of the human behavior and the achievement of both happiness in this life, and the afterlife for the Muslim.

He then presents the Islamic methodology when proselytizing the Islamic creed, followed by some verses and narrations which invite people to read and contemplate upon the verses of Allah and their religious and creedal content. These verses also encourage man to participate in the worshipping arrangements, such as the two Eid prayers and the Friday Prayer, and to reap creedal understanding from the speeches of the prayers.

The linguistic and terminological definition of "Khitabah" (rhetoric/speaking) follows with its necessity in the operation of guidance and advice, elaborating that the need for it originates from the demands of the human instincts.

Under the title, “The Width of Creedal Proselytizing on the Husayni Dais”, the writer articulates that the sacrifice of Imam al-Husayn (PBUH) materialized the highest meanings of devotion for the sake of the religion and the creed. Accordingly, the creedal issues occupied much space among the subjects of the Husayni dais.



دور النخب في تطوير المنبر الحسيني

د. زهراء البرقعراوي

تطرّق الكاتبة إلى بيان الدور الإيجابي الذي مارسته مجموعة من النخب الفكرية الدينية في مجال تطوير مسيرة المنبر الحسيني. وقد قامت الكاتبة - في البداية - بإيضاح أنّ مفهوم النخبة يعبر عن طبقة معيّنة أو شريحة منتقاة من أي نوع عام، ثمّ بيّنت بعد ذلك مميّزات النخبة، والتي منها: قلّة العدد، وعلو المكانة الاجتماعية، والقدرة على التأثير، وغير ذلك، وبيّنت أيضاً مراحل المنبر الحسيني ونخبه، متطرّقة إلى أنّ البكاء على الإمام الحسين عليه السلام على الرغم من كونه عزاءً بالمعنى الظاهر، لكنه كان يمثل - في البداية - شعور الباكي بالندم تارة، أو دعوة لرفض الظلم والطغيان، وحثّ الناس للتأكيد على مصيبة وواقعة كربلاء بما تحمله من قيم وثوابت، ثمّ تطوّر المنبر شيئاً فشيئاً ليصبح مجالاً للوعظ والإرشاد، والمعرفة، والسياسة، والاجتماع، وغير ذلك. ثمّ تطرّقت الكاتبة - في الجزء الأكبر من حديثها - إلى بيان دور كلّ من المرحوم الشيخ أحمد الوائلي، والشهيد مرتضى مطهري، والدكتور علي شريعتي في مجال تطوير المنبر الحسيني. خذ على سبيل المثال: الدور الذي قام به الدكتور أحمد الوائلي عليه السلام الذي أحدث مدرسة مستقلة في الخطابة، وأسلوباً حديثاً في مقام الوعظ والإرشاد، فاتحاً بذلك آفاقاً جديدة للمنبر الحسيني. وأمّا الخاتمة فقد كانت عبارة عن الحديث عن الخطابة النسوية وأهمّ المشاكل التي تواجهها الخطيبة، مع بيان بعض الحلول المناسبة في المقام.

The Role of the Elite in the Development of the Husayni Dais

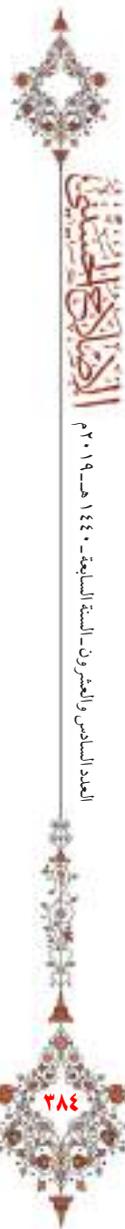
Dr. Zahra al-Barqa'awi

This seminar is regarding the positive role conducted by a group of the intellectual, religious elite in the field of improving the path of the Husayni dais. In the beginning, the speaker elaborated that by “elite” is meant a specific class or group from a general one. After that, she articulates the characteristics of the meant elite to the seminar, such as: being only few, enjoying a social status, having the ability to influence, etc. She also articulates the stages of the speech on the dais and its elite,

The speaker also mentions that while weeping over Imam al-Husayn (PBUH) is an act of commemoration; it also represented – in the beginning – a feeling of remorse from the weeper or a call to reject injustice and tyranny, all while encouraging other people to emphasize the tragedy of Karbala with its values and principles. The dais then developed gradually, and became a stage for advice and guiding, general Islamic knowledge, politics, etc.

The speaker then discusses the role of the late Shaykh Ahmad al-Waeli, martyr Murtadha Motahhari, and Dr. Ali Shariati in developing the Husayni dais. E.g., the role of Dr. Ahmad al-Waeli, who brought up a new method to deliver speeches, with a modern way to advice and guide the audience. By doing so, he had shown speakers new horizons of the Husayni dais.

At the end of the seminar, the speaker addressed the female speakers and the most important challenges faced by them, while presenting some appropriate solutions to the matter.



التفاعل العاطفي في خطاب المسيرة الحسينية

م. د. كريم حمزة حميدي جاسم

يسعى المقال إلى بيان تأثير خطاب الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام في الأنصار من جهة، وفي الأعداء من جهة أخرى، وبيان حجم التفاعل العاطفي مع ذلك الخطاب، ثم الوقوف على معنى التفاعل العاطفي الصادر من قبل الأعداء وحقيقته.

بدايةً أشار الكاتب إلى أنّ المسيرة الحسينية قد حفلت بنماذج متعدّدة من الأنصار الذين تفاعلوا مع خطابتها، وأنّ التفاعل مع هذه الخطابات قد أخذ أبعاداً تربوية متعدّدة، منها ذلك التفاعل العاطفي الذي أدّى إلى بذل النفس في سبيل الله، والوقوف إلى جانب الحقّ.

ثمّ تطرّق إلى تعريف الخطاب وآثاره التربوية، وذكر أنّه إحدى الوسائل الإعلامية العسكريّة التي اعتمدها الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره في معركة الطفّ.

بعد ذلك تناول أثر خطاب الإمام الحسين عليه السلام في عواطف الآخرين، ومدى تفاعلهم العاطفي معه، وذكر مثالين لذلك، هما: الحرّ الرّياحي، وزهير بن القين.

كما تطرّق إلى أثر خطاب آل الحسين عليهم السلام في عواطف الآخرين، ومن ذلك:

١- خطاب السيّد زينب عليها السلام وأثره في أهل الكوفة، وابن سعد، ويزيد.

٢- خطاب الإمام السجادة عليه السلام وأثره في عدول شيخ عن رأيه السلبي في أهل

البيت عليهم السلام، وفي تغيير يزيد لبعض مواقفه.

٣ و٤- خطاب السيّد فاطمة بنت الحسين عليها السلام، والسيّد أمّ كلثوم، وأثرهما في أهل

الكوفة.

ثمّ ختم الكاتب بحثه بعدد من النتائج التي توصل إليها في هذه الدراسة.

The Emotional Response to the Call of the Husayni Journey

Dr. Kareem Hamza Hamidi Jasem

This article aims to articulate the effect of the speeches of Imam al-Husayn (PBUH) and his household (PBUT) on his companions on one side, and on the enemy on the other side. It also seeks to depict the size of the emotional response to that speech, and then understand this emotional response from the enemies.

In the beginning, the writer mentions that the Husayni path had various companions who responded to the speeches. The response to these speeches had educational dimensions, such as the emotional response which lead to the sacrifice for the sake of Allah while joining the righteous side.

After that, the writer addresses the definition of a speech and its educational results, while mentioning that it was an informational, military tool relied upon by al-Husayn (PBUH) and his household and companions, at the Battle of al-Taff.

The writer then discusses the effect the speeches of Imam al-Husayn (PBUH) had on the emotions of the others, and the degree of their emotional response to the Imam's speeches. He mentions al-Hurr al-Riyahi and Zuhayr Bin al-Qayn as two examples.

He also mentions the effect of the speeches from al-Husayn's family (PBUT) on the others, such as:

1. The speeches of lady Zaynab (PBUH) and its effect on the Kufans, Umar Bin Saad, and Yazid.
2. The speech of Imam al-Sajjad (PBUH), and its influence in changing the negative opinions of an older man about the Household (PBUT), and in changing some of Yazid's stances.
3. & 4. The speech of lady Fatima, daughter of al-Husayn (PBUT) and the speech of lady Umm Kulthoom, and their effect on the Kufans.

In the end, the writer presents the results of his research.



إصلاح المنبر الحسيني في مؤلفات الشيخ مرتضى مطهري

قراءة وصفية

د. فراقدا داوود سلمان الشلال

يشتمل هذا المقال على قراءة وصفية قامت بها الكاتبة حول رؤية الشهيد مطهري الإصلاحية المتعلقة بالنهضة الحسينية. وقد اعتمدت - في المقام - على كتابي الشهيد مطهري اللذين هما بعنوان: (الملحمة الحسينية - ثلاثة أجزاء)، و(بين المنبر والنهضة الحسينية). أمّا فيما يخص الكتاب الأول فقد بينت في بداية حديثها عنه بأنّه من مؤلفات مرتضى مطهري التي تتّصف بغنى الباحث وجرأة في الطروحات، وتضمّ أفكاره وتحليلاته حول النهضة الحسينية بأسلوب النقد البناء الرامي إلى تصحيح الكثير من الانحرافات والمغالطات. ثمّ تطرّقت - بعد ذلك - إلى تفصيل ما احتوته الأجزاء الثلاثة، مركّزة على الجزء الأوّل منها، ومبيّنة بأنّ مطهري أراد - من خلاله - رسم صورة ذهنية جديدة متوازنة لدى الناس ما بين تضحية وعطاء الإمام وأهل بيته عليهم السلام، وبين المنبر الحسيني الرسالي الأصيل القائم على أساس تحقيق الأهداف النبيلة للفرد والأمة الإسلامية، وأراد أيضاً القول: إنّ المسلم إذا لم يُضحّ بنفسه وماله وكلّ ما يملك في سبيل رفعة راية الإسلام فلن يكون للإسلام حضور ووجود في حياة الناس. أمّا الكتاب الثاني فقد تطرّقت فيه إلى بيان رؤية مطهري التحليلية تجاه النهضة الحسينية من خلال عنوانين رئيسيين، هما: إصلاح قراءة المراثي، ومواصفات خطيب المنبر الحسيني، متطرّقة في العنوان الثاني إلى جملة من الأبحاث، من قبيل: أن يكون الخطيب ناطقاً باسم الإسلام، أن يتّصف الخطيب بالإخلاص والصدق، وإن يتّبع الخطيب أسلوب الوعظ، وغير ذلك.

***The Reformation of the Husayni Dais in the Writings
of Shaykh Murtadha Motahhari
– A Descriptive Perusal***

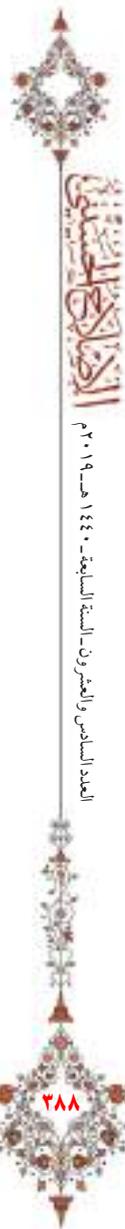
Dr. Faraqed Dawood Salman al-Shalal

This article contains a descriptive perusal conducted by the researcher regarding martyr Murtadha Motahhari's reformatory view on the Husayni uprising. She bases her perusal on the two books by martyr Motahhari, *al-Malhama al-Husayniya* – consisting of three volumes, and *Bayn al-Minbar wal Nahdha al-Husayni*.

She elaborates that the first book is among the books of martyr Motahhari, which consist of several studies with a bold presentation style. It also contains his thoughts and analysis on the Husayni uprising in a constructive manner aimed at correcting many of the deviations and fallacies.

Thereafter, the researcher addresses the content of the three volumes while focusing on the first volume. Here, she articulates that martyr Motahhari wanted to paint a new picture in the mind of people. A proper picture, about the sacrifice and bestowals of Imam al-Husayn and his household (PBUT) and the noble Husayni apostolic dais, which is based on the achievement of the noble goals for the individual and the Islamic nation. He also wanted to clarify that if the Muslim do not sacrifice himself, his fortune, and all his belongings for the sake of raising the banner of Islam, then Islam will have no presence, nor exist for people anymore.

After that, the researcher discusses the second book of martyr Motahhari where the researcher articulates the analytical view of martyr



Motaharri on the Husayni uprising through two subjects: The Reformation of the Recitation of Lamentations, and The Characteristics of the Speaker on the Husayni Dais. She also mentions different research in the second subject, such as; The Speakers Representation of Islam, The Characterization with Sincerity and Truth, The Approach of Advice, etc.

موسم الحج ورحلة الفتح الحسيني

تأملات في الغايات والأبعاد

أ. د. هادي عبد النبي التميمي

قسّم الكاتب البحث إلى خمسة محاور، تطرّق في المحور الأوّل إلى طلب البيعة من الإمام في المدينة، مبيناً أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد تدرّج في رفض البيعة ليزيد - من طلب الإمهال إلى الرفض القاطع - وفق متطلّبات الموقف مع والي المدينة.

ثمّ بيّن في المحور الثاني مسوّغات هجرته عليه السلام إلى مكّة، ومنها: أنّها الحرم الإلهي الآمن، والمكان العام لإعلان المواقف والتبليغ، حيث يجتمع فيها - في موسم الحج - عدد كبير من المسلمين.

بعد ذلك تناول في المحور الثالث الخطوات التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام في مكّة، ومنها لفت الأنظار إلى قيامه ودوافعه وأهدافه، واستعراض المواقف العامّة للناس إزاء نهضته المباركة.

ثمّ تطرّق في المحور الرابع إلى أسباب مغادرة الإمام الحسين عليه السلام مكّة يوم التروية، فذكر أنّها لم تعدّ مكاناً مناسباً لإقامة الإمام فيها بعد انقضاء الشهر الحرام، إضافة إلى تخطيط السلطة الأموية لاغتيال الإمام الحسين عليه السلام.

وفي المحور الخامس والأخير ذكر رأيين فقهيّين في خروج الإمام من مكّة قبل تأدية شعائر الحجّ:

الأوّل: أنّ الإمام الحسين عليه السلام أبدل إحرامه - في اليوم الثامن من ذي الحجّة - من الحجّ وعمرة التمتع إلى العمرة المفردة.

الثاني: أنّه عليه السلام قد دخل مكّة وهو محرم إحرام العمرة المفردة ابتداءً، لا عمرة التمتع.

The Hajj Pilgrimage Season and the Husayni Journey of Conquest

– Contemplations upon the Goals and Dimensions

Dr. Hadi Abdul Nabi al-Tamimi

The writer divides his research into five parts. In the first part, he addresses the ruling regime's demand from Imam al-Husayn (PBUH) to swear allegiance in Medina, elaborating that the Imam (PBUH) gradually rejected to pay allegiance to Yazid. At first, the Imam (PBUH) requested the matter to be postponed, and in the end, he completely refused to pay allegiance, as the circumstances required him to do, when he was present at the Governor of Medina.

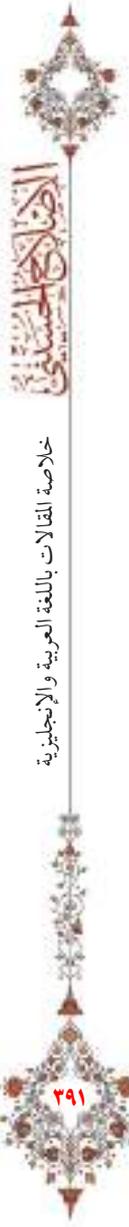
In the second part, he articulates the arguments for the Imam's emigration to Mecca. Such as; that Mecca was, and still is, the divine safe shrine and the public place for announcements and proselytizing since many Muslims gather there at the Hajj season.

In the following third part of the article, the writer addresses the steps taken by Imam al-Husayn (PBUH) in Mecca. Such as; the spread of awareness about his uprising, its causes and goals, and the examination of the general public's opinion regarding his blessed uprising.

The reasons behind the Imam (PBUH) leaving Mecca on the first day of the Hajj pilgrimage are elaborated in the fourth part of the article. In this part, the writer mentions that the city became unsuitable for his stay in addition to the Umayyad regime's plans to assassinate Imam al-Husayn (PBUH).

In the fifth and last part of the article, the writer presents two jurisprudential opinions on the Imam's departure from Mecca before finishing the Hajj pilgrimage rituals:

The first opinion states that Imam al-Husayn (PBUH) changed his pilgrimage, from a Hajj and Umra al-Tamatu'e pilgrimage into an Umra



Mufrada pilgrimage, which pilgrims are allowed to do. Hence, they can leave Mecca before everyone else since the Umra Mufrada has fewer rituals that the pilgrim must conduct.

The second opinion states the Imam (PBUH) entered Mecca with the intention of an Umra Mufrada pilgrimage beforehand, not an Umra al-Tamatu'e.



الجود والكف

العباس عليه السلام في الشعر البحريني المعاصر

أ. م. د. علي مجيد البديري

حققت النماذج المدروسة لبعض شعراء البحرين المعاصرين توظيفاً متميزاً لشخصية العباس بن علي عليه السلام، ابتعدت في معظمها عن طرائق سادت في الشعر الحسيني، ونجحت في تجاوز البعد التاريخي لواقعة الطف ووجوهها، والتعامل مع الحدث بوثنائية، باتجاه إعادة تشكيل الحدث بلغة تصويرية ذات طابع درامي، بما ينسجم مع الموضوع، ويحقق له ثراءً دلاليًا وجماليًا.

لقد كان اختيار الباحث للشعر البحريني المعاصر مجالاً للدراسة والمعاينة النقديتين؛ نتيجة متابعة دقيقة لمجموعة من التجارب الحديثة التي سجّلت في نظر الباحث مؤشراً إبداعياً متميزاً على صعيدي الوعي المعرفي بمعطيات النهضة الحسينية، متمثلةً بوجه من وجوهها (العباس عليه السلام).

وقد توقفت الدراسة التي أنجزها الكاتب عند عناوين بعض القصائد، ودرستها بوصفها عتبة نصّية لها وظيفة بنائية هامة.

ومن مظاهر الإبداع التي اكتشفها الكاتب عناية الشاعر البحريني بعناوين القصائد، بطريقة تشابه عنايته بمتن القصيدة وجوهرها، حيث يؤدي العنوان وظائف عدّة، منها الإحالة والإغراء، وهماوظيفتان تقتسمان عملها بين النصّ وقارئه.

وبماثل ذلك في هذه الأهمية الاستهلال الذي كانت له هو الآخر وظيفة بنائية مرتبطة بأجزاء القصيدة الأخرى؛ لما يؤديه من دور توجيهي للقارئ، يمكن أن يدفع بقراءته إلى عمق النصّ وفضاءاته المتسعة.

وقد عزّز الكاتب آراءه النقدية بشواهد شعرية منتقاة بعناية فائقة، مبيّناً من خلالها الخصائص الفنية والأدبية والدلالية والمعرفية التي تحلّت بها القصيدة البحرينية في عمل أدبي فريد من نوعه.

The Hand and the Generosity

– Al-Abbas (PBUH) in Contemporary Bahraini Poetry

Dr. Ali Majid al-Budayri

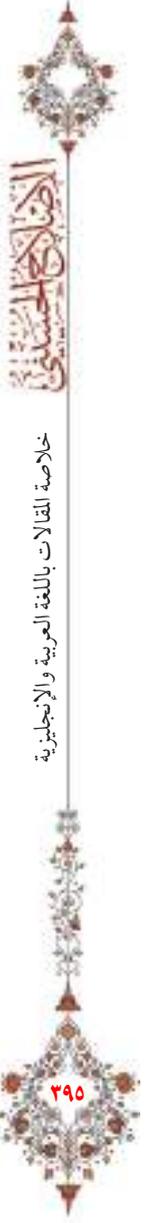
The studied samples of poems to some contemporary Bahraini poets have managed to portray the personality of al-Abbas son of Ali (PBUT) in an exceptional way, different from the usual methods used in common poems. The poems were successful in crossing the historical bond of the Event of al-Taff, and manage to deal with the event in a documenting way, depicting the event dramatically and in accordance with the subject. This allows the poems to be enriched semantically.

The researcher's choice of making contemporary Bahraini poems subject to critical study and scrutiny was the results of a detailed following of some modern experiences. These experiences were – according to the researcher – a sight of extraordinary innovation in the epistemological awareness in the understandings of the Husayni uprising, represented by one of its symbols, al-Abbas (PBUH).

The article contemplates upon some titles of the eulogies and studies these titles, based on them representing a stepping stone with important establishing responsibilities.

Among the instances of innovation, which the researcher discovered, was the care of the Bahraini poets with the title of the poem. The effort invested in that task resembles the effort invested in the text and core of the poems, as the title conducts several tasks in Bahraini poems. Such as transmission and alluring, which operates on the text and on the reader.

Such importance is also witnessed in the opening of the poem. The opening of the poem conducts an establishing role on the other parts of the poem, as it functions as the guiding instrument for the reader, attracting the reader to the depth and wide space of the text.



The researcher supports his critical opinions with samples chosen carefully from poems, in which he elaborates the technical, literary, semantical, and epistemological characteristics of the Bahraini poems in an unique literary research.



أثر النشأة الصالحة في بناء الفرد أم البنين أنموذجاً

الشيخ محمد رضا الساعدي

بدأ هذا المقال بمقدمة تطرّق فيها الباحث إلى أهمية التربية في حياة الفرد والمجتمع، متخذاً من السيّدة أم البنين وابنها العباس عليه السلام نموذجاً تطبيقياً لعوامل التأثير التربوية في نشأة الجيل الصالح، حتّى أصبح معلماً للإباء والوفاء. ثمّ جاء المبحث الأوّل ليتحدّث فيه الكاتب باختصارٍ عن سيرة أم البنين ونشأتها، وما يرتبط باسمها وسيرتها، وتاريخ وفاتها، واختيارها من قبل الإمام علي عليه السلام زوجةً له.

أمّا المبحث الثاني فكان الحديث فيه عن التربية والنشأة وتأثيرهما في بناء الفرد، وقد لخصه الكاتب ضمن نقاط، تناول في النقطة الأولى: التربية والنشأة في اللغة والاصطلاح، وفي الثانية: أقسام التربية من قبيل: الجسميّة، والإيمانيّة، والخلقية، والنفسية، والعقلية. أمّا النقطة الثالثة، فتناول فيها مراحل التربية والنشأة في إطار مرحلتين: مرحلة ما قبل الولادة، وما بعدها.

وفي المبحث الثالث تحدّث عن نشأة السيّدة أمّ البنين في أسرة كريمة، وتأثير ذلك في تكوين شخصيتها، وأثره في إعداد الجيل الصالح، معتبراً العباس عليه السلام ثمرة تربيته، مضافاً إلى سائر العوامل المؤثّرة في ذلك، وقد سلّط الضوء على ذلك من خلال مقارنة بين صفات العباس عليه السلام وصفات أمّ البنين.

وفي الخاتمة، تناول كيفية الاستفادة من تلك التجربة، ودور الأسوة والقُدوة في البناء والإعداد.

The Effect of the Proper Education on the Formation – Um al-Baneen as a Sample

Shaykh Muhammad Redha al-Saidi

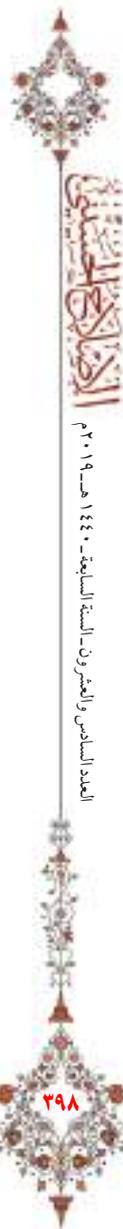
This article begins with an introduction articulating the importance of education in the life of the member of the society, and society itself. The writer uses lady Um al-Baneen and her son al-Abbas (PBUT) as a practical example for the effect of education on the formation of a proper generation, where the two became manifestations of pride and loyalty.

The first part of the article shortly addresses the biography of Um al-Baneen, in addition to Imam Ali's chose of her as his wife.

The second part, mentions the effect of education on the formation of humans. The writer concises this part into different subjects. The first subject is concerned with education and raising – linguistically and terminologically”. The second subject, is concerned with the types of education, such as; the faith education, and the bodily, mannerly, mentally, and intellectually type. The third subject addresses the levels of education through two stages; a stage before the birth, and one post birth.

In the third part, the writer mentions the childhood of lady Um al-Baneen in a noble family, and its effect on her personality, and on preparing a proper generation. The writer considers al-Abbas to be the fruit of her education, in addition to several other factors. He follows it up with a comparison between the characteristics of al-Abbas (PBUH) and Um al-Baneen.

At the conclusion, he addresses the subject of benefiting from such samples and the role of role models in preparing and education.





إِنَّمَا أُخْرِجْتُ لِطَلْبِ الْأَصْلَاحِ فِي أُمَّتِي

الاصلاح الحسني

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنُّهْضَةِ الْحَسَنِيَّةِ وَأَفَاقِهَا الْفِكْرِيَّةِ